

الوزراء

أو

تحفةُ الأمراءِ في تاريخِ الوزراءِ

لأبي الحسينِ الهلالِ بنِ الحسينِ الصَّابِي

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

مكتبة الأعيان

الوزراء

أو
تُخَفَّةُ الْأَمْرَاءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ
لِأَبِي الْحَسَنِ الْهَيْلَالِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسَايِ

مَقْدَمُ اللُّوْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد ، فإن أول ما افتتح به القولُ فأفلحت مصادره ، وأعمل به النطقُ فأنجحت ^(١) مقاصده ، وتوَجَّحَ به الخَيْرُ فأصابت مواضعه ، وتَرَجَّحَ فيه الحظُّ فأرجمت بضائعه ، حمدُ الله ذى الحولِ القاهر ، والطَّوَلُ الباهر ، والنعمة السابغة والحجة البالغة ، الذى ابتدأ الصنعة وأحكما ، وابتدع الحكمة وعلمها ، وخصَّ الإنسان منها بما عرَفَ به مسالكَ حظِّه ورشده ، ومواقعَ خيره وشره ، فصار معه محجوباً ^(٢) فى أسباب فعله ، ومحجوباً عن البوابِ عذره ، مخيراً فى مجارى سعيه ، ومُخْلِ مع دواعى نفسه .

وصلى الله على من اضطفى من خلقه ، وارتضى لإقامة حقه ، محمد ذى الأصلِ الشامخ ، والفخر الباذخ ، والقول الناصح ، والعمل الصالح ، الذى هدانا من الضلالةِ بما أوردنا من الدلالة ، وأتقنا من الجهالةِ بما بلغنا من الرسالة ، فقال له ربُّه تبارك وتعالى اسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ ^(٣) .

ولما رأيت المتقدمين من أهل المعرفة قد أشركوا من بعدهم فيما وصلوا إليه من الفائدة بعلوم أدركوها قبلهم ، فخلقوها بالجمع والتأليف لهم ، وأحاديث سمعوها

(٢) المحجوج : الملووب بالحجة .

(١) أنجحت : صارت ذات نجاح

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

عَمَّنْ تقدمهم ، فحَدِّدوها بالتطير والتصنيف لمن لحقهم ، وجدتُ ذلك من أفضل ما اقتناه المقتنون ، واقتناه المقتدون ، إذ لولا هذه الطريقة لما عُرِفَتْ فضائل الأخلاق فاستُحْسِنَتْ ، ورذائل الأفعال فاستُهْجِنَتْ ، وعوائد الخير فطُلبَتْ ، وعواقب الشرِّ فاجْتُبِتْ ، وأىُّ حديثٍ أوقع ، وذكرٍ أنفع ، من الإخبار بمجاري الأمور التي مازال أرباب الهمم الشريفة يتطلعون إلى أمثالها ليجعلوها لِقَاعًا لآدابهم ، وصفاء لأذهانهم ، وتذكرة لقلوبهم ، وريضة لقلوبهم ، فمعلوم أنه لا وجدان أقرب ، ولا إدراك أطيب ، من أن يأخذ الإنسان عَفْوً ^(١) ما كدَّت الفِطْنُ في استخراجِه ، وبعثت القرائح لاستباطه ، ويعلم - على سلامة من الخطار ^(٢) ، وأمن من العثار - ما بان الخطأ والصواب من مجاريه ، واستتر القبيح والجميل في مَطَاوِيهِ ، فيهندي بذلك مهتد ، ويقتدى مقتد ، ويستفيد مستفيد ، ويستزيد مستزيد .

وكان أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ^(٣) جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند أبي أحمد العباس بن الحسن ^(٤) ، وصنع أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ^(٥) في مثل ذلك كتابا رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله ^(٦) ، لكنه ملأه بالحشو الزائد ، وكسفه بشعره البارد ، ولم أر أحدا بعدهما تم ابتداءها ولا همَّ به ، فكان ذلك مما بُحِثَتْ فيه حظوظٌ من قِطْعًا قَبْلَ عصره ، ووقفًا قَبْلَ ذِكْرِهِ ، وما في أكثرهم إلا من له الفضائلُ المذكورة . والنائبُ المأثورة ، والآثارُ المشهودة

(١) العفو من مفايه : خيار الشيء وأطيبه ، والفضل .

(٢) الخطار : الخطارة .

(٣) توفي سنة ٣٣١ راجع ترجمة له في مقدمة كتابه الوزراء والكتاب تحقيق السقا والايارى .

(٤) كل سنة ٢٩٦ هـ ووزر للسكتى والقتدر .

(٥) راجع ترجمة له في ابن خلكان توفي سنة ٣٣٥ .

(٦) توفي سنة ٢٩١ ووزر للمتضدّم السكتى ، له ترجمة في التلظم ٤٦/٦ .

والأفعال المشهورة ؛ من مثل أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وأبي الحسن علي ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وأبي علي محمد بن علي بن مقلة^(١) ومن بعدهم من وزراء الدولة العباسية ، ومثل أبي محمد الحسن بن محمد^(٢) المهلبى ، وأبي الفضل محمد ابن الحسين بن العميد^(٣) ، وأبي القاسم إسماعيل بن عباد^(٤) ، وأبي غالب محمد ابن علي بن خلف^(٥) ، ومن قعد مقعدهم بالعراق وفارس والري من كُتّاب الأيام الديلية ، ومثل السيد الأجل الأوحى العادل أبي منصور بهرام بن مافته^(٦) ، حرس الله مدته ، وواصل سعادته ، الذى تأخر عنهم عصره ، وأبرّ عليهم^(٧) فضله ، وصلى^(٨) بعدهم عهدُه ، وفات جُهدهم عَفْوُه^(٩) . ثم نقول : إنه لو كان التأخر مُقْعِداً عن ذُرْوَةِ فى الخير باسقة ، وغَلْوَة^(١٠) فى الفخر سابقة ، ورُتْبَةٌ فى الجِدِّ مبلوغة ، وغاية فى المجد مرفوعة ، لما جعل الله محمداً صلى الله عليه آخِرَ المرسلين أواناً ، وأذْ كَرَّمهم زماناً ، وأظهرهم فى معجزاته حُجَّةً ، وأعلامهم فى جنّاته درجة ، وأجراهم إلى طاعته خُطوة ، وأولاهم بكرامته حُطوة ، ثم نسخ به ما شرعوا ، وفسخ به ما وَضَعُوا ، ونقض ما بنَوْا ، ودَحَضَ ما قرّروا ، حتى صار دينُه المرفوع ، وشرعه المتبوع ، وعَقْدُه الشديد ، وبنائُه المشيد ، وقال تبارك اسمه فى ذلك : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ

(١) توفى سنة ٣٢٨ راجع ترجمة له فى ابن خلكان والتنظيم ٣٠٩/٦ وراجع توليه الوزارات وما نكسب به فى حوادث التاريخ من ٣١٦-٣٢٨ .

(٢) توفى سنة ٣٥١-٣٥٢ راجع ترجمة له فى معجم الأدياء وابن خلكان .

(٣) توفى سنة ٣٥٩-٣٦٠ راجع ترجمة له فى ابن خلكان ومعجم الأدياء :

(٤) توفى سنة ٣٨٥ راجع ترجمة له فى معجم الأدياء .

(٥) قتل سنة ٤٠٧ راجع ترجمة له فى معجم الأدياء .

(٦) توفى سنة ٤٣٣ انظر ابن الأثير حوادث سنة ٤٣٣ .

(٧) أبر عليهم : غلبهم وفاقهم . (٨) صلى ، معناها هنا : جاء تاليا .

(٩) عَفْوُه : فضله ومعرفه . (١٠) غَلْوَة : غاية .

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١) . وإيضا يبين مواضع الفضل ، ويقوم معالم العدل ، بالموازنة والقياس . والتطبيق بين الناس والناس ، وإلا فالنوع شامل ، والجنس متشاكل ، والأزمان متقاربة ، والأوقات متناسبة ، وما جعل الله الفضيلة محجوزة عن قوم دون قوم ، محجوبة لأن بابها ممنوع ، ورائدها مدفوع ، وطريق منالها مسدود ، وعقد مرامها مشدود ، بل لأن التَّطَلُّبَ مُتَعِبٌ ، وَالْمَسْلَكُ مُتَوَعَّرٌ ، ولذلك قال الأعرابي (٢) :

لَا تَحْسِبِ الْجِدَّ تَمْرًا أَنْتِ آكَلِهِ لَنْ تَبْلُغَ الْجِدَّ حَتَّى تَلْمَعَ الصَّبْرُ

وأولا خشونة الممتطي ، وحزونة المرتقي (٣) ، وأن ركوب الصعاب أسهل من اكتساب الآداب ، وتكلف المشاق أخف من تهذيب الأخلاق ، لما قال الفاضل وكثر المفصول ، ودقَّ العقل وجلَّ الرسم . ومع كون الحال في هذه الصورة وتصرفها على هذه الصفة ، فالمقدور بين ذلك ولُوج ودخول ، وللتوفيق وقوع وخلول ، فكم من رامٍ يُجِئُ أَخْطَأَ مَرْمَاهُ ، ورائمٍ مجداً ضلَّ مسعاه ، وبأبع حريصٍ أقعد مبغاه (٤) ، ورائدٍ مُشِيحٍ (٥) أعجزه متتجاه (٦) ، وما تختلف الهمم في اللهب بذاك والصبابة ، وتتفاوت المَنَن (٧) في الإدراك والإصابة ، إلا لأن الهممة الشريفة تحلّق علواً للضعود ، والمنة الضعيفة تُسِفُّ دُنُوًّا للقصور ، وما زال الفضل زينة رافعة ، والنقص سمةً واضعة . ومن المعلوم السليم من اعتراضات المعترضين ، البعيد من مناقضات

(١) التوبة ٣٣

(٢) هو في الحاشية ١٧٧/٢ والمضنون به على غير أهله ٤٧٢ ونسب لرجل من بني أسد .

(٣) حزونة : غلظ . (٤) أقعد : لم يقدر على النهوض .

(٥) لمشيح هنا : الجاد والمذر . (٦) متتجاه : مقصده .

(٧) المن جمع منة : القوى .

الناقضين ، أن الله تعالى خلق الحيوانات كلها على اختلاف الفطر والأوضاع ، وتباين
الضور والأنواع ، خلقاً واحداً في الأشخاص والأشباح ، والأفئدة والأرواح ،
ثم خصَّ الإنسان من بينها بالعقل الذي أرشده به إلى معرفته ، وما أراد له من
عبادته ، وأوجب له من الطاعة وشكر المنَّة مزيداً حاضراً ، وثواباً منتظراً ، وأوجب
عليه عن المخالفة وكفر النعمة انتقاماً عاجلاً ، وعذاباً آجلاً : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ
عَنْ بَيْنَتِهِ وَيَبْقَىٰ مَنْ حَىٰ عَنْ بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) . وجعل
عطاء الإفضال أكثر ، وعطاء العقل أقل ، لأن مادة الإفضال غزيرة ، ومادة
العقل عزيزة .

وقد اختلف في كيفية العقل ، فقال قوم : بور من الله مُقتبس ، وقال آخرون :
خلق مُستخلص ، واستشهدوا بالحدث الذي ترويه العامة « من أن الله تعالى قال
للعقل وقد خلقته : أقبِلْ . فأقبل . وأدبرْ ، فأدبر . فلما فعل ذلك قال : وَعَزَّيْ
وجلالى وعظمتى ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطى » ، وقال
أهل الكلام : هو معارف يجمعها الله تعالى في قلب عبده إذا أخذه بالتكليف
يُحسِّن له بها الحسن ويقبِّح القبيح . وإنما سمى عقلاً لأنه يَعْقِلُ عن القبيح ،
أى يحبس كعقال الناقة الذى يمنعها أن تسرح . وليس تكليف العقلاء كتكليف
الجهلاء ، ولا آلة الفريقين فى الأفعال متوازية ، ولا مؤاخذتهما بالأعمال متساوية ،
ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) ، ولو أُؤخذ
الجاهلون كما يؤخذ العالمون لكان ذلك جوراً فى القضاء ، وحيثاً فى الجزاء ، لأن
الله تعالى كلَّف كل نفس بحسب قوتها ، وأخذها بما جعله فى قدرتها . ولو أن أحداً

غَطَطَ غَلَطًا جاهلاً بِحُكْمِهِ ، وَأَخْطَأَ خَطَأً خَارِجًا عَنْ عِلْمِهِ ، لَمَّا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ حُكْمٌ ،
وَلَا تَعْلَقُ بِهِ حَدٌّ . وَعَلَى ذَاكَ ، فَتَى كَانَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ كَانَ حَتْفَهُ
فِي عِلْمِهِ ، أَوْ عَقْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ أَمَكْنَهُ بِهِ جَبْرٌ عَجْزُهُ وَإِتْمَامُ نَقْصِهِ ؛ وَمَا دَبَّرَ الْعَقْلُ
شَيْئًا إِلَّا أَقَامَ أَوْدَهُ وَعَدَلَ مَيْدَهُ ^(١) ، وَلَا دَخَلَ الْجَهْلُ أَمْرًا إِلَّا أَحَلَّ نِظَامَهُ
وَأَحَالَ النَّتَامَهُ .

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْفَضْلَ فَرَعٌ أَصْلُهُ الْعَقْلُ . ثُمَّ تَدْعُو الْحَاجَةَ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْأَصْلِ
إِلَى بَيَانِ يُعْلِي أَسَاسَهُ ، وَيَسْقِي غِرَاسَهُ ، مِنْ أَدَبٍ يُقْتَسَبُ ، وَعِلْمٍ يُكْتَسَبُ ،
وَرِيَاضَةٍ تُصَلِّحُ ، وَتَوْفِيقٍ يَلْحَقُ ، فَإِذَا التَّقَى مِنْ ذَيْنِكَ فَرَعٌ وَأَصْلٌ ، وَاقْتَرَنَ أَدَبٌ
وَعَقْلٌ ، اجْتَمَعَ بِهِمَا قُوَى الْعَقْلِ ، وَلَمَعَ بَيْنَهُمَا نُورُ الْحِزْمِ ، وَأَمَكْنُ رَافِعِ الْبِنَاءِ أَنْ يَرْتَقِيَ
ذِرْوَتَهُ ، وَغَارِسِ الْغَرَسِ أَنْ يَجْتَنِي ثَمَرَتَهُ . وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مَوْلَانَا مِنَ الْعَقْلِ الْبَارِعِ ،
وَالْفَضْلِ الرَّائِعِ ، بِالشَّاهِدِ الشَّائِعِ ، وَالذَّلِيلِ النَّاصِعِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الرَّئِيسَةِ الْمُجْتَمِعَةِ فِيهِ ،
وَمَجَارِي السِّيَاسَةِ السَّائِرَةِ عَنْهُ ، مَا جَعَلَ النِّعْمَةَ مُقْسَمَةً بَيْنَ خَاصٍّ لَهُ بِحَقِّ الْإِنْفِرَادِ بِهَا ،
وَعَامٍّ لِمَنْ سِوَاهُ بِحُكْمِ الْإِشْتِرَاكِ فِيهَا ، لِأَجْرَمِ أَنَّهَا تَصْفُرُ عَلَى الذِّكْرِ ، وَتَكْبُرُ
عَلَى الْفِكْرِ ، وَتَقَلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ ، وَتَجَلُّ مَعَ الْإِخْتِبَارِ ، وَتَدْعُو فِي تَصْرِفِ الْأَحْوَالِ
إِلَى الشُّكْرِ مَا بَلَّ رَيْقُ فَمَا ، وَعَلَّتْ سَاقُ قَدَمَا . فَإِنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ - جَدَّدَ
مَعَالِمَ مِنَ الْخَيْرِ دَارِسَةً ، وَأَعَادَ مَعَاهِدَ مِنَ الْكُرْمِ طَامِسَةً ، وَرَدَّ رَسُومًا مِنَ الْعَدْلِ
دَائِرَةً ، وَأَنْهَضَ أَقْدَامًا مِنَ الْأَمَلِ عَائِرَةً ، وَأَرَانَا عَلَى الْعِيَانِ وَالْوَجْدَانِ مَا عَدَمْنَاهُ
عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالْأَزْمَانِ ، فَقَدْ تَعْلَقَ بِهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَهْلُ الْقَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ
إِلَّا تَحَلَّ فِيهِ كُلُّ رُوحٍ زَكِيَّةٍ ، وَنَفْسٍ كَرِيمَةٍ ، وَخَلِيقَةٍ طَاهِرَةٍ ، وَفَضِيلَةٍ ظَاهِرَةٍ ،

(١) الأود : الموج . واليد : الميل .

وَجُمِعَ بِهِ مَا كَانَ مَتَرَفًا فِي الْأَشْخَاصِ الْمُنْقُودَةِ ، مِنْ مَنَاقِبِ مَذْكُورَةٍ ، وَمَحَاسِنِ مَأْتُورَةٍ ، وَمَسَائِعِ مَشْكُورَةٍ ، وَمَعَالٍ مَنَشُورَةٍ :

هِنَيْثًا لَكَ الْفَخْرُ الَّذِي قَدْ مَلَكَتَهُ وَمَا لَكَ فِيهِ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
فَأَنْتِ بِمَا اسْتَأْنَفْتِ أَفْضَلُ كَاسِبٍ وَأَنْتِ بِمَا قَدَّمْتِ أَكْرَمُ وَارِثِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَهُ غُرَّةً لِلدَّهْرِ لَا تُحْمَةُ فِي جَبِينِهِ ، وَلُحْمَةً^(١) قَائِمَةً بِتَرْبِيئِهِ ، وَجُنَّةً وَاقِيَةً مِنْ صَرْفِهِ^(٢) ، وَعَصْمَةً مَانِعَةً مِنْ قَصْدِهِ ، حَتَّى دَعَاهُ الدَّاعُونَ دُونَهُ فَأَجَابَهُمْ وَلَبَّاهُمْ ، وَاسْتَجَارَهُ الْمُسْتَجِيرُونَ مِنْهُ فَأَجَارَهُمْ وَأَوَّاهُمْ ، وَعَرَّضَ لَهُ الْمُرَّضُونَ قَرَفَدَهُمْ^(٣) ، وَأَغْنَاهُمْ ، وَلَوَّحَ لَهُ الْمَلَوِّحُونَ فَأَعْطَاهُمْ وَأَوْفَاهُمْ ، فَطَنَتْ ثَابِتَةً فِي الْمَكَارِمِ ، وَصَرِيحَةً^(٤) مَاضِيَةً فِي الْعَزَائِمِ ، وَإِنَّمَا لِاسْتِمَالِ الْجَمِيلِ صَارِعَةٌ ثَابِتَةٌ ، وَاسْتِمْرَارًا عَلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ عَادَ طَبِيعَةً ثَانِيَةً ، وَيُنَبِّأُ أَسْأَلُ أَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْهِ ظِلًّا مِنَ الْحِرَاسَةِ شَامِلًا ، وَيُسَوِّغَهُ فَضْلًا مِنَ السَّعَادَةِ كَامِلًا ، وَيَتَوْلَدُ فِي كُلِّ مَا أَعْطَاهُ وَأَوْلَاهُ ، بِدَوَامٍ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ ، وَتَرَامٍ لَا يَقِفُ أَمْدُهُ ، بِمَجُودِهِ وَمَجْدِهِ .

وَمَا كَانَتْ الْعُلُومُ تُجَلِّبُ إِلَى أَسْوَاقِهَا بِحَسَبِ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ نَفَاقِهَا ، وَتَعْرُضُ عَلَى خُطَّابِهَا بِقَدْرِ مَا يَلُوحُ فِيهِمْ مِنْ قَبُولِهَا . وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي شَرَعْنَا فِي تَأْلِيْفِهِ وَعَمَلْنَا عَلَى تَصْنِيْفِهِ ، مَحْتَاجًا إِلَى كُفِّهِ كَرِيمٍ يُزَفُّ إِلَيْهِ زِفَافُ الْعُرُوسِ ، وَيُخَلِّدُ ذِكْرَهُ فِي بَطُونِ الطُّرُوسِ ، أَدَانَا فَضْلُ الْإِرْتِيَادِ ، وَفَرَطُ الْاجْتِهَادِ ، إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ الْكَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ ، الرَّاعِبَةِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، فَهَيْدِنَاهُ^(٥)

(١) اللعنة من الجسد : بريق لونه .

(٢) الجننة : ما وقى من السلاح . والصرف : النوايب .

(٣) رفدتم : أعطاهم .

(٤) الصرعية : الغريزة .

(٥) هديناه : زفناه .

إليها ، ورجونا تفاقه عليها ، ومن الله تعالى نستمد التوفيق والتسديد ، وحسن المعونة والتأييد .

ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن القرات ، لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن ، ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع ، ومجتمعاً غير منقطع ، ونجرب على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم ، إذ كان الغرضُ سِياقة أخبارهم ومجاري أمورهم إلى غاية مُددهم وانتضاء أيامهم ، لا ترتيب خُلقاتهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

على بن محمد بن موسى بن الفرات

أبو الحسن عليّ بن محمد بن موسى بن الفرات ، مولده في يوم الثلاثاء لخمس ليال خون من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والظالم^(١) القوس يابو ، والزهرة فيه يابو ، والقمر في الدلو ح بن ، وسهم السعادة فيه ، كد لب ، وزحل راجع في السرطان ب لح ، والذنب فيه يزمو ، والشمس في العقرب كه لح ، والمشتري فيه وكا ، وعطارد فيه ح مو ، وانريخ فيه يح يه .

وبنو الفرات من قرية تدعى بابليّ صرّيفين ، من النهر وان الأعلى ، وكان لهم بها

(١) يقسم الفلكيون القدامى وأصحاب الظالم الأبراج إلى اثني عشر برجاً والكواكب إلى سبعة فالكواكب هي : زحل والمشتري والريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . أما الأبراج فهي : الأسد والثور والجدى والجوزاء والحمل والحوت والدلو والسرطان والسنبلة والعقرب والقوس والميزان . ثم يرمزون إلى الدرجات والدقائق بحروف تعادل أرقاماً . والقسم الأول منها يعادل الدرجات ، والقسم الثاني يعادل الدقائق . ولهم من وراء ذلك حساب يزعمون أنهم يعرفون به الحظوظ والأحداث . ويجد في هذا الكلام عشرة رموز توضيحها كما يأتي على التوالي ١١ درجة ٦ دقائق ، ١١-٦ ، ٨-٥٢ ، ٢٤-٣٢ ، ٢-٣٨ ، ١٧-٤٦ ، ٢٥-٣٨ ، ٦-٢١ ، ٨-٤٦ ، ١٨-١٥ . وهذا وحروف الهجاء في حساب الجمل مرتبة هكذا اب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ : تتوالى الأحاد والعشرات فالثلاث على هذا الترتيب ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-٢٠-٣٠-٤٠-٥٠-٦٠-٧٠-٨٠-٩٠-١٠٠-٢٠٠-٣٠٠-٤٠٠-٥٠٠-٦٠٠-٧٠٠ والقاف تقابل المائة والراء تقابل المائتين . والفين تقابل الألف ، وهذا وبعض الفلكيين الحديثين يسمون برج السنبلة برج المنراء . ويسمون برج الجوزاء برج التوأمين . وزمن البروج في السنة الشمسية في النظام الحديث كما يأتي : برج الجدى ١٢/٢٣ - ١/٢٠ . برج الدلو ١/٢١ - ١٩ - ٢ . برج الحوت ٢/٢٠ - ٣/٢١ . برج الحمل ٣/٢٢ - ٤/٢٠ . برج الثور ٤/٢١ - ٥/٢١ . برج الجوزاء أو التوأمين ٥/٢٢ - ٦ - ٦ . برج السرطان ٦/٢٢ - ٧/٢٣ . برج الأسد ٧/٢٤ - ٨/٢٣ . برج السنبلة أو المنراء ٨/٢٤ - ٩ - ٩ . برج الميزان ٩/٢٤ - ١٠/٢٣ . برج العقرب ١٠/٢٤ - ١١/٢٢ . برج القوس ١١/٢٣ - ١٢/٢٢ .

أقارب يزيدون على ثلاثمائة نفس . وأول من ساد منهم أبو العباس أحمد بن محمد ابن موسى بن الفرات ، وكان حسن الكتابة ، ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال ، متقدماً على أهل زمانه في هذه الأحوال . فحدث محمد بن أحمد بن أبي الأصبع قال : ورد عليّ من أبي العباس بن بسطام كتابٌ بالترجمة احتجت إلى عرضه على أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ^(١) ، وهو إذ ذاك وزير المعتضد بالله رحمة الله عليه ، حضرت مجلسه ، وفيه أبو أحمد بن يزيد وجعفر بن محمد بن حفص ، وعرضت عليه ما كان ورد ، وأمرني في جوابه بما رسم لي كتبه في مجلسه . فاستدعيت دواتي وجلست وراء مسنده وتشاغل بمسألة أبي أحمد وابن حفص عن أمور الأعمال والعامل والأموال ، فما فيهما من أجابه بما شفاه ، فطلب أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات وهو محبوس يومئذ مع أبي العباس أحمد أخيه ، وقد لحقتهما مكاره ، وعلّق أبو العباس بحبال في يديه بقيت آثارها فيهما مدة حياته ، وصور على مائة وعشرين ألف دينار صحّ منها ستون ، فحجى به من محبسه يرُسِفُ في قيوده ، وعليه جبةٌ دَنَسَةٌ وشعره طويل ، فلما مثل بين يديه قال : الله الله أيها الوزير . وجعل يشكو ما أصابه وأصاب أبا العباس أخاه من المكاره . وفرائضه تُرْعَد ، فسكته عبيدُ الله بن سليمان وقربه ، وأجلسه وخطبه بما أزال به روعه وخوفه . ثم خاطبه في المسألة عن أمر الأعمال والعامل ، فانبسط أبو الحسن انبساط رجلٍ جالسٍ في الصّدر ، وأخذ يقول : « ناحيةٌ كذا متبلغُ مالها كذا ، وقد حمل منه كذا وبقى كذا . وعاملها مستقيمُ الطريقة ، وناحيةٌ كذا على صورة كذا ، وعاملها غيرُ مُضْطَلَعٍ بها وينبغي أن يُسْتَبَدَلَ به فيها . وناحيةٌ كذا على حال كذا ، وعاملها ضعيفٌ وينبغي أن يُشَدَّ بمشاركٍ أو مشارفٍ ^(٢) » .

(١) توفي سنة ٢٨٨ انظر الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٨٨ .

(٢) المشارف : من يطلع على الأمور من علو أو قرب .

حتى أتى على أمور الدنيا . قال ابن أبي الأصبح : فاطلعت فرأيت وجه عبيد الله يتهلل ، ثم قال له : اعتزل واعمل لنا عملاً يشتمل على جميع ما ذكرته لي مخاطبة . واعتزل معه أبو عيسى محمد بن سعيد الدينارى وأملى عليه ذلك وأحضره الثبّت به (١) . ثم سأله في أمره وأمر أبي العباس أخيه ، وذكر له عظيم ما حلّ بهما ونيل منهما ، فتقدّم بفكّ قيودها والتوسعة عليهما ، ووعده بمسألة المعتضد بالله في بايها والتلطّف في استخلاصهما ، وصرفه إلى موضعه . وقال لأبى أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد ابن حفص : قوما إلى دواوينكما . والتفت إلى من كان بين يديه وقال : أرايتم مثل ابن القرات ومثل كُتّابى الذين صرفوه؟! والله لأخاطبنّ الخليفة في العفو عن أبى الحسن وأبى العباس وأستعيننّ بهما ، فإنه لا عوض للسلطان عنهما .

ومضت أيام وخاطب في معناها واستوهبها واستعملها .

وحدث أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب قال : لما تولى أبو القاسم عبيد الله ابن سليمان وزارة المعتضد بالله رحمة الله عليه - والدنيا مُتعلّقة (٢) بالخوارج ، والأطعام مستحكمة من جميع الجوانب ، والموادّ قاصرة ، والأموال معدومة ، وقد استخرج إسماعيل بن بلبل خراج السواد لسنتين في سنة ، وليس في الخزان موجوداً من مالٍ ولا صياغة - احتاج في كل يوم إلى ما لا بدّ منه من النفقات إلى سبعة آلاف دينار ، وتعدّر عليه قيامٌ وجهها ، وقال لي يوماً وهو في مجلسه من دار المعتضد بالله : يا أبا الفضل قد وردنا على دنيا خرابٍ مُستعلّقة ، وبيوت مالٍ فارغة ، وابتداء عقْدٍ لخليفةٍ جديدٍ الأمر ، وبيننا وبين الافتتاح مُدّة ، ولا بدّ لي في كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضرة على غاية الاقتصار والتجرتة ،

(١) الثبّت : الحجة والبرهان .

(٢) منقلقة ، يكنى بها عن عسرها .

فإن كنت تعرف وجهاً تعينني به فأحب أن ترشدني إليه - وكنت أعرف منها وجوهاً بالنصف - فقلت وأنا أحب تخلص بنى الفرات : إن أردت أن أحصل لك ذلك وزيادة فأطلق ابني الفرات واستعملهما . قال : فهض ودخل على المعتض بالله وعرفه الصورة وقال : أنا بعيد العهد بالعمل ، وابنا الفرات قد خبرا الأعمال ووجوه الأموال ، وعندهما من علم ذلك ما يحتاج إليهما فيه . فقال له المعتض : وكيف تصلح لنا بنيتهما وقد استفسدناهما وأسأنا إليهما وصادرناهما ؟ فقال له : إذا أردت أن تصطنعهما وتستصلحهما صلحاً ونصحاً . فقال له المعتض : ربما اجتمعا عليك وأفسدا بيني وبينك ، والأمر في حبسهما وإطلاقهما إليك . فخرج وعرفني ما جرى ، وأحضر أبا العباس وأدناه وقال له : قد استوهبتك وعملت على اصطناعك والاستعانة بك ، فكيف تكون ؟ قال : أبدلُ وسعى في كل ما قضى حَقَّك وخفف عنك .

وخرج إليه عبيدُ الله بما هو فيه ، وقصَّ عليه أمره فيما يعانیه ، فقال له : يتقدمُ الوزير بإحضار أحمد بن محمد الطائيِّ وعليَّ بن محمد أخِي - يعني أبا الحسن - وتُفردني وإياهما . ففعل عبيد الله ذلك ، واعتزل أبو العباس وأبو الحسن وخاطبا الطائيَّ على أن يضمناه أعمال الكوفة والقصر وباروسما الأعلى والأسفل وما يجري مع ذلك ، وقرراً معه الضمان على أن يحمل من ماله في كلِّ يوم سبعة آلاف دينارٍ ، وفي كلِّ شهر ستة آلاف دينارٍ ، وأخذنا خطه بالتزام الضمان وتصحيح المال على ما تقرَّر من أوقاته ، واستقبلا به في المياومة يومئها ، وفي المشاهرة غدَّهما ، وجاءا إلى عبيد الله فسما إليه الخط . فلما وقف عليه اشتطير سرورا ، ودخل إلى المعتض وعرفه ما جرى ، فقال له : قد كنت يا عبيد الله أعلم مني بهما ، وما يجب إضاعة مثلهما .

ووجدت عملاً يشتمل على ذِكْرِ أحمد بن محمد الطائى وما ضَمِنَه من الأعمال ،
وشرَطَه على نفسه من حَمَل مال الضمان مِياومةً إلى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوه
خَرَج المِياومة ، وكانت نُسخته :

أصلُ ضمان أحمد بن محمد الطائى فى أول أيام المعتضد بالله - رحمه الله عليه -
أعمال سقى الفرات ودجلة وجوخي وواسط وكنكر وطساسبج نهر بوق والذبيبين
وكلواذى ونهر بين والراذانيين وطريق خراسان مما شرط عليه أداءه مِياوماً فى بيت
المال من العين .

ألفى ^(١) ألف وخمسةة ألف وعشرين ألف دينار .

قسط كل شهر من ذلك - مائتى ألف وعشرة آلاف دينار .

وكل يوم سبعة آلاف دينار .

تفصيل وجوه خَرَج المِياومة مما شرط فيه ما قرره المعتضد بالله - رحمه الله

عليه - منه :

أرزاق ^(٢) أصحاب النوبة من الرجالة ومن برسمهم من البوابين ومن يجرى
تجراهم - من جُحلة ثلاثين ألف دينار فى الشهر - ألف دينار . من ذلك البيضان
من الجنائين والبصريين وأصحاب المصافى باب العامة ، ومن على أبواب القواد
المُفْلِحِيَّة والديلمة والطبرية والمغاربة - ويُفْتَتَح الإِعطاء فى مجلسهم بنحو مائة رجل
من البوابين - سبعةة دينار .

(١) مجرور على أنه بدل من الضمير فى أداءه ، وهكذا كل ما يأتى فهو بدل منه حتى يتفق ذلك
مع كل ما أتى فى الأصل بالجر أى أداء ألفى ألف وأداء قسط كل شهر من ذلك أداء مائتى ألف .
(٢) نصب على أنه بدل من الضمير الذى فى محل نصب فى قرره ، أى قرر أرزاق أصحاب
النوبة . . . ألف دينار .

السودان - وأكثرهم مماليك الناصر رحمه الله من زغاوة ونوبة ابتيعوا من مصر ومكة . ومنهم الزنج العجم الستامنة من عسكر الخارجى بالبصرة بمن كان صبر معه وألقى نفسه عليه عند قتله ، وهم عُثم^(١) قُحَّحَ يَأْكُلُونَ لحوم الناس والبهائم الميتة ، وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا ، وكانوا منفردين لا يختلطون بالبيضان . ومن رَسْمُهُم أن ينوبوا في مصافِّ باب الخاصة وحوالى القصر ، ولهم وظيفة خُبز يميزون بها لقلة رزقهم - في اليوم ثلاثمائة دينار .

أرزاق الغلمان الذين أعتقهم الناصر رحمه الله - ويعرفون بالعلمان الخاصة ، وقد كانت أضافهم في الجريد^(٢) إلى الأحرار الذين أيام شهرهم خمسون يوما ليكونوا مختلطين بالتواد والموالى ، فلا يُقدِّرون أنهم مُفضَّلون عليهم في زيادة رزقٍ أو نقصان مدةٍ ، وكانت أيام شهرهم في القديم أربعين يوما فأساءوا الأدب في بعض الأوقات في مطالبة كانت منهم ، تخلف أن يجعل أيام شهرهم خمسين يوما ، وفعل وجرى الأمر على ذلك . فلما قام المعتضد بالله نقلهم إلى جملة الأحرار وجعل أيام شهرهم ستين يوما ، وفيهم حاجبه وخلفاء الحجاب وعدتهم خمسة وعشرون رجلا ، خمسة ملازمون وعشرون نوبتيون^(٣) . فإذا وقع سفر قريب أو بعيد أمر جميعهم بالملازمة الدائمة في المضرب^(٤) والموكب ، وكان لهم دواب في الإصطبل فأسقطت علوقها من مال الطمَّع^(٥) من جملة ستين ألف دينار في الشهر - ألف دينار^(٦) .

(١) القم جمع أغم وهو من فيه عجمة ولا يفصح في كلامه .

(٢) الجريد جمع جريدة وهي هنا الصحيفة التي يكتب عليها

(٣) نسبة إلى النوبة بمعنى أنهم يتناوبون . والنسبة غير قياسية

(٤) يراد بالمضرب هنا موضع الإقامة (٥) الطمع من معانيه رزق الجند

(٦) يلاحظ أن شهرهم مدته ستون يوما في كل يوم ألف فهو ستون ألفا والمراد بشهرهم هو

المدة التي يطون فيها مرتبهم .

فأما ممالك المعتضد بالله فإنه رتب أمرهم على المقام في القصر والحجر تحت
مراعاة الخدم الأستاذين ، وسماهم الخجيرية ومنعهم من الخروج والركوب إلا مع
خلفاء الأستاذين .

أرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين الذين كانت أيام شهرهم خمسين فجعلت
تسعين ^(١) - ونسبوا عند ذلك إلى التسعينية . وكان المعتضد بالله عرض جمهور الجند
في الميدان الصغير الذي فيه دار الأرزج ^(٢) والأربعيني والمقاصير والسجون ، وجلس
لذلك في مجالس وخورنقات ^(٣) على ظهور المجالس والأروقة التي تلى بركة السباع ،
ويُرْتَقى إليها من درجة في حجرة كانت هناك للوضوء ، ولم يكن يدخل الدار
الحسنية يومئذ إلا الخدم برسم الخدمة ، وعبيد الله بن سليمان وبدر وراشد ومن
رسمه أن يفتح أبواب البستان في الصحن الحسني ، ويقف القواد والغلمان بين يديه
في الميدان ، ويجلس ككتاب العطاء أسفل بحيث لا يراهم ، ويتقدم القائد ومعه
جريدة بأسماء أصحابه وأرزاقهم فيأخذها خادمٌ منه ويضعدها إلى المعتضد بالله ،
ويدعو عبيدُ الله بن سليمان بواحدٍ واحدٍ منها ، فيدخل الميدان ويمتحن على
البرجاص ^(٤) ، فإن كان يرعى رميةً جيداً . وهو متمكنٌ من نفسه ، ومستقرٌّ في
سرجه ومصيبٌ أو مقاربٌ في رميه ، علم على اسمه ج وهي علامة الجيد ، ومن كان
دون ذلك علم على اسمه ط وهي علامة المتوسط ، ومن كان متخلفاً لا يُحسن
أن يركب فرسه أو يرمى هدفه علم على اسمه د وهي علامة الدون . ثم يُحملُ بعد

(١) تكلمة الكلام . تأتي وهي : قسط كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسة دنانير .

(٢) الأرزج : البيت بيني طولاً ، ولعله يريد بذلك أن هذا الميدان به بيت مستطيل .

(٣) الحورنق من معانيه : المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب .

(٤) البرجاص . ضرب من أنواع الفروسية يكون على ظهور الخيل .

العرض والامتحان إلى كتاب الجيش ليتأملوا حليته، ويقابلوا بها ما عندهم من صفته،
لئلا يكون دخيلاً أو يديلاً، فإذا تكامل عرض أصحاب القائد دفعت جريدته التي
فيها العلامات بخط المعتضد بالله إلى عبيد الله بن سليمان ليدفعها من وقتها إلى الكاتب،
ويميز ما فيها من أرباب العلامات، ويفرد لكل صنف منهم جريدة، وإذا
عمل الكاتب من ذلك ما عمله، قابل عليه بنفسه لثلاثين يوماً على عبيد الله مغالطة فيه
ثم أخذ الجرائد المبيضة المجردات وسلم إلى عبيد الله ذات العلامات، وكل هذا
من غير أن يعلم القائد وأصحابه بما يجري منه، ثم يخرج كل جريدة إلى مجلس
قد أفرد لذلك الصنف، وجعل شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوماً، وسماه
عسكرة الخاصة. وضم المتوسطين إلى بدر ليكونوا في شحنة^(١) طريق خراسان
والأنبار وزاذان ودقوقا وخانيجار، ودعاهم عسكرة الخدمة، وجعل أيام شهرهم مائةً
وعشرين يوماً، وأمر عبيد الله بن سليمان بأن يرسم الطبقة الدون بالخروج إلى أعمال
الخراج للاستحاث على حمل الأموال بعد أن يسقط منهم الرضاة^(٢) والأبيات^(٣)
المساكين للرعية، وأن يسبب^(٤) أموالهم على النواحي في دفعتين من السنة، ويوفر
عليهم مرافق المسقطين ومنافعهم ومكاسبهم، ويجعل منهم من يكون مع أصحاب
المعاون^(٥) ببغداد وواسط والكوفة، وأمضى من أرزاق التسعينية المختارين ما كان
لهم في أيام الناصر، وأسقط ثمن قضم^(٦) دوابهم وعلوقهم، وهو للدابة في كل خمسة

(١) الشحنة : من أمهم الملك بضبط المكان

(٢) الرضاة جمع راض وهو من بذل الجبل وبعلمها السير

(٣) الأبيات : الوثوق بهم

(٤) سبب الأمر كان سبباً له وفي الأصل بأموالهم . ويراد أن يجعل أرزاقهم مفروضة على الجهات

التي يذهبون إليها بحيث تكون على دفعتين في السنة

(٥) أصحاب معاون هم المرتبون لتقوم أمور العامة أو من يساعدون القضاء والحكام

(٦) القضم يراد به الشعر .

وثلاثين يوماً أربعة دنانير ، وللبغل ثلاثة دنانير ونصف ، وللحمار برسم الرَّجَّالة ديناران ، وأسقط من ثمن جرياتهم ووظائفهم نصف دينار في كل شهر ، فبلغ مال من أمضى من هؤلاء التسعين مائة وخمسة وثلاثين ألف دينار في كلِّ طَمَعٍ - قِنطُ كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسة دنانير .

أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة ، وكان عزَّ فهم بالشهامة والشجاعة من المماليك الناصرية^(١) والبغائية والصَّرورية والبكجورية واليانسية والفلحجية والأزكوتكينية والكيفلية والكنداجية واستخلصهم لمواكبه وملازمة داره ، والدخولِ أوقات جلوسه ، والمُقامِ من أول النهار إلى آخره ، ورسم رشيqa القارئ لمراعاة أمورهم وتنجيز حوائجهم واستخدامهم ، وجعل أيام شهرهم سبعين يوماً من جملة مال طَمَعهم ، وهو اثنان وأربعون ألف دينار ، بقسط كلِّ يوم ستمائة دينار .

أرزاق الفرسان المثبتين في أيامه ، والمميزين ممن ضمَّ إلى بدرٍ من عسكر الخدمة على ماتقدم من ذكره ، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً بحسب ما كان أوجه ابن أبي دُلف وصاحب أذر بيجان للجليليين ، ومال طَمَعهم ستون ألف دينار ولكلِّ يوم خمسمائة دينار .

أرزاق سبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة والقراء وأصحاب الأخبار والمؤذنين والنجميين والفتجامين والقرائين^(٢) والأنصار والحرس والمكوس^(٣) ، والشيعية والسند وأصحاب الأعلام والبوقيين^(٤) والمُحرفين والمُضحكين والطبائين ممن كان برسم النوبة ، فنُقِل إلى المشاهدة التي أيام

(١) كل هؤلاء منسوبون إلى أشخاص من الممالك الكبار السابقة

(٢) القرائيون الذين يسعون بالرسائل (٣) الكلمة غير واضحة النقط

(٤) نسبة إلى البوق أي من ينفخون في الأبواق .

كل شهر منها ثلاثون يوماً من جملة ثلاثة آلاف وثلثمائة دينار بقرطٍ كل يوم مائة وعشرة دنانير.

المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام، والخلفاء عليهم، وأصحاب الأرباع والمصالح، والأعوان والسجانيين وأصحاب الطّوف والمصريين^(١)، ومن في جملتهم من الفرسان الذين ميّزوا وألحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين، ومن هذه سبيله من الرجال الموكّلين بأبواب المدينة، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً من جملة ستة آلاف دينار في المشاهرة، خمسين ديناراً.

أثمان أنزال^(٢) الغلمان المالك السنينية المقدم ذكرهم مما كان يطلق للخدم الأستاذين [الذين] كانوا عليهم، والقواد المضموم بعضهم إليهم ليقيم كل متقدّم الخبز واللحم لمن في ناحيته، ويؤكّل عليه من يستجد الإقامة لهم ويطلب بإدراجها عليهم، من جملة تسعة آلاف دينار في الشهر، ثلاثمائة دينار.

نفقات المطابخ الخاصة والعامة والمحاجر وأنزال الحرم والحشم ومحاجر السودان، من جملة عشرة آلاف دينار في الشهر، ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثاً، من ذلك الخاصة ثمانين ديناراً، العامة والأنزل مائتين وثلاثة وخمسين ديناراً وثلثاً.

ثمن وظائف شراب الخاصة والعامة وآلاته ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوائج الوضوء والحمام، ونفقات خزائن السلاح وما يرّم من الجواشن^(٣) والدروع ويتخذ من النشاب والأعلام والمطارد^(٤)، ونفقات خزانة السروج

(١) في الأصل الماصرين هذا والناصر. الحاجزين الشيعين ولعله يريد بهم من فضول المشاجرات.

(٢) الأترال جمع نزل وهو ما مي للضيف من طعام.

(٣) الجواشن جمع جوشن: زرد يلبس على الصدر

(٤) المطارد جمع مطرد وهو الرمح القصير.

وما يُجَدِّدُ منها وَيُصْلِحُ ، وَنَفَقَاتِ خَرَائِنِ الْفَرَشِ وَثَمَنِ الْخَيْشِ وَالرَّبِيخِ ^(١) وَالْحَصْرِ
وَالسَّتَائِرِ وَالسَّرَادِقَاتِ وَأَجُورِ الْجَمَانِينَ وَالْأَعْوَانِ لِلسَّرِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى مَا ثَبِتَ
مِنْ تَفْصِيلِهِ فِي دِيْوَانِ النِّفَقَاتِ ، وَيَتَوَلَّى إِنْفَاقَ جَمِيعِهِ الْمُنْفَقُونَ الْمُرْتَقِفُونَ مِنْ جَمَلَةِ ثَلَاثَةِ
آلَافِ دِينَارٍ فِي الشَّهْرِ ، لِيَوْمِ مِائَةِ دِينَارٍ .

أَرْزَاقِ السَّقَائِنِ بِالْقَرَبِ فِي الْقَصْرِ وَالخَزَائِنِ وَالْمَطَابِخِ وَالْحَابِزِ وَالِدُورِ وَالْحَجَرِ ،
وَالخُدَمِ ، [فِي] دَاخِلِ وَفِي الرَّحَابِ ، وَلِوَضُوءِ الْخَاصِّ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِالرَّوَايَا ^(٢) عَلَى الْبِغَالِ
مِنْ الْإِصْطِبَالَاتِ الْمَحْرَمِ وَالْبُؤْيُوبِينَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ مِنْ جَمَلَةِ مِائَةِ وَعِشْرِينَ دِينَارًا
فِي الشَّهْرِ ، لِيَوْمِ أَرْبَعَةِ دِنَانِيرٍ .

أَرْزَاقِ الْخَاصَّةِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَالِيكَ دُونَ الْأَكْبَرِ الْأَحْرَارِ ،
وَمَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَشَمِ الْقَدَمَاءِ الَّذِينَ أَقْرَبُوا فِي دَارِ رَجَاءٍ ، وَأَمْرٍ مُؤَنَسٍ الْخَادِمُ
بِأَلَّا يُسْتَخْدَمُوا فِي خِدْمِ الدَّارِ ثَلَاثًا يُدَلُّوا ^(٣) عَلَى الْعُلَمَاءِ الْمُتَعَلِّقِينَ بِالنَّاصِرِ رَحِمَهُ اللهُ
بِقَدِيمِ حُرْمَتِهِمْ ، وَلِأَنَّهُ لَا مَعْرِفَةَ لَهُمْ بِرِسُومِ الْخِلَافَةِ ، وَأُجِرُوا فِي الْمَشَاهِرَةِ عَلَى
خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى مَا قَرَرَهُ النَّاصِرُ عِنَايَةً بِهِمْ وَرِعَايَةً لَهُمْ ، وَلِمَا ابْتَنَعَ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ
الْأَنْرَاكَ الْعَجْمَ وَرَتَّبَهُمْ فِي الْحَجَرِ لَمْ يُلْحَقِهِمْ بِهِمْ ، بَلْ جَعَلَ أَيَّامَ شَهْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا ،
وَرَسَمَ لِلْأَصَاغِرِ خَمْسَةَ دِنَانِيرٍ وَاللَّكَّابِرِ عَشْرَةَ دِنَانِيرٍ ، وَزَادَهُمْ بَعْدَ سَنَتَيْنِ دِينَارَيْنِ
فَسَمُوا الْإِثْنِي عَشْرِيَّةً . فَلَمَّا تَقَدَّ الْمَكْتَفَى بِاللَّهِ وَأَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَمِيلُوا إِلَى بَدْرٍ ، وَكَانَ
إِذْ ذَاكَ بِفَارَسٍ ، أُلْحِقَ مِنْ كَانَ لَهُ سَبْعَةُ دِنَانِيرٍ بِالْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ ، وَقَرَّرَ مَالَ الْأَكْبَرِ
عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ دِينَارًا وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ ، فَلَمَّا تَقَرَّدَ الْوُزَرَاءُ

(١) فِي الْأَصْلِ الرِّبِيخُ ، هَذَا وَالرَّبِيخُ وَاحِدُ الرِّبِيخِ وَهُوَ الْقَتَبُ الضَّخْمُ ، وَيُرَى أَمِيدُ رُوزٍ : أَنَّهُ الدَّبِيخُ .
(٢) الرُّوَايَا جَمْعُ الرُّوَايَةِ وَمِنْ مَعَانِيهَا : الزَّادَةُ نَسْكَونَ مِنْ ثَلَاثَةِ جُلُودٍ يَحْمَلُ فِيهَا اللَّاءُ .
(٣) ثَلَاثًا يَدُلُّوا أَيْ ثَلَاثًا يَظْهَرُوا الدَّلَالَ وَيَجْتَرُّوا عَلَيْهِمْ .

بالتدبير صار قسط كل يوم من مال الخدم مائة وسبعة وستين ديناراً .

أرزاق الحشم الذين شهرهم خمسون يوماً من المستخدمين في شراب العامة
وخرائن الكسوة ، والصنّاع من الصاغة والخياطين والقصّارين ^(١) والأساكفة
والحدادين والرفائين والفرائين والمطرّزين والنجّادين والورّاقين والقطّارين
والمشهرين ^(٢) والنجارين والحراطين والأسفاطين ^(٣) وغيرهم ، ومن في خزانة
السلح من الخزان والصنّاع وفي خزانة الشروح من مثل ذلك - ولكلّ خزانة
وطائفة صكّ مفرد يكتب من الديوان - من جملة ثلاثة آلاف دينار في الشهر ،
ليوم مائة دينار .

أرزاق الحرّم صانهم الله من جملة ثلاثة آلاف دينار ، ليوم مائة دينار .

ثمّ علوفة الكراع ^(٤) في الإصطبلات الخمسة وهي : إصطبل الخاص ويشتمل
على الخيل والحجورة ^(٥) والشهاري والبراذين وبقال السروج والقباب والهوارج
والفردات والحخير . وإصطبل العامة وفيه دواب الخدم والعلمان والتفاريق
والبازيارين . وإصطبل الدواب والمحمليات وما يرد من المروج من المهارة المحرّمة
ويبتاع ويهدى ، وفيه يربط ما يحتاج إلى العلاج والمراعاة ، وما يرد من الأسفار
وفيه عقراً وعزماً . وإصطبل لبقال الأثقال وحمل العلوفات . وإصطبل بقصر الطين
في الشمسية لمبارك الإبل والجمّازات ^(٦) - وكان المعتضد بالله يعرض ما في هذه

(١) القصارون هم محرورو الثياب ومبيضوها .

(٢) لعلها معرفة أيضاً عن الخمرين أي المبخرين بالطيب أو لعلها تكون المبخرين .

(٣) نسبة إلى جمع السط وهو ما يعبا فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .

(٤) الكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبقال والحخير .

(٥) الحجورة : جمع حجر وهي الأثني من الخيل . والشهاري نوع من البرازين .

(٦) الجمّاز هو السريح الجري ويوصف به الجمار .

الإصطبلات في كل شهر - إلا ما كان من الخاص فإنه جعله قريبا منه. ومشدودا في الأواخي^(١) بين يديه - وفي الميدان والرياضة والكدُّ مُتَّصِلًا عليه ، ومتى أَحْمَدَ قيام من يقبده شيئا من ذلك زاده في رزقه ، ومن اطَّلَع منه على تقصيرٍ أو إضاعة صرفه واستبدل به . ثم جمع النظر في هذه الإصطبلات للنوشجاني لكفايته وثقته - وأثمان كسوة الدواب وآلاتها وأدويتها وعلاجاتها وأجور الساسة والمُكَارِيَّة والراضة والبياطرة والوكلاء وغيرهم ، من جملة اثني عشر ألف دينار في الشهر ، ليومٍ أربعمائة دينار .

ما يصرف في ثمن الكراع والإبل وما يبتاع من الخليل الموصوفة في أحياء العرب ويستبدل به إذا عطب في العمل من جملة ألفي دينار في الشهر ، ليوم ستة وستين ديناراً وثلاثي دينار .

أرزاق المطبخيين في كل شهر أيامه خمسون يوما من جملة ألف وخمسة دينار في الشهر ، ليوم ثلاثين ديناراً .

أرزاق الفراشين والمجلسيين وخزان الفرش وخزان الشمع وأجرة الأعوان والمالين فيها ، في كل شهر أيامه خمسون يوما ، من جملة ألف وخمسة دينار ، ثلاثين ديناراً .

ثمن الشمع والزيت من جملة مائتي دينار في الشهر ، ليوم ستة دنانير وثلاثي دينار .

أرزاق أصحاب الركب^(٢) والجنائب والسروج ومن يخدم في دواب البريد من جملة مائة وخمسين ديناراً في الشهر ، ليوم خمسة دنانير .

(١) الأواخي جمع أخية وهو جبل يدفن في الأرض مثنيا فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .

(٢) الركاب هي الإبل .

أرزاق الجلساء وأكابر الملّهيّن ومن كان يجري تجّراهم في الجلوس إذا حضر ،
مثل أبي العلاء القاسم بن زرزَر وورّاد وأبي عيسى ، وأيام شهرهم خمسة وأربعون
يوماً أسوةً بالخدم ، من جملة ألفي دينار ، ليوم أربعة وأربعين ديناراً وثلاثاً .

أرزاق جماعة من رؤساء المتطبّبين وتلاميذتهم الملازمين ، مع ثلاثين ديناراً
لثمن الأدوية في خزّانة تكون في القصر ، من جملة سبعمائة دينار ، ليوم ثلاثة
وعشرين ديناراً وثلاثاً .

أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين ^(١) والفتّادين والكلّابين والصقّارين
والصيادين ، وثنم الطّمّ والعلاج للجوارح وأصحاب الحراب والسباعين وأصحاب
الشباك والباييد والفتّالين ومن معهم من الأعوان والحمالين وأصحاب المرور وغيرهم ،
في كل شهر أيامه خمسة وثلاثون يوماً من جملة ألفين وخمسمائة دينار في الشهر ،
ومع القسط من خمسين ديناراً لتجديد آلاتها ، سبعين ديناراً .

أرزاق الملاّحين في الطيّارات ^(٢) والشذاءات والسمّيريّات والحرافات
والزّلاّلات وزواريق المعابر ، من جملة خمسمائة دينار في كل شهر ، ستة عشر ديناراً
وثلثي دينار .

ثمن النّفط والمُشاقّة ^(٣) للنّفاطات ^(٤) والمشاعل ، وأجرة الرجال في خدمتها ، من
جملة مائة وعشرين ديناراً ، أربعة دنانير .

الصدقة التي تُحضر في كل يوم عند صلاة الصبح في خِزّنة سوداء ، على
ما كان الناصر رحمه الله رَسَمه . وأمر المعتضد بالله ، رحمه الله ، بعده بتفرقة على من

(٢) هي وما بعدها أنواع من السفن

(١) هم حلة البراة .

(٣) المشاقّة : القطعة من القطن ونحوه

(٤) النفاطة بتشديد الفاء وتخفيفها : نوع من المرح يستضاء به .

في قصر الرضافة من الحرم المحتاجات من قيمة مائتي درهمٍ مُحدَّداً ، في كل يوم خمسة عشر ديناراً .

جاري أولاد المتوكل على الله وأولادهم رجالاً ونساء من جملة ألف دينار في الشهر ، ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلث دينار .

جاري ولد الواثق والمهتدي بالله والمستعين وسائر أولاد الخلفاء ، ومن في قصر أم حبيب ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلثي دينار .

جاري ولد الناصر رحمه الله عبد الواحد وأخواته من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلثي دينار .

أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء في المساجد الجامعة بمدينة السلام خاصّة من جملة ستائة دينار في الشهر ، عشرين ديناراً .

جاري جهور بني هاشم من العباسيين والطلبين مما كان الناصر رحمه الله قرّره لهم من ذلك ، وأوجه لكل من أولادهم ذكورهم وإناثهم حساباً لكل واحد في كل شهر ديناراً ، وأمر بإطلاقه من ارتفاع^(١) ضيعته المعروفة بنهر الموقّ ، واقتصر المعتضد بالله - رحمه الله - بهم منه على ربع دينار في كل شهر ، وكانت عدّتهم بالحضرة أربعة آلاف نفس ، من جملة ألف دينار في كل شهر ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثاً .

أرزاق عبيد الله بن سليمان مع خمسمائة دينار للقاسم ابنه برسم العرض بالحضرة وكتابة بدر على الجيش من جملة ألف وخمسمائة دينار مشاهرة ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثاً وقبض ذلك سنتين إلى أن عمّرت ضيعته المردودة عليه ثم وقّره

(١) يراد بالارتفاع الإبراد والضريبة .

وحمل من فاضل ارتفاع الضيعة مائتي ألف دينار في كل سنة .

أرزاقَ أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين وأخزّان والبوابين والمدبرين والأعوان وسائر من في الدواوين ؛ وثمان الصحف والقراطيس والكاغد - سوى كُتّاب دواوين الإعطاء وحُلفائهم على مجالس التفرقة وأصحابهم وأعوانهم وخزّان بيت المال ، فإنهم يأخذون أرزاقهم بما يوفرونه من أموال الساقطين وغُرم المُخْلِين بدوائهم ، من جملة أربعة آلاف دينار وسبعائة في الشهر ، مائة وستة وخمسين ديناراً وثلثين .

جاري إسحاق بن إبراهيم القاضي وخليفته يوسف بن يعقوب والد أبي عمر وأولادها وعشرة نفر من الفقهاء ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ليوم ستة عشر ديناراً وثلثي دينار .

جاري المؤذنين في المسجدين الجامعين والمكبرين والقوام والأئمة والبوابين وثمان الزيت للمصايح والخضر والبوارى^(١) والماء والخلوق^(٢) ، وثمان الستائر في الصيف والحجاب^(٣) والحرف والعمارة في شهر رمضان من جملة مائة دينار في كل شهر ، ثلاثة دنانير وثلثاً .

نفقات السجون وثمان أوقات المُحَبَّسين ومائتهم وسائر مؤنهم في جملة ألف دينار وخمسمائة دينار في الشهر ، خمسين ديناراً .

نفقات الجِثْرَيْن وثمان ما يُبدل من سفنهما والقُلوس^(٤) وأرزاق الجسّارين من جملة ثلثمائة دينار في الشهر ، عشرة دنانير .

نفقات البهارستان الصاعدي - ولم يكن يومئذ غيره - وأرزاق المتطبِّبين

(١) البوارى تشبه الحصر

(٢) الخلق ما يتطيب به

(٣) الحجاب جمع حب وهو الجرة الكبيرة

(٤) القلوس جمع قلس وهو حبل للفتية ضخم

والمثانين^(١) والكحّالين ومن يخدم المغلوبين على عقولهم والبوابين والخبّازين وغيرهم وأمان الطعام والأشربة من جملة أربعائة وخمسين ديناراً في الشهر ، خمسة عشر ديناراً .

فتلك النفقة كل يومٍ على ما بُيِّن من وجوهها سبعة آلاف دينار .

وأجرى الأمر على هذا سنتين . ثم أمرَ عبيد الله بن سليمان وبدراً بالآل يخضراً ولا أحدٌ من القواد والأولياء الدارَ في يَوْمِ الجمعة والثلاثاء لحاجة الناس في وسط الأسبوع إلى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ، ولأن يومَ الجمعة يوم صلاة وكان يُجْبَهُ لأن مؤدّبَه كان يصرفه فيه عن مكتبه . وتقدم إلى عبيد الله بأن يجلس في يوم الجمعة للمظالم العامة ، وإلى بدرٍ بأن يجلس للمظالم الخاصة ، ومنع من أن يُفتحَ في هذين اليومين ديوانٌ أو يُخرَجَ شيءٌ إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصّة ، فوفر من مالها أربعة آلاف دينارٍ وسبعائة دينارٍ وسبعين ديناراً ، منها : مال النوبة ألف دينار ، المالك ألف دينار ، التسعينية ألف وخمسة دينار ، المختارين ستائة دينار ، الجليلين خمسمائة دينار ، أصناف خدم الدار مائة وعشرين ديناراً ، شحنة الشرطة خمسين ديناراً ، يكون ذلك لثمانية أيام في كل شهر ثمانية وثلاثين ألفاً ومائة وستين ديناراً ، ولسنة أربعائة وسبعة وخمسين ألف دينار ، وتسعمائة وعشرين ديناراً .

وَرَسَمَ أن يُحمل هذا المُوَفَّر إلى مؤنس الخادم ليُجعله في بيت مال الخاصة ليُصْرَف فيما يُحتاج إليه من نفقات الموسم ومن يخرج في الغزوات الصائفة ونفقات الأبنية والأرمامت والحوادث والمهمات والرسل الواردين والفداء .

(١) من يقومون على مؤنتهم .

[وزارة أبي الحسن الأولى]

وكان أبو الحسن بن الفرات يَدْعِي أبا العباس أخاه وينوب عنه إلى أن توفي أبو العباس فتقلد الأعمال رياسة . وولى الوزارة ثلاث دفعات في أيام المقتدر بالله ، فالأولى^(١) منها بعد قتل العباس بن الحسن وزوال فتنة عبد الله بن المعتز .

قال أبو الحسن ثابت بن سنان فيما أرّخه من الأخبار .

لما زالت فتنة عبد الله بن المعتز قلد المقتدر بالله مؤنساً الخادم الشرطة بالحضرة مكان ابن عمرويه ، وأنفذه إلى أبي الحسن على بن محمد بن الفرات بخاتمه ليحضره ويُقلده وزارته ، وكان أبو الحسن مُستتراً عند بعض التجّار من جيران داره بسوق العطش ، فظهر ثونسٍ وركب معه إلى دار السلطان ، ووصل إلى المقتدر بالله - رحمه الله عليه - في يوم الأحد لعشرٍ بعين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، فخطبه بما سَكَنَ منه وأعلمه تَمَويله في تدبير الأمور عليه ، وخلع عليه من غدٍ خلع الوزارة ، وركب في موكبه أبو القاسم غريب الخال والحجابُ والأمراء والقواد والعلماء وسائر الناس حتى صار إلى داره بسوق العطش ، ونظر في الأمور ورَتَّبَ مؤنساً في المعونة ، وأمر جماعةً من القواد يطوفُ البلد ليلاً والإيقاع بأهل الدعارة ومن يَرَوْنَهُ متعرّضاً نهبِ دارٍ وأخذ مال ، لأن أصغرَ الجندِ والعوام قد كانوا قصدوا دار العباس ابن الحسن ودوراً اتصلت بها ونهبوها .

وانتقل أبو الحسن بن الفرات من بعد ذلك إلى ما أقطعه المقتدر بالله إياه من دار سليمان بن وهب بباب المُحرَّم على دجلة ، وما يحاورها من دار إبراهيم بن سليمان ،

(١) انظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦ .

والإصطبل الذي كان للسلطان ، والدور التي كانت في يد داية المكتفي بالله ، ومساحة ذلك مائة ألف وثلاثة وسبعون ألفاً وثلثمائة وستة وأربعون ذراعاً ، وغير ذلك وجدده وأنشأ المجالس الجليلة والأبنية الحسنة وعمل للدار مُسْنَأَةً^(١) مشرفة على دجلة ، وأقطع المقتدر بالله أيضاً الضياع التي كان المكتفي بالله أقطعها العباس بن الحسن وارتفاعها خمسون ألف دينار ، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر ، والمحسن والحسين والفضل أولاده ألفاً وخمسمائة دينار أثلاثاً بينهم . وسلم إليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بذر اللاني ، وقرّر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى ، وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما . ثم تكفل بتخليصهما وإعادتهما عن الحضرة وقال للمقتدر : إنهما لم يدخلا في أمر عبدالله بن المعتز ولا حضرا داره وقت البيعة إلا عن ضرورة ، وأخرج محمد بن عبدون إلى الأهواز ، وعلي بن عيسى إلى واسط بعد أن أعطى سوسناً الحاجب خمسة آلاف دينار كففه بها عن ذكركر علي بن عيسى والإغراء به ، وكتب إلى وكيله بواسطة مخدمته وإقامة ما يحتاج إليه لنفقته ، وأنفذ معه حافظاً من جهته ، ومع محمد بن عبدون خادماً من خدم المقتدر بالله ، وواقفه على منعه من مكاتبة أحد أو قراءة كتابه . وجرت أمور أبي الحسن ، والأمور في نظره^(٢) ما ليس غرضنا استيقاؤه على سياقته ، وإنما نورد أطرافاً منه وما كان منشوراً مما لم تتضمن التواريخ ذكره .

وكان محمد^(٣) بن داود بن الجراح قد ورر لعبد الله بن المعتز ودبره . فلما انتقض أمره استتر وأخفى شخصه . وذكر أبو الحسن بن سنان أن موسى

(١) المسناة : ما يبني في وجه السيل أو تمس به المياه

(٢) لعله يريد : والأمور - في إشرافه عليها - شيء ليس غرضنا استيقاؤه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٠/٥ .

ابن عيسى كاتب مؤنس الخازن عرض على أبي الحسن بن الفرات رقعة من محمد ابن داود ، فلما قرأها قال : تقول له الاستتار صناعة وجُرْمُكَ عظيم ، وأمرُكَ بَعْدَ طَرِيٍّ . فتوقف إلى أن تَخْلُقَ القصة ، ثم دعني فإني أسوق الأمر إلى أخذ أمان الخليفة لك بخطه والإشهاد عليه في الوفاء به وإظهارك وبلوغ إيثارك . فلما عاد موسى ابن عيسى إلى محمد بن داود بذلك ارتاب بقول ابن الفرات ، وشك فيه ، وقدّر أنه على وجه المغالطة والمدافعة ليستم عليه الاستتار والنكبة فقال : أى ذنب لى أحتاج معه إلى زيادة فى الاستظهار ومطالوة الانتظار ؟! ومضى إلى سوسن الحاجب ، فلما استؤذن عليه لم يُصدّق ، وظنّ أنه رسول منه ، واستتبت حاجبه واستفهمه ، فخرج وعاد وقال : قد حضر هو بنفسه . فعجب من ذلك وأدخله ، وأمهى خبره إلى المقتدر بالله ، فأمره بتسليمه إلى مؤنس الخازن ، فسأله إليه ، فقتله وطرحه على باب سقاية حتى أخذه أهله ودفنوه ، وعرف أبو الحسن بن الفرات خبره فغمّه أمره وقال : كان على عداوته لى فاضلا راجحا ومتقدما فى الصناعة بارعا ، وقد جرى عليه من القتل صبراَ أمر عظيم .

وحدث^(١) أبو عبد الله زنجى قال : كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات فى أول ما وزر إذ كتب إليه صاحب الخبر بحضور رجل يقول : إن عنده نصيحة لا يذكرها إلا الوزير فاستدعاه وسأله عما عنده ، فأمرّ إليه بما لم نَقِفْ عليه ، وتقدم إلى العباس الفرغانى حاجبه بأن يُجلسه فى دار العامة إلى أن يطلبه منه ، ثم أمره بجمع الرجال الذين برّسّمه ، ودعا أبا بشر بن فرجويه وقال له : قد حضر هذا الرجل المنتصّح ، وذكر أنه يعرف موضع محمد بن داود ، وأنه بات اليارحة عنده ،

والتس أن يُنفذَ معه من يَدُّهُ عليه ويسمه إليه ، وقد بذلت له ألف دينار عند صحة قوله ، أو نيَّاهُ بالعقوبة إن كان كاذباً فيه ، فرضى بذلك . فأكتبُ إلى محمد الساعة أن ينتقل عن موضعه أين كان ، فإنني على إنفاذ من يَكْبِسُهُ ويطلبه . ولم يزل ابن الفرات يحثُ العباس الحاجب في جَمْع الرجال ، وهو يذكُر إنفاذ من يجمعهم على اختلافٍ وتباعدٍ منازلهم ، ويدفع بالأمر ، إلى أن عاد جوابُ محمد إلى أبي بشر يشكر ما فعله ، وبأنه قد تحوَّلَ من مكانه إلى غيره . فسأل حينئذ العباسَ عن اجتماع من الرجال فقال : خمسمائة نفر . وأمره بأخذ الرجل وأخذهم وقصدِ الموضع الذي يذكره والاحتياطِ عليه من سطوحه وحوائبه ، وكبسه بعد ذلك وتفتيشه ، والقبض على محمد بن داود إن وجده وحمَّله ، وإن لم يجده ردَّ الرجل معه . فمضى العباس ، وعمل ما رسمه له ابن الفرات ، فلم يصادف أحداً ، وعاد والرجل معه ، وأمر ابنُ الفرات بضربه مائتي سوط على باب العامة ، وشهَّره على جمل والنداء عليه ^(١) . وطالع المقتدر بالله بما فعله فاستصابه . ومناخَلُ الرجل الساعى بمحمد بن داود بعد ما لحقه أعطاه ابن الفرات مائتي دينار وحدَّره إلى البصرة وقال لابن فرجويه : ما كذب الرجل في قوله وإنما عاقبناه على شره .

وكان سوسن ^(٢) الحاجب يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير ، فلما وُزِرَ أبو الحسن بن الفرات لم يجر هذا الجري ، فقتل عليه ذلك ، وشاع الحديثُ بأن سوسنا قد حمَّلَ على قتل ابن الفرات في دار الخلافة وواقَّفَ عليه جماعة من العلمان الحُجْرِيَّة ، وأشار على المقتدر بالله بإحضار محمد بن عبدون وتقليده الوزارة ، وضمنَ عنه استخراج أموالٍ كثيرة من ابن الفرات ، ونفَّذَ بُنْيُ بن نفيس إلى الأهواز

(١) في تجارب الأمم ١١/٥ أنه نودي عليه : هذا جزء من يسمى بالباطل .

(٢) تجارب الأمم ١٢/٥ .

على ظاهر يخالف هذا الباطن . وعرف أبو الحسن بن الفرات الصورة بعد حصول
بني بن نفيس بواسط . فتوصل إلى أن قرر في نفس المقتدر بالله أن سوسناً كان
من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتز والداخلين معه في التدبير عليه ، وإنما قعد
أخيراً عنه لما استخج عبد الله بن المعتز غيره . وأودع صدره فيه ما أذن له معه
بالقبض عليه ، فقبض عليه وقتله سرّاً في يومه ، وأنفذ إلى محمد بن عبدون من قبض
عليه في طريقه وحمله إلى الحضرة ، فصادره مصادرة مُجدّدة ثم سلّمه إلى مؤنس
الخدام قتلته .

وعرف أبو الحسن ^(١) عليّ بن عيسى وهو بواسط ما جرى في أمر محمد
ابن عبدون ، فأقلقه وأزججه ، وكتب إلى ابن الفرات كتاباً يلحف فيه [أنه] على
قديم عداوته لمحمد بن عبدون ، إلا أنه مع ذلك لا يدع الصدق عن حاله ^(٢) ،
ويقول : إنه لم يكن يسعى على دم نفسه بضمان الوزارة ، وقد كان راضياً بالسلامة
بعد فتنة عبد الله بن المعتز ، وإن سوسناً أسماه وذكره بغير معرفته ولا موافقته .
وخرج من ذلك إلى أن سأله الإذن له في المضي إلى مكة ليسلم من الظنّة وينسى
السلطان ذكره . فأجابه إلى ما طلبه ، وأخرجه من واسط إلى مكة على طريق
البصرة مرّفاً محروساً . وكان غرض علي بن عيسى - فيما ذكر محمد بن عبدون به -
حراسة نفسه ، فوصل كتابه وقد مضى لسبيله .

وكان ^(٣) من جملة الداخلين في فتنة عبد الله بن المعتز أبو عمر محمد بن يوسف
القاضي فأخذ فيمن أخذ وحبس ، وحضر أبوه يوسف وهو شيخ كبير مجلس
أبي الحسن بن الفرات ، وبكى بين يديه بكاء شديداً ، رقّ له منه وسأله حراسة

(١) تجارب الأمم ١٣/٥ .

(٢) في تجارب الأمم : من نقله .

(٣) انظر الترح بعد الشدة ١٠٧/١ وقصة الإفراج عن أبي عمر القاضي .

نَفْسٍ وَلَدَهُ أَبِي عُمَرَ وَالتَّصَدَّقَ عَلَيْهِ بِهِ . فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : الْجَنَائِبُ عَظِيمَةٌ ، وَلَا يُمْكِنُ تَحْلِيَتُهُ إِلَّا بِمَالٍ جَلِيلٍ يُطْمَعُ الْخَلِيفَةُ فِيهِ مِنْ جِهَتِهِ . فَبَدَلَ يَوْسُفُ أَنْ يُفْقِرَ نَفْسَهُ وَابْنَهُ طَلَبًا لِبَقَائِهِ . وَتَلَطَّفَ ابْنُ الْفَرَاتِ فِيمَا قَالَهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَقَرَّرَ أَمْرَ أَبِي عَمْرٍ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَدَى مِنْهَا تِسْعِينَ أَلْفًا ، مِنْ جَمَلَتِهَا خَمْسَةَ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا كَانَتْ عِنْدَهُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ، وَأَمْرَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَلَاذِمَةِ دَارِهِ وَأَلَّا يُخْرِجَ مِنْهَا لَنَا يُجْعَلُ لَهُ حَدِيثٌ مُجَدِّدٌ .

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ سَلِيْمَانُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مُدَّةً لَأَعْلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ بِمُودَةٍ بَيْنَ أَسْلَافِهِ وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَالِدِ أَبِي الْحَسَنِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ عَمَّهُ ، وَبِاخْتِصَاصِهِ هُوَ بِهِ ، فَوَجَّهَ أَبُو الْحَسَنِ الْكُتُبَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَعَاوِنِ فِي الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ بِحُطِّهِ ، فَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَلَا ذَكَرَهُ ، وَاعْتَمَدَ التَّقْدِيمَ لَهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ ، وَكَانَ ^(١) سَلِيْمَانٌ قَدْ تَقَلَّدَ لَعْلَى بْنَ عَيْسَى مَجْلِسَ الْعَامَةِ فِي دِيْوَانِ الْخِصَاصَةِ . فَقَلَّدَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ هَذَا الدِّيْوَانَ رِئَاسَةً . ثُمَّ إِنْ سَلِيْمَانٌ شَرَعَ لِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي الْوِزَارَةِ ، وَعَمِلَ فِي ذَلِكَ نُسْخَةً بِحُطِّهِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ يَسْعَى فِيهَا بِابْنِ الْفَرَاتِ وَكُتَّابِهِ وَضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَقَامَ لِيَصِلِيَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُتَّابِ فَسَقَطَتْ مِنْ كَمِهِ ، فَأَخَذَهَا الصَّقْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَحَمَلَهَا إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ مِنْ وَقْتِهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا قَبِضَ عَلَيْهِ وَحَدَّرَهُ فِي زُورِقٍ مُطْبِقٍ إِلَى وَاسِطٍ ، وَقَدْ أَوْرَدْنَا مُسْتَأْنَفًا مَا فَعَلَهُ مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَمَضَى لِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُنَ

(١) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٦ وتجارب الأمم ١٥/٥ والفرج بعد الشدة ١/١١٠ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ .

وأربعة عشر يوماً ، اختلفت عليه الأمور فيها ، وحدثت الحوادث في متصرفاتها
ومجاريها وحضر عيد النَّخْرِ من سنة تسع وتسعين ومائتين فاحتيج فيه من النفقات
إلى ماجرت العادة به ، وكانت المواد قد قَصَّرت ، والمؤن قد تضاعفت ، وطلب من
المقتدر بالله أن يُعطيه من بيت مال الخاصة ما يصرِّفه في نفقات هذا العيد ، فتمعه
ذلك ، وألزمه القيام به من جهته ، فأقام على أنه لا وجه له إلا بما يُمكن به ، ووجد
بذلك أعداؤه الطريق إلى الوقعة فيه .

وركب في يوم الأربعاء لأربع خلون من ذى الحجة إلى دار الخلافة وهو على
غاية السكون والطمأنينة ، وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه قبل الوصول
إلى السلطان ، قبض عليه وعلى محمد بن أحمد الكلوزاني - وكان يكتب بين
يديه - وعلى محمود بن صالح وكان معه من أصحابه ، ومضى القواد للقبض على
أسبابه ^(١) وكتبه قبضوا على عبد الله وأبي نوح ابني جبير ، وموسى بن خلف
وكان من خواصه . وصار مؤنس الخادم إلى دار الوزارة فوكل بها ^(٢) ، وأنفذ يلقى
إلى دار ابن الفرات بسوق العطش فأحاط عليها . وتسرَّع الجند والعوام إلى دور
أولاده وأهله فنهبوا وأخربوها وأخذوا ساجها وسقفوها ، وعظَّم الأمر في النهب
حتى ركب أبو القاسم الخلال بعد العصر في القواد والعلمان وطلب النَّهَابَةَ ، وعاقب
قوماً منهم ، فقامت الهية ، وسكنت الفتنة .

وأحضر أبو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان واستوزر ، وقبض ما كان
لأبي الحسن من الضياع والإقطاع والأمالك والعقار والأموال والغلات ، وضح له
ما مقداره ألف دينار عيناً وستمائة ألف دينار سوى الأثاث والرحل

(١) أسبابه يراد بهم أتباعه والتصلون به . (٢) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

والسكراع^(١) والجمال ، ولم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله ولا بعده مثل ذلك .
ومما حدث^(٢) قبل القبض عليه أن طلع في شهر رمضان من السنة المذكورة
كوكبٌ ذو ذوابة ، فطلع آخرٌ مثله في شوال في مطلع الهلال ، وطلع ثالثٌ في
ذى القعدة في مطلع الشمس ، وأكثر الناس القول في ذلك وما يحدثه من حادث ،
فكان زوال أمر ابن الفرات .

وزارة أبي الحسن الثانية^(٣)

لما قبض عليه في اليوم المقدم ذكره من سنة تسع وتسعين ومائتين اعتقل في بعض
الحجر من دار الخلافة ، ولم يزل معروف الخبّر إلى جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة ،
فإنه نُقل إلى بعض المواضع المستورة ، وخفي أمره على الناس عامة حتى رجعت
الظنون فيه . ثم أُخرج تابوت فيه هارون الشاري - وقد مات - على أنه تابوته ،
فزال الشك في موته ، وصلى عليه أبو الحسن علي بن عيسى ، وظهر بعد ذلك
بقاؤه وحياته .

وكان أبو بشر^(٤) عبد الله بن فرجويه قد سلم من النسكة عند القبض على
ابن الفرات في الوزارة الأولى ، وقام على الاستتار مدة وزارة أبي علي الخاقاني ووزارة
أبي الحسن علي بن عيسى . وواصل مكاتبة أبي الحسن بن الفرات في محبسه على يد
سوّمنة الطيب^(٥) وتعريفه الأمور ، وترددت جواباته إليه بما رسمه له من مكاتبة
المتندر بالله عن نفسه بالطن على أبي الحسن علي بن عيسى ووقوف الأمر على يده ،

(١) السكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبنال والحير .

(٢) المنتظم ١٠٩/٦ وابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

(٣) ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وتجارب الأمم ٤١/٥ والمنتظم ١٣٨/٦ ، وصلة عرب ٣٢

(٤) راجع تجارب الأمم ٤٣/٥ . (٥) في تجارب الأمم على يد عيسى الطيب .

وتأخر أرزاق الجند والحواشي في نظره . وكانت رقاعه تصل إلى المقتدر بالله فيقف عليها ابن الفرات فيقرر عنده صحة ما يذكره ويورده ، ويهمهم [المقتدر] بصرف على بن عيسى ، فإذا شاور مؤسفاً فيه منعه منه ، ووصفه بالأمانة والكفاية عنده ، إلى أن أخرج مؤنس إلى مصر لمحاربة العلوي ، فقام غريب الخال ونصر الحاجب بأمر ابن الفرات (١) قياماً تم على بن عيسى الصرف معه . ثم كتب ابن فرجويه رقعة يقول فيها : متى صرف على بن عيسى ورد ابن الفرات أطلق للولد والحرم والخدم ومن بالحضرة من الفرسان يرسم التفاريق مثل ما كان يطلقه في وزارته الأولى تماماً وإدرازا ، وحمل إلى المقتدر بالله في كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خمسمائة دينار . والتمس وقوف ابن الفرات على رقعته وأعرف ما عنده على ما بذله عنه ، فعرضها المقتدر بالله عليه فالتزم القيام بذلك والوفاء بجمعه وكتب له خطه واستقر أمره . وأطلق في اليوم الذي قبض فيه على بن عيسى ، ووصل إلى المقتدر بالله وخاطبه بالجميل ، وقاده النظر في الأمور ، وخلع عليه خلع الوزارة ، وركب ومعه أبو القاسم غريب الخال وبين يديه الحجاب والقواد والفلان ، ونزل في دار سليمان بن وهب وحضره الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة .

وحمل إليه المقتدر مالا وثيابا وطيبا وطعاما وأشربة وتلجا وكذلك السيدة . وأقام في هذه الدار ثم نقل الدواوين إليها ، وكتب إلى الأمراء والعمال بخره وإقرارهم على أعمالهم . ورد المقتدر بالله عليه ما كان قبض عنه وعن أهله وكتابه وأسبابه من الضياع والأمالك ، فارتجع ما كان حصل في أيدي الناس القواد

(١) في تجارب الأمم وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفنان عن علي بن عيسى لما غاب مؤنس ، فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن علي بن عيسى كتب رقعة بخطه إلى المقتدر . . .

وخواص المقتدر من ذلك ، ووقع بأن يُوغَرَ^(١) حق بيت المال في جميعه بألف درهم في كل سنة على استقبال سنة أربع وثلثمائة ، ووفّر جارياً^(٢) الوزارة ولم يأخذه ، وتقدم برّد جارى أصحاب الدواوين وكتّابهم وكتّابه إلى ما كان عليه في أيامه الأولى فأضعف ذلك ، وصار جارى صاحب ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر . وأقطع زيدان التي كانت موكّلة به ضياعاً بنواحي كسكر ومستغلاتٍ بالبصرة لها ارتفاع وافر ، ووقع لجماعة من أصحاب السلطان بتسويغات وإقطاع وحملات^(٣) ، وبسط يده في كل ما فعله من ذلك ، وأدرّ على المقتدر بالله ما كان وعده به ، وللأمرء والسيدة من ألف وخمسمائة دينار منسوبة إلى رسم الخريطة ، ونصب ديوايا للمرافق واستوفأها فيه من العمال والمتصرفين كما تستوفي الحقوق ، وتتبع ما بقي من ودائع السلالة في نكبتة ، فارتجع منها خمسمائة ألف دينار .

وقدّم عبد الله بن فرجويه وعوّل عليه ، وتوفّر على أبي علي محمد بن علي ابن مقلّة ، وأدخله في أموره وأسراره ، وقلده أعمالاً كثيرة ، فكانت مدة أبي الحسن بن الفرات في اعتقال المقتدر بالله خمس سنين وأربعة أيام .

وكان^(٤) عبد الله بن جبير عند مقامه بواسط في أيام علي بن عيسى قد عرف قدر ارتفاعها وما يتحصّل لحامد بن العباس من الفضل في ضمانها ، فلما عاد إلى بغداد وقد وزّر ابن الفرات عظم ذلك عنده .

وكان حامد لما انقضت مدة الضمان الذي عقده الخلقاني عليه أخر عن علي

(١) أوغره مالا : أقطعه إياه . ويريد أنه يتنازل من ماله لبيت المال عن ألف درهم سنويا فبدأ من سنة ٣٠٤ .

(٢) يعني أنه تنازل عن مرتب الوزارة . (٣) الحملات الكفالات .

(٤) تجارب الأمم ٥٧/٥ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

ابن عيسى الوظيفة^(١) التي كان يحملها في كل شهر ، وطالب بتجديد الضمان .
وكانت علي بن عيسى بأنه محمول على ما كان تقرّر معه ومُجرى في الشرائط عليه ،
وله على ما في وثيقته^(٢) ، ولم يثبت الكتاب في الدواوين ، لكن حامداً ركن إليه
وعوّل عليه .

واستأذن^(٣) عبدُ الله بن جبير ابن الفرات في مكاتبة حامد بما أخرج عليه^(٤) ،
فأذن له ، وكتبه مكاتبة أجاب عنها بالاحتجاج لنفسه ، وتردّد من القول ما بسط
ابن جبير معه لسانه فيه . وبلغه فظنّ أنه عن مؤاطاةٍ من ابن الفرات له عليه ،
وشرع^(٥) فيما يدفع به التأوّل عنه .

وكان قسيم الجوهري يشرف للسيدة أم المقتدر بالله على ضياعها بواسطة ،
ويكثر هناك المقام ، ويحضر عند حامد فيبسطه ويتوقّر عليه ، فواقفه على السفارة له
في الوزارة ، وأصعد قسيم وخاطب نصراً الحاجب في ذلك وأطعمه في حامد ، وملاً
يده منه ، وعرفه سعة صدره وسخاء نفسه ، وضمن له عنه تصحيح المال الكثير من
ابن الفرات وأسيابه ، وراسل السيدة أيضاً .

ووافق هذا القول والسعي سوء رأى نصر الحاجب في ابن الفرات ، وخوفه^(٦)
منه وكثرة الوقعة فيه ، وقول الناس إنه قد قلّد ولده الدواوين ، وأقاربه الأعمال وأخذ
من ودائعه القديمة التي أجملة اتسعت الأقوال فيها وكُتبت إلى العمال بحمّل المرافق إلى
هارون بن عمران ، وإفراذه إياه بذلك وبقيض أموال المصالحين والمصدرين وعدله
بها عن بيت المال . وأن المقتدر بالله طلب من ابن الفرات ما لا لبعض مهمّة فتمعه منه

(١) الوظيفة ما يعين من عمل أو رزق أو مقرر معلوم .

(٢) أي له ما تقرّر عليه في عهده . (٣) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

(٤) في تجارب الأمم : أن يكتب حامداً في بعض ما كان أنباه إليه من ضمان حامد فأذن له
فيه إذنا ضعيفاً .

(٥) في تجارب الأمم : ولعي . قد عرفه من نيته فأفقد من يسفر في الوزارة .

(٦) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

واعْتَلَّ عليه فيه ، فتم بذلك أمرُ حامد ، وروسل^(١) بالإصعاد إلى الحضرة ، وأن يَكْتُبَ على عدة^(٢) أطيار بخروجه في يومه لِيُقَبَّصَ على ابن الفرات عند المعرفة يَتَوَجَّه ، فأصعد ، وكتب بخبره ، وعرض الكتابُ أبو القاسم بن الحواري على المقتدر بالله ، فلما وقف^(٣) عليه أنفذ نصرأ الحاجب وشفيعاً المقتدرى إلى دار أبي الحسن ابن الفرات حتى قبضا عليه في وقت العصر من يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة^(٤) ، وعلى الحسن ابنه وموسى بن خلف وعبد الله بن فرجويه وعيسى بن جبير وسعيد بن إبراهيم التُّسْتَرِي ودولة أم ولد أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنها منه ، وحملوا الجماعة إلى دار الخلافة . واعتقل أبو الحسن وحده عند زيدان والباقون عند نصر الحاجب ، وختم أبو نصر بشر بن علي خليفته حامد ببغداد على جميع الدواوين . وإنما قبض على ابن الفرات في داره لأن الإرجاف قوى بصرفه قوة استوحش منها كُتَّابُه وأصحابه - وكان إذا ركب إلى دار السلطان تفرقوا واستتروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا - وركب في أول النهار وهم على الجُملة من الخوف والإشفاق ، وعاد فعادوا على السكون إلى ذلك .

وكانت مدة نظره في هذه الدفعة سنةً وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .

ثم وَزَرَ الوزارة الثالثة^(٥)

وأخرج من حبسه عند زيدان القهرمانه يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وخُلع عليه وعلى أبي أحمد المحسن ابنه ، وقد كان

(٢) في تجارب الأمم : على أجنحة الطير

(١) المنتظم ١٤٧/٦

(٣) تجارب الأمم

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ وتجارب الأمم ٥٦/٥ والمنتظم ١٤٧/٦ .

(٥) راجع تجارب الأمم ٨٥ / ٥ وما بعدها وابن الأثير حوادث ٣١١ والمنتظم ١٧٣ / ٦ .

أُفْرَجَ عَنِ الْحَسَنِ مِنْ قَبْلُ وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَرَكِبَا إِلَى دَارِيهِمَا بِسَوْقِ الْعَطَشِ وَجَلَسَا
لِلتَّهْنِثَةِ ، وَظَهَرَ أَوْلَادُهُمَا وَكُتَّبَتْ لِهَيْمًا وَحَوَاشِيَهُمَا وَأَسْبَابُهُمَا . فَأَمَّا حَامِدٌ ^(١) فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ
ابْنَ الْفَرَاتِ أَقْرَهُ عَلَى أَعْمَالِ وَاسِطٍ بِحُكْمِ مَاشِرْتِهِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ . وَخَاطَبَهُ
بِنَحْوِ مِمَّا خَاطَبَ هُوَ عَلَى بْنِ عَيْسَى بِهِ عِنْدَ خِلَافَتِهِ إِيَّاهُ .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ فِي وَزَارَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلْقَانِيَّ شَرَطُوا عَلَى حَامِدٍ فِي ضَمَانِهِ
الْأَوَّلِ لِأَعْمَالِ وَاسِطٍ أَنْ يُؤَدِيَ فِي آخِرِ سَنِي ضَمَانِهِ لِمَا يُنْفَقُ عَلَى كَرْمِي ^(٢) الْأَنْهَارِ
وَحِرَاسَةِ الْبَرَزَنْدَاتِ ^(٣) وَالْبُدُورِ وَالْمَعَاوِينَ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ وَأَطْلُقَ فِي ذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ
مِنْ سَنِي الْإِعْتِبَارِ عَلَيْهِ . وَكَانَ نَيْفًا وَتَسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . لِيَتَوَلَّى عُمَالُ السُّلْطَانِ
الْإِنْفَاقَ ، وَشَرَطُوا لَهُ أَنْ يُؤَخَّرَ بِإِعْتِبَارِ أَمْوَالِ الْخِرَاجِ وَالضِّيَاعِ الْخَاصَّةِ الْعَبَّاسِيَّةِ -
وَمِبلغُهُ مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ - إِلَى آخِرِ سَنِي الضَّمَانِ لِتَصِيرَ الْحِجْلَةُ
مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَمَا زَالَتِ الْمَطَالِبَةُ بِذَلِكَ تَتَأَخَّرُ مَعَ تَجْدِيدِ الضَّمَانِ سَنَةً
بَعْدَ أُخْرَى .

وَقَدَّمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ أَبَا سَهْلَ النَّوْبَخْتِيَّ أَعْمَالَ الْمُبَارِكِ ، وَأَبَا الْعَلَاءِ مُحَمَّدَ
ابْنَ عَلِيٍّ الْبِرَزَنْدَوِيَّ أَعْمَالَ الصَّلْحِ وَالْمَزَارَعَاتِ ، وَوَأَفْقَهُمَا عَلَى مَطَالِبَةِ حَامِدٍ بِالْمَالِ
الْمَذْكُورِ ، فَطَالِبَهُ النَّوْبَخْتِيَّ مَطَالِبَةَ الْكُتَّابِ ، وَسَلَّكَ الْبِرَزَنْدَوِيُّ مَعَهُ سَبِيلَ الْعَنْتِ
وَالْإِرْهَاقِ ، وَتَبَسَّطَ عَلَيْهِ فِي الْمُنَاطَرَةِ وَالْخِطَابِ ، ثُمَّ عَمِلَ لَهُ الْأَعْمَالُ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ
أَنَّهُ ابْتِغَاءً مِنَ الْمَزَارَعَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَسَافِلِ الصَّلْحِ ضَوَاحِي الْجَامِدَةِ فِي أَيَّامِ الْخَلْقَانِيَّ

(١) انظر ترجمة حامد بن العباس في المنتظم ١٨٠/٦ استوزره المقتدر سنة ٢٠٦ وتوفي
سنة ٣١١ .

(٢) كرمي الأنهار هو الحفر فيها ويريد تطهيرها يقال كرمي النهر : حفر فيه حفرة جديدة .

(٣) البرزندات جمع بزند وقد شرحه المؤلف في أخبار علي بن عيسى فقال وتسمى البرزندات
بحصر جسوراً .

وبعدها ضياعاً جليلاً ، وأخرج عليه من الفضل فيها خمسمائة ألف دينار ، مُكثراً عليه بذلك .

ورأى ابن الفرات تجرّدَ البزوفرى لما هو متجرّد له من استعمال القبيح مع حامد وعمل الأعمال فيه ، فكاتبه وأحمد^(١) فعَلته ، وأنفذ إليه^(٢) المؤامرات المعمولة بالحضرة له ، وأمره بمطالبته والاستقصاء عليه والابتداء بنفقات المصالح والبزندات والبذور والمعاون هو والنوختى ، وإفناقها على عمارة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

فأجاب البزوفرى بأن حامدا ليس يَلْتَمَسُ إليه ، ولا يُعْطَى شيئاً من المال ، وقد بدأ بإطلاق ما يريد إطلاقه للمزارعين وأهل البلاد للعمارة المستأنفة ، وأدعى شُرُوعه في ضمان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه غير متمكن منه مع قُوّته ، وأن معه أربعائة غلام كبار يتبعهم آخرون وسبعائة رجل ، وأهل البلاد على مَيْلٍ إليه وتعصّبٍ له . فغرض ابن الفرات كتابه على المقتدر بالله ، فأمر مُفْلِحاً الأسود بإفناذ مائة غلام من الحُجْرِيَّة ومائة راجلٍ من المَصَافِيَّة إلى واسط للشدّ من البزوفرى وبسط يده . وقال لابن الفرات : اكتب إليه بإثبات خمس مائة راجل يستظهر بهم على أمره . ففعل جميع ذلك .

وكتب ابن الفرات^(٣) إلى البزوفرى يرسم له التوكيل بحامد عند وصول من أنفذ إليه ، ومطالبته عاجلاً بالمصالح والبذور ، إذ ليس يأذنُ السلطان في عقد الضمان مستأنفاً عليه . فأشاع البزوفرى ذلك قبل ورود القوم ، وعرف حامد^(٤) الخبر في وقته ، فأظهر ورود كتاب المقتدر بالله عليه بالمبادرة إلى الحضرة ، فغضب البوق

(١) أحمد فعلته : عدما حيدة ورضى فعلها وتصرفه فيها .

(٢) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٤) تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٣) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

وأصعد بكتابه وخواشيه وغلمايه ووزجالتيه ، ومعها (١) ثيابه وفرشه وآلته بعد ما أودعه بواسط من ماله ، وسار في السفن والشميريات (٢) ، وأخذ كراعه على الظهر (٣) ، فلم يقدر البرزفري على منعه ولا الاعتراض عليه في فعله ، لكنه بادر إلى ابن الفرات بالخبر على الطيور .

فلما عرفه انزعج منه ، وظن أنه عن أصل انطوى (٤) عنه ، واستشار (٥) الحسن ابنه وخواصه فيما يدبر الأمر به ، فقالوا تمهبي إلى المقتدر ما كان منه ، وتستعلم ما عنده فيه . ففعل وقال المقتدر : ما كوتب بشيء مما ادعى أنه كوتب به ، وتقرر بينه وبين ابن الفرات إيفاد نازوك إلى المدائن في عدد كثير من الغلمان والرجال والفرسان للقبض على حامد وأسبابه ، ووقف نازوك على ذلك .

واتصل بحامد انحدار نازوك ، فاستتر وترك سفنه وماله وأصحابه ، ووافى نازوك قبض على ما وجد له وحمله ، وأمر المقتدر بالله بتسليم الحسابات إلى ابن الفرات ، والكراع في الاضطرابات ، وما سوى ذلك إلى الخزان . ووقع الإرجاف (٦) بأن المقتدر بالله كاتب حامدا ينكر عليه خروجه من واسط على الحال التي خرج عليها ، ورسم له الاستتار ودخول بغداد سرا ليرده إلى الوزارة ، ويسلم إليه الجماعة ، فأشفق (٧) أبو الحسن بن الفرات واستتر المحسن والحسين والحسن أولاده وحرّمهم وكتبهم .

(١) في تحارب الأمم : وخرج من واسط مع جميع كتبه وخواشيه ورجاله وحمل معه من الفرس والآلات والكسوة جميع ما كان يخدم به بعد أن احتاط في أمواله وأتمته الفاخرة وأودعها عند ثقافته بواسط .

(٢) السميريات نوع من السفن .

(٣) يعني أنه أرسل خيله وبناله ومجيره بطريق البر .

(٤) أي عن أمر دبر خفية عنه لا يعلمه . (٥) تحارب الأمم ٩٥/٥ .

(٦) تحارب الأمم ٩٦/٥ . (٧) أشفق من ممانيتها : خاف وحاذر وحرص .

وكانت سعادة^(١) حامد قد انقضت ، ومدته قد انقضت ، فدعاه المقدور إلى قصد دار السلطان في زى الرهبان ، واستأذن على نصر الحاجب ، فلما دخل ورآه قال له : إلى أين جئت ؟ قال : جئت بكتابك . قال : إلى هاهنا كاتبك بالحيء ؟ ولم يقم له ولا وفاء حقه ؛ واعتذر إليه بخوفه من سخط الخليفة متى تجاوز به ما وقف عنده . وراسل نصر مفلح الأسود بالخروج إليه ، لأن المقتدر بالله كان عند الحرم ، فخرج إليه وقال له : قد ورد حامد على ما تراه من هذه الصورة ، وهو اليوم في موضع رحمة ، وما أولئك باستعمال الجليل معه . وقال حامد^(٢) لمفلح : تقول لأمير المؤمنين أنا أرى بأن أعتقل في دارك كما أعتقل على بن عيسى ، ويناظرني الوزير والحسن والكتاب بحضرة القضاة والفقهاء والقواد ، فإن وجب على شيء خرجت منه بعد أن أومن على نفسي ، وأمكن من استيفاء حججى . ويمنع الحسن من مقابلتى على المكاره التى أوقعتها به فى طاعة أمير المؤمنين ، فإنه شابٌّ وبسطُ يده على مثلى - ممن بلغ إلى مثل سنى ووجب له من الحرمة ما وجب لى - غير لائق بعبادات أمير المؤمنين . فأراه مفلح أنه يفعل ، ودخل إلى المقتدر فأورد عليه ضد ما قاله ، وتكلمت السيدة فى أمر حامد وأجابته إلى سؤاله . فقال مفلح : متى فعل ذلك لم يتم لابن الفرات أمر مع الأراجيف الواقعة به . فقال له المقتدر بالله : صدقت . وأمره بأن يتقدم إلى نصر بإنفاذ حامد إلى ابن الفرات ، فخرج إليه وعرفه مارسم له . فاستدعى حامد من نصر ثياباً يُغَيِّرُهَا ما عليه ، فامتنع مفلح من الإذن له فى ذلك ، وقال : قد أمرنى مولانا بإنفاذ على زيه الذى حضر فيه . فلم يزل نصر يشفع له إلى أن أذن فى تغييره ، وأنفذه مع ابن الرنداق^(٣) الحاجب .

(١) تجارب الأمم ٩٦/٥ .

(٢) تجارب الأمم أيضا .

(٣) فى تجارب الأمم ٩٧/٥ ابن رنداق « براء مهمله » .

فلما دخل على^(١) ابن الفرات قال له : لم جئت ؟ قال بكتابك . قال له : فلم لم
تقصد داري ؟ قال : حرمت التوفيق . قال له : لا ولكنك عملتها طائفةً فجاءتك
طائفة . وذلك أن الطائي ضمن إسماعيل بن بلبل من الموفق وصار إلى داره في رى
الفيج^(٢) ليقم فيها ليلته ويُنجز له من غدا ما وعده ، فلما حصل عنده أفذه إلى
إسماعيل في ذلك الزمى ، فأوقع به إسماعيل مكروهاً غليظاً ، واستخرج منه ومن كتابه
مالاً جليلاً .

وتقدم^(٣) أبو الحسن بن الفرات إلى أستاذ^(٤) داره بأن يُفردَ لحامد داراً يُفْرِشُها
فرشاً جميلاً ، ويتفقدَه في طعامه وشرابه وطيبه تفقداً كثيراً . ونحن نذكر تمام حديثه
إلى حين وفاته في أخباره .

أسماء القوم الذين قبض المحسن بن أبي الحسن بن الفرات عليهم
ونكبهم وقتلهم وأبعدهم وما جرى عليه أمر كل واحد منهم

قد ذكرنا من أخبار حامد بن العباس وعلى بن عيسى مالا فائدة في تكريره ،
فأما سليمان بن الحسن فقبض الحسن عليه من ديوان المشرق ، وكان يتولاه مع غيره
من الدواوين ، فصادره على ماصح منه خمسون ألف دينار ثم أخرجه إلى فارس .
وأما أبو علي^(٥) بن مقله فكان يتقلد لعلى بن عيسى في وزارة حامد زمام السواد ،
فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تجدد ولم يستتر ، وحضر مجلسه ، فأعرض عنه إعراضاً

(١) تجارب الأمم ٩٧/٥

(٢) الفيوج جمع فيج وهو رسول السلطان الذى يسمى على رجليه أو الخادم

(٣) تجارب الأمم ٩٨/٥

(٤) في تجارب الامم ذكر أنه يحيى بن عبدالله قهرمان داره

(٥) تجارب الأمم ٩١/٥ .

غض به من محله ، ولم يقيض عليه مراعاة للمودة بينه وبين أبي القاسم بن الحواري .
فلما قبض على ابن الحواري أنفذ الحسن أبا غانم كاتبه حتى قبض على ابن مقلة وقيده ،
وقد شرحنا حديثه في أخباره .

وأما أبو القاسم^(١) علي بن محمد الحواري فإنه تأخر عن تهنة ابن الفرات في صدر
نهار يوم الجمعة ، وراح إليه في آخره ، وأطال عنده ، وأنسه ابن الفرات وشاوره
في أموره ، وخلا به خلوة طويلة اعتمد فيها سكون نفسه ، وراسله^(٢) ابن الفرات
فتحقق بخدمته وأظهر السرور بولايته مع ما اعتقده باطناً من مخافته ، وقد كان^(٣)
أصحاب ابن الحواري أشاروا عليه بالاستتار عن ابن الفرات وقالوا له : إن الخليفة لم
يكنك أمره وماعزم عليه من تقليده - مع ما يعرفه من العداوة بينكما - إلا لسوء
رأى فيك . فلم يقبل ذلك وقال : لو كان الأمر على ما قلتم لقبض علي قبل إخراج
إياه وإظهار أمره ، وما أرى أن أنكب نفسي بسوء الاستشعار مني^(٤) .

لكنه ستر حرمة وولده واستظهر بعض استظهار في رحله وماله .

وركب^(٥) ابن الحواري إلى دار السلطان وحضر ابن الفرات وأذن له ولم
يؤذن لابن الحواري . فاستوحش من ذلك ، ثم صرف الأمر إلى أن ابن الفرات
قد شرط على المقتدر بالله أن يجزيه على رسمه في وزارته الثانية ، فإن ابن الحواري
لم يكن يصل معه ظاهراً وإنما كان يصل سراً . فلما خرج ابن الفرات من حضرة
المقتدر بالله وجلس في الدار التي أفردت له للنظر في أمر القواد والحواشي دخل معه

(٢) يريد أنه جراه في الكلام وواقفه

(١) تجارب الأمم ٩١/٥

(٣) تجارب الأمم ٩١/٥ - ٩٢

(٤) الاستشعار هنا من قولهم استشعر الخوف : جملة شعار قلبه

(٥) تجارب الأمم ٩٢/٥

ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في ما كان يُخاطَبُ^(١) عليه ، وقال له : قد غيّتُ عن مجاري الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بما كان عليُّ بنُ عيسى قرَّرَ عليه أمرَ الحاشية ، وأريد أن تنبئني وتُرشدني وتعاونني وتعاذني ، وتستعملَ في ذلك ما تقتضيه المودة . فقال له : السمع والطاعة . ووعده بالإخلاص في المناجحة ، وفاوضه ابنُ الفرات حديثاً طويلاً وههض قبل أن يستمه ، ونزل إلى طيَّارِه^(٢) ونزل ابنُ الحواري معه وأحمدُ بنُ نصر البازيارُ ابنُ أخيه ، ومحمد بن عيسى صهره ، وعلي بن مأمون الإسكافي كاتبه ، وعليُّ بن خلف أخو محمد بن خلف صهره ، فأكرم جماعتهم وأخذ يحادثهم ويضاحكهم إلى أن صعد من طياره إلى داره ، ووصل إلى بعض الأروقة ثم أسرَّ إلى العباس الفرغاني حاجبه سرّاً أمره فيه بالقبض عليهم ففعل ، واعتقلهم في بعض الحجر ، واستدعى شفيعا اللؤلؤي ، وأنفذه إلى دار ابن الحواري وأمره بحفظها وحراستها ، وأنفذ إلى إصطبلاته بمن قاد دوابه وبغاله وساق جماله إلى إصطبلات السلطان ، ونقل فاخر ثيابه وفرشه وآلاته إلى الخزان ، ووصى ابنُ الفرات قهرمان داره بإحسان مراعاة ابن الحواري في ما كوله ومشروبه . ثم راسله مع عبد الله بن جبير وغيره في تقرير أمره ، وواقفه على أعمالٍ عُملت له قبل القبض عليه ، فسأل أن يُوسَّطَ بينه وبينه أبا بكر بن قرابة ، وكان [ابن قرابة] متحققاً^(٣) بابن الفرات في هذا الوقت وبابن الحواري من قبل ، فوسطه ذلك ، وتقررت مصادرة ابن الحواري خاصَّةً من دون كتابه وأسبابه على سبعمائة ألف دينار ، يُعجَّلَ منها مائتين وخمسين ألف دينار ويُحتَسَبُ له عن ثمن المأخوذ منه بمخمين

(١) في تجارب الأمم : وشاوره في جميع أمورهِ .

(٢) الطيار نوع من السفن .

(٣) يريد بهذا التعبير أنه متصل به واثق من مكاتبه عنده .

ألف دينار ويؤدّي الباقي في أربعة وعشرين شهرا بعد أن حلف أن قيمة الأخذ منه ثلاثمائة ألف دينار .

واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار ليقوم بمال التجليل ، فأطلق وأزيل التوكيل عن دوره وسُلم الباقي فيها إلى أحمد بن نصر .

وتسلم ^(١) الحسن بن أبي الحسن بن القرات من بعد ذلك ابن الحواري قصفه صفحا عظيما في دفتات وضربه بلقاروع . ثم أخرج إلى الأهواز في طيّارٍ خَدَمِهِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ ، وأخذ معه الحبشيَّ السَّخْرَجَ . وحلوا أيضا في هذه الجملة سليمان بن الحسن وأبا علي بن مقله ، فلما وصلوا إلى البصرة وتوجّوا منها إلى الأهواز طرح الحبشيُّ ابن الحواري في الماء منكباً وشدَّ رجله في شِكَاتٍ ^(٢) الطيار وهو سائر وبلغ موضعا يعرف بالنارة أحقل الأبيّة بفرسخ فأخرجه ، وقد بقي فيه أدنى رمتي فختمه غلمانٌ سودان كانوا معه ودفعوه ، وحمل سليمان وابن مقله إلى الأهواز .

وأما ابن حماد الموصلي فإن ابن القرات كتب إلى محمد بن نصر بالقبض عليه وحمله إلى الحضرة ، فعرف ابن حماد ذلك وهرب ، فوجد في عمر ^(٣) يقارب بلد فأخذ وحمل إلى محمد بن نصر فضربه ضربا أثمته ، لعداوة كانت بينه وبينه ، ثم أفضله ، فسلمه الحسن ^(٤) وأمر ابن أبي عمر كاتبه وابن حبشي السخريج بصفحه ، فأوقاه به فلم يرض بذلك حتى أحضره بين يديه وصفحه على رأسه إلى أن خرج الدم من فيه ومات في ليلته . وخاف الحسن إنكار المقتدر بالله ما جرى في أمره فأظهر أن محمد ابن نصر أفضه مشغنا بالضرب خلف مما ناله منه .

(١) تجارب الأمم ١١٣/٥

(٢) شكات الطيار يريد بها الحبشات البارزة من النخلة .

(٣) المر من معانيه البيعة والكيفية .

(٤) تجارب الأمم ٩٣/٥ .

وأما علي بن الحسن الباذينى ، وكان رجلاً مُتَسَلِّماً^(١) ، وتقلد ديوان الضياع
المقبوضة فى أيام على بن عيسى ، فقبض عليه الحسن وصادره على أحد عشر ألف
دينارٍ . وأعاد المكروه عليه فبلح^(٢) فى يديه ، وأيس من حصول شىء منه .
وأخرجه إلى الموصل فلم يزل مقيماً بها إلى أن وزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقانى .
وأما أبو المنذر النعمان بن عبد الله فقد كان تاب من خدمة السلطان ، ولبس
أخفَ والطيلسان ، وحضر مجالس الوزراء بهما كما تخضّر مشايخُ الكتاب إلا أنه
كان متحققاً بمحمد بن العباس وعلى بن عيسى ونصر الحاجب . فلما تقلد ابن الفرات
الوزارة فى هذا الوقت لم يجد عليه مُتَعَلِّقاً ولا مُتَسَلِّقاً ، وكان يحضر مجلسه فيكرمه ،
وخاف النعمان على نفسه منه لِمَا كان يشاهده من الحسن وإقدامه على ما يُقَدِّم عليه
فلازم نصراً الحاجب وثمل القهرمانه ، وكان يروح إليهما فى أكثر العشيات ويقيم
عندهما إلى أن تمضى قطعة من الليل . فاتفق أن خرج فى بعض الليالى من دار ثمل
القهرمانه ومعه إبراهيم حاجبه فراه أحد أصحاب الأخبار الذين لابن الفرات ،
فكسب إليه بخبره ، وبأنه سمعه يقول لبعض العمال المُعْطَلِّين وقد لقيته فى طريقه :
ما عندك من الأخبار ؟ فقال : كثرة الأراجيف بابن الفرات . فقال له النعمان :
على أن يكون الوزير من ؟ قال : أنت أو محمد بن على المادرائى أو عبد الله
بن محمد الخاقانى ، والأقوى فى الظنون أنت . فقال له : ومن لهم بأن أساعدهم
على ذلك .

فلما قرأ ابن الفرات هذا الفصل سلمه إلى الحسن ، وأمره بإحضار النعمان وأن

(١) الذى دخل الإسلام قسار مسلماً .

(٢) جاء فى حاشية أحد مخطوطات الكتاب ما يأتى : بلع الرجل وبلع «بتشديد اللام» إذا أعيأ
وأصله من بلع الترى إذا ببس، والمراد به هاهنا أنه لم يبق عنده ما يدفع به عن نفسه أذى المطالبة . اهـ ،
هذا ومن معانى بلع : أفلس .

يعرض عليه ولاية الأعمال بالأهواز وفارس ، فإن استجاب حمله معه ليكتب له الكتب ويخرج إلى عمله ، وإن امتنع أوقفه على الفصل وقال له : ليس يصلح للوزير والى مقامك بالحضرة ، فأخرج إلى حيث تختار من غير إخراج ولا توكيل . فأحضره الحسن وخاطبه بذلك فامتنع من العمل ، فأقرأه حينئذ الفصل من رقعة صاحب الخبر ، وتقدم إليه بالخروج إلى حيث يريد ، فاختار واسط ، وانحدر إليها لحينه ^(١) . فلما دخلها قصده العمال والتناء ^(٢) هناك ، ولقوه وأكرموه وعظّموه . وكتب إلى ابن الفرات بذلك ، فكتب إلى محمد بن علي البزوفري بالقبض عليه ، فقبض عليه في يوم جمعة من المسجد الجامع ، وطالع ابن الفرات بحاله ، فرسم له مطالبته بما بقي عليه من مالٍ مُصادَرته في وزارته الثانية وهو سبعة عشر ألف دينار . ففعل البزوفري ذلك وأدّى النعمان سبعة آلاف دينار .

وأما أحمد ^(٣) بن محمد بن بسطام فكان مصاهرًا لحامد بن العباس ومتقلداً بهر سِير والرومقان وإيفار ^(٤) يقطين في وزارة علي بن عيسى . فلما رأى ما الناس فيه مع الحسن بن الفرات استتر عند الشاه بن ميكال ، وعرف الحسن خبره فكبسه وأخذ وقرر عليه ثلاثمائة ألف دينار ، وطالبه مطالبة زاد فيها ، حتى أخرجه من نعمته وضيعته ^(٥) ، ثم عمل علي إخراجَه إلى واسط عند قُربِ مُؤانسٍ واستيحاشه منه ،

(١) في الأصل لنفسه .

(٢) التناء جمع تناء . والتناء هو المقيم بالسكان .

(٣) - انظر تجارب الأمم ٩٣/٥ وذكر أنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس .

(٤) الإيفار أن يقطع الأرض بغير خراج . وجاء في حاشية بعض مخطوطات الكتاب ما يأتي : الإيفار تسويغ السلطان الأرض من شاء من غير أن يؤدي ما عليها .

(٥) في تجارب الأمم . استخراج منه سبعين ألف دينار وأخذ خطه بمائتي ألف دينار ، بعد مكروه غليظ .

وكتب له بولاية بعض النواحي تخاف وقوع حيلة عليه بذلك ، فاستتر استتاراً ثانياً حتى زال أمر ابن الفرات .

وأما إبراهيم أخو علي بن عيسى فإنه كان ملازماً لمنزله في أيام حامد وعلي ابن عيسى ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تأخر عن تهنئته ، فوقع إليه (١) توقيعاً جميلاً أمره فيه بالمصير إليه ، فجاءه من وقته ، وقبض عليه وطالبه بأحد عشر ألف دينار ، بقيت عليه من جملة خمسين ألف دينار صادرة عليها في وزارته الثانية . فاحتج إبراهيم بأن القتدر بالله وضعها عنه ، وأظهر توقيعاً معمولاً في اللواوين شاهداً على قوله ، فلم يقبل ذلك منه ، وطالبه حتى أدى المال ، فلما أداه أحضره مجلسه ، وواقفه على أمور كانت في نفسه عليه منذ أيام العباس بن الحسن ، وصادره مصادرة مُجَدِّدَةً على عشرين ألف دينار ، ثم سلمه إلى الحسن فأوقع به مكروهاً شديداً إلى أن وفي القيمة ، ثم نجاه إلى البصرة ، وسلمه إلى ابن أبي الأصبع عاملها ، فقيل : إنه سمه فمات .

وأما عبيد الله أخوه فإنه كان عليلاً في منزله ، فأنفذ الحسن من جملة إليهم حِفَّةً وطالبه وأوقع به مكروهاً كرَّره إلى أن ضمنه أبو الحسين بن روح وجماعة بما قرره عليه . فلما أداه أخرجه إلى الكوفة .

وأما أبو علي عبد الرحمن فإنه استتر بعد القبض على أبي الحسن أخيه ، فلم يُعرَف له خبرٌ مع شدة الطلب له ، والحرص على حصوله .

وأما أبو الحسن علي بن مأمون الإسكافي كاتب ابن الحواري فصور على مائة ألف دينار ، وأدى بعضها ، وتلف تحت المكروه .

(١) في الأصل فوقع عليه .

وأما أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل فكان بفارس ، وكتب المحسن إلى جعفر بن محمد العامل هناك بالقبض عليه وعلى زيد بن إبراهيم عامل كرمان ، ومصادرتهما على مال حدّه له ، فإن أذعنّا وإلا أشخصهما إلى الحضرة ، فافتديا أنفسهما بما التمس منهما إخفاقا من إنفاذهما إلى المحسن .

وأما أبو زنبور^(١) الحسين بن أحمد المادرائي فكان ضامناً لمصر والشام في أيام حامد فتكر له أبو الحسن علي بن عيسى وصرفه بأبي الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوهاب كاتبه ووليّ أبو الحسن بن الفرات فأقرّ أبا الحسين على نظره وكاتبه بحمل أبي زنبور إلى الحضرة ، وكان بدمشق ، فأنفذه إلى مؤنس المظفر وهو بحلب ، وأنفذ ابن الفرات راتقا خادم السيدة حتى حمله من حلب إلى بغداد ، ووصل فاعتقله ابن الفرات اعتقالا جبيلا . ثم جمع القضاة وأصحاب الدواوين وأخرجه إلى مجلسه ، وقد حضر المحسن وأبو العلاء بن سنجلا كاتبه على ديوان المغرب وأحضرا أعمالا عملاها له ، ووقعت المناظرة له على أبوابها ، فألزمه ابن الفرات منها ألفي وأربعمائة ألف دينار ، ثم استكثرها فحط منها سبعمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بالباقي وعرضه على المقتدر بالله فأحدّ فعله فيه ، وزاد^(٢) ابن الفرات في مراعاة أبي زنبور وإحسان عشرته لأنه كان يسترجله ويستجلبه ، وسامه أن يواجه علي بن عيسى بأنه أرفقه^(٣) في أيام تقلده ديوان المغرب وبعد ذلك في وزارته ، فاستعفاه . فقال له ابن الفرات : فلم واجهني^(٤) بأمره وليس تواجهه بأمرى . فقال له : ما أجدت عاقبة تلك الحال ولا استحسناها لي أحد ، مع الظاهر من إساءة الوزير إلى تسليمه إياي إلى ابن بسطام

(١) انظر تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٢) تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٣) أرفقه هنا يراد بها أنه نفعه بأموال .

(٤) راجع هذه المواجهة فيما سيأتي وتجارب الأمم ٦١/٥ .

و بسط يده على [في أيام وزارته الثانية] ^(١) فكيف تستحسنون لي الآن معاملة
على بن عيسى بالقيح على ماله عندي من الجليل القديم ؟ فأمسك ابن الفرات عنه .
وقدم ^(٢) محمد بن علي المادرائي من مصر ، ولم يكن تقلد في وزارة حامد عملا ،
فنظر على أموال تلزمه وبقايا عليه في وقت شركته للحسين بن أحمد ، فاحتج لنفسه
احتجاجا قال له ابن الفرات في آخره : فلست بأعلم وأعرف من الحسين بن أحمد ،
وقد أورد أكثر مما أوردت ، فلم يدفع ذلك عنه ما وجب عليه . وأخذ خطه طوعا
بألف ألف ومائة ألف دينار . وكتب عليه بها كتاب دين المقتدر بالله في نجوم ^(٣)
ثبَّت ، وأشهد على نفسه القضاة والشهود فيه .

وكان الحسن ^(٤) بن الفرات يكرم محمد بن علي ويتناول له إذا حضر عنده ،
وأطلقه إلى داره رعاية لما ذكر أنه حمله إليه من أموال كثيرة وجواهر ثمينة وخدم
رُوقَةً ^(٥) وسلم محمد بن علي والحسين بن أحمد إلى مؤنس المظفر عند خروجه إلى الرقة
ليستوفى منهما ما تقرر عليه أمرهما ويصرفه في نفقات رجاله .

وكان مؤنس ^(٦) المظفر عند تقلد أبي الحسن بن الفرات الوزارة في هذه الدفعة
غائبا في الغزو . فلما عاد كثرت الحديث بإنكاره ماجرى على الكتاب وغيرهم من
أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنه ، وما كان من وفاة حامد مسموما وأن أكثر
الفرسان التفاريق القيين بالحضرة قد عملوا على أن ينضموا إليه لتروج لهم أرزاقهم
به ، فنقل ذلك على ابن الفرات ، وركب بعد أسبوع من قدوم مؤنس إلى المقتدر بالله

(١) زيادة من تجارب الأمم ليتضح بها الكلام والسلام فيه يكاد يتفق مع الأصل .

(٢) تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٣) النجوم يراد بها الأقساط . (٤) تجارب الأمم ٩٥/٥ .

(٥) الخدم الروقة هم الحسان ، يستعمل لفظ روقة للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد .

(٦) تجارب الأمم ١١٥/٥ .

وخلا به ، وعرفه ما عليه مؤنس من اجتذاب الجند إليه ، وأن ذلك إن تمَّ غلب على الأمر وصار أمير الأمراء ومدَّ يده إلى الأموال وأقلَّ مُراعاةَ الخدمةِ واحتشام الخليفة . وأغراه به إغراء شديدا وخوفه منه تخويفا كثيرا .

فلما ركب مؤنس إلى المقتدر بالله قال له بمحضر من ابن الفرات : ما شيء أحب إليّ من مقامك ، عندى لأننى أجمع فى ذلك بين الأُس بقرب دارك ، والتبرك برأيك والانتفاع بمكانك ، ولكن أرزاق الفرسان التفاريق عظيمة ، وما يمكن إطلاقها ولا النصف منها على إدرار ، ولا يطيعون فى الخروج إلى بعض الجهات ، وإذا أقت طالبوا بالانضواء إليك ، فإن أحيوا لم يف ما يُحْمَل من أموال السواد والأهواز وفارس والمشرق بنفقات الخصرة ومال من يجتمع معك ، وإن لم يُجأبوا شغبوا وافتتن البلد . ثم إنك إن أقت لم يُرَجَّ مالُ ديار مُضَرَ وربيعه والشام ، ووقفَ ما قرَّر على المادرائيين ، والصواب أن تخرج إلى الرقة ، فإنها واسطة أعمالك وعمال الخراج والمعاون بمصر والشام يهابونك ويراقبونك ، ويحملون الأموال مراعاة لك وخوفا منك ، ويستقيم أمرُ المملكة بذلك .

وأمره بالشخص إلى هناك من وقته فى سائر من يرسمه .

وكان المتكلم عن المقتدر بالله ابن الفرات . فعلم مؤنس أنه أمر قد تقرَّر برأيه وتدييره وعلى حكم ما يعتقد من عداوته ، فقال : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، إلا أننى استأذن فى المقام بقية شهر رمضان ، فإذا أفطرت وعيَّدت سرت وتوجهت . فقال له : افعل .

فلما عيد ركب إلى ابن الفرات لوداعه ودخل إليه فقام له قياما تاما ، واستغناه مؤنس من ذلك فلم يُعنه وحلف عليه أن يجلس معه على المصلى فامتنع . وسأله مؤنس فى عدة أمور فوقع له بها وأجابها إلى جميعها ، ونهض فأراد ابن الفرات

القيام له عند نهوضه فأقسم عليه برأس الخليفة أن لا يفعل، وسار إلى الرقة .

وأما نصر^(١) القشورى الحاجب فإن ابن الفرات لما فرغ من إخراج مؤنس وإبعاده عن الحضرة عدل إلى أمره ، وكثر على المقتدر بالله الأموال فى جنبه، وأعلمه عظم ضياعه وارتفاعه ومراقبته ومنافعه وما يصل إليه من أعمال المعاون المرسومة بولايته ، فأجابه إلى القبض عليه ، وتسليمه إليه دون شفيع [المقتدرى] ^(٢) . وقد كان القول منه فيها جميعا .

وعرف نصر ما جرى فى بابه ، فلجأ إلى السيدة ، ومضى فى بعض أيام نوبته إلى منزله واستتر، وكلمت السيدة المقتدر بالله فى أمره وقالت له : قد أبعد ابن الفرات مؤنسا وهو سيفك ، ويريد أن ينكب نصراً وهو حاجبك ، ليمكن من مجازاتك على ما فعلته من إزالة نعمته وهتك حرمة . فيا ليت شعرى من يكون عونك عليه مع ما قد ظهر من شره وشر الحسن ابنه وأخذها الأموال وقتلها النفوس ؟ فوعدها بالدفع عن نصر ، وراست السيدة نصراً بالظهور والحضور ، فأمن وأنس ، وعاد إلى خدمته .

واستأنف التذلل لابن الفرات وابنه . وما ترك ابن الفرات الواقعة فيه ، والإغراء به حتى قال للمقتدر بالله : ما ضيع عليك الأموال التى أنفقتها على محاربة ابن أبى الساج^(٣) غيره ، لأنه عاداه وأوحشه من أجل غلام له كان يتولى أعمال أرمينية ، فصرفه ابن أبى الساج ، فأفسد رأيك فيه حتى جرى ما جرى .

فلما^(٤) كان فى بعض أيام حضر صاحب لأبى طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) تجارب الأمم ١١٧/٥ .

(٢) أى أذن له فى القبض على نصر ولم يأذن له فى القبض على شفيع المقتدرى .

(٣) انظر - يوسف بن أبى الساج حوادث ٣٠٤ تاريخ ابن الأثير .

(٤) تجارب الأمم ١١٧/٥ .

- أحد القواد المضمومين إلى ابن أبي الساج - عند ابن الفرات ، فعرفه أن كتاب أبي طاهر ورد عليه بأن يوسف ^(١) بن أبي الساج واقع أحمد بن علي فقتله وأخذ رأسه وحمله مع جثته إلى بغداد . وركب الحسن إلى المقتدر بالله واستأذن عليه ، فأوصله مفلح الأسود حيث لم يحضر نصر الحاجب ، وبشره بالفتح وقرأ عليه الكتاب الوارد به ، وعرفه أن نصرا يكره ذلك ، فلماذا طواه عنه وكنمه إياه .

ولم يبعده ^(٢) بعد هذه الحال أن وجد المقتدر بالله رجلاً أعجمياً واقفاً على سطح مجلس من مجالسه ، وعليه ثياب ديبقية ^(٣) . ومن تحتها ثياب صوف ومعه مخبرة ومقلمة ، وأقلام وسكين وورق وسويق . فأخذ وسئل عن أمره فقال : ما أخطب إلا صاحب الدار . فقيل : قل ما عندك . قال : ما يجوز . وأخرج إلى أبي الحسن ابن الفرات ، فقال : أنا أقوم مقام صاحب الدار ، فقل ما عندك . فقال : ليس يجوز إلا خطاباً في نفسه ^(٤) . فرُفق به فلم يغن الرفق . وحمله الخدم حينئذ وضربوه ضرباً عنيفاً ، فعدل عن الكلام بالعربية إلى قوله بالفارسية : « ندانم » ^(٥) ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها في كل ما يخاطب به ، وأخرج بعد أن مات تحت القنطرة إلى رجة الجسر ، وصلب هناك ^(٦) وضرب بالنار .

وتحدث الناس بأن ابن الفرات دسه ليؤم المقتدر بالله أن نصراً الحاجب أراد

الاحتيال عليه به .

(١) انظر ذلك في ابن الأثير حوادث ٣١١ وورد شرح الخبر بذلك في ٣١٢ كما ينظر تجارب الأمم ١١٩/٥ .

(٢) ذكرت القصة في ابن الأثير حوادث ٣١٢ والمنتظم ١٨٧/٦ وتجارب الأمم ١١٨/٥ .

(٣) نسبة إلى ديبق كانت تصنع بها ثياب حسنة .

(٤) زاد تجارب الأمم : ومأله عما أحتاج إليه .

(٥) فسرهما ابن الأثير فقال معناها : لا أدري .

(٦) في تجارب الأمم : فصب ولف عليه حبل من قنب ومشافة ولطح بالنفط وضرب بالنار .

وخطب^(١) ابن الفرات نصرا الحاجب بخصرة المقتدر بالله في أمر هذا الرجل فقال له : ما أظنك ترضى أن يحجى عليك في دارك مثل ماجرى على دار أمير المؤمنين ، وأنت حاجبه ، مما لم يتم على أحد من الخلفاء ، ولا شك أن الرجل صاحب أحمد بن علي أخي صفوان لأنه مجيئ ، فإما أن يكون أحمد بن علي واطأك على أمره قبل قتله وأنفذه فوردي في هذا الوقت ، أو تكون دستة ثقتك بأمر المؤمنين خوفاً على نفسك منه ، فمعلوم أن ابن أبي الساج عدوك وأنت صديق أحمد بن علي . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري لم أفضل بأمر المؤمنين وهو مصطنع مثل ذلك ، لأنه أخذ أموال^(٢) وضياعي وحسني خمس سنين ؟ قال المقتدر بالله لنصر : دع هذا ، فلو تم على بعض العامة ماتم علي لكان عظيماً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن الفرات يقف أمري ، ويسعى علي بقبیح أثرى ، ويؤخر أرزاق الرجال المصافية الذين برسي - وكانوا عشرة آلاف رجل - فأجابه ابن الفرات جواباً استوفاه ، وبين الزيادة فيما ينصرف إليه على ما كان يقبضه نظراؤه . وقال للمقتدر بالله : إن أمر أمير المؤمنين أن أخرج أرزاقه وأرزاق أولاده وغلمايه وفوائده ومراقفه وما كان يُقام لأمثاله من الحجاب في أيام الناصر والمعتضد والمكتفي فعلت . فتقدم إليه بذلك ، وواقف ابن الفرات الكتاب عليه ، وضعفت نفس نصر الحاجب وكانت السيدة تشد منه ، وتواصل خطاب المقتدر بالله في معناه ، واندفع^(٣) أمره إلى أن ورد الخبر في يوم الجمعة لثمان بقين من الحرم

(١) تجارب الأمم ٥ / ١١٨

(٢) يعرض بذلك إلى أن ابن الفرات هو الذي حبسه الخليفة وهو الذي يدبر ذلك . وفي تجارب الأمم : ليت شعري أذير على أمير المؤمنين لأنه أخذ أمواله وهتك حرمة أو قبض ضياعي أو حسني عشر سنين ؟ وفي ابن الأثير : لم أقتل أمير المؤمنين وقد رمى من التري إلى التري إنما يسعى في قتله من ضادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه .

(٣) الذي في تجارب الأمم وهو أوضح ٥ / ١١٩ واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر ماجرى على الحاجب .

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة بأن أبا^(١) طاهر بن أبي سعيد الجنابي أخذ الحاج بالهبيير وأسر
أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان وأحمد بن كشمرد ونحريرا العمري وأحمد بن بدر عم
السيدة وشفيعاً خادمها ولفلاً وجماعة من الحرم والخدم ، ومات الكثير من الناس
بالعطش والحفا والرُّجْلَة^(٢) فانقلبت بغداد في جانبها ، وخرجت النساء إلى الطرقات
مُسَوِّدَاتِ الوجوه مُنَشَّرَاتِ الشعور بصرخن ويلطُمنَ ، وانصرف إليهن حُرْمٌ من
نكبه وقتله ابنُ الفرات . فقَبَّحَتِ الحالُ قُبْحاً شديداً . وتقدم ابنُ الفرات^(٣) إلى
نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة لِزَمِّ^(٤) العامة ومنع الفتنة . وضعت نفسُ
ابن الفرات بهذه الحادثة ، وركب في آخر نهار يوم السبت إلى المقتدر بالله ، وشرح
له الصورة على ما أورده الزنجيُّ سابقُ الحاج ، واستدعى المقتدر بالله نصرأ الحاجب ،
وأدخله في الخطاب والمشاورة ، فانبسط لسان نصريِّ عليِّ ابنِ الفرات وقال : الساعة
تقول ما الرؤى بعد أن زعزعت أركانَ المملكة ، وأطمعت الأعداء بإبعاد مؤنسٍ
عن الحضرة ، ومن يدفع الآن هذا العدوَّ إن حاول بالسلطان أمراً ؟ وأشار على
المقتدر بالله بمكاتبة مؤنس واستقدامه ، فأمره بذلك .

فلما خرجا سأل ابنُ الفرات نصرأً ألا يكتب إلى مؤنس شيئاً إلا بعد نفوذ
كتابه ، فوعده بالتوقف وعداً لم يَفِ به . وأنفذ الرُّسُلَ من وقته ، وكتب إليه ابنُ
الفرات عن المقتدر بالله بالانكفاء^(٥) إلى الحضرة . ووثب العامة إلى ابنِ الفرات ،
ورجَّحوا طيَّاره بالأجر^(٦) ورجعوا ابنه المحسن وهو في موكبه على الظهر^(٧)

- (١) انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج، والمنظم ١٩٨/٦

(٢) الرحلة المشي على الأرجل .

(٣) تقدم إليه بكنا طلب إليه أن يفعله وأمره به

(٤) أي الكبح جاحهم كأنه يربطهم ويشدهم .

(٥) أي بالرجوع إلى دار الخلافة . (٦) الأجر : الطوب المحروق بالنار .

(٧) وهو راكب على جواد أو ما أشبهه .

وذكروها في الطرق والأسواق بالدعاء عليهما . وبرز ياقوتُ إلى مضاربه بباب الكُنَّاس للتوجه إلى الكوفة ، ومنَعَ القَرْمَطِيُّ منها إن حَدَّثَ نفسه بورودها . ثم وردت الكتب والأخبار بانصراف القرمطي إلى بلده بما أخذه من الأموال والأمتعة والأحمال والأسارى ، فرُدَّ ياقوت وكثر الإرجاف بابن الفرات وابنه الحسن . فكتب ^(١) إليهما المقتدر بالله رقة تتضمن التسكين منها ، واليمين على حسن اعتقاده فيهما ، وما هو عليه من الثقة بمواليتيهما والإحسان لخدمتهما ، وأمرهما بإظهارها لأهل الحضرة وإنفاذ نسخها إلى عمال المعاون والخراج .

وركب أبو الحسن وابنه الحسن إلى المقتدر بالله في يوم الأحد لثمانٍ بقين من صفر ، فأصلح ^(٢) بينهما وبين نصر الحاجب ، وأمرهم بالتضافر على ما فيه صلاح الدولة ، وورد هلال بن بدر برسالة مؤنسٍ إلى المقتدر بالله . فوَصَّلَ وأدَّأها وسمع جوابها ، وعاد به إلى مؤنس من غير أن يحضُر ابنُ الفرات ، ووافق دخول مؤنس في أول شهر ربيع الأول ، فخرج نصرُ الحاجبُ والأستاذون ووجوه القواد والغلمان لاستقباله .

ثم دخل يوم الأحد لسبع خلون منه . ثم بدأ بدار المقتدر من وقته ، وخدم وانصرف إلى داره ، فركب ابنُ ^(٣) الفرات إليه للسلام عليه ، ولم يفعل مثل ذلك أحدٌ من الوزراء قبله ، وأوْذِنَ مؤنسٌ به ، فخرج إلى باب داره واستعفاه من الصعود فلم يُعَفِّه ، وصعد وهنأه بمورده ، ونهض لينصرف ، فخرج مؤنس معه إلى أن نزل إلى طياره وقبَلَ يده ، وسأله العود إلى موضعه فقبل . وركب أبو العباس بن المقتدر بالله إليه أيضاً فخرج حافيا حتى نزل إلى طياره . وصار ابنُ الفرات وابنه الحسن

(٢) تجارب الأمم ١٢٢/٥

(١) تجارب الأمم ٢٤/٥

(٣) تجارب الأمم ١٢٢/٥

من غد وهو يوم الاثنين إلى دار المقتدر بالله ، ووصلا إليه وخاطباه بما أراداه وَوَلِيَا
للانصراف ، فعاد المحسن وحده وقال للمقتدر بالله : قد عرفت يا أمير المؤمنين ضيقَ
المال وكثرة النفقات ، وهاهنا وجوه ثلاثمائة ألف دينار تصحُّ في مدَّةٍ قريبة ، فإن
أذنت في استخراجها استُخْرِجَت . فقال : قد أذنت لك . وخرج فلحق أباه . فلما
أرادا ^(١) الخروج من الصحن التسعينيّ أقعدهما نصرُ الحاجب في مجلس بالقرب ،
وراسل الغلمانُ الحجريةَ المقتدرَ بالله في القبض عليهما على لسان مفلح الأسود ، فدخل
وأدى إليه ذلك . ثم قال له : إنَّ في صرف الوزير بقَوْلِ هذه الطائفة خطأً في التدبير
وإطماعا للغلمان . فأمره بأن يخرج ويقول لنصر حتى يصرفه ، ويقول للغلمان : إننا
نعمل فيما راسلتمونا به ما يجري الأمر فيه على محابِّكم . فلم يُقدِّم مفلحُ على الخروج
إلى نصرٍ بهذا الجواب ووقف عند الستر وقال : ينصرف الوزير .

فتكلم الغلمانُ كلاما كثيرا حتى أنفذ إليه مفلحٌ من وعدمه عن الخليفة بلوغَ
مرادهم ، فحينئذ أذن نصرٌ للوزير في الانصراف . فذكر بعض من كان معهما أنهما
لم يزالا يمشيان في الممرات مشيا سريعا حتى نزلا إلى طيارهما ، وقدا إلى دار الوزير
وصعدا . وسارَ المحسن أباه سِرًّا طويلا . ثم خرج ومضى إلى داره فجلس فيها ساعة
حتى نظر في أمره واستتر .

وجلس ابنُ القرات ينظر في الأعمال وبين يديه جماعة من كتابه . ثم قام
إلى دور حُرِّمه فأكل عندهم . وخرج وقت العصر فتشاغل بالوقوف على ما ورد ،
وأمر ونهى على رسمه من غير أن يبينَ فيه خوفٌ أو زوالٌ عن العادة ، وبات

تلك الليلة على هذه الجملة ، فحدث ^(١) بعض خواصه أنه سمعه في آخر الليل وهو في
مرقده يتمثل بهذا البيت :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدمه خير له أم وراؤه

وبكر من غد جلس لأصحاب المظالم . قال أبو القاسم ^(٢) بن زنجي : فبينما هو
في قراءة رفاعهم واستماع ظلامتهم إذ وردت عليه رقعة لطيفة محتومة ، لم أعلم في
الوقت ممن هي ، ثم عرفت أنها كانت من مفلح ، وتلتها رقعة أخرى من كاتب
مفلح ^(٣) ، فلما وقف عليها أمسك قليلاً ، ثم دعا أبا زكرياء يحيى الدقيق قهرمانه
فأسر إليه ما لأدرى ما هو ، فانصرف . وقال لأبي إسحاق المدبر : خذ قصص
المتظلمين واجمعها لتعرضها الليلة عليّ وأوقع فيها وتفرقها عليهم من غد .

ونهب من مجلسه إلى دور حرمة وتفرق الناس ولم يبعد أن وافى نازوك ومعه
سلاح ، ويده دُبُوس ^(٤) ، وتلاه يلبقُ على مثل هذه الصورة ، ومع كل واحد منهما
خمس عشرة غلاماً . فلما لم يروه هجموا على دار حرمة ، وأخرجوه حاسراً ، وأنزلوه في
طيّار ، وحمل إلى دار نازوك ، وقبض معه على الفضل والحسن ابنيه ، وعبد الله
بن جبير وسعيد بن إبراهيم التستري وأبي غانم سعيد بن محمد كاتب الحسن وابن هشام
وأبي الطيب الكلّوذاني .

ومضى ^(٥) نازوك ويلبِقُ إلى مؤنس فرفاه الخبر ، وقد خرج إلى باب الشماسية
للتزّه ، فالتحق معه هلال بن بدر ، وجماعة من القواد ، وسار يلبقُ إلى دار نازوك وأخرج

(١) تجارب الأمم ١٢٥/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر القبض على الوزير ابن الفرات .

(٢) تجارب الأمم ١٢٥/٥ .

(٣) في تجارب الأمم : من رجل يجري مجرى الجند - كان ملازماً لدار السلطان .

(٤) الدبوس : عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكرة .

(٥) تجارب الأمم ١٢٦/٥

ابن الفرات وابنيه وكتّابه إلى شاطىء دجلة . فلما شاهدهم العامة رجوم . وأنزل مؤنس ابن الفرات معه في طياره ، فأظهر السرور بحصوله في يده ، ورفع مؤنس وخاطبه بمجمل وعاتبه مع ذلك عتاباً كثيراً بحضرة الناس ، فتدلّل له وخاطبه بالأستاذية . فقال له : الآن تخاطبني بالأستاذية وبالأمس تخرجني إلى الرقة على النقي^(١) والمطر ينزل على رأسى ؟ ! وتقول لمولانا أمير المؤمنين إننى أسعى في فساد مملكته ؟

وانحدر به إلى دار السلطان وأصعد به إليها . وسلمّ ولده وكتّابه إلى نصر الحاجب . واجتمع^(٢) القواد إلى مؤنس ونصر وقالوا : إن اعتقل ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا بأسرنا إلى المصلى وشعبنا .

وزادوا في القول وأكثروا ، فاستدعى المقندر بالله مؤنساً ونصراً واستشارهما ، فأشارا بإخراج ابن الفرات من الدار وتسليمه إلى شفيح اللؤلؤى ليكون عنده ويسكن القواد إلى ذلك . فاستدعى شفيح وسلمّ إليه .

ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني في الوزارة ، على ما ذكرناه في أخباره^(٣) .

واتمى^(٤) الأمر في ابن الفرات إلى أن تقدم المقندر بالله بتسليمه إلى الخاقاني فتسلمه في يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وسلمّ معه الدقيق قهرمانه ، ورد الخاقاني مناظرة ابن الفرات إلى ابن بُعد شر^(٥) ، فأخذ من

(١) في الأصل على البقر . وفي تجارب الأمم ١٢٦/٥ تخرجني على سبيل النقي إلى الرقة والطنز يصب ، هذا وقد تكون الكلمة أيضاً معرفة عن النفر « بفتح فسكون » وهم الذين ينفرون معك

(٢) تجارب الأمم ١٢٧/٥ (٣) انظر أيضاً تجارب الأمم ١٢٧/٥

(٤) تجارب الأمم ١٢٧/٥ - ١٢٨

(٥) هو أبو العباس كاتب الخاقاني كما في تجارب الأمم ١٢٨/٥ .

ودائع أقرَّبها مائة وخمسين ألف دينار . ثم أوقع به مكروها كان سببا لتقاعده عن أداء شيء بعده . ومضى هارون بن غريب - وكان موكَّلاً به - إلى المقتدر بالله فقال له : إن ابن الفرات ممن لا يُدْعن بمال وينقاد إلى أداء بالقبيح ، وقد جنى الخاقانيُّ جنايةً كبيرةً بتسليمه إياه إلى ابن بعد شرِّ حتى خرَّق به ^(١) وعَسَفَه . فتقدم المقتدر بالله إلى الخاقانيُّ بأن يجعل مطالبة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب ، وكان ابنُ بعدِ شرٍّ قد ضيق على ابن الفرات في مطعمه ومشربه ، واقتصر به على خبز خُشكار ^(٢) وفناء وماء الهواء . فحمل إليه الخاقانيُّ طعاما واسعا جميلا وفاكهة وثلجا كثيرا ، واعتذر إليه مما جرى وحلف أنه لم يعلم به .

ثم راسله ^(٣) مع خاقان بن أحمد بن يحيى ومحمد بن سعيد حاجبه وقال له : الرأي أن تقرَّ بأموالك ولا تُتلاجَّ ^(٤) السلطان فتؤكد سوء رأيه فيك . فأجابه بما قال فيه : لستُ أيها الوزيرُ حَدَثًا تَحْدَعُنِي ، ولا غِرًّا فتحتالَ عليَّ ، وما أقولُ إنني ما أقدر على المال ، لكنني إن وثقتُ لنفسي بالسلامة والخلاص ، وأعطاني الخليفة أمانه بخطه ، وأشهد لي فيه الوزير والقضاة والغلمان . وسأمنني إما إلى مؤنس المظفر ، وإن كان عدوى ، أو إلى شفيع اللؤلؤي ، قرَّرتُ أمري وأعطيت مالي . فأما أن أكون على ما أنا عليه ويراد مني المال فذلك ما لا أفعله .

فأعاد الخاقانيُّ ^(٥) مراسلته : بأنني لو قدرت على التوثق لك توثقتُ ، ومتى قلتُ في هذا المعنى قولاً عاداني خواصُّ الدولة ولم تنتفع أنت ، وقد ردَّ أمير المؤمنين أمرَك إلى هارون بن غريب ، وهو قريبه وثقتُه . ولعمري إنه عدوك ، ولكن العدو ربما رقَّ في مثل هذه الصورة ، والصوابُ أن تُدارِيه وتلاطفه .

(١) خرَّق به : ارتكب معه أفعال الحق . وعَسَفَه : ظلمه .

(٢) الخبز الخشكار : هو غير النقي من زردته (٣) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

(٤) لاجه : تبادى معه في الخصومة (٥) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

وحضر هارون^(١) دار الخاقاني^(٢) واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بُعْدِ شَرِّ بمحضرتة . فلما خرج من القول إلى الإسماع^(٣) زبره هارون^(٤) وقال له : تريد أن تستخرج المال من ابن الفرات على هذا الوجه ! وأقبل على ابن الفرات وقال له : أنت أعرف بالأمور من أن تُعَرِّقَهَا^(٥) . والخلفاء لا يُبَلِّغُهُمْ كِتَابَهُمْ ووزراؤهم إذا سخطوا عليهم ، والرأى لك ، عَيْزٌ ما أنت فيه . فقال : أشر على أيها الوزير ، فإن الرأى عازِبٌ عنى^(٥) مع حصولي فيما أنا حاصل فيه . ولم يزل معه في مقابلة ومراوضة إلى أن أخذ خطه بألني ألف دينار يُعَجَّلُ منها الربع ، على أن يُحْتَسَبَ له من الربع بما صح من ودائمه بإقراره وغير إقراره منذ وقت القبض عليه ، ويُطْلَقَ في بيع ما يستبيع من ضياعه وأملاكه وينقل إلى دار شفيح اللؤلؤى أو غيره من ثقاتِ السلطان ، ويطلق أبو الطيب كاتبه ليتصرف له في أموره ، وتطلق له الدَّوَاةُ ليكتاب من يريد أن يكتبه ، ويؤذَنُ لمن يبتاع شيئاً من أملاكه في الوصول إليه .

وصار هارون بن غريب بالخط إلى المقدر بالله فعرضه عليه . واتفق أن وُجِدَ ابنه المحسن ليلة الجمعة الحادية عشرة من ربيع الأول ، فقبض عليه ، وُحْمِلَ إلى دار الوزارة بالمُحَرَّم . وكان^(٦) من شرح الحال في أخذه أنه لجأ في استتاره بعد القبض على أبيه إلى حماته حنزابة^(٧) والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، فكانت تحمله كل يوم بُكْرَةً إلى المقابر في زى النساء ، وتعيده إلى المواضع التي تثق بها ، ففضت به

(١) تجارب الأمم ٥/١٣٠

(٢) إلى الإسماع : إلى الكلام المكروه ، وفي تجارب الأمم : فبدأ ابن بعد شريسته المكروه

(٣) زبره : منعه ونهاه (٤) في تجارب الأمم : أنت أعرف بالأمور من كل من يخاطبك

(٥) عازب عنى : أى غائب .

(٦) ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن ، وتجارب الأمم ٥/١٣١

(٧) في ابن الأثير : حنزابة .

بكرة يوم الخميس على هذه السبيل إلى مقابر قریش ، فأمست مساء بعد عليها معه الوصول إلى دواخل الكرخ ، فوصفت لها امرأة كانت معها منزل امرأة تعرفها وتأمنا ، ولا زوج لها لأنه توفي قبل ذلك بسنة ، فحملته حنابة ومعه جماعة نساء إلى هذه المرأة التي ذكرت لها وهي غير عارفة بها ، ودخلت الدار وقالت : معي امرأة عاتق لم تزوج ^(١) وقد انصرفت من ماتم وضاق عليها الوقت ، وسألتها أن تُفرد لها موضعا . فأفردت لها بيتا في صفة ^(٢) ، وأدخلت الحسن إليه وردت الباب عليه ، وجلست النسوة معه في البيت ، ووافت جارية سوداء للقوم بسراج فتركتها في الصفة ، وجاءت حنابة إلى الحسن بسويق ^(٣) ليشربه وقد نزع ثيابه . وأطلعت الجارية السوداء فرأته من غير أن تشعر بها حنابته ، وعلمت أنه رجل ، فحدثت مولاتها بذلك ، فلما تصرم الليل قامت مولاتها إلى الموضع سرا حتى شاهدته .

وكان من سوء الاتفاق أن كانت المرأة زوجة محمد بن نصر وكيل أبي الحسن على بن عيسى على نفاقته ، وكان الحسن طلبه فحضر ودخل ديوانه ، ورأى ما يعامل الناس به من المكاره ، فمات فرعا من غير أن يكلمه الحسن أو يوقع به مكروها . فمضت المرأة في الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى نصر الحاجب ، وشرحت له الصورة . وأتهاها نصر إلى المقتدر بالله . فتقدم بالبعثة إلى نازوك بالركوب إلى الموضع والقبض عليه . فركب من وقته وكبسه وأخذه . وضربت الدبادب ليلا ^(٤) عند وصوله حتى ارتاع الناس لأصواتها ، وظنوا أن حادثا حدث

(١) المرأة العاتق : هي التي أول ما أدركت أو بين الإدراك والتعيس .

(٢) الصفة : بيت مسقوف بالجريد ونحوه .

(٣) السويق : من معانيه الحر . وفي تجارب الأمم : بسويق وسكر والسويق معناه أيضا

الذيق الناعم .

(٤) الدبادب : الطبول ، جمع دبداب سمي بذلك لصوته .

من جهة القرمطي . ووُجِدَ الحسنُ في زِيِّ امرأة ، وقد قصَّ لحيته ، وخضب يديه ورجليه ، ولبس قميصاً مُعَصَّراً . فأوقع به ابنُ بُعْدِ شَرِّ من وقته مكرها عظيماً ، وأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألفِ دينار ، يؤدى الربع منها معجلاً .

وحضر من غد هارون بن غريب ، وخاطبه على إظهار ماله ، فوعده بتذكُّر ودائعه والدلالة على مواضعها ، وناله مكره عظيم في يومين فلم يُدْعِنْ بدوهم واحد . وقال : لا أجمع بين ذهاب نفسى ومالى . وأعيدت مخاطبته ومطالبته بِمَخْضَرٍ من هارون بن غريب وشفيع اللؤلؤى . وجُدِّدَ المَكْرُوهُ عليه ، وقال له هارون : هبك لا تقدر على سبعمائة ألف دينار فما تقدر على مائة ألف دينار؟! قال : بلى إذا أمهلتُ وأزبل عنى المَكْرُوه . فقال له : نحن نُمهلك ونُرُقِّهك ، فاكتب خطك بأنك تؤدى مائة ألفِ دينار . فكتب وقال : فى مدة ثلاثين يوماً .

فلما قرأ ذلك هارون قال له : كأنك تريد أن تعيش ثلاثين يوماً : فخضع الحسن وقال : أفعل ما يأمر به الأمير . فقال له : اكتب أنك تؤديها فى سبعة أيام . فارتجع الرقعة ليكتب بدلاً منها ، فلما حصلت فى يده خرقها وأكلها . وضرب على رأسه وسأر جسده بالطبرزينات^(١) على أن يكتب غيرها فلم يكتب . فقيّد حينئذٍ وعُلِّقَ ، وألبس جبة صوف وجبة شعر ، وأعيد إلى مجلسه ، وعُدِّبَ بكل شيء ، فلم يُعطِ درهما واحداً . وتشاغل أبو القاسم الخاقانى بوفاة أبى عليِّ محمدٍ أبيه ، فوقف الأمر فى مطالبة ابن الفرات .

فلما كان^(٢) يوم الأربعاء لستِ بقين من شهر ربيع الأول حضر مؤنسٌ

(١) الطبرزينات : الفئوس وهى جمع طبرزين وكذلك فى معناها الطبر .

(٢) تجارب الأمم ٥/١٣٣ .

المظفر ونصره الحاجب الأستاذان^(١) والقضاة والكتاب في مجلس الوزير أبي القاسم الخاقاني وأحضر ابن الفرات ، وناظره الخاقاني ، فلم يكن من رجاله ، وكاد ابن الفرات أن يأكله . وكان من قوله له : أغلّت ضياعك في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار .

فقال : قد كانت الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين ، هي أيام وزارته وأيام نظره مع حامدٍ فما ارتفع له منها^(٢) أربعمئة ألف دينار . فإذا أغلّتها أنا في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار فقد ادّعي لي المعجز بذلك . فقال له : قد أضفت إلى حق الرقبة^(٣) حقوق بيت المال . فقال : ما يتمكّن أحد أن يستر ما في الدواوين ، فانظروا ارتفاع النواحي السلطانية في أيامي ، وارتفاعها في أيام علي بن عيسى وحامدٍ ووزارة أبيك التي دبرتها أنت ، فإن كان ارتفاع نقص في أيامي لزمتهنّ الحجة ، أو في أيامكم عرف أترى . ومع هذا فقد علم الخاص والعام ماجرى في وزارة أبيك من الشغب حتى أخرج أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة خمسمئة ألف دينار أنفقها في الجيش على يد شيع اللؤلؤي . وما فعله علي بن عيسى من إسقاط^(٤) الناس وحطهم من أرزاقهم ، وما فعلته أنا في نظري^(٥) من توفية الحاشية جميع استحقاقها مع زيادات تكلفتها وتممّلتها لأحبب أمير المؤمنين إلى خدمه وأولياء دولته .

وخوطب علي أمر من قتل من المصادرين ، فقال : ليس يخلو الأمر من أن

(١) في الأصل والأستاذان . وفي تجارب الأمم : حضر الأستاذ مؤنس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب .

(٢) في تجارب الأمم إلا أربعمئة ألف دينار .

(٣) الرقبة الحراسة والتحفظ أو هو المال الذي لا يورث عن أصل ويريد بهذا أنه أضاف أموال بيت المال إلى ماله . وفي تجارب الأمم : فقد أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك

(٤) يريد بإسقاط الناس أنه يحو أسماءهم من كشف الرواتب

(٥) يريد بنظره إشرافه

يقال إنى قتلتم فأنما مقيم بالحضرة ، والمدعى قتله بالبعد منها ، أو إنى كتبت بقتلهم
فعمال المعاون ثقات^(١) السلطان ، وعمال الخراج وجوه المتصرفين ، وقد حكمتهم
على نفسى فيما يقولونه . أو كانت الدعوى على المحسن ابنى فأنما غير ابنى . فقال له
ابنُ بُعدِ شر : إذا قتل ابنك فأنتَ قتلت . فقال ابنُ الفرات : هذا غير ما حكم الله
ورسوله به وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٢) وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لبعض أصحابه : « هذا ابنك . فقال نعم . فقال : إنه لا يجنني عليك
ولا تجنني عليه » ومع ذلك فإنه فى أيديكم فسواه فإن وجب عليه قود^(٣) بادعاء قتل
فى بلد نأى عنه^(٤) ، ويقال . إن غيره تولى القتل فيه ، فاحكموا بما ترون .

فتحير القوم فى الجواب . وقال عثمان^(٥) بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر
الحاجب : إن رأى الأستاذ أن يقول له : حيث كنت تقول لمن تطالبه : إن أدبت
والآ سلتك إلى المحسن . أ كنت تُسلمه ليسيقيه السويق والشكر أو ليعذب به ؟
ومن أطلق العذاب على الناس فقد أطلق إتلاف نفوسهم ، لأنه قد يتلف الإنسان
من مقرعة واحدة . فقال له نصر ذلك ، فقال له فى الجواب : الخليفة أطال الله بقاءه
ونى المحسن ، وهو ضمن له ماضمينه بواسطة مُفلح وغيره من ثقاته ، وأنا إذ ذاك
محبوس ، و كنت أحب الرفق بالناس فأناظرهم بالقول ، فإن أذعنوا وقار بوا قار بتهم
وقبلت عقوهم ، وإن امتنعوا سلمتهم إلى من أمر الخليفة أيده الله بتسليمهم إليه ،
فقال له مؤنس : كأنك تُحيل على الخليفة فى قتل الناس ! قد قال : إنه ما أمر

(١) فى تجارب الأمم : فعمال المعاون وثقات السلطان وعمال الخراج ووجوه المتصرفين

(٢) الأنعام ١٦٤ ، الإسراء ١٥ ، وناظر ١٨ ، والزمر ٧ .

(٣) القود : القصاص

(٤) فى تجارب الأمم : قود بادعاء قتل فى موضع ناء عنه يقال فيه إن غيره تولى قتله

(٥) تجارب الأمم ١٣٤/٥

بقتل أحد غير ابن الحواري فقط . ثم قال له : الخليفة أيده الله يقول : سَلَّمْتُ إِلَيْكَ قوماً بِمَالٍ ضَمَّنْتَهُ لِي ، فإِذَا وَفَّيْتَنِي الْمَالَ أوردَدْتِ عَلَيَّ الْقَوْمَ . فاضطرب ابن الفرات من هذا القول وقال : أما المال فصحَّ في بيت المال ، وأما الرجال فماتوا حتف أنفهم ، فقال له مؤنس : هب لك عذراً في كل شيء ، أي عذر لك في إخراجي إلى الرِّقَّة حتى كأني من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين ؟ قال : فأنا أخرجتك ؟ ! فقال : فمن ؟ قال : مولايك . في السَّفَطِ ^(١) الْخَيْرُ رَانَ - المَكْتُوبِ عَلَيْهِ بِخَطِّي : مَا يُحْتَفَظُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ - رِقْعَةٌ نُحِطُّ بِالْخَلِيفَةِ ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، إِلَىٰ يَشْكُو فِيهَا أفعالَكَ وَقَتاً بَعْدَ وَقْتٍ ، وَفَتَحْتَكَ الْبِلْدَانَ ثُمَّ إِغْلَاقَكَ إِيَّاهَا بِالتَّنْذِيرَاتِ الْقَبِيحَةِ ، وَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِكَ إِلَى الرِّقَّةِ وَالتَّوَكِيلِ بِكَ حَتَّى تَخْرُجَ .

فأنفذ الخاقاني وأحضر السَّفَطَ وعليه ختمُ ابنِ الفراتِ وفتحَه فوُجِدَتِ الرِقْعَةُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ عَلَى مَا حَكَى مِنْ مَضْمُونِهَا . فَأَخَذَهَا مُؤَنَسٌ وَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ حَتَّى أَقْرَأَهُ إِيَّاهَا ، فَاعْتَاطَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ عَلَى ابْنِ الْفِرَاتِ ، وَأَسْرَ هَارُونَ بْنَ غَزِيْبٍ بِضَرْبِهِ بِالسُّوْطِ ، فَعَادَ وَأَقَامَهُ بَيْنَ الْهَنْبَازِيْنَ ^(٢) وَضَرْبَهُ خَمْسَ دِرْهَمٍ ^(٣) وَقَالَ لَهُ : أَذْعِنُ يَا هَذَا بِالْمَالِ ، فَكَتَبَ لَهُ خَطَّهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وأخرج ^(٤) المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يُعْفِ ^(٥) بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال: هؤلاء قوم قد استقتلوا ^(٦) وما يبقادون ولا يدعون . فأمر بتسليمهما إلى تاروك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع

(١) السَّفَطُ وعاء كافئة أو الجوالق . أو هو ما يعا فيه الطيب وما أشبهه .

(٢) الهَنْبَازَانُ : حِجْرَانٌ . (٣) الدرر جمع درة وهي السوط .

(٤) تجارب الأمم ١٣٥/٥ .

(٥) أعفاه بجمته : وفاه إياه . وفي تجارب الأمم : لم يدعن بشيء .

(٦) استقتلوا : استسلموا للقتل وعرضوا أنفسهم له .

نازوك المكاره بالمحسن حتى تدوّد بدنه ولم يَبْقَ فيه فَضْلٌ لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاثَ دفعات بالقلوس^(١) فلم يُعْطِ شيئاً ، ولا صَحَّ للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعةِ آلاف دينار منها خمسةُ آلافٍ أقرَّ بها الحسن بن شبيب العتي تبرُّعاً ، وواجه المحسنَ بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذي كان والدي أسنده إلىَّ وتركت عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويُفَرَّق في أهله . ومنها ألفُ دينار اجتمعت من ثمن فرش وثيابٍ صِحَّاحٍ ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرَّت بها دنائيرُ ورهبان جاريتنا زوجة الحسن ، فإنهما كانتا ممن قبضَ عليهما وضربهما ابنُ بُعدٍ شرَّ ضرباً مبرِّحاً فلم تُقرَّا بغير ذلك . واستبطأ المقتدرُ بالله أبا القاسم الخلقاني وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتهما لي ؟ فقال : لم أترك تَدْيِيرَ أمرِهما^(٢) ، ولما رأيا أن قد سلَّما إلى أصحاب السيوف وعُدِلَ بهما عن الكتاب خافا القتل وضنَّ بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية ، وللمحسن أيام لم يطعمَ فيها طعاماً ، وإنما يشرب الماء شرباً قليلاً ، وهو في أكثر أوقاته مَعْشَى عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فليُحْصَلَا إلى داري . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخلقاني : قد وفق الله رأى أمير المؤمنين .

وخرجوا من بين يديه . فقال الخلقاني لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حُجِلَ وابنه إلى داره ورُفِّهًا وأَمِنَا على نفوسهما أدياً مالا كثيراً . ولعلمهم قد بذلوا عنهما ألفَ ألفِ دينارٍ وأكثر . وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نُقِلَ ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة

(١) القلوس : الحبال النليظة جمع قلس .

(٢) في تجارب الأمم : فقال : لأنه لم يترك والتدبير . يعني أنه لم يترك له تدبير الأمر معها .

خلموا الطاعة ، وأن يثبتوا على هذا القول ثبات التظاهر^(١) وقوة العزيمة ، وإلا فإن حصل ابنُ الفرات عند السلطان وأدى ماله وتوثق لنفسه ضمن الجماعة منه^(٢) ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم تفعله لم تسكن نفوسنا ولم يصف عيشنا . وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحجزية وموافقهم على ذلك . وقام يلبق باستحلاف قواد مؤنس .

فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقتدر بالله وقالوا : إن لم يُقتل ابنُ الفرات وابنه خلع الأولياء كلهم الطاعة . فقال لهم : دعوني حتى أفكر . وجدَّ هارون بن غريب خاصة . وأرادت الجماعة من الخاقاني التجريد في ذلك فقال : ما أدخل في دم . والذي أشرت به أن يُمنع من حمله إلى دار السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتل على الملوك ضروا عليه^(٣) ، ولم يميزوا فيه .

وقدَّم إلى^(٤) ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقت الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أفطر الليلة . واجتهد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول في غدٍ لا محالة . فقيل له : نعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيت البارحة في النوم أبا العباس أخي وقال لي : « أنت تفطر عندنا يوم الاثنين الذي هو غد . وما قال لي في النوم شيئاً إلا صح ، وغد يوم الاثنين ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن^(٥) صلوات الله عليه .

(١) التظاهر : هو التضافر والتعاون .

(٢) أى أنه تمهد أن يصادر من أموالهم قدر معلوما .

(٣) ضرى بالشئ : تعوده وأولع به . (٤) تجارب الأمم ١٣٧/٥ .

(٥) في تجارب الأمم : الحسين .

وانحدر الناس في يوم الاثنين إلى دار السلطان فلم يصلوا ، وكتب هؤلاء الرؤساء إلى المقتدر بالله رقعة بأنه إن تأخر قتلُ ابن الفرات وابنه عن يومهم جرى مالا يُتلافى . وأشاروا ^(١) إلى ما عَظَّموا الأمر فيه .

فوقع إلى نازوك بأن يركب إلى موضعها ويضرب أعناقهما ويحمل رأسيهما . فقال نازوك : هذا أمر لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر بالله الأستاذين الخدم بأداء رسالة عنه إليه في هذا المعنى ، فخرجوا وأدوها ، فامتنع وقال : لا بد من المشافهة بذلك ، فأمر بأن ينصرف ويعود على خلوة ، فمضى وعاد ، فأوصله المقتدر بالله حتى سمع قوله .

وكان ابن الفرات يُراعى الخبر ، فلما عرف انصراف الناس ونازوك سكن قليلا ثم قيل له : قد عاد نازوك . فخاف وأيقن بالهلاك ، وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم ، وجلس في الحجر التي كان ابن الفرات معتقلا فيها ، وأنفذ مجيبا خادمه - ومعه جماعة من السودان - حتى ضربَ عنقَ الحسن ابنه وجاء برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه ، فارتاع لذلك ارتياحا شديدا . وعرض ^(٢) هو على السيف . فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس إلا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين في أمرى فإننى أقرّ بأموالى وودائعى وعندى جوهر جليل . فقال له نازوك : جلّ الأمر عما تُقدّر . ثم أمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأسُ الحسن إلى دار السلطان مع مجيب خادمه فقرأ في الفرات وطرح جثتها في دجلة .

ومضى ابن الفرات عن إحدى وسبعين سنة وشهور ، والحسن عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت مدة وزارته الثالثة سنة واحدة .

(١) في الأصل : فأشاروا .

(٢) ابن الأثير حوادث ٣١٢ وتجارب الأمم ١٣٨/٥ .

وذكر أبو الطيب الكلوزاني كاتب ابن الفرات قال : رأيت في منامي وأنا في الاعتقال كأن مؤنسا المظفر قد دخل إلى موضعي وفي يديه عشرة خواتيم ، فصوصها ياقوت أحمر وواحد منها لطيف في النصر ، فقال لي : قد قُتِلَ ابنُ الفرات ووالله ما أردتُ قتله ، وإنما قيل لي فيه وأمسكتُ وسنقتلُ كلُّنا بالسيف ، وأولُّنا جعفرُ المقنن بالله ، ولا يسلم منا من السيف إلا نصرُ الحاجب فإنه يموت مسموما . قال : فسألته عن الخواتيم فقال : هي عدد سنِي وِلَايَتِي . قلت : فلم هذا الواحد الضغير ؟ فقال : إنه لا يُعَيِّمُ سنةً . فعاش مؤنسٌ بعد هذه الرؤيا دون عشر سنين وقُتِلَ بالسيف ،

قد مضت سياقة أمر ابن الفرات

ونحن تتبعه بما عرفناه من أخباره مشورا

حدث أبو الفتح عبد الله بن محمد المرزوي الكاتب قال :

حدثني بعض الشيوخ الكتاب أن أبا الحسن بن الفرات قال لأبي منصور ابن جبير كاتبه : أيتنا أكفى أنا أو علي بن عيسى ؟ فقال : الوزير أكفى وأضبط . قال : دعني من استعمال التَّقِيَّةِ وأسلك معي سبيل الحقيقة . قال : إن أردت أن تحبب ما عندي وتسير^(١) عقلي فأجعلني آمنا في قولي . قال له : أنت آمن قال : إذا حضر علي بن عيسى بين يدي خليفة فأراد أن يكتب سرا كتب وأسحى^(٢) وختم وخرط^(٣) ولم يحتج إلى معين ، وأنت تستدعي زنجيا يكتب ،

(١) سره . اختبره وجربه .

(٢) أسحى الكتاب : شده بسحاة ، وهي ما يشد به .

(٣) خرطه وضعه في الخريطة وهي وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه .

وللزنجي صاحب دواة فيقرأ^(١) فيخرج السرفيا بين ذلك . فقال له : فضلت علينا علينا . قال : لم أفضله ولكن يكون^(٢) كاتبك .

وقيل : إنه^(٣) لما خلِع على أبي الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع قيراط في كل مَن^(٤) ، وزاد سعر القراطيس لكثرة استعماله لهما ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحدٌ من داره في وقت عشاء إلا ومعه شمعةٌ منوَّية^(٥) ودرج^(٦) منصورى ، وأنه سُقي في داره في ذلك اليوم والليله أربعون ألف رطل ثلجا .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الشاهد قال : حدثني الكاتب النصراني الملقب بظُر أم الدنيا قال :

قال أبو الحسن بن الفرات : أصلُ أمور السلطان مخرقةٌ^(٧) فإذا تمت واستحكمت صارت سياسة .

وحدث أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال : حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عن حدثه أنه :

سمع أبا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سبي الرأي فيه :

(١) في الأصل ولزنجي صاحب دواة يقرأ .

(٢) كذا بالأصل ولعلها : انظر من يكون كاتبك . أو : ولكن تصون كاتبك .

(٣) انظر ابن الأثير ذكر قتل ابن الفرات وتجارب الأمم ١٢٠/٥ .

(٤) المن ١٨٠ مثقالا والقيراط جزء من أربعة وعشرين من الدينار أو جزء من عشرين منه .

(٥) الشمعة المنوية حوالى رطلين نسبة إلى المنا وهو مقدار رطلين .

(٦) قد يكون مرادا به ما يكتب فيه فيسكون فضبطه بفتح فسكون وقد يراد به الوعاء الصغير

يدخر فيه الأشياء فضبطه بضم فسكون .

(٧) المخرقة المحقق .

ويحك يا أبا جعفر ما قصة لك في رغيغ^(١)؟ قال: ما أعرف لي قصة فيه. قال لتصدقني فإنه خير لك. قال: نعم، إن أمي كانت امرأةً صالحه، وعودتني منذ يوم ولدت أن تجعل تحت رأسي عند نومي في كل ليلة رغيغاً فيه رطل، فإذا كان الصباح تصدقت به، فأنا أفعل ذلك إلى هذه الغاية. فقال ابن الفرات: ما سمعت بأعجب من هذه الحال. اعلم أنني من أقبح الناس رأياً فيك، وأشدهم انحرافاً عنك، لأمر أوجب ذلك، منها ومنها؛ وعدد بعضها. وكنت مفكراً منذ أيام في القبض عليك ومصادرتك. فإذا أويت إلى فراشي رأيت في منامي كأنني قد استدعيتك لأقبض عليك فتمتتع عليّ وتحاربي، وأتقدمُ بمحاربتك، فتخرجُ إلي من قد أمرته بمحاربتك ويبيدك رغيغ كالترس تدفع به السهام فلا تصيبك، وأنتبه، وإذا قد أخبرتني بأمر هذا الرغيغ فأشهد الله تعالى أنني قد وهبتُ كل ما في نفسي عليك، وعدتُ لك إلى أجل نية، وأحسن طويّة. فاسكن وانبسط. فأكب أبو جعفر على يديه ورجليه يقبلهما.

وحدث^(٢) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، في أيام عطلته وكبر سنه ولزومه بيته، قال: عرّضتُ عليّ أبي الحسن بن الفرات رقعةً في حاجة لي، فقرأها ثم وضعها بين يديه ولم يوقع فيها، فأخذتها وقت [و] أنا أقول متملاً من حيث^(٣) يسمع:

وإذا طلبتُ إلى كريم حاجةً فأبى فلا تفقد عليه بحاجب^(٤)

(١) انظر المنتظم ١٩٢/٦ والفرج بعد الشدة ١٥٩/١ طبعة الصناديقية ١٩٣٨.
(٢) القصة في المستطرف طبع بولاق ١٣٨/١ الباب الثمان والعشرون في اصطناع المروف وإغاثة اللهوف
(٣) في الأصل: لم يسمع. والتصويب من السياق والمستطرف.
(٤) الشعر في المستطرف كما ورد البيت الثاني في المنتحل ١٠٥ منسوباً لملك بن أسماء بن خازجة.

فَلرُبَّمَا مَنَعَ الْكَرِيمُ وَمَا بِهِ نَجَلٌ وَلَكِنْ شُوئِمَ جَدُّ الطَّالِبِ
فَقَالَ وَقَدْ سَمِعَ مَاقَلْتَهُ : ارجع يا أبا جعفر بغيرِ شُوئِمَ جَدِّ الطَّالِبِ ، ولكن إذا
سألتمونا الحاجة فعاودونا ، فإن الله تعالى يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ ، هاتِ رِغْمَتَكَ ، فَأَعْطَيْتَهُ إِيَّاهَا
فَوَقَعَ بِمَا أَرَدْتُ فِيهَا .

ولما طَهَّرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بَعْضَ وَلَدِهِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . أَنفَذَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ
ابن الفرات ثلاث موائد ، استدارةُ المائدةِ الكبيرة منها خمسون شِبراً ، يحملها حاملون
بِدُهُوقٍ ^(١) ، وَرِيمٍ أَنْ تُدْخَلَ مِنْ بَابِ الدَّارِ الَّتِي يَنْزِلُهَا ، فَضَاقَ عَنْهَا ، حَتَّى قُلِعَ
وَوُسِّعَ الْمَوْضِعُ . وَجُمِلَ إِلَيْهِ فِي عَشِيِّ هَذَا الْيَوْمِ تَحْتَانِ ، فِيهِمَا ثَوْبٌ وَشَيْءٌ مَنْسُوجٌ
بِالذَّهَبِ ، وَثَوْبٌ أَخْضَرٌ ، وَثَلَاثَةُ أَثْوَابٍ بِيضاً وَصِينِيَّةٌ ذَهَبٌ فِيهَا دَنَانِيرٌ وَلَوْزٌ وَجُوزٌ
وَفَسْتَقٌ وَبَنْدُقٌ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مِنَ الْأَصْنَافِ ، وَجَمِيعِهِ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقَدْرُهُ
خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل زنجي . قال : حدثني أبو صلح
مفلح الأسود خادم المقتدر بالله قال :

كان أبو القاسم سليمان ^(٢) بن الحسن عند تقاده وزارة المقتدر بالله يكثر ذكر أبي
الحسن علي بن محمد بن الفرات بحضرة المقتدر بالله والطمع عليه ، وتبين من المقتدر بالله
الشُّكْرَةَ لَمَا يَسْمَعُهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَسَنِ ذِكْرَ
ابن الفرات والوقية فيه ، فقال له المقتدر بالله :

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا أَلْيَمٍ مِنْ اللَّوْثِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
قال : فتأملت سليمان وقد امتقع لونه وما أعاد بعدها ذكره .

(١) الدهوق : الخشب يحمل عليه .

(٢) تقاد الوزارة أول مرة للمقتدر سنة ٣١٨ هـ بعد القبض على ابن مقله .

وحدث أبو علي زكريا بن يحيى الكاتب قال : كنت في ديوان السواد في
وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية في يوم الثلاثاء ، وكان أكثر الكتاب يُخلون
بالحضور فيه ، وأصحاب المجالس في مجلس الوزير أبي الحسن للمظالم ، فوافي فراتق^(١)
وقال لميمون الخازن : قال لك الوزير أحضرنى جماعة جازر والمدينة العتيقة لسنة
أربع ومائتين ، فأخذها وركب بغل الفراتق حتى لحق بالمجلس ، فلما انصرف ميمون
وأبو الحسين الصقر بن محمد وأبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني تحدّثوا أن
زكريا بن يحيى بن شاذان عرض خراجاً في أمر قطعة برّاز المباركة كان أبو القاسم
الكلوزاني أخرجه من مجلسه ، ووقع الكتاب أسماءهم عليه على الرسم في ذلك
الوقت ، وعليه توقيع أبي منصور عبد الله بن جبير صاحب مجلس الأصل . فقال
الوزير أبو الحسن : أصح ما في هذا الخرج من ذكر هذه القطعة سنة أربع ومائتين
وهي على حكّ ؟ لست أمضيه . فقال زكريا بن يحيى بن شاذان لأبي القاسم
الكلوزاني : أخرجه . فتأمل الكلوزاني ذكر السنة ، فوجد تحت اسم الضيعة :
هذه اللقطة على حكّ ، بخطّ دقيق^(٢) فقال : ما أعرف حكاً ، وهذا خط عبد الله
ابن جبير . فاعترف عبد الله بن جبير بخطّه وقال : لما وجدت الاسم على حكّ
حكيت^(٣) الصورة . وأقام أبو القاسم على أنه لاحكّ هناك ، وحلف بأيمان غليظة
لا يخرج له منها إلا بالطلاق والعناق وما شاكلهما على ذلك . فتقدم بإحضار ميمون
الخازن والجماعة ، فلما تصفّحها الوزير وجد الحكّ وواقف الكلوزاني عليه . فحجل
وتخيّر . وقتش الوزير التفصيل إلى أن انتهى إلى باب المبيع ، فكان حاصل برّاز
المباركة مما بيع مُصابرةً وأسبت إلى القطيعة . فعمل الوزير ومن حضر أن الحكّ في

(١) الفراتق ساعى البريد .

(٢) يعني أنه وجد كتابة بخط دقيق تنص على أن هذه اللقطة على حك .

(٣) حكيت الصورة . يعني أنه ذكر ما وجدته وأثبت أنها عكوكه ، ويرى الأستاذ ميخائيل عواد
أنها حككت الصورة .

الصدر على سبيل حيلةٍ ممن رَفَعَ ذِكْرَ الحِكِّ . وانصرف الكلوذانيُّ مسروراً ومن نُسب إليه الحِكُّ مغموماً . ووقع لابن شاذان بإمضاء القطيعة .

وحدث أبو منصور فرخانشاه بن إسحاق : أنه كان يوماً مع أبي الحسن على ابن الحسن بن هبتي القناني بحضرة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات وهو وزير في الدفعة الأخيرة ، فدخل إليه أبو بكر بن قرابة ، وجلس ودنا منه وسارّه بما لم نسمعه حتى نفّض أبو الحسن يده وأبعده وقال له جاهراً بالقول : أتقول لي : لا يُوحشك شيءٌ بلغك عن امرأة ؟ ! والله لو علمتُ أنتي إذا ذُكرتُ الملك الروم وبين يديه بطارقتُه ، وملك التُّركِ وحواليه عُدده لم ترتعد فرائصهما لما قعدت هذا المقعد ^(١) ! أتخوفني من كلام امرأة ؟ عنى بذلك السيدة أم المقتدر بالله . فلما خرجنا من حضرته أقبل عليّ أبو الحسن وقال لي : سمعتَ الكلام ؟ قلت : نعم . قال : هذا آخر عهد الوزير بالحياة . فما مضت مُديدةٌ حتى قبض عليه .

وقال أبو الفضل بن حمد : دخل أبو الحسن عليّ بن محمد بن نصر بن بسّام عليّ أبي عليّ بن مقلّة إلى ديوان الدار في وزارة أبي الحسن بن الفرات الأولى . فقال له أبو عليّ : قال لي الوزيرُ : قد تغيّر شعْرُ عليّ بن محمد . فأخذ قلماً من دَوَاتِهِ وكتب في رقعة شيئاً ، ودفعها إليه ، وسأله أن يعرضها عليّ ابن الفرات وكان فيها :

قالوا تغيّر شعْرُه عن حاله فالسوقُ كاسِدةٌ بغيرِ تجارِ
أما الهجاءُ فقد عرّاني كثرَةً والمدحُ قلَّ لِقلةِ الأحرارِ

وحدث أبو القاسم قريب بن قريب قال : رفع الفراجة ^(٢) إلى أبي الحسن

(١) هكذا في الأصل ، وامل صراب الجملة : لم ترتعد فرائصي ولو قعدت هذا المقعد .

(٢) الفراجة : هم السعاة وناقوا الرسائل .

ابن الفرات : أن رجلا من اليهود ادّعى أن معه كتابا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بإخراج الكتاب ، فلما قرأه قال : هذا مزور ، لأن خَيْرَ افْتُتِحَتْ بعد تاريخ كتابك بسبعة وستين يوما ، ولكننا نَحْتَمِلُ عنك جزيتك إعظاماً لحقِّ مَنْ لَحَاتَ بالاعتصام به . قال أبو القاسم قريب : فرُجِعَ إلى كُتُبِ التاريخ فوجد الأمر كما ذكره ابن الفرات .

وقال أبو الحسن بن الفرات في مجلسه وفيه خواصه وقد جرى ذِكْرُ السَّوَادِ : لم سُمِّيَ السَّوَادُ سواداً ؟ فذكر كلُّ واحد ما عنده . فقال : ليس كذلك ، إنما سُمِّيَ السَّوَادُ لأن العرب لما جاءت في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشرفت عليه ، ونظرت إلى مثل الليل من النخل والشجر والزرع والمياه قالت : ما هذا السواد ؟ فسُمِّيَ سواداً لذلك . والعرب تقول : سَوَادُ الأَرْضِ وبياضها ، فالسوادُ : العامرُ . والبياضُ العامرُ (١) .

وحدث أبو عمر بن الأَطْرُوش قال : كنت بحضرة أبي الحسن على بن الفرات يوماً وهو جالس للقواد ، فعرضَ أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر بن الخياط رِقَاعاً كثيرةً ، فوقعَ فيها ، حتى بلغ إلى بعضها فقرأها ووضعها بين يديه ، فعاوده أحمدُ فيها ، فقال : يا هذا ، إن كان بيني وبين علي بن عيسى ما يعرفه الناسُ فإنني لأدع الصدقَ عنه وقولَ الحقِّ فيه حيّاً كان أو ميتاً . عليُّ بنُ عيسى لا يُطْلَقُ يَدَهُ بمثل هذه التوقيعات في أموال السلطان ، ولا يَتَجَوَّرُ ، مع المألوف منه في الاستقصاء والاحتياط وتجنُّب ما يعيبه . وقد أمسكتُ عن أن أقول هذا القول حتى أحوجتني إليه .

وأومى إلى أن التوقيع مُزَوَّرٌ . فحجل ابن الخياط وقام .

والمُجمع بين أبي الحسن بن القرات وحامد بن العباس وعلي بن عيسى في دار السلطان ، وعلي بن عيسى كالمسكة^(١) المحمّاة على ابن القرات ، لأنه قرر في نفس المقتدر بالله مكاتبته الجنائبي^(٢) وحمّاه الألفاظ^(٣) إليه ، بدأ ابن القرات فقال لعلي بن عيسى : يا أبا الحسن ، بعد السنّ والوزارة والرئاسة والاستشهاد في الأطراف بالكفاية وعلوّ المنزلة صرّت عوناً لهذا ! - يعني حامدا - قال علي بن عيسى : فكنتُ كمنار صُبَّ عليها الماء فما ناطقته بحرف . فقال له أبو القاسم بن الحواري - وكان يحطّب في^(٤) جبل حامد - : وأيُّ عيب في هذا ؟ الجماعة خدَم السلطان يتصرفون على ما رآه لهم وأمرهم به ، ومنازلهم في الخصوص عنده غير منقوصة ولا محطوطة . فقال ابن القرات لحامد لما أمسك علي بن عيسى : أيها الوزير ، متى رأيت وزيراً صَمِنَ النواحي ، وخرج يطوف على العَلّات ، ووَكَلَّ خِدْمَةَ الخليفة وعِلْمَ سِرِّه وتدييرَ العامّةِ والخاصةِ إلى ضده ، اللهم إلا أن يكون اشتاق إلى وطنه وداره ؟ - يُعرّض بأنّ له مالا مستورا يريد مراعاته - فتحبّر حامد وأمسك . فلما أمسكوا قال ابن القرات : لأىّ شيءُ جُمعنا . فقال حامد : لتبينَ للسلطان خياناتك . فبسم وقال : فَبَيِّنْ - بارك الله عليك - فإن كفايتك^(٥) حسنة . قال : كنت ترهّفق^(٦) من العمال . قال : أنت أحدُ عمّالي فإن كنت ارتفعتُ منك أو ساحتك بفضلٍ في يدك أو حقّ ترك لك فاذا كر ما يجب عليك ردّه ليلزمني أرش^(٧) الجناية في المساحة به والخيانة فيه .

(١) السكة : الحديدية التي يشق بها الأرض .

(٢) الجنابي : هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي .

(٣) الألفاظ : الهدايا جمع لطف .

(٤) يقال حطّب في جبل فلان : يراد به أنه أعانه ونصره .

(٥) في الأصل : كفايتك .

(٦) يعني أنه كان يأخذ منهم أموالا على سبيل الإهداء رشوة له .

(٧) الأرش : الدية .

فأخذ حامد في السفه والشتمة وابن الفرات مُطْرِقًا يتبسم . وأمر القوم
بالانصراف ، فخرج عليُّ بنُ عيسى وهو يقول : ما كان أغنانا عن هذا الاجتماع .
فحدث مؤنس بن عبدالكريم قال : قال لي الحسن بن علي بن الفرات :
كاتبْتُ أبي وهو محبوس وأشرت عليه بأن يضمن حامدا وعلى بن عيسى وأسبابهما
فامتنع ، وقد كان المقتدر بالله يعرض ذلك عليه فيأبى . وقال لرسولي : العافية أعفى
لي ، قد استرحتُ وأمنتُ وعلتُ سني مع ذلك ، وتعرضي لما قد استرحتُ منه
جهلٌ . فلما خاطبه ابنُ الحواري بما خاطبه به أحفظه ^(١) فضمن القوم علي أن
لا يعارض فيهم ، وخرج ففعل الحسنُ ابنه الأفاعيل المشهورة ، وقتل ابن
الحواري وغيره . فلما قبض عليه قام في نفسه أنه مقتول وقال لشفيع وقد تسلمه :
قل لأمير المؤمنين : إن آمنتني وحميتني أعطيتك مالا كثيرا وجوهرا خطيرا وأشياء
نفسية ذخرتها ، وإن سلمتني إليهم لم أعطك والله حبه واحدة . فلم يورد شفيع
هذه الرسالة على المقتدر ، لشيء كان في نفسه على ابن الفرات . فلما أمر بتسليمه
إلى ابن بُعد شري قال لشفيع : يا أبا الغصن ، ليس بيننا إلا عبور دجلة والوفاء بأحد
الضمانين . فوفا بما قال ، ولم يمطهم شيئا .

وكان المكتفي بالله أمر العباس بن الحسن أن يُجرّد جيشا إلى الحاج ، فإذا
انصرفوا وحصلوا بالكوفة طلب حينئذ زكرويه ^(٢) . فقال له العباس : إلى رجوع
الحاج ربما يكنى الله مؤثنته . وجلس العباس في داره وعنده وجوه الكتاب
والقواد ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا ، وإني أشرت بترك طلب

(١) أحفظه : أغضبه .

(٢) لعله هو يحيى بن زكرويه القرمطي كما في المنتظم ٦/٣٨ ، ٤٣ فإنه هو الذي كان في أيام
المكتفي الذي تولى الخلافة سنة ٢٨٩ وقد قتل الصربون يحيى بن زكرويه على باب دمشق في سنة ٢٩٠ .

زكرويه ، فإن الله سيريح منه قبل وقتِ الحاج . فماترون ؟ فَكُلُّ صَوَّبَ رأيه ، وأبو الحسن بنُ الفرات ساكتٌ لا ينطق . فقال له العباسُ : ما عندك يا أبا الحسن . قال : أَلَّا تُخَالِفَ أميرَ المؤمنين ، فإن ما رأى صواب كان توفيقاً ، وخطأً كان على رأيه دون رأيك ^(١) .

فأقام على رأيه الأول وكان من الوقعة بالحاج ما كان ^(٢) .

وكان الحسين بن حمدان ورد إلى باب الشَّامِسيَّة ليدخل إلى حضرة المقنن بالله ، فوقف أبو الحسن بنُ الفرات على أنهم يُريدون القتكَ به . فكتب إليه مبتدئاً : قرأتُ كتابك تذكُرُ عِلَّتكَ بالنَّقرِس ، وانلِمْعُ تُوَافِكَ بمكانك . ففهم المعنى وتعالل ، فوجَّه إليه بانلِمْعِ وولى ديارَ ربيعةَ وغيرها .

وقال أبو بكر بن قرابة : سُكِّيَ إلى أبي الحسن بن الفرات عاملٌ قَطْرَبِلُ وإغضاله عمَلَ البرنذات ^(٣) . فَوَقَّعَ إليه : ينبغي أن تراعى العمل قبل الوقت للوقت ، وفي الوقت للوقت .

قال : وسمعتَه يقول : العامل في أوَّلِ سنةٍ أعمى ، وفي الثانية أعور ، وفي الثالثة بصير .

قال : وجاراني يوماً ذِكَّرَ أبي عليُّ بن مقلة وسعَّيته به ، فقال لي : سبيلُ كلِّ عاقل أن يتحاشى هذا الرجلَ ولا يَقْبَلَهُ ، فقد كان جرى مثل أمره في أيام

(١) يريد أنه إن كان أصاب في رأيه فذلك توفيق من الله وإن كان خطأ فهذا رأى الخليفة دون رأى العباس .

(٢) انظر أمر الوقعة في كتب التاريخ حوادث ٢٩٤ والمنتظم ٥٩/٦ .

(٣) البرنذات : الجسور .

إسماعيل بن بُلْبُل ، وذلك أنه كثرت شكوى المعتمد إلى أخيه الموفق من إسماعيل ، فأراد الموفق أن يقضى حقه بصرف إسماعيل إلى أن يسكن ما في نفس المعتمد ، فقال له : أخرج إلى ضياعك بكوني وأقم فيها مدة شهرٍ معتزلاً للعمل ، ثم عدت بعد ذلك . وقلد مكانه الحسن بن مخلد . فاستخلف الحسن أبو نوح ، وكان أبو نوح يكتب إسماعيل بن بلبل بأخبار الحسن ، فلما عاد إسماعيل إلى الوزارة حضره أبو نوح ، وجعل يخاطبه مخاطبة مانوس به . وإسماعيل يلوى وجهه عنه . فلما خلا به أقبل عليه وقال له : إن الحال التي قدرتها قربتك مني هي التي فررتني منك ومنعتني الثقة إليك ^(١) ، لأنك إذا لم تصلح لمن اصطعك ورفعك وقلدك من العمل أكثر مما قلدتك لم تصلح لي ، وما أحب كونك بحضرتي ولا اختلاطك بخاصتي . فاختر بريد ناحية تشاكل طبعك .
فاختار بريد ماء البصرة ، فقلده إياه .

وقال أبو الحسن بن قراية : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول لكاتبٍ يُجْحِج وقد سأله تضييمته الصدقات بفارس : إنما يُرْغَب في عقد الضمان على تاجرٍ مَلِيٍّ ^(٢) ، أو عاملٍ وِفِيٍّ ، أو تانِيٍّ ^(٣) غنيٍّ . فأما أصحابُ الحروب فَعَقْدُ الضمان عليهم ومطالبتهم بالخروج من أموالها تستدعي منهم العصيان ، وخلع طاعة السلطان .

قال : وسمعتَه يقول : من وازن من الكُتَّابِ الحاسِبة ، وأوصَحَ الحِجَّةِ في المكاتبة ، وأزَمَ العاملَ الواجبَ في المعاملة ، كان حقيقاً بما انتسب إليه .

(١) المعروف أنه وثق به . ولكنه ضمنها معنى الركون : أي الركون إليك .

(٢) الملى : المقندر النقي .

(٣) في الأصل تان . ويجوز أنها خفت همزتها ، والتانيء : المقيم بالسكان .

قال : وسمعت يقول : العِمَارَةُ بالرَّغْبَةِ ، وَحِفْظُ الغَلَّةِ بالرَّهْبَةِ . فَقَلَّ اسْتِخْرَاجُ (١)
وَقَعَ فِي أَيَّامِ عِمَارَةِ إِلاَّ أَبْطَلَهَا . وَقَدْ كَانَ عبيد الله بن يحيى يكتب إلى العُمَالِ فِي أَيَّامِ
العِمَارَةِ : أَغْلِقُوا أَبْوَابَ دَوَابِنِ الخِرَاجِ ، وَاصْرِفُوا المِستَخْرِجِينَ مِنْ حَضْرَتِكُمْ .

قال : وسمعت هشام بن عبد الله يقول : كتب أبو الحسن بن القرات إلى نُجُوحٍ
— وَقَدْ أَنْفَذَ أَبَا جَعْفَرٍ حَمْدَ بْنِ إِسْحَاقَ المَادِرَائِيَّ مُتَقَلِّدًا للخِرَاجِ بَدَارًا بِمُجَرِّدٍ ، مِنْ عَمَلِهِ :
السيف تابع والقلم متبوع ، وَقَلَّ سيفُ غلبِ القلمِ إِلاَّ كَانَ دَاعِيَةَ الخِرَابِ .

ولما قدم عبيد الله بن سليمان من الجبل في أيام المعتض بالله رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ صار
إليه أبو العباس وأبو الحسن ابنا القرات في عَشِيِّ يَوْمٍ ، فوجداه يُمَيِّزُ أَعْمَالًا وَكُتُبًا ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَانُونَ عَظِيمٌ يَحْرِقُ مَا لا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ ، فَدَفَعَ إِلَى أَبِي العَبَّاسِ إِضْبَارَةَ ضَخْمَةً
وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا العَبَّاسِ هَذِهِ الإِضْبَارَةُ وَقَائِعٌ وَسَعَايَاتُ بَكَ وَبِأَخِيكَ مِنْ أَسْبَابِكَا
وَتَقَاتِكَا وَصَنَائِعِكَا وَرَدْتُ عَلَى الجَبَلِ ، فَخَبَأْتُمَا لَكَ لِتَعْرِفَ بِهَا مَنْ يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَرِسَ
مِنْهُ ، وَتُعَامَلَ كُلٌّ وَاحِدٌ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

فَأَكْثَرَ أَبُو العَبَّاسِ فِي شُكْرِهِ وَالدُّعَاءِ لَهُ ، وَبَدَأَ أَبُو الحَسَنِ يَقْرَأُ شَيْئًا مِنْ
الإِضْبَارَةِ ، فَاتَّهَرَهُ أَبُو العَبَّاسِ وَقَالَ : لِاتَّقِرْ شَيْئًا مِنْهَا . وَأَخَذَهَا فَطَرَحَهَا فِي الكَانُونِ
وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقَابِلَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَى ما وَهَبَهُ لِي مِنْ تَفَضُّلِ الوَازِرِ بِمَا يُوجِبُ
الإِسَاءَةَ إِلَى أَحَدٍ ، وَلا حَاجَةَ لِي إِلَى قِرَاءَةِ ما يُوحِشُنِي مِنْ أَسْبَابِي ، وَيَجْرُؤُ عَلَيْهِمُ
إِسَاءَةٌ مِنِّي .

فلما نهضنا قال عبيد الله بن سليمان : أَرَدْتُ التَّفَرُّدَ بِمَكْرُمَةِ فسَبَقَنِي أَبُو العَبَّاسِ
إِلَيْهَا وَزَادَ عَلَيَّ فِيهَا .

قال وحدثني ابن الأجرى صاحب ابن القرات قال : كنت لا أكاد أحضر

مجلس الوزير أبي الحسن إلا ليلاً ، فحضرت يوماً نهاراً لأمر سألتني ابن أبي البغل ، فوجدت عنده الحسن ابنه ، فلم أخاطبه بشيء خوفاً من بواده وشره ، حتى نهضت وخلا المجلس ، فقلت له : ابن أبي البغل يعلم محلي من الوزير ، وصار إلى البارحة ليلاً فقال لي : لم أجد من آمنه على نفسي غيرك ، وقد قصدتُك لتستأذن لي الوزير في الخروج إلى عبّادان لأقيم بها وألبس الصوف وآمن على نفسي . قال : وإذا الحسن قد عاد ، فأمسك أبو الحسن حتى قام ، ثم قال : قد عرفتُ ذنبه إلا أنه قد لزمك ذمّاهُ ^(١) ، ومن لزمك ذمّاهُ التزمناه ، لأنك واحد منا ، وغير منفصل عنا ، فلا تُعلمن بهذا أحداً ، وهذا صكٌّ على ابن فلانة بثلاثة آلاف درهم فيجعلها نفقته . قال : فأخذت الصكَّ وخطّه بالإذن له ، وعدت إلى الدار فوجدت ابن أبي البغل قد صعد السطح ، وألقى نفسه في خربة تجاوزنا ومضى . فعدت إلى الوزير وحدثته بالصورة ، فأخذ الصكَّ وأمر بطلبه وقال : والله لو قتل أولادى جميعاً ثم دخل دارك لكان ذلك أماناً له وحقناً لدمه .

وحكى أن ابن الفرات اجتاز يوماً في بعض الطرق ، فاتفق أن سار تحت ميزاب ^(٢) ، فوقع عليه منه ما لوث ثيابه وسرجه ودابته ، فوقف في الطريق ، وأنفذ إلى داره من يُحضّره خلعاً ثيابٍ أخرى ، فراه رجل عطّار كان في الموضع ، فقام إليه ، وسأله أن يدخل إلى منزله ويقيم فيه إلى أن يعود الرسول بالثياب . ففعل وأقام عنده ، وخلع ما كان عليه ، وتنظف بالماء مما كان أصابه ، وأحضره الغلام الثياب فلبسها ، ثم سأله العطّار أن يأذن له في إحضار بخور يدبّجُ به ، فأذن له ، وركب أبو الحسن . ومضت الأيام ، فلما ولي الوزارة كانت حال العطّار قد اختلفت

(٢) الميزاب : القناة يجري فيها الماء .

(١) التمام : الحرمة والمحق

وَرَزَحَتْ^(١) ، فقالت له زوجته : لومضيت إلى الوزير وتعرفت إليه بخدمتك كانت له^(٢) لرجوت أن ينظر في أمرك نظراً لتغير به حالك . فأعرض عن قولها واستبعد الأمل مما ذكرته ، ثم أثلت عليه في القول ، فمضى ودخل دار أبي الحسن وتعرض له إلى أن رآه فأمسك وانصرف ، فعرف زوجته ماجرى ، فأشارت عليه بالعود ، فعاد ومعه رقعة يستميح^(٣) فيها ، ولم يزل حتى وجد فرصة منه فعرضها عليه ، فلما وقف عليها قال : سل حاجة تفض لك ، واتفق أن صار إليه من خاطبه في أمر كاتب العيال^(٤) كان محبوساً ، وسأله مسألة الوزير إطلاقه ، وضمن له خمسة آلاف دينار في خاصه ، وللوزير عشرين ألف دينار على يده^(٥) ، وللحواشي خمسة آلاف دينار ، وواقفته على تعديل^(٦) المال عند بعض التجار بالكركخ . فلما توثق منه قصد الوزير ومعه رقعة بالصورة ، فأمره بحمل المال ليطلق له الرجل ، فحمل المال ، فلما حصل في الدار منعه بعض الخدم من إدخاله إلى الخزانة إلى أن يؤذن في قبضه . وعرف الوزير أمره ، فتقدم إلى العطار أن يفرق ما للحاشية عليهم ويأخذ جميع الباقي لنفسه . وأمر بإطلاق كاتب العيال ، فاستعظم العطار ذلك وملاً قلبه ، ورأى قدره يصغر عن مثله ، فقال للوزير : يقنعني من هذا كله ألف دينار أعير بها حالي . وأجعلها رأس مالي ، فقال له : خذ الجميع عافاك الله ولا تكثير على في الخطاب . فخرج من حضرته وصار إلى أبي أحمد الحسن ، وعرفه الحال ، وأنه يقنعه اليسير مما أعطيه ، وأومى إلى حمل الباقي إليه ،

(١) يريد بقوله رزحت أنها ضفت جداً كما يروح الجمل بأن يسهط وياصق بالأرض ولا يستطيع النهوض هزلاً وتعباً وقد تكون الكلمة : رزح « بتشديد الزاي يقال رزح الرجل ترزيحاً » إذا ضف وذهب ما بيده .

(٢) أي بخدمتك التي كانت له (٣) يستميحه : يسأله النطاء

(٤) هكذا هي في الأصل ولعلها محرنة عن العيال

(٥) يده : معروفه . وقد يكون المراد أن يؤدي هذا التوسط بنفسه العشرين الألف دينار إلى الوزير .

(٦) يقصد بتعديل المال أن يقيمه ويضعه عند بعض التجار .

فقال له أبو أحمد: يا أمر لك الوزير بشيء وأصابعك عليه! خذ المال وانصرف.

ولأبي الحسن بن الفرات:

حَلِيْلِيْ قَدْ أَمْسَيْتُ حَيْرَانَ مُوجِعًا وَقَدْ بَانَ شَرِيْحٌ^(١) لِلشَّبَابِ فَوَدَّعَا
وَلَا بَدَّ أَنْ أُعْطِيَ اللِّدَاذَةَ حَقَّهَا وَإِنْ شَابَ رَأْسِيْ فِي الْهَوَى وَتَصَلَّمَا
إِذَا كُنْتُ لِلْأَعْمَالِ غَيْرَ مُضَيِّعٍ فَمَا حَقُّ نَفْسِيْ أَنْ أَكُونَ مُضَيِّعَا
وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ بِنَ مَقَالَةٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بِنَ الْفَرَاتِ يَقُولُ دَفَعَاتٍ:
مَا بَخَلْتُ بَشِيْرًا قَطُّ إِلَّا نَدِمْتُ عَلَى بُخْلِيْ بِهِ.

ولابن بسام في أبي العباس أحمد وأبي الحسن عليّ أبنَي الفرات:

لِي أَحْمَدَانِ لِدُنْيَايَ^(٢) وَآخِرَتِيْ وَلِي عِلْيَانِ فَانظُرْ مِنْ أَعْدَدِيْ لِي
مِنْ خَاتِمِ الْمَلِكِ أَضْحَى وَسَطِ خَنْصَرِهِ وَمِنْ عَلَا كَتْفِيْهِ خَاتِمُ الرُّسُلِ
فَلِلشِّفَاعَةِ حَسْبِيْ أَحْمَدٌ وَعَلِيٌّ^(٣) وَلِلْمَعِيشَةِ حَسْبِيْ أَحْمَدٌ وَعَلِيٌّ^(٤)
مِنْهُمْ يَأْتِنِينَ مَا حَاوَلْتُ يَسْهَلُ لِي كَمَا يَأْتِنِينَ إِنْ قَصَّرْتُ يُفْعَلُ لِي
تَشَبَّثْتُ رَاحَتِيْ مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةٍ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالتَّائِمِلِ وَالْوَجَلِ
وَلَهُ أَيْضًا فِي هِجَاؤِهِمْ:

يَارِبَّ إِنَّكَ عَدُوٌّ عَلَى الْبَرِيَّةِ شَاهِدُ
بَنُو الْفَرَاتِ ثِقَالٌ وَكُلُّهُمْ لَكَ جَاوِدُ
ثَلَاثَةٌ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا ثَقِيلٌ وَبَارِدُ
يَارِبَّ إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ ثَقِيلٍ فَوَاحِدُ

ولعبد الله بن المعتز إلى أبي العباس بن الفرات:

(١) شرح الشباب أوله وريبهاته
(٢) يصح أن تعد أيضاً فيقال دنياي .
(٣) أحمد وعلي هما سيدنا محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب .
(٤) أحمد وعلي هما ابنا الفرات .

يادهرُ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى رَأَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَاتْرُكْهُ لِي
 قَدْ كَانَ لِي ذَا مَشْرَبٍ طَيِّبٍ حِينَ فَشِيبَ الْآنَ بِالْحَنْظَلِ
 عَيْنٌ أَصَابَتْ وَدَّهَ لَارَأَتْ وَجْهَ حَيْبٍ - أَبَدًا - مُقْبِلِ
 إِنْ كَانَ يَرْضَى لِي بِذَا أَحْمَدَ فَلَيْسَ يَرْضَى لِي بِهَذَا عَلِيٍّ

وللبحتري في أبي العباس :

كُرمٌ أَنْجَزَ الْمَوَاعِيِدَ حَتَّى رَدَّ فِيهَا نَسِيئَةَ (١) الْوَعْدِ نَقْدًا
 كَلِمًا قُلْتُ أَعْتَقَ الْمَدْحُ رِقِّي رَجَعْتَنِي لَهُ أَيَادِيهِ عَبْدًا

وحدث (٢) أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت : أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات يحدث قال : كان النهيكي العامل قد لازم أبا القاسم عبيد الله بن سليمان في نكته ، فلما ولي الوزارة قلبه بأدروبا ، وكان يتقلدها حلة العمال . ولقد سمعت أبا العباس أخى يقول : من استقل ببادوريا استقل بديوان الخراج ، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة ، وذلك لأن معاملاتها مختلفة وقصبتها الحضرة (٣) ، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقواد والكتّاب والأشراف ووجوه الناس ، فإذا ضبط اختلاف المعاملات ، واستوفى على هذه الطبقات صلح للأمر الكبار . قال أبو الحسن بن الفرات : فأقام النهيكي في عمالة بادوريا نحو سنتين ، تقلد فيها عبد الرحمن بن محمد بن يزداد ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ديوان الخراج في أيام عبيد الله بن سليمان ، فلما أطلقت أنا وأبو العباس أخى من الاعتقال ، وتقلد أخى ديوان الخراج والضياح ، وخلفته عليهما . عاملنا النهيكي ، فكنا إذا كاتبناه برقع الحساب لم يجبنا ، وإذا خاطبناه بشيء في أمر العمل لم تحفل بنا ، إدلالاً

(٢) نشوار المحاضرة ١٦/٨ .

(١) النسيئة : التأخير .

(٣) في نشوار المحاضرة : وأنها عرصة الملائكة .

بمكانه من الوزير وعفته ، وكان عفيفا ، فلما طال ذلك منا ومنه شكونا إلى الوزير ، فوكل به من لازمه حتى رفع حساب له مدة سنين ، وتشاغلنا بعمل مؤامرة ، فلم أجد عليه كبير تأوّل . وحضرنا بين يدي الوزير لمناظرته ، وقد كنتُ صَدَرْتُ أوّل باب من المؤامرة بأنه فصل تفصيلاً لثمن الغلّة المبيعة جُمَلته على موجب التفصيل أكثر من الجملة التي أوردتها بألف دينار ، فقال : أَتَدَّبَعُ . فتتبع إلى أن صحَّ البابُ . فقال : وماذا يكون ؟ هذا غلطٌ من الكاتب في الجملة . فبدأتُ أكلّمه . فأسكتني أخى ، وأقبل على الوزير فقال : أيها الوزير ، صدق . هذا غلط في الحساب ، فالدينير في كيس من حصّلت ؟ فقال الوزير : صدق أبو العباس ، والله لا وليت عملاً يالِص . ثم أتبعْتُ هذا البابَ بباب آخر ، وهو ما رفعه ناقصاً عمّا كتب به من كليل غلّة عند قسمتها ، فلما توجهتُ عليه الحجة قال : أريد كتابي بعينه ، فبدأتُ أكلّمه ، فأسكتني أخى وقال : هذا أيها الوزير طعنٌ على ديوانك ، ونسخُ الكتب الواردة والنافذة شاهدٌ عدل . فقال : صدق يا عدو الله . وأمر بجره فجرّ . وما برحنا حتى أخذنا خطّه بثلاثة عشر ألف دينار فأهلكناه بها ، وما عمِلَ كبيرٌ عمَلٍ بعدها .

وحدث^(١) أبو الحسين قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : ناظرت الجهظ أحدَ العمال على مؤامرة قد عملناها له ، وكنت أنا وأخى نأخذ خطّه بباب باب ، فلما كثُر ذلك قال لى سِرّاً : ليس العملُ في الخطّ ، العملُ في الأداء ، وستعلمون أنكم لا تحضون منى على شيء ، فسمعتُه أنا وسمعه الوزير أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان ، لأننا كنا في مجلسه ، فقال له : أَعِدْ ما قلت . فاضطرب . فقال : لا بدّ أن تُعيده . فأعاده . فقال : إِذَنْ لا تلى لى والله عملاً أيدا ،

قم عافاك الله إلى منزلك . خَرَّقَ ياغلامُ المؤامرة . فَخَرَّقَتْ في الحال ، وانصرف
الجهظُ ، وما صَرَفَهُ الوزير بعد ذلك . وشاع حديثه فتحاماه الناس كلُّهم ، وهلك
جوعاً في منزله حتى بلغني أنه احتاج إلى الصدقة .

وحدث ^(١) أبو الحسين قال : حدثني سليمان بن الحسن بن مخلد قال : قال
لي ناقدُ خادمِ أبي وثيقته وكان يتولى نفقته : ما رأيت أجسرَ من مولاي على أخذ
مال السلطان ، ومن ذلك أتى باكرته يوماً وقد لبس سوادَه لمِصَى إلى دار المعتضد
على الله ، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأزيمة والتوقيع وبيت المال ، فقلت له :
قد صَكَّكَ على ^(٢) البارحةَ للمعاملين بألف وستمئة دينار ، وما عندي منها
حبة واحدة . فقال لي : يا بغيض ، تُخاطبني الساعة ! أين كُنْتَ عن خطابي
البارحةَ لأوجه وجهاً ما لها ^(٣) ؟ ولكن اتبعني إلى دار السلطان . فتبعته ، ودخل
إلى المعتمد مع الوزير عبيد الله بن يحيى ، ودخل معهما أحمد بن صالح بن شيرزاد
صاحب ديوان الخراج . فلما خرج قال : امض إلى صاحب بيت المال فخذُ منه
ما يدفعه إليك . فظننته قد استسلف شيئاً على رِزْقِهِ ، ومضيت إليه ، فأعطاني
ثلاثين ألف دينار ، فاستكثرت ذلك ، وعلمت أنه ليس من الرزق ، وحمَلْتُها
إلى الدار وعَرَفْتَهُ خبرها . فقال لي : أَطَلِقُ منها ^(٤) ما وَقَعْتُ به إليك ، واحفظ
الباقى ، فليس يَتَّفِقَ في كُلِّ وقتٍ مثلُ ما اتَّفَقَ . ومضى للحديث أياماً ، ودعا
دعوة فيها صاعد بن مخلد - وإليه إذ ذاك عدَّةُ دواوين - وجماعةٌ من الكُتَّابِ ،
فأكلوا وناموا واتهبوا ، فإذا كاتب من كُتَّابِ أحمد بن صالح بن شيرزاد يستأذن

(١) نشوار المحاضرة ٢٢/٨

(٢) صك عليه صكا : كتب عليه كتاب الإقرار بالمال وغير ذلك .

(٣) في الأصل : لأوجه وجه ملهم . وفي نشوار المحاضرة : لأوجه لها وجهها .

(٤) في نشوار المحاضرة : أتفق .

على مولاي ، فأذن له ، وقام إلى مجلس واستدعاه إليه ، فسمعتة يقول له : أخوك أبو بكر يقرأ عليك السلام - يعني أحمد بن صالح - ويقول : أنت تعرف رُسمى مع صاحب بيت المال ، وأنَّ محاسبته في سائر الأموال إلى ، وإذا تمت ثلاثون يوماً وجَّهتُ حاجبي إلى الخازن لحمله مع صاحب بيت المال إلى ديواني لينتظم دستورُ الختمة بحضرتي ، ونحن في ذلك منذ عشرة أيام ، حتى تكاملت الختمة ولم يبق إلا ثلاثون ألف دينار ، ذكرَ صاحب بيت المال أنَّكَ خرَّجتَ إليه من حضرة الخليفة وأمرته بحملها إلى خادمك ناقد ، ولست أدري في أي جهة صُرفت ولا ما الحجَّة فيها . فأجابه مولاي بغير توقف وقال : أخي أبو بكر والله رقيق ، أسألُ أنا الخليفة في أي شيء صرفَ ما استدعاه إلى حضرته ؟ يجب أن يُكتب في الختمة : وما حمل إلى حضرة أمير المؤمنين في يوم كذا وكذا ثلاثون ألف دينار . قال : فقام الكاتب خجلاً ومرَّ ذلك في الحساب على هذا ، وما تَنبَّه عليه أحد :

قال أبو الحسين ^(٢) وقال لي سليمان بعقب هذه الحكاية : وما رأيت لهذه القصة شبيهاً إلا ما فعله أبو الحسن بن الفرات في وزارته الأولى ، فإنه نصَّب يوسف ابن فنحاس ^(١) ، وهارون بن عمران الجهمي ، فلم يدع مالا لابن المعز والعباس ابن الحسن ومن نكَب وقُتل في الفتنة ، وما صحَّ من مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم إلا أجزاه على أيديهما دون يدَي صاحبي بيت مال الخاصة والعامة ، وأفرد ابن فرجونه كاتبه بمحاسبتهما والاستيفاء عليهما ، فكان يحاسبهما ولا يرفع إلى الدواوين شيئاً من حسابهما . فلما كان في السنة التي قبض عليه فيها كتب

(١) نشوار المحاضرة ٢٣/٨ .

(٢) في المطبوع : فيجاس أو بنحاس . والتصويب من نشوار المحاضرة .

كتاباً عن نفسه إلى مؤسس صاحب بيت المال ذكر فيه أنه حوسب يوسف ابن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من كيت وكيت - حتى استغرق الوجوه - وكان الباقي قبليهما بعد الذي حُجِل إلى حضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وصُرف في مُهِمَّاتٍ أمر بها هو والسادة أيدهم الله ، من الورق ألف ألف وأربعمائة وسبعون ألفاً وخمسمائة وستة وأربعون درهماً . وأمره بقبض ذلك منهما وإيراده بيت المال الخاصة ، فقبضه مؤنس منها ، ومضى الأصل كله لا يُعرَف في أي شيء صُرف ، وكان مبلغه فيما ظنَّه الكتاب - وكانوا يتعاودونه ^(١) - نحو ألف ألف دينار . وفاز ابن الفرات بالمال ، ولم يُقَمَّ به حُجَّةٌ عليه .

قال أبو الحسين ^(٢) : فحدثني أبي بعد ذلك قال : لما قلّدي أبو الحسن على ابن عيسى في وزارته الأولى ديوان الدار الجامع للدواوين ، أمرني بإحضار هذين الجهيزين ومطالبتهما بختماهما لِمَا كان حصل في أيديهما أيام وزارة ابن الفرات الأولى من الجهات المقدم ذكرها . فاستدعيتهما وطالبتهما ، فأحالا على أن ابن الفرات أخذ حسابهما ، وأعلمتُ عليّ بن عيسى بذلك ، فأمرني بحبسهما وتهديدهما ، ففعلت . وأحضرتني حساباً مُسَوِّداً لم يكن منتظماً ولا مُتَسِقاً ، ولم أزل أُلطِّفُ بهما حتى أقرّا بأنهما وصل إليهما من فضل الصَّرفِ مما ورد على أيديهما وأنفقاها مائة ألف درهم ، وقورزتُ ^(٣) عليهما عشرة آلاف دينار ، وأخذت

(١) كذا في الأصل ونشوار المحاضرة ولعل منها ما أنهم يراجع بعضهم بعضاً في ذلك ويسائل كل منهما الآخر عنه مرة بعد مرة .

(٢) نشوار المحاضرة ٢٤/٨ .

(٣) في نشوار المحاضرة : فطعتها عشرة آلاف دينار .

خطهما بيها ، فلم يقنع أبو الحسن عليُّ بن عيسى بذلك ، وأخذها من يدي ، وسلمهما إلى حمد بن محمد ، وكان إليه ديوان المغرب ، وأمره بأن يتبع أمرهما بنفسه ، من غير أن يُعرفه ما أخذتُ خطهما به ، فنظر حمد في ذلك ، ولم يجد في الحساب إلا إحالات علي : حُجِل إلى الخليفة والسادة ، وشيء انصرف في خاص نفقات ابن الفرات . فقال له حمد : هذا مال مسروق والقوم معهم حجة بالابراء وما عليهم طريق . وقد كان ابن الفرات أجلد من أن يدعهم يفوزون بحجة من المال .

قال ^(١) أبو الحسين : قال أبي : فردها الوزير أبو الحسن إلى وقال : اجتهد في الزامهما مائتي ألف درهم . فقلت : لا يمكن ذلك . فقال : اعمل على أنك طالبتهما بمرفق ^(٢) لنفسك يكون تنمة المائتين . فقلت : إذا فعلتُ هذا فأى شيء يحصل لي ؟ قال خذ منهما ^(٣) عشرين ألف درهم وأزمهما مائة وثمانين . فخرجت وجددتُ بهما حتى أزمتهما ذلك ، وأخذتُ لنفسى ما أعطانيه . فلما فرغتُ أخذتُ لهما خطه بالبراءة . فقال لي أبو الحسن عليُّ بن عيسى : سأرسبك موضعي أنا من العمل ، فإن للرئيس في كل أمر موضعا لا يقوم فيه أحد مقامه . فأحضرهما إلى حضرته وأنا بين يديه وقال لهما : تريدان مني أن أزيل عنكما تبعه إن لم أزلها بقيتُ عليكما وعلى ورتكما أبداً ، ولست أفعل ذلك إلا بعروضٍ قريب لا ضرر فيه عليكما ، وهو أنتي أحتاج في مُستَهَل كل شهر إلى مال أطلقه في ستة أيام ، منه للرجال ما مبلغه ثلاثون ألف درهم ^(٤) . وربما لم يتَّجه لي في أول يوم من الشهر ولا في ثانيه ، وأريد أن تُقرضاني في أول كل شهر مائة وخمسين ألف درهم ، وترجعانها من مال الأهواز في مدة أيامه ^(٥) ؛ فإن جهتد ^(٦) الأهواز إليكما ، ويكون هذا المال سلفاً واقفاً لكما أبداً .

(١) نشوار المحاضرة ٢٥/٨

(٢) المرفق : ما انتفعت به

(٣) في الأصل : يحصل لي مال خدمتهما والتصويب من نشوار المحاضرة

(٤) في نشوار المحاضرة : دينار

(٥) في نشوار المحاضرة : في مدة الشهر

(٦) الجهتد : الناقد العارف بتميز الجيد من الردي . ويراد من الجهتد هنا مهنة الصراف

وأضيف إلى هذا المالِ الوظيفة^(١) التي على حامد وتَرَدُّ في كل شهر وهو عشرون ألف دينار فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأول^(٢).

فتأبياً ساعةً ، ولم يفارقهما حتى استجابا . فقال لي عليّ بن عيسى : كيف رأيت^(٣) ؟ قلت : ومن يفي بهذا غير الوزير ؟ قال : وكان عليّ بن عيسى إذا حلّ المال وليس له وجه استسلف من التجار - على سفايح وردت من الأطراف لم تحلّ^(٤) - عشرة آلاف دينار بربح دائقٍ ونصف فضة في كل دينار ، يلزمه في كل شهر ألفان وخمسمائة درهم أرباحاً^(٥) ، فلم يزل هذا الرسمُ جارياً على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامها مدة ست عشرة سنة .

وحدث^(٦) أبو الحسين علي بن هشام قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الحسن ابن الفرات قال : دخل عليّ المقتدر بالله يوماً وأنا في حَبْسِهِ ، والوزير إذ ذاك حامدُ ابن العباس فقال لي : أتعرف الحسن بن محمد الكرخي ؟ قلت : نعم . قال : أيُّ إنسان هو ؟ قلت : عامل ، وله محلٌّ من الصناعة ، وهو من صنّاعى ووجوه عمّالى ، وقد تقلّد لعبيد الله بن سليمان قبلي ، وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي ، ومن بيتٍ معروف . فقال : قد كتب إليّ يَحْتَبُ الزارة ويضمنُ حامدا وعليّ بن عيسى . فقلت له : ولا كُلتَ هذا يا أمير المؤمنين . وإنما أطمعه فيما طلبه بلوغ حامد من مثله ما بلغه^(٧) . ولعمري إن الأمر قد وهن بحامد ، وإن هذا الرجل أجودُ حساباً

(١) الوظيفة يراد بها . ايقرو عليه .

(٢) في نشوار المحاضرة : النسط الأول من النوبة فيخف عنى ثقل ثقيل

(٣) في الأصل : كيف وأنت . والتصويب من نشوار المحاضرة .

(٤) أي لم يحن ميعاد دفعها .

(٥) وجه ذلك أنه يستسلف بربح مقداره درهم عن كل أربعة دنانير ، إذ أن الدرهم = ٦ دوانق . والدينار بربحه دائق ونصف قسمة عشرة آف على أربعة = ألفين وخمسمائة درهم

(٦) نشوار المحاضرة : ٦٣/٨ .

(٧) في نشوار المحاضرة : وإنما طمع في الأمر لا رأى حامدا قد تقلد الوزارة ولعمري إنها قد انقضت بتقلده وطمع فيها كل أحد .

وأعفُ لساناً وأشدُّ وقاراً منه ، وليس لأنه فوق حامد ترشَّح لهذه المنزلة . ولا لأن الغلَط وقع في أمر حامدٍ وجبَ أن يُسَلَّك في مثل هذه الطريقة ، وعلى أنه قد غلِطَ في تقديره أنه يَصْلُح لِصِرْفِ حامد - لأن حامداً قديماً الرئاسة في العِمالة ^(١) وله حالٌ عظيمة ، ونعمة كبيرة ، ومروءة ظاهرة وهيبةٌ معروفة ، وسِنٌّ في ذلك وقُدِّمةٌ ^(٢) ، وكان نشأ بعيداً عن الحضرة ، فلم تُسْتَشَفْ أخلاقه وأعماله إلا بعد الوزارة ، وفيه سعة صدرٍ وسخاءٌ نفسٍ يُعْطِيَان كثيراً من معانيه ، وترأى الأمر في يده ويدِ عليِّ بن عيسى أولى - فإن هذا لا يقارب عليَّ بن عيسى ، ولا يلحق أحدٌ كتابه ، وإني لأقول الحق فيها على عداوتهما لي .

فأضربَ المقتدر بالله عن الحسن بن محمد ثم تمَّ التدييرُ لأبي الحسن بن الفرات ، وصرِفَ حامدٌ ووَزَرَ ^(٣) ، فحين جاءه الحسن بن محمد ، وتذكَّر ما أجرى بينه وبين المقتدر بالله في بابِه هابِه وتصوَّر بُعْدَ هِمَّتِه وَتَقَلُّبَ رَأْيِ المقتدر بالله من حال إلى حال ، فأحبَّ إبعاده ، فقلَّده الموصل وأعمالها ، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد ، فانتفع الحسن بما حصل في نفس ابن الفرات .

قال ^(٤) أبو الحسين : فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات ، وهو يعمل ، وأنا مع أبي ، والمجلس حافل ، إذ قرأ كتاباً ورد من صاحب البريد بالموصل يذكر أن أبا أحمد الحسن هذا قد قَسَطَ ^(٥) في الأعمال ، ومدَّ يده إلى المال ، وزاد في إظهار المروءة ، وركب بالبلود ^(٦) الطاهريَّة ، وبين يديه عدَّة حُجَّاب ، وخلفه جماعة

(١) العِمالة : حرفة العامل . وفي نشوار المحاضرة : المال .

(٢) القُدِّمة : السابقة في الأمر . (٣) أي وتولى ابن الفرات الوزارة .

(٤) نشوار المحاضرة ٦٤/٨ .

(٥) قسط : جار . وفي نشوار المحاضرة بسط .

(٦) اللبود جمع لبد وهو ما يوضع على الفرس . واللبود الطاهرية لعابها نسبة إلى طاهر بن الحسين وأنها كانت في مظهر رائع .

غلمان ، حتى أنه يسير بينهم في موكب . وأنه وصل معه من البغال والجمال والزواريق التي تحمل أثقاله شيء كثير ، وهذا إنفاق وتوسع لا يقتضيه الرزق ^(١) وإنما هو من الأصول . فرمى بالكتاب إلى أبي القاسم زنجي ، وكان إذ ذاك حَدَثًا يَحْتَطُّ بِمُضْرْتِهِ . وقال له : وقع عليه : يُجَابُ بأنه نَفَعَ الرَّجُلَ من حيث أراد الإضرار به ، لأنه إذا كان في مثل هذا الصقع عامل ذو وجهة وتَجَمَّلِ ومروءة صَلَحَ أن يتقلد للسلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكروا من عملها حالا ^(٢) .

ثم أقبل على من في مجلسه وقال : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان أن النوشجاني صاحب البريد رفع إلى المعتضد بالله بأن الأخبار شائعة ببغداد بأن حامد ابن العباس لما دخل فارس متقلداً لها كان معه مائتان وخمسون بغلا ، عليها رَحْلُهُ وَأَثْقَالُهُ ، ومعه عدد كثير من الغلمان والحاشية وَسَلَّمَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بالله كتاب النوشجاني بذلك ، فقرأته وتتحيرت ، وخفت أن يكون قد أنكره وقدّر أن حامدا قد اجتاح المال واصطلمه ^(٣) ، وقال لي : يا أبا القاسم - وقد كان كَنَاءً - قرأت هذا الكتاب ؟ قلت : نعم . قال : قد سرني ما قد ظهر من تَجَمَّلِ حامد ومروءته و [ما] قام بذلك في نفوس الرعية من هيئته ، فكم رزقه ؟ فقلت . ألفان وخمسة دینار في كل شهر . قال : اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مؤونته .

ثم قال ^(٤) أبو الحسن بن الفرات عَقِيبَ هذه الحكاية : وقد فعل المعتضد بالله قريبا من هذا مع أبي العباس أحمد بن بسطام ، فإن المعتضد طالبه بالعجز في

(١) الرزق يريد به هنا ما يقرر له من أجر معلوم . وفي نشوار المحاضرة : وإن هذا مالا يجتمه رزقه وإنما هو من الأصل .

(٢) في نشوار المحاضرة : صلح أن يبادر به السلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكروا على عملها أمراً لأن هذه النواحي لا تصلح إلا لمن كان حسن التجميل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل ...

(٣) اصطلمه : استأصله

(٤) نشوار المحاضرة ٦٥/٨ .

ضمانه واسطاً وجسه في دار ابن طاهر ، وقرر عليه سبعين ألف دينار يؤديها ، وكان يُصحِّحها^(١) على جميل^(٢) وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويفتضون المال فنكتب النوشجاني
قبل المعتضد بالله . فنكتب النوشجاني : فيه بأنه كان يفرق في أيام ولايته عشرين كراماً^(٣) حنطة في كل شهر على حاشيته والفقراء والمساكين والمستورين من أهل معرفته ، وأنه فرق ذلك في هذا الشهر على عادته . ودافع بأداء ما عليه من موافقته^(٤) ودخل عبيد الله بن سليمان على المعتضد فأقرأه^(٥) الرقعة وقال : قد سررتي فعل ابن بسطام وقيامه بمروءته ومعروفه وجملاً بأن لم يظهر أننا أئزمناه ما أجحف به ، وأحوجه إلى تغيير رسمه^(٦) فيما كان يُطلقه ويبرئ به ، فكم بقي عليه ؟ قلت : بضعة عشر ألف دينار . فقال : اتركها عليه وارزده إلى عمله ، وعرفه إجمادي ما كان منه . ففعل عبيد الله ذلك .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يحدث قال : لما طال حبسي عقيب الوزارة الثانية تبينت أن المقتدر بالله لا يُفرج^(٧) عن ابن الحواري . وإن علم أنه من أكبر أعدائي . ولا يُجيبني إلى تسليمه إلى في جملة خصوصي ، فتلقت لإفساد رأيه بأن راسلت المقتدر بالله قبل أن يُطلقني بأربعة أشهر وعرفته أن أولادي في إضاعة وفاقة ، وسألته إطلاق مائة وخمسين ألف درهم لي ، أحل

(١) يصحها : يصلح حسابها .

(٢) في نشوار المحاضرة : على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويفتضون المال فنكتب النوشجاني

(٣) السكر : مكبال قيل إنه أربعون أردبا .

(٤) في نشوار المحاضرة : وهو مع ذلك يحاطل بأداء ما عليه .

(٥) في نشوار المحاضرة : فأراه .

(٦) في الأصل : وحننا بأن لم يظهر أننا أئزمناه ما أجحف به ، والوجه إلى تغيير رسمه وفي نشوار المحاضرة : وقد حملنا بما قد فعله حين لم يظهر أن ما قد أئزمناه أحوجه إلى الزوال عن عادته في المروف .

(٧) يريد أنه لا يتركه لي . من قولهم أفرج القوم عن السكان : انكشفوا عنه وتركوه .

إلى كل واحد الثلث منها لإصلاح أمره والقيام بمؤوته ، وأردّ العوض عنها بعد شهر من ثمن أمتعةٍ قد بقيت عند قومٍ من أصحابِ وداعى . فقال : هذا قدر يقبُح أن تمنعه إياه مع كثير ما أخذناه من ماله ، احمِلُوا إليه ذلك ، فحمِل إلى . وراست السيدة وطلبت منها خمسين ألف درهم ، فكانت تلك سبيلها ^(١) ، وجمعت الجميع ودفعته إلى أم كلثوم قهرمانتى ، وأمرتها أن تبتاعَ به دنانيرَ جُددًا حسانا وتجئتنى بها . ففعلت . وكانت من عادة القنطرة بالله إذا صام يوم الخميس أن يدخل إلى الحجره التى أنا محبوسٌ فيها ، يقعد عندى ويحدثنى من وقت العصر إلى وقت المغرب . فلما كان يوم الخميس قبْلَ وقت حضوره صَبَّبتُ الدنانيرَ بين يديّ ، فدخل وقال : ماهذا يا أبا الحسن ؟ فقلت : أما يرى مولانا أمير المؤمنين كثرة هذه الدنانير ، وحُسْنها ؟ قال : بلى ، فكم مبلغها ؟ قلت : سبعة عشر ألف دينار . قال : ولأى شيء هى بين يديك ؟ قلت . اقترضت ذلك المالَ من أمير المؤمنين ومن السيدة وزيدان ، وصرفته فيما أردتُ صرْفَه فيه ، واستدعيت ما كان لى مُودَعًا من أمتعة وصياغاتٍ ممّن هو عنده ، فأنفذه إلى لِمَا ظهر لهم من تفضّل مولانا علىّ ، وزال بذلك طمَعهم فىّ ، وبعته وحصلتُ ثمنه هذا لأرُدّه على من اقترضته منه . فقال : ما أقبح هذا ! أترانا نبخل عليك بما ألقناه لك مع ما أخذناه منك مما رأينا تعويضك عنه وردّك إلى أفضل ما كانت منزلتك عندنا عليه ؟ فتبسّمتُ . فقال : مم تبسّمك ؟ قلت : والله يا أمير المؤمنين ما طلبتُ المالَ لحاجةٍ إليه فإن فى بقيّةِ حالى ما يُعنى عنه ، وإنما أردته لأصْرِفه بالدنانير ، وأضعه بحضرتك ، فتشاهده وتعلم أن ابنَ الحواري الخائن يرتزقُ من مالك فى كلِّ شهرٍ مثلَ مبلغه ، ويقطع مع ذلك كذا ، ويأخذ كذا .

(١) أى أنها أمرت بحملها إليه كما فعل القنطرة .

وذكرت معايبه ومساوئه . قال : فرأيتَه قد استعظم الحال ، وكثر في عينه المال ، ولم ينهض من مجلسه حتى وعدني بتسليم ابن الحواري إلىّ ولم يقبل هو ولا السيدة ولا القهرمانه عوضاً ما أعطونه إلا بعد جهدٍ وسؤال .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : كنا على مائدة أبي العباس أحمد بن عبيد الله الخصبى^(١) في وزارته ، فجزى ذكرُ عليّ بن عيسى وابن الفرات فقال : كان ابنُ الفرات نافذاً في عمل الخراج وتديير البلاد وجباية المال وافتتاح الأطراف ، وأليق من عليّ ابن عيسى في سياسة الملك . وكان عليّ بنُ عيسى كثير التدبّر شديد التّصوّن عفيفاً عن المال ، وله مذهب في الترشل لا يلحقه فيه أحدٌ ولا ابنُ الفرات . والتفت إلى أبي عبد الله زنجي وكان حاضراً فقال له : ما عندك في هذا يا أبا عبد الله ؟ فقام قائماً وقال : من عادتني أيها الوزيرُ إذا صحبت وزيراً أن أخصي محاسنه وأذكرها ، فأما مساوئها فلا أخطرها مني بالاً ، ولا أجرى بها لساناً ، وعلى ذلك فإن أذن الوزيرُ في الجواب قلت ما عندي . قال : قل . فقال : كانت يد أبي الحسن بن الفرات تحونه لفَسَادِ خطّه ، وكان يَمَعْلُ النسخَ بأجزل كلامٍ وأحسنه ، ويُخْرِجُهَا إلى فأجررها ، والبارحة كنتُ أميرُ شيناً فرمتُ بي ثلاثُ نسخٍ بخطّه ، إن أمرَ الوزيرُ بإحضارها ليتبينَ له موقعه من الترشلِ أحضرتها . فقال : افعل . وأنفذ غلامه ليحضرها ، وتشاغلنا بالأكل . فلما انقضى ونهض الوزيرُ وغسل يده ونام ، جلس زنجي في مجلسه من الدار على انتظار النسخ حتى حملت إليه فقرأتها ، ولم أرلُ أكرّر النظرَ فيها . وكانت إحداها نسخة كتابٍ منه إلى مؤنسٍ في أمر عليّ بن عيسى وهي :

آثارُ عليّ بن عيسى - أعزك الله - فيما تولاه من الأعمال ، وجرى على يده

(١) ولي الوزارة المقدر في سنة ٣١٢ بعد صرف أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخفافي الذي تولى الوزارة بعد القبض على ابن الفرات بعد وزارته الثالثة .

من الأموال ، تدلُّ على عجزه وإضاعته ، وتُبْطِل ما يدَّعيه من صناعته وكفايته .
ولما صرفتُ عمَّاله عمَّا ولَّوه ، وطالبتهم بما اقتطعوه ، أغفوا^(١) بمالٍ جزييلٍ قدره ،
عظيمٍ خَطرُهُ ، متجاوزٍ مبلغُهُ ألفَ ألفِ دينارٍ ، وانضاف إليها ما توفَّر مما كانوا
يفوزون به من الارتفاقات^(٢) ، ويستثنونه في العقود والمقاطعات ، وهو أر بعائة ألفِ
دينارٍ ، وما وجب على الحسين بن أحمدَ ومحمد بن عليٍّ المادرائيّين من خراج ضياعهما
بمصرَ والشامِ في سني ولايته ، فاستدركه عليُّ بنُ أحمد بن بسطام وهو ثلاثمائة
ألفِ دينارٍ ، فتحصَّل الجميعُ ألفَ ألفٍ وسبعمائة ألفِ دينارٍ ، وحُل منه إلى حضرة
أمير المؤمنين ! - أطال الله بقاءه - ستائة ألفِ دينارٍ ، وإليك أعزك الله للنفقة على
القادةِ النافذةِ لمحاربة يوسف بن ديوداذ مع صلواتِ المستأمنة^(٣) وأرزاقِهِم
خمسمائة ألفِ دينارٍ ، وأطلق الباقي لقواد أمير المؤمنين - أيده الله - وأجناده وخواصِّه
عوضاً عما كان عليُّ بنُ عيسى حطَّه من أرزاقِهِم ، ووضعَه من مُجملَةِ استحقاقاتهم ،
فكثر الشاكر ، وسكَّن وأمنَ النافر ، وصلحت الأحوال ، وانبسطت الآمال .
ولما قربت العساكرُ من يوسفَ أفرج^(٤) عن الرىِّ وما يليها من الأعمال ، وزال
عن أهلها كل جور وعدوان ، وعمرت تلك النواحي بعقب خرابها ، واستوسقت^(٥)
الأموار بعد اضطرابها ، والله الموفق المعين . وقد توفَّرت - أعزك الله - مع ذلك
مِنِّي عليه العنايةُ ، ولحِقته الصيانةُ ، في نفسه وماله ، وضياعه وحاله ، ترَفَعاً
عن مجازاته على أفعاله ، وجرياً على عادتي في أمثاله . والله أسألُ معونتي على الجليل

(١) يريد أنهم وفوه المال من قولهم أغفاه بحقه وفاه إياه .

(٢) الارتفاقات ، يراد بها الانتفاعات والاستعانات .

(٣) المستأمنة : الذين يطلبون الأمان . (٤) أفرج : انكشف عنها وتركها .

(٥) استوسقت الأمور : انتظمت .

الذى أعتقده وأنوبه ، وتوفيقى لما يُحِبُّهُ وَيُرْضِيهِ ، إنه أهل الفضل ومُؤَلِّيه ، وحسى
الله ونِعْمَ الوكيل .

ونسخة الأخرى وكانت إلى أبى العباس أحمد

ابن بسطام عند تقلده ^(١) الوزارة الأولى :

تَعَمُّ الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدد في سائر أوقاته ،
وتتوكد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه ، وناصر لأوليائه ، والله
يُعِينه على أداء حَقِّها ، والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من حِلَّةِ
الكَتَّابِ والقَوَادِ ووجوه الفلمان والأجناد ، حسدوا أبأ أحمد العباس بن الحسن
رحمه الله على محله في الدولة ومنزلته ، وما قام به لأمر المؤمنين أيده الله من عقد
بيعتِهِ ، فسعوا في إتلاف مهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبد الله بن المعتز
بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين وشيعته ، وحسن لهم الخروج عن
طاعته ، فَكَتَبُوا وَمَرَقُوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف الفتنة وأظهروا
أعلامها ، وأضرموا نيرانها ، وتفرد الحسين بن حمدان بأبى أحمد فقتله ^(٢) ، وثنى
بفاتك المعتضدى فأتلفه ، وقصد المارقون دار الخلافة حتى وصلوا إلى جدرانها ،
وأحرقوا عدّة من أبوابها ، ووفق الله الخدم والأولياء المصافية والفلمان الحجربة
لمحاربتهم ومنازلتهم ، فانصرفوا مقلولين ، واجتمعوا إلى عبد الله فعاقدوه وبايعوه ،
وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووازره ^(٣) محمد بن داود على ضلالتة . وما صحّحهم من غلمان

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/٥

(١) أى عند تقلد ابن الفرات .

(٣) وازره : أعانه .

أمير المؤمنين - أدام الله عزه - وخاصته وذوى البأس من رعيته من حسن دينه ،
 وخلص يقينه ، فتحصنوا بالإبعاد في الحرب ، لما خافوه من شدة الطلب ، وأسير
 جماعة من كتّاب عبد الله وخواصه ، منهم محمد بن عبدون ، وعلي بن عيسى ،
 ومحمد بن سعيد الأزرق ، وئمن الكبير ، ووصيف بن صوارتسكين ، وسرخاب
 الخادم ، وعليّ اللبني ، ومحمد الرقاص وأبناء دميانة ، والمعروف بأبي المثني ، ومحمد
 ابن يوسف ، ومُهلوا إلى دار أمير المؤمنين - أيده الله - فحَصَلوا في أعظم بُوس ،
 وأضيق جُبوس . ولما نَحَدت النائرة ، وسكنت الفتنة الثائرة ، استدعاني
 أمير المؤمنين - أدام الله تأييده - فأوصلني إلى حضرته ، وخصني ببرّه وتكرّمته ،
 وفوّض إليّ تدبير مملكته ، ورعاية خاصته وعامته ، واعتمد عليّ في حياطة مُلكه
 ودولته ، وقَدَدني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع عليّ خِاماً ألبسني بها إجلالا
 وقَدْرًا ، وجمالاً وفَخْرًا ، وعدتُ إلى داري مغموراً بإحسانه ، مُثَقلاً بأياديه وامتنانه .
 وأسأل الله معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاه وإرادته بِمَنته وقُدْرته .

وكان أوّل ما بدأتُ به الجِدِّ في طلب عدوّ الله عبد الله بن المعتز ، إلى أن هَيَأَ
 اللهُ الظفرَ به على يدِ صافي^(١) مولى أمير المؤمنين ، بعد أن تنصّح في الدلالة على
 موضعه خادمٌ مشهور الديانة ، مذكور الصيانة يُعرف بسوسن الجصاصي ، فأوجبتِ
 الحالُ إطلاقَ صلّةٍ لسائر الأولياء وافرّة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة عليهم متشاغل ،
 وللخدمة مواصل ، والأمر جارٍ على أحمدِ مجاريها . وأفضلِ المحابِّ فيها ، والحمد لله
 رب العالمين .

والأحوالُ - أعرك الله - بيننا توجب مشاركتك ، وتقتضى مساهمتك ، وقد

(١) نوق سنة ٢٩٨ وكان إليه أمر دار الخليفة وصاحب الدولة كلها «التتظم ٦/١٠٨» .

قَلَدْتُكَ الخِراجَ والضَّياعَ العامَّةَ والمستحدثةَ بمصر ونواحيها ، والكُورَ^(١) الجاريةَ فيها ، لِمَا أعرَفه من كفايتك ومخالصتك ، وأتق به من مُناصحتك ، وكتبت به إلى الحسين بن أحمد بتسليم هذه الأعمالِ إليك ، وأعلمته اعتمادى فيها عليك ، وأنت بِصِناعتك وكفايتك تستغنى عن التنبيه والتبصير ، وتوفى على الظنِّ بك والتقديرِ إن شاء الله .

وكتب يوم الثلاثاء لثمانِ ليالٍ خلونَ من شهر ربيعِ الأوَّلِ من سنة سِتِّ وتسعين ومائتين .

ونسخة الثالثة وكانت إلى ابن بسطام

في صرف سوسن عن الحِجَابَةِ والقَبِضِ عليه

عوائد الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فيمن يُشأقه ويُناويه ، توفي على غاية محابة ونهاية أمانيه ، فليس يُظهر أحدٌ عصيانه وييديه ، أو يجاهر به أو يخفيه ، إلا جعله الله عظةً للأنام ، وأهلكه بما جل الاضطلام^(٢) ، والله عزيز ذواتقام . ومِن نكت وغدر ، وفسق ومرق ، وطغى وبنى ، وكاشف وخالف ، سوسن الحاجب ، فإنه كان لدم أبي أحمد العباس بن الحسن رحمه الله من السافكين ، وفي معاونة عبد الله بن المعتز على فتنته من المشمرين . وكان يُظهر لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه موالاةً ونصراً ، ويُضمر عداوةً وغدرًا ، ويسعى في إفساد مُلكه ودولته ، ويوحش وُجوهَ غلمانه وخاصته ، إلى أن عاجله أمير المؤمنين - أدام الله عزه - بسطوته ،

(١) الكور جمع كورة وهي البقعة التي تجتمع بها الساكن والقرى ويراد بها ما يشبه المراكز والديريات .

(٢) الاضطلام : الاستئصال .

وأزال عن الدولة - حرسها الله - ما عراها من مَعْرَتِهِ ، وَقَدَّ مَكَانَهُ مِنْ وَثْقِ بَدِينِهِ وَأَمَاتِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ وَمَخَالصَتِهِ ، فَاسْتَوْسَقَتِ الْأُمُورُ ، وَاسْتَبَشَرَ الْجُمْهُورُ ، وَارْتَفَعَ الْأَوْلِيَاءُ وَانْقَمَعَ الْأَعْدَاءُ ، وَاللَّهُ يَخَيِّرُ^(١) لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُبْرِمُهُ وَيُضِيهِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيُرضِيهِ بِجُودِهِ ، وَتُجَدِّهِ ، وَكِرْمِهِ وَحَمْدِهِ ، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

هذه - أَعْرَكَ اللهُ - حَالُ الْبَاغِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَالطَّاعِينَ وَالنَّاكِثِينَ ، وَمَنْ تَقَرَّبَهُ الْمُهْلَةَ ، وَتَفْسَدَهُ الْغَفْلَةَ ، وَتَزَلَّهُ^(٢) قَدَمَاهُ ، وَيَعْصِي مَوْلَاهُ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالِدَائِرَةَ عَلَى الْمَجْرَمِينَ ، وَالسَّلَامَةَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وقال أبو الحسين بن هشام : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُمْلِي جواباً لبعض العمال على ظهر كتاب : وَرَدَ مِنْهُ بِجَمَلَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَكَانَ مَا أَحْسَنَ وَلَا قَارِبَ الْإِحْسَانِ ، وَلَا أَنَا بِالرَّاضِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا بِالْمُؤَخَّرِ عَنْهُ مَا يَكْرَهُهُ إِنْ أَقَامَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَأَيْنَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ حَمَلُهُ ؟ لِيَكْتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَغْلَظُ كِتَابٍ وَأَقْظَعُهُ ، وَلِيَعْرِفَ أَنِي إِنْ اسْتَفْسَدْتُهُ بَعْدَ اسْتِصْلَاحِي إِيَّاهُ أَنْسَيْتُهُ مَا سَلَفَ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ، فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ مَا يَرَاهُ أَصْلَحَ لَهَا إِنْ شَاءَ اللهُ .

وحدث أبو الحسين قال^(٣) : حدثني أبو القاسم سليمان بن الحسن قال : حضرت مناظرة أبي محمد حامد بن العباس وأبي الحسن علي بن عيسى وأبي علي الحسين ابن أحمد اللادرائي الملقب بأبي زنبور ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان ذلك بدار الخلافة ، وحضر نصر الحاجب والقواد والقضاة ، وأخرج ابن الفرات وعليه قميصان ورداه ، فلما توسط المجلس سلم سلاماً عاماً وجلس ، فكان ذلك أول

(١) خار الله لي في الأمر : جعل لي فيه خيراً (٢) تزله : تراقه

(٣) راجع تجارب الأمم ٦١/٥ وما بعدها .

استخفافه بالقوم ، فأقبل عليه حامداً وقال له : مددتَ رِجلكَ ، وأطمعتَ في المُحالِ نفسَكَ ، وعوّلتَ على القهرمانَةِ - يعني زيدان - في الشفاعةِ لك ، والمدافعةِ عنكَ وظننتَ أنه يُقنَعُ منك بثلاثمائة ألف دينارٍ ونيفٍ ، أقررتَ بها من ودائعِكَ . نريدُ أن نحاسبكَ على ما أغلّلتَ في ثمانيةَ عشرَ شهراً من ارتفاعِكَ ، وما انضافَ إلى ذلك من رزقِكَ ، وحقّ بيتِ المالِ في ضياعِكَ التي رفعتَ عن نفسك لنفسِكَ بأنكَ أوغرته^(١) ، وخمسمائةَ ألفِ دينارٍ قد حَصَرَ مِنْ ثِقَاتِكَ مَنْ يوافقُكَ على أنكَ ارتجعتها من ودائعِكَ التي بقيتَ لك بعد نكبتِكَ الأولى فكشمتَها السلطانَ - أعزه اللهُ - بعد يميناكَ له بالصدقِ عن جميعِ مالكِ ، فإذا فرغنا من ذلك عدلنا إلى مراقبتِكَ .

فقال : أما استغلالِ ضيعتي فلا مطالبةَ تتوجهُ عليَّ به ، وقد رَدَّها أميرُ المؤمنينِ عليَّ . وأما حقُّ بيتِ المالِ الذي أوغرته فالحالِ واحدةٌ فيه . وأما الودائعُ فلم يكنِ يَبْقَى لي مالٌ أَصْدُقُ عنه فيما تقدم . وأما الثِّقَةُ الذي أشرتَ إليه في موافقتي ، فالثِّقَةُ لا يكونُ ساعياً لحقٍ ويكفي عن باطلٍ .

فقال له : قد علمنا أنك تحسن المناظرةَ ، ويطولُ لسانُكَ بالأقوالِ المُحالِ ، هذا موقفٌ يُحتاجُ فيه إلى وزنِ المالِ ، ولا تَعَتَّرَ بالصيانةِ عن المكروهِ ، فإنني قد شرطتُ على أميرِ المؤمنينِ - أعزه اللهُ - تسليمَكَ إليَّ ، فاحفظْ نفسك مادمتَ في ظِلِّهِ قبلَ أن أبسطَ عليك من المكارهِ ما لا تثبتُ له .

قال له ابنُ الفراتِ : المكارهُ تُبَسِّطُ على مَنْ أخذَ أموالَ السلطانِ وفازَ بها ، وضمنَ ضماناتٍ باطلةً بفتاوى الفقهاءِ والكتّابِ ، وحصلَ الفضلَ الكبيرَ منها ، ولولا إشفاقُكَ من ذلك لما تَعَرَّضتَ لما لا تُحسِنه وفضحتَ نفسك ، وهتكتَ المملكةَ بالدخولِ فيه .

(١) أوغرته : جعلها لك الخليفة بدوت خراج : يقال أوغر الملك لرجل أرضاً وأوغره أرضاً : جعلها له من غير خراج .

فقال له حامد : ما هذا التَّبَسُّطُ يا عاضَّ كذا من أبيه ، حتى كأنك الوزير ونحن بين يديك .

فقال ابنُ القرات : دار أمير المؤمنين تُصان عن الشُّخْفِ ، وحضورُ هؤلاء القوادِ القضاةِ يمنع عن الفُحْشِ . فياليت شعري يا حامدُ ما الذي غرَّكَ ؟ وليس ما أنت فيه بيِّدراً^(١) تَقْسِمُهُ ، وأكَّاراً تَشْتُمُهُ وتُحَلِّقُ لحيته وتَضْرِبُهُ ، وعاملاً تَذْبِجُ دابَّتَهُ وتُعَلِّقُ رأسها في عنقه ، فإنما هذه الدارُ وهذا المجلسُ دارُ ومجلسُ الخليفةِ اللذان منهما يَشِيْعُ العَدْلُ في أقطار الأرض ، وإنما مُكِنَّتْ من مُناظرتي ، ولم تُجْعَلْ لك سبيلٌ إلى عِرْضِي ، ولولا أنني أَتَصَوَّنُ عن فِعلٍ مثلك لا قَتَصَصْتُ في القولِ والشَّتْمِ منك ، ومع إمساكي فقد وجب الخدُّ عليك فيما أطلقت به لسانك . فأقبل عليُّ بنُ عيسى على حامدٍ وقال له : يدعُني الوزيرُ - أعزّه الله - حتى أنظره ، وقال لأبي الحسن بن القرات : يا أبا الحسن - أعزك الله - تعرّف هذا ؟ - وأومى إلى أبي زُبَور - .

فقال : ما أنكرُهُ من سوء^(٢) .

قال : هو أبو علي الحسين بن أحمد المادرائي عامل مصر الذي قَصَدَتْه وأقْرَبَتْه . وخذمته معروفةٌ في رَدِّه مصر على السلطان دفعاتٍ . فكيف لا تعرفه ؟ فقال : لِمَ يُنْكَرُ عَلَيَّ أني لم أُثْبِتْهُ ؟ فإن عهدي طويل به ، وكنت أعرفه يكتب لعامل نهر جُوَيْرَ بعشرين ديناراً في الشهر . ثم صحب الطولونيين العصاة ، فعظُمَتْ حاله ونعمته معهم ، ولم أره إلى وقتي هذا .

فقال علي بن عيسى لأبي زُبَور : واقِفْه على ما ذكَّرتَ .

(١) البيدر : الموضع الذي يدرس فيه القمح ونحوه وهو الجرن والجرين .

(٢) يعني أنه لا يعرفه ولكن عدم معرفته له لم تكن بسبب ما أنكره من سوء كان منه .

فقال : نعم .

وأقبل على ابن الفرات وقال : تَوَلَّيْتُ لَكَ أَعْمَالَ أَجْنَادِ الشَّامِ سِوَى جُنْدِ قَنْسَرِينَ وَالْعَوَاصِمِ ، فَطَالَبْتَنِي مِنَ الْمَرْفِقِ ^(١) بِمَا كُنْتُ أَحْمِلُهُ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِ الْحَسَنِ قَبْلَكَ ، وَهُوَ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ . وَأَخَذْتَ ذَلِكَ لِمُدَّةِ وَزَارَتِكَ الْأُولَى ، فَكَانَ الْمَبْلُغُ أَرْبَعًا عَشْرَةَ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ إِنَّكَ نَصَبْتَ فِي وَزَارَتِكَ الثَّانِيَةَ دِيوَانًا لِلْمَرْفِقِ ، وَاسْتَخْرَجْتَ هَذَا الْمَالَ وَأوردته في جملة مَرْافِقَ حَمَلْتَهَا إِلَى أمير المؤمنين .

فأمسك ابن الفرات ساعة ، حتى قال نَصْرًا الْحَاجِبُ بِعُجُومَتِهِ : تَكَلَّمِي يَا قَرْمِطِيَّةَ .

فقال له : أَمْسِكْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ عَمَّا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّنِي . وَقَالَ لِأَبِي زَنْبُورَ : لَيْسَ يَخْلُو مَا تَدَّعِيهِ مِنْ حَالِي ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَمْلُكَ لِلْمَالِ مَعَ رُسُلٍ أَوْ بِسَفَاحِجِ ^(٢) تُجَّارٍ عَلَى تُجَّارٍ ، فَإِنْ كَانَ مَعَ رَسَلٍ فَأَخْضِرْهُمْ أَوْ أَخْضِرِ الْقُبُوضَ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، أَوْ بِسَفَاحِجِ فَالْقُبُوضُ مَعَ أَرْبَابِهَا .

فقال أبو زنبور : هَذَا شَيْءٌ لَا يُكْتَبُ بِهِ قُبُوضٌ .

فقال : إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجِبَ أَنْ تَجْعَلَ بَدَلًا مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةَ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفٍ لِمُدَّةِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى فَقَالَ : حُكِمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي الدَّعَاوَى مَعْرُوفٌ ، وَأَرْجُو الْأَيْخُرَ جَنِيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ عَنِ الْإِنصَافِ . ثُمَّ قَالَ لِأَبِي زَنْبُورَ : قَدْ وَرَّيْتُ

(١) الرفق : ما ينتفع به

(٢) السفاح جمع سفحة وهي أن تعطى ما لا لرجل فيعطيك خطأ بذلك يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل في مكان آخر « يشبه التحويل » .

لأبي الحسن - وأومى إلى علي بن عيسى - الشام أربع سنين ، فإن كنت حملت إليه هذا المرفق في هذه المدة فهو عليه ، أو لم تفعل فهو عليك لاعتراكك بوجوبه .
فقال له أبو زنبور : هذا لا يلزمني ، ولكن هاهنا مال الاستثناء بمصر ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة ، وقد أخذت منه في وزارتك الأولى سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار .

فقال له ابن الفرات : قد ولت أيضا مضرا لأبي الحسن أربع سنين ، وحكم ذلك فيما يتوجه على أبي الحسن أو عليك حكم ما قبله . والآن هاهنا ثمانمائة ألف دينار واجبة لأمير المؤمنين - أعزه الله - ومن الواجب أن تخرجها إليه منها .

فقال له علي بن عيسى : أنا معروف الطريقة ومكشوف الرأس من مثل هذه الأسباب - وكشف عن رأسه - .

قال : وكان المقتردر بالله قريبا من الموضع فسمع ما جرى . فقال ابن الفرات : ومن هاهنا - بارك الله عليك - منعطى الرأس ؟ ولو تكلم الناس كلهم في هذا الموضع لوجب لك ألا تتكلم .
فقال : لم يا أبا الحسن ؟ - أعزك الله - .

قال : لأن لهذا الرجل - يعني أبا زنبور - ومحمد بن علي ابن أخيه بمصر والشام من الضياع مسافة مائة فرسخ^(١) في مائة فرسخ ، وما أخذت من حق بيت المال منها في وزارتك درهما واحدا . فمن ترك على قوم حقوق بيت المال لم يأخذ المرافق منهم ؟ ثم التفت إلى شفيع اللؤلؤي - وإليه البريد - وقال له : أنت ثقة أمير المؤمنين ، وقد تعين على هذا الرجل - يعني أبا زنبور - مال يلزمه الخروج منه

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع .

بإقراره واعترافه أو إقامة حُجَّةٍ تُبَرِّئُهُ مِنْهُ ، فَأَنَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، وَطَالِبُهُ بِهِ .
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ حَامِدٌ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخَذْتَ فِي التَّمْوِيهَاتِ ، وَعَوَّلْتَ - يَا ابْنَ الْفَاعَلَةِ -
عَلَى دَفْعِ الْحَقِّ بِالْمِبَاهِتَاتِ .

قَالَ لَهُ : وَأَيُّ شَيْءٍ فِي يَدِكَ مِنَ الْحَقِّ حَتَّى أَدْفَعَهُ يَا حَامِدُ ، تَحْمِلُ إِلَى السُّلْطَانِ
مَائَتِينَ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ وَاسِطَةٍ ، وَتَدَّعِي أَنْ الْخَلْقَانِيَّ الْأَبْلَهَ
الْمُتَخَلِّفَ ضَمَّنَكَ مِمَّنْ الْحَاصِلِ مِنْ زَرْعٍ لَمْ يُزْرَعْ . ثُمَّ تَعْتَرِفُ بِأَنَّكَ تَفْعَلُ ضَمَانَ هَذِهِ
النَّاحِيَةِ سَبْعَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَتُشَنِّعُ بِذَلِكَ ، أَوْ لَيْسَ هَذَا الْفِعْلُ شَاهِدَ عَقْلِكَ
وَصِنَاعَتِكَ وَمَقْدَارِكَ فِي دِينِكَ وَأَمَانَتِكَ ؟ وَقَدْ رَضِينَا بِهَذَا الشَّيْخِ - يَعْنِي عَلِيَّ
ابْنَ عَيْسَى - فِي كَشْفِ أَمْرِكَ وَتَأْمَلِ مَا عَلَيْكَ ، فَإِنَّ شُغْلَ السُّلْطَانِ بِاسْتِيفَاءِ
مَا يَلْزَمُكَ - مَا دَخَلَتْ فِي الْوِزَارَةِ لِتَدْفَعَهُ عَنْ نَفْسِكَ لَمَّا أَرَدْتُ اسْتِخْرَاجَهُ مِنْكَ -
أَعُوذُ عَلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ .

فَشْتَمَهُ حَامِدٌ شَتْمًا مُسْرِفًا ، وَأَمَرَ أَنْ تُنْتَفَ لِحِيَّتُهُ ، فَلَمْ يُقَدِّمِ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى
مَدَّ حَامِدٌ يَدَهُ إِلَى لِحِيَّتِهِ - وَكَانَ جَالِسًا بِالْقَرْبِ مِنْهُ - فَأَخَذَ مِنْهَا خُصْلَةً ، وَصَلَحَ
ابْنَ الْفِرَاتِ : أَوْهُ . وَضَرَبَ أَبُو زَنْبُورٍ يَدَهُ إِلَى الدَّوَاةِ وَكَتَبَ بِأَنَّهُ يَضْمَنُ اسْتِخْرَاجَ
مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ ابْنِ الْفِرَاتِ فِي مُدَّةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا إِذَا سَلَّمَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا أَدَاهُ إِلَى هَذَا
الْوَقْتِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْفِرَاتِ : يَكُونُ عَلَيْكَ أَلْفٌ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ بِالْمُوَاقِفَةِ
لَكَ فِي هَذَا الْجُلُوسِ ، ثُمَّ تَدْفَعُهَا بِأَنْ تَضْمَنْنِي بِأَقْلٍ مِنْ نِصْفِهَا ؟ إِنْ ذَلِكَ مِنْ أَطْرَافِ
الْأُمُورِ ، وَأَعْجَبَ السِّيَاسَةَ !

فَقَالَ حَامِدٌ : وَأَنَا أَضْمَنُكَ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَاجِلَةً فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، إِذَا
سَلَّمْتَ إِلَيَّ .

وَكَتَبَ حَامِدٌ وَأَبُو زَنْبُورٍ خَطَّهُمَا بِمَا بَدَّلَا فِيهِ . وَاسْتَدْعَى حَامِدٌ مُرْشِدًا الْخَادِمَ ،

وسلم إليه الخطين ، وأمره بعرضيهما على المقتدر بالله ، فدخل وعاد وقال : أمير المؤمنين يقول : أنا أعلم أن عليه وعنده من الأموال أكثر مما قلتماه وضمنتاه . وأنا أدري كيف أستخرجها منه ، وأقابه على تقاعده بي . ومكايده إياي ، فأما أن أضمنه وأسلمه فلا حاجة بي إلى ذلك .

ثم أقيم من المجلس إلى محبسه ، فما وقعت للجاعة عين عليه بعد ذلك . قال أبو الحسين بن هشام : فلما ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة حكى هذا المجلس على هذه السياقة ، وزاد فيها أن علي بن عيسى قال له : ما اتقيت الله في تقليدك ديوان جيش المسلمين رجلاً نصرانيا ، وجعلت أنصار الدين ومجاة البيضة^(١) يُقبلون يده ويمتلون أسره .

فقلت له : ما هذا شيء ابتدأته ولا ابتدأته ، وقد كان الناصر لدين الله قد الجيش إسرائيل النصراني كاتبه . وقلد المعتضد بالله مالك بن الوليد النصراني كاتب بدر ذلك .

فقال علي بن عيسى : ما فعلا صواباً .

فقلت : حسبي الأسوة بهما وإن أخطأ على زعمك . ولعمري إنك لا ترى أماتهما ، ولا تعتقد طاعتهما ، فذلك لا تقتدى بأرائهما ، ولا ترتضى بأفعالهما ، ومع هذا فما وجدت لي روحين إذا مضى أحدهما بقي الآخر^(٢) .

قال : ما أردت بهذا القول ؟

قلت : وجدت العباس بن الحسن قد قلد محمد بن داود بن الجراح ديواناً

(١) حاة البيضة : يريد بهم حاة الإسلام .

(٢) يعنى أنه له روح واحد وليس له روحان فيستطيع أن يخاطر بأحدهما ، وهذا الروح يذكر ويؤت .

الجيش ، فطمع في الوزارة ، وسعى على العباس حتى قتله ، وخلع أمير المؤمنين - أعزّه الله - وأجلاس عبد الله بن المعتز . فحَفَّتْ أَنْ يَمِيمَ عَلِيٍّ وَعَلَى الدَّوْلَةَ مَاتَمَّ مِنْهُ . قَالَ : ثُمَّ صَحْتُ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الخَلِيفَةَ يَسْمَعُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ يَرِيدُونَ قَتْلِي خَوْفًا مِنْ عِلْمِي بِمَسَاوِيهِمْ ، وَمَا فِي ذِمَّتِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَلْزِمُهُمْ ، كَمَا اجْتَمَعَ الْكُتَّابُ فِي أَيَّامِ التَّبَوُّكِ جَدَّكَ عَلِيَّ نَجَّاحِ بْنِ سَلْمَةَ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَلِي عَلَيْكَ حَقُّ حُرْمَةٍ وَخِدْمَةٍ ، فَاحْزُرْ نَفْسِي . وَبَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِي . قَالَ : فَمَا اسْتَوْفَيْتُ الْقَوْلَ حَتَّى خَرَجَ الْخَدَمُ وَحَلَوْنِي فَرُدُّونِي إِلَى مَوْضِعِي ، وَلَمْ أَجْتَمِعْ مَعَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَتَّى جَلَسْتُ هَذَا الْمَجْلِسَ .

وحكى أبو الحسن ثابت بن سنان أن أبا زنبور لم يقيم من مجلسه الذي ناظر ابن الفرات فيه حتى قال له ^(١) : إن أقررت على نفسك مصادرة التزمت عنك خمسين ألف دينار . فلما خرج قال له علي بن عيسى ونصر الحاجب وابن الحواري : دخلت إلى الرجل لتناظره وخرجت من عنده وقد بدلت مرقةً مُصَانَعَةً ^(٢) . فقال : نعم ، أدخلتموني إلى رجل قال [لي] بعضكم لما دخلت إليه : انظر لمن تُحَاطَبُ [و] قال آخر : انظر بين يديك و [قال آخر] ^(٣) الله الله في نفسك . فلم أجد أقرب إلى ^(٤) الصواب مما فعلته . قال : فلما تقلد ^(٥) ابن الفرات الثالثة ^(٦) قبض علي ولدي لأبي زنبور وأخذ خطه بخمسة وعشرين ألف دينار كانت واجبة عليه للسلطان ، وأخر مطالبته بها إلى أن وافى أبوه من الشام ، ثم قال له وعدتني في المجلس الذي ناظرته تني فيه بحمل خمسين ألف دينار ، وقد كنت مالك أمرك في أن تفعل أولاً تفعل ،

(١) تجارب الأمم ٦٣/٥ .
(٢) في تجارب الأمم : وصانعه .
(٣) الزيادات من تجارب الأمم .
(٤) في الأصل : من والتصويب من تجارب الأمم .
(٥) تجارب الأمم ٦٣/٥ .
(٦) في تجارب الأمم : أنه لما تقلد بهد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة .

وهذا خَطُّ ابْنِكَ بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ لِاحْتِجَاجِهِ لَكَ وَلا لَكَ فِي دَفْعِهَا عَنْهُ وَقَدْ رَدَدْتُهُ إِلَيْكَ مَكافَأَةً عَمَّا عَمَلْتَ وَبَذَلْتَ .

ووجدت في هذه الحكاية من الزيادة أن حامداً قد كان أحضر أبا علي^(١)

ابن مقله معه لمواقفة ابن الفرات على ما استخرجه من ودائعه في وزارته الثانية ، فلما طلبه وجمعه قد انصرف ، وراسله بالعمود فقال : أنا أكتب خطي . وأشهد على نفسي بجمع ما تريده مني ، فأما أن أواجه ابن الفرات به فما لي وجهٌ يثبتُ على ذلك . فكان هذا الفعلُ سببَ سوءِ رأيه [فيه]^(٢)

وحدث أبو الحسين بن هشام . قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد

ابن عبد الحميد كاتب السيدة يحدث أبي في يوم عيد الأضحى من سنة ست وثلاثمائة قال : لما صحَّ عند أبي الحسن بن الفرات فسادُ أمره عند المقتدر بالله ، وتامُّ التدبير عليه في صرفه وتقليدِ حامدٍ استدعاني وخلا بي وقال : أنت عارفٌ بخدمة هذه المرأة وما فيه صلاحِ رأيها ، وأريد أن تلطف في استمالتها واستعطافها حتى تبطلَ ما دبره أعدائي عليَّ وأشير^(٣) عليَّ بما أفضله في أمري . فقلت له : قد دبرَ عليك تدبيرٌ لا ينحلُّ سريعاً ، وجنيت على نفسك في هذه الدقعة ثلاثَ جنائياتٍ لا يمكن تلافى الخطأ فيها . فقال : وما هي ؟ قلت : أولها أن صرَّفت أصحابَ الدواوين والعمال والمنفقين وأصحاب البردِ والحرايطِ وأكثرَ القضاةِ وبعضَ المعاونين . وقلدت أصحابك وذوي عناياتك ، فصاروا أعداءك وسعاةً عليك ، وقال الناسُ : إنك قلدت للعناية لا للكفاية ، وحتى قال الخليفة : ما كان في هؤلاء المتصرفين من يصلح للإقرار على عمله .

(١) تجارب الأمم ٦٢/٣ .

(٢) في تجارب الأمم : فلفظ ذلك على حامد وتكرار ابن مقله منذ هذا اليوم .

(٣) في الأصل وأشير وصححها محقق الطبعة الأولى : ونشير .

وثانيها: أنك أخذت توقيع الخليفة برداً أملاكك وضياعك عليك، وقد تفرق أكثرها [في] أهل الدار والقوادِ والخواصِ فانتزعت ذلك من أيديهم ولم تعوضهم عنه. وقد أنفق أكثرهم النفقات العظيمة عليه، وانضاف هؤلاء إلى أولئك وصارت كلمتهم واحدة في السعي عليك.

وثالثها: أن حلفت للخليفة - وأنت في حبسه قبل أن تقلدت من وزارته ماتقلدته - أنه لم يبق لك وديعة ولا ذخيرة إلا وقد صدقته عنها، ثم قعدت في ولايتك تطالب بالودائع ظاهراً، وتستخرجها شائماً، فكيف يمكن إصلاح فساد هذه أسبابه؟ ولكنني أشير عليك برأى إن قبلته أخطأته. قال: وما هو؟ قلت: تمسّط على نفسك وكتائبك وعمالك مالا يُقارب النصف من أحوالهم^(١) وتمحله إلى الخليفة فترضيه به، وأعقد لك مع السيدة عقداً يقوم بأمرك معه، وأحلفها عليه يمينا تنسكن النفس إلى مثلها. وأنت وهم قادرون على الاعتياض فيما تعطونه على مهل. فقال: أمّا هذا الرأي فقد أشار به عليّ جماعة من أسبابي، منهم موسى بن خلف وابن فرجويه، وأبو الخطاب، وهشام. - قال أبو الحسين: وإنما حدث ابن عبد الحميد أبي بهذا الحديث لتعلقه بذكره - فخطأت جميعهم فيه، وقد كنت عندي بعيداً من الخطأ، وقد شاركهم فيه الآن. فقلت: وكيف؟ قال: ما يبذل قط وزير ولا كاتب ولا عامل ببدلاً على وجه المصادرة في ولايته إلا كان من أكبر دواعي الطمع. وأكثر أسباب الحجة عليه، لأن أعداءه يقولون قد بان الآن كثرة ماله وحاله بما بذله عفواً من نفسه ووراء ذلك أضعافه. ويكون هذا القول مسموعاً مقبولاً، ويبيح ما يبيح وإن يدافع يوماً ومدة^(٢) وقد مضى المال

(١) لها أيضاً: من أموالهم.

(٢) أي أنه لا بد أن يتم عليه ما يدير مهماً دافع عنه، سواء كان ذلك بعد يوم أم مدة، ويضيع

ضائعاً . ومع هذا فأىُّ شيءٍ أُفْبِحُ بي . مع عُلوِّ هِمَّتِي وكثرةِ نعمتي . من أنْ
أُنشئُ أصحاباً وعمَّالاً . يُلُون بولايتي وَيُنكَبُون بنكبتِي وَيَتصرَّفُون بتصرُّفي
وَيَتعَطَّوْنَ بعمَلَتِي . ثمَّ أُزِيلَ نِعَمَهُمْ وأحوالهم بيدي وفي أيامي ؟ البتَّ اللهُ أَهْوَنُ
من ذلك .

فعبجت من كبر نفسه وعِظَمِ كَرَمِهِ ، وانصرفت ، فقبض عليه بعد أيام .

وحدث أبو الحسين قال . دخلت مع هشامٍ والدي إلى أبي جعفرٍ أحمد بن إسحاق
ابن البهلول القاضي عقيب عيدِ لأهنته به ، فتطاولا الحديث ، وقال له والدي في عُرْضِهِ :
قد كنتُ أكتبُ الوزير . يعني ابنَ الفرات . في (١) محبسه وأعرَّفَهُ ما عليه القاضي
من موالاته ومشاركته والتألم من محنته ، ومواصلةِ الدعاء بتفريجها عنه ، وهو الآن
على سُكْرِ للقاضي واعتداده به . فلما سمع ذلك صرف من كان في مجلسه وخلوا .
وقال له القاضي : ليس يخفى عليَّ ما أراه في عين الوزير ونظره من التغيُّر والتسكُّر ،
وإن كان ما نقصني من مَزَلَةٍ ولا عَمَلٍ (٢) ، وبالله أحلف لقد لقيت حامد بن العباس
مُتَلَقِّياً بالمدائن لما أصدد للوزارة ، فقام إليَّ في حَرَاقته (٣) قياماً تاماً ، وأقبل عليَّ
وسألني عن خبري وقال : هذا أمرُك ولولدك ، وستعرف ما أفعله في زيادتك من
الأعمال والأرزاق ، ثم لقيته يوم خُلعَ عليه فَتَطَاوَلَ لي ، فلما فعلتُ في أمر الوزير
بحضرة أمير المؤمنين ما فعلته عاداني [و] لم يُعِرْنِي طَرْفَهُ من بَعْدُ ، وتخوّفته حتى
كفاني اللهُ أمره بتفريدِ عليِّ بن عيسى بالعمل ، وتشاغله هو بالضمان وسقوطِ الحاجةِ
إلى لقائه ، ومالي إلى هذا الوزير ذنبٌ يوجب انقباضه عني ، واستيحاشه مني إلا أنني

(١) في الأصل إلى

(٢) يعني أنه مع هذا لم ينقصه شيئاً من المَزَلَةِ والعمل

(٣) المراقبة نوع من السفن فيها مرامي نيران يرى بها العدو .

سَلَّمْتُ الْوَدِيعَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَافَعَتْ عَنْهَا بِغَايَةِ مَا امْكَنْتَنِي الْمُدَافَعَةَ
بِهِ ، مَعَ مَا أُتِيَ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ مِثْلِي الْكُذِبُ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى جَاءَ ابْنُ حَخَّادٍ
كَاتِبُ مُوسَى بْنِ خَلْفٍ وَأَقْرَبُهَا عَلِيٌّ ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ حَمَلَتْهَا
إِلَيَّْ ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ كَلِّمَهَا ، وَلَمْ أَجِدْ بُدْأً مِنْ تَسْلِيمِهَا . وَقَدْ فَعَلَ
أَبُو عُمَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ عِنْدَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِهِ وَوَضَعَهُ فِي أَكْيَاسٍ
وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ نَفْسِهِ وَكَتَبَ [عَلَيْهِ] عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(١) . فَلَمَّا عَادَ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ : إِنْ
الْوَدِيعَةَ بَعَيْنَهَا عِنْدِي ، وَإِنَّمَا غَرِمْتُ مَا غَرِمْتَهُ مِنْ مَالِي ، تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَتَنْفَقًا عِنْدَهُ ^(٢) .
وَمَالِي مِنَ الْمَالِ مَا لِأَبِي عُمَرَ ، وَلَا عِنْدِي مِنَ الْأَسْتِحْلَالِ مِثْلُ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا جَرَتْ
عَادَتِي أَنْ أَقْدَحَ فِي أَمَانَتِي وَمُرُوءَتِي بِمِثْلِ فَعَلِهِ . وَالْآنَ فَأُرِيدُ أَنْ تَسْتَلَّ سَخِيمَةَ الْوَزِيرِ
وَتُصْلِحَ قَلْبَهُ ، وَتُدْكَرَ بِحَقِّ الْقَدِيمِ عَلَيْهِ ، وَمَقَامِي لَهُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ الْمَقَامَ الَّذِي
قُيِّمَتْهُ ، فَإِنْ مِثْلَهُ يَرْعَى وَيُرَاعَى . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَفْعَلُ وَأَتَلَطَّفُ ؟ وَقَدْ اخْتَلَفْتَ
الْأَقْوَالَ فِيمَا جَرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَإِنْ رَأَى الْقَاضِي أَنْ يَشْرَحَهُ لِي . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ كُنْتُ
أَنَا وَأَبُو عُمَرَ وَحَامِدٌ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَفِي الْمَجْلِسِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّ
الَّذِينَ يُعَادُونَ الْوَزِيرَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَيَنْحَرِقُونَ عَنْهُ ، إِذَا أَحْضَرَ ^(٣) حَامِدُ الرَّجُلِ
الْجَنْدِيُّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ وَجَدَهُ رَاجِعًا مِنْ أَرْدَبِيلَ إِلَى قَزْوِينَ ، وَمُتَرَدِّدًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ
أَصْبَهَانَ وَالْبَصْرَةَ ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ لَهُ عَقُوبًا أَنَّهُ ^(٤) رَسُولُ ابْنِ الْفَرَاتِ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ
فِي عَقْدِ الْإِمَامَةِ لِرَجُلٍ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ الْمُقِيمِينَ بِطَبْرِسْتَانَ ، وَأَنَّ الشَّرُوعَ وَقَعَ مِنَ الْجَمَاعَةِ
فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ ، وَمَسِيرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ إِلَى بَغْدَادَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرَّبَ عَاوَنَةَ ابْنِ الْفَرَاتِ

(١) يعنى أنه دون فوق المال الموضوع في الأكياس اسم على بن محمد بن الفرات .

(٢) تنفقا : أى ترويحاً لحاله عنده .

(٣) تجارب الأمم ٥/٦٠-٦١ ومفجم الأدباء ترجمة أبي جعفر بن البهلول ١/٨٩-٩١ .

(٤) عقوباً أى من أول وهلة وبإدارة .

ومهدله من أمر الحضرة ما يجب تمهيدُه . وقال حامدُ للرجل : اصدُق عما عندك . فذكر مثل ما ذكره حامدُ عنه ، ووصف أن موسى بن خلف اختاره لابن الفرات لأنه من الدعاة إلى الطالبين ، وأن موسى قد كان مضى في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من ذلك .

فلما استتمَّ الرجل قوله اغتاض الخليفة غيظاً شديداً بانَّ في وجهه ، وأقبل ^(١) على أبي عمر فقال : ما عندك فيمن فعل هذا واستجاره ؟ فقال : لئن كان فعله لقد ركب عظيماً ، وأقدم على أمرٍ يضرُّ بالمسلمين جميعاً ، واستحقَّ كذا - بكلمة عظيمة لا أحفظها - . قال أبو جعفر : وتبينتُ في وجه علي بن عيسى كراهيةً لما يجري وإنكاراً لهذه الدعوى وهزواً بما قيل فيها ، فقويتُ بذلك نفسي ، وعطف الخليفة إلى قتال : ما عندك يا أحمد فيمن فعل ما سمعته ؟ قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يُفغيني عن الجواب . قال : ولم ؟ قلت : لأنه رُبَّما أغضبَ من أنا محتاجٌ إلى رضاه ، وخالفَ رأيه وهواه ، واستصررتُ بذلك ضرراً أتأذى به . قال : لا بد من أن تقول . فقلت : الجواب ما قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » ^(٢) . ومثلُ هذا الأمر الكبير لا يُقبلُ فيه خبرُ الواحد ، والعقلُ يمنع من قبُولِ مثله على ابن الفرات ، لأن من الحال أن يرضى ببياعة ابن أبي الساج ، ولعله ما كان يؤهله لحجابه ^(٣) في أيام وزارته . ثم أقبلتُ على الرجل فقلت له : صيف لي أردبيل أعليها سورأم لا ؟ فلا شك في معرفتك بذلك مع ما ذكرته من دخولك إياها . واذكر لي بابَ دار العيارة هل هو حديد أو مُلبس ^(٤) أم خشبٌ ؟

(٢) سورة الحجرات الآية ٦

(٤) ملبس : أي أنه خشب مكسو بحديد .

(١) تجارب الأمم ٦١/٥

(٣) في الأصل : « لحجبه » .

فلجَّحَ في كلامه . وقلت له : ما كُنِيَّةُ ابن محمود كاتب ابن أبي الساج ؟ فلم يعرف ذلك . وقلت : فأين الكتب التي معك ؟ قال : لما أحسست بوقوعي في أيديهم رميتُ بها إشفاقاً من أن يجدوها معي فأعاقب . فقلت : يا أمير المؤمنين هذا رجل جاهل مُكْتَسِبٌ أو مدسوس من عدوٍّ غير مُحَصِّل . فقال عليُّ بنُ عيسى : قد قلتُ ذلك للوزيرِ فما قبل مني ، وليس يُخَوِّفُ هذا فضلاً عن أن يُزَلَّ به مكروهٌ إلا وقد أقرَّ بالصورة . فأقبل الخليفة على نذير الحرمي وقال له : بحق عليك إلا ضربته مائة مِقرعةٍ أشدَّ ضربٍ إلى أن يصدق - وإنما عدل بهذا الأمر عن نصرِ الحاجب لِمَا كان يعرفه من عداوته لابن الفرات - قال : فأخذ الرجلُ من حضرة الخليفة لِضَرْبِ عليٍّ بُعْدٌ . فقال : لا ، لا ، ها هنا . فضرب بحيثُ يشاهده دون خمسِ مِقرَعٍ . فقال : غُرِّتِ وضمَّنتُ لي ضماناتٌ فكذبتُ ، والله ما رأيتُ أردبيل قطُّ . وطلبَ أبو معدٍّ نزارُ بن محمد الضَّبِّيُّ صاحبُ الشرطة فكان قد انصرف . وقال الخليفة لعليِّ بن عيسى : وَقَّعْ إليه بأن يضربه مائة سوطٍ وَيُثَقِّلَهُ بالحديد ويَطْرَحَهُ في المِطْبَقِ (١) . فوالله لقد رأيتُ حامداً وقد كاد يسقط الخنزيراً وانكساراً ووجلاً وإشفاقاً . وخرجنا وجلسنا في دار نصرِ الحاجب وانصرف حامداً ، وأخذ عليُّ بن عيسى ينظر في أمورٍ كلَّم فيها ، وأخَّرَ أمرَ الرجل حتى قال له ابن عبدوس حاجبه : قد أُنْفِدَ بِدَبْرٍ (٢) المصروب المتكذِّب . قال أبو جعفر : فقلت : هذا رجل قد جهل ، وعمَّني إذ كنتُ سبباً لما لحقه ، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروهَ المُستأنَفَ أو بعضه كان لك فيه أجر . فقال : لعن الله هذا . وأىُّ أجرٍ في مثله ؟ ولكنني أقتصر به على خمسين مِقرعةٍ وأعفيه من السياط . ثم وَقَّعَ

(١) المِطْبَق : سجن تحت الأرض .

(٢) أُنْفِدَ : أرسل والدير من معانيه الموت ، أي أرسل بموته .

بذلك إلى نِزَارٍ وانصرف . وقد صار حامدٌ من أشدَّ الناس حَنَقًا علىَّ وعداوةً لى .
وحدث أبو الحسين على بن هشام قال : لما وَزَرَ^(١) أبو الحسن بن الفرات
وزارته الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المُقابلة في ديوان الخِلاصة من قِبَلِ
على بن عيسى ، وهو صاحبُ الديوان إذ ذاك ، قلده الديوان بأَسْرِهِ ، وأقام يتقلده
سنتين . واتفق أن قام في بعض العَشِيَّات يُصَلِّي المغرب ، فسقطت من كُمِّهِ رُقْعَةٌ
بخطِّهِ فيها سِعايةٌ لابن الفرات وأسبابُ به ، وسَعَى لابن عبد الحميد كاتبِ السِيدةِ
في الوزارة ، فوقعَتْ في يد أحد الحواشي ، فحَمَلَهَا إلى ابن الفرات ، فلما وَقَفَ
عليها قَبَضَ عليه من وَقْتِهِ ، وأنفذه في زَوْرَقٍ مُطْبِقٍ إلى واسط ، فصُودِرَ
هناك وُضِرَ .

ثم رَفَعَ صاحبُ البريد إلى ابن الفرات في جملة رُفُوعِهِ أن أم سليمان ماتت
ببغداد ولم يَحْضُرْهَا وُلْدُهَا ولا شَاهِدَتْهُ قبل موتها ، فاعْتَمَّ بذلك وهزَّتْهُ الرَّعَايَةُ
لأنَّ كَتَبَ إليه بخطِّهِ كتابًا أَقْرَأَنَاهُ سليمانُ من بعده فحفظته وهو :

مَيَّرْتُ - أكرمك الله - بين حَقِّكَ [و] جُرْمِكَ ، فوجدتُ الحقَّ يُوْفِي على
الجُرمِ ، وذكرت من سالفِ خِدْمَتِكَ [في المنازل]^(٢) التي فيها رُبِيتُ ،
وبين أهلها غُذِيْتُ ، مائنانى إليك ، وعطفنى عليك ، وأعادنى لك إلى أفضلِ
ما عهدتَ ، وأجمل ما أَلِفْتُ ، فَتَقَّ - أكرمك الله - بذلك واسكُنْ إليه ، وعوِّلْ
في صلاح ما اختل من أمرك عليه . واعلم أننى أراعى فيك حقوقَ أهلك التي تقوم
بِتَوْكُّدِ^(٣) السببِ مقامِ اللُّحْمَةِ والنَّسَبِ [و] تُسَهِّلُ ما عَظُمَ من جنائتك ، وتَقَلِّلُ

(١) القصة في تجارب الأمم ١٥/٥ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ والفرج بعد الشدة ١١٠/١
وابن الأثير حوادث ٢٩٦ .

(٢) زيادة من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٣) في الفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة بتوكيد .

ما كثر من إساءتك ، وإن أدع مراعاتها ^(١) والمحافظة عليها ، إن شاء الله ،
وقد قلّدتك أعمال دَسْتَمِيسَانَ لسنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها ، وكتبت
إلى أحمد بن محمد بن حبش ^(٢) بحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّد هذه الأعمال
وأظهر فيها أثراً حميداً يبيّن عن كفايتك ، ويؤدّي إلى ما أحبه من زيادتك
إن شاء الله ^(٣) .

وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال ^(٤) : حدثني أبو الحسين
علي بن هشام قال : كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن بن الفرات في شهر ربيع
الآخر سنة خمس وثلاثمائة في وزارته الثانية فسمعتة يتحدث ويقول : دخل إلى
أبو الهيثم العباس ^(٥) بن محمد بن ثوابة الأنباري في محبسي في دار المقتدر بالله وطالبني
بأن أكتب له خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار . فقلت : هذا مال ماجري على
يدي للسلطان في طول أيام ولايتي فكيف أصادر على مثله ؛ قال : قد حلفت بالطلاق
على أنه لا بد أن تكتب بذلك . فكتبت له بثلاثة عشر ألف ألف ، ولم أذكر درهما
ولا ديناراً . فقال اكتب ديناراً لأبرأ من يميني فكتبت وضررت عليه وخرقت
الرقة ومضعتُها وقلت : قد برّرت يمينك ولا سبيل بعد ذلك إلى كتب شيء .
فاجتهد ولم أفعل ، ثم عاد إليّ من غد ومعه أم موسى القهرمانه ، وجدّد مطالبتي
وأسرف في شتمى ، ورماني بالزنا ، فحلفت بالطلاق والعِتاق وتام الأيمان الغموس
أنّني مادخلتُ في محظور من هذا الجنس منذ نيّف وثلاثين سنة ، وسُمّته أن يحلف

(١) في الأصل مراعاتك . والتصويب من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٢) في الأصل غير واضحة ، وفي نشوار المحاضرة : حبش . وفي الفرج بعد الشدة : جيش .

(٣) في الفرج بعد الشدة عقب هذا الكلام : قال أبو الحسين : وابن جيش هذا كان وكيل

ابن الفرات في ضياعه بواسطة .

(٤) تجارب الأمم ٨٨/٥

(٥) مات بحبوسا سنة ٣٠٣ : انظر صلة عرب ٥٩ .

بمثل يميني على أن غلامه القائم على رأسه لم يأت في ليلته تلك . فأنكرت أم موسى هذا القول ، وغطت وجهها حياء منه . فقال لها ابن ثوابة : هذا رجل يطر بالأموال التي معه ، ومثله مثل المزيّن مع كسرى ، والحجّام مع الحجاج بن يوسف . فستأمرين السادة في إنزال المكروه به حتى يُذعن بما يراد منه - وكان قوله : السادة ، إشارة إلى المقتدر بالله والسيدة والدته وخاطف ود سنويه أم ولد المعتضد بالله ^(١) ، وهم إذ ذاك مُستولون على التدبير لصغر المقتدر بالله - فقامت أم موسى وعادت وقالت لابن ثوابة : يقول لك السادة : قد صدقت فيما قلت ويدك مطلقة فيه .

قال ابن القرات : وكنت في دار لطيفة ^(٢) ، والحُرُّ شديد فتقدم بتنجية البوارى ^(٣) عن سماءها حتى نزلت الشمس إلى صحنها ، وإغلاق أبواب بيوتها ، فخلصت في الشمس من غير أن أجد مُستظلاً منها ، ثم قيّدني بقيدٍ ثقيل ، وألبسني جبّة صوف قد نُعمت في ماء الأكارع ^(٤) ، وغلّني بغل ، وأقفل باب الحجرّة وانصرف ، فأشرفت على التلف . وعددت على نفسي ما علمت الناس به ، فوجدتني قد عمّلت كلّ شيء منه ، من مصادرة ونهب وقبض ضياع وحبس وتقييد وتضييق وإلباس جيب الصوف ، وتسليم قوم إلى أعدائهم وتمكينهم من مكروههم ، ولم أذكر أنني غلّمت أحداً ، فقلت : يا نفس هذه زيادة . ثم فكرت أن الترسى كاتب الطائي ضميني من عبيد الله بن سليمان ، فلم يُسلمني إليه وسلّمه إلى فسلمته إلى الحسن الملعوف المستخرج ، وكان عسوفاً ، وأمرته بتقييده وتعذيبه ومطالبتة بمال حدّته له ، وألّط ^(٥)

(١) في الأصل : المقتدر والتصويب من تجارب الأمم ٩٠/٥ .

(٢) في تجارب الأمم حجرة ضيقة . (٣) البوارى : المحصر .

(٤) الأكارع جمع كراع . وإعله يريد أنه نومه في مرقة إذ تكون فيها أدهان ودسم لتزداد الحرارة عليه .

(٥) ألط الغريم : منع من الحق .

ولم يؤدِّ ، فتقدَّمتُ بيَّله ثم ندمت بعد أن غلَّ مقدار ساعتين . وأمرتُ بإنزال الغلِّ عنه . وتجاوزتُ الساعتين وأنا مغلول ، فذكرتُ أمراً آخر ، وهو أنه لما قُرِبَ سَبْكَرى ^(١) مأسوراً مع رسول صاحب خراسان كتبتُ إلى بعض عمال الشرق بمطالبتة بأمواله وذخائره . فكتب بإطاطه وامتناعه ، فكتبتُ بأن يُغَلَّ ، فوصل الكتاب الأولُ وغلَّ ، وتلاه الثاني بعد ساعتين فَحُلَّ .

فلما تجاوزتُ ^(٢) عنى أربع ساعات سمعتُ صوتَ غلمانٍ مجتازين في المر الذي فيه حجرتي ، فقال الخدمُ الموكِّلون : هذا بدر الحرَّمي [و] هو صنيعتك . فاستغثتُ به وصحتُ : يا أبا الخير ، لي عليك حقوقٌ ، وأنا في حالٍ أمتنى معها الموت ، فتخاطب السادة وتُدَّكرهم حُرمتي وخدمتي في تثبيت دولتهم لما قعدَ الناسُ عن نصرتهم ، وافتتاحي البلدان المأخوذة ، واستيفائي الأموال المنكسرة ، وإن لم يكن إلا مواخذتي بذنب يُنقَمُ عليَّ فالسيفَ فإنه أروح . فرجع ودخل إليهم وخطبهم ورفقهم ، وأمروا بحلِّ الحديدِ كلِّه عنى ، وتغييرِ لباسي وأخذِ شعري ، وإدخالِي الحَمَامَ وتسليمي إلى زيدان ، وراسلوني : بأنك لا ترى بعد ذلك بُوساً . وأقت عند زيدان مُكرماً إلى أن رُدِدْتُ إلى هذا المجلس .

قال أبو الحسين : ثم ضرب الدهرَ ضربه فدخلتُ إليه مع أبي في الوزارة الثالثة وقد غلب الحسن على رأيه وأمره . فقال له أبي : قد أسرف أبو أحمد في مكارهِ الناس حتى أنه يضرب من لو قال له : اكتب خطك بما يريد منه لكتب بغير ضرب . ثم يواقف المصادِر على الأداء في وقتٍ بعينه ، فإن تأخَّرَ إيرادُ

(١) سبكرى : هو غلام الصفار وكان من الخارجين على الخليفة وانظر القبض عليه في ابن الأثير

حوادث ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) تجارب الأمم ٩٠/٥ .

الرَّوْزِ بِهِ^(١) ، أعاد ضربته . ومع هذا القعل شناعةً مع خلوه من فائدة . فقال له أبو الحسن : يا أبا القاسم ، لو لم يفعل أبو أحمد ما يفعله بأعدائنا ومن أساء معاملتنا لما كان من أولاد الأحرار ولكان نسل هوان . أنت تعلم أنني قد أحسنت إلى الناس دفعتين فما شكروني ، وسعوا على دمي . ووالله لأسلكن بهم ضد تلك الطريقة . فلما خرجنا من حضرته قال لي أبي : سمعتَ أعجبَ من هذا القول ؟ إذ كنا لم نسلم مع الإحسان نسلم مع الإساءة ؟ فما مضى إلا أيامٌ يسيرة حتى قبض عليه وجرى ما جرى في أمره .

قال القاضي أبو علي التنوخي قلت لأبي الحسين بن هشام : قد عرفنا خبر المزيّن مع كسرى وهو أنه جلس ليصلح وجهه فقال له : أيها الملك ، زوّجني بنتك ، فأمر بأن يقام ، فأقيم . وقيل له : ما قلتَ ؟ فقال : لم أقل شيئاً . ففعل به ذلك ثلاث دفعات . فقال الملك : لهذا المزيّن خطبٌ ، وأحضر أهل الرأي فأخبرهم بحاله . فقال جميعهم : ما أنطق هذا المزيّن إلا باعثٌ بعثه من مالٍ وراء ظهره . فأنفذ إلى منزله فلم يوجد له شيء . فقال الملك : احضروا مكان مقعده عند خدمته لي ، فيحفر فوجد تحته كنزٌ عظيم . فقال الملك : هذا الكنز كان يخاطبني .

ثم قلت لأبي الحسين : فهل تعرف خبر الحجام مع الحجاج ؟ قال : نعم . بلغنا أن الحجاج اختجّم ذات يوم ، فلما ركّب الحجام على رقبتة قال له : أحبُّ أيها الأمير أن تخبرني بنخرك مع ابن الأشعث ، وكيف عصا عليك . فقال له : لهذا الحديث وقتٌ آخرٌ ، وإذا فرغت من شأنك حدثتك . فأعاد مسألتَهُ وكرّرها ، والحجاج يدفعه ويعدّه ويحلف له على الوفاء له . فلما فرغ ونزع الحجام عنه ، وغسل الدّم ، أحضر الحجام وقال له : إنا وعدناك بأن نُحدثك حديثاً

(١) الروز مصدر راز ما عنده روزا : طلبه وأراده ويكون المعنى فإن تأخر إيراد ما طلبه .

ابن الأشعث معنا ، وخطفنا لك ، ونحن مُحدِّثوك : يا غلام ، السَّيِّطَ . فَأَتَى بِهَا ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ فِجْرَدَ وَعَلَّتَهُ السَّيِّطُ ، وَأَقْبَلَ الْحَجَّاجُ يَقْصُ عَلَيْهِ قِصَّةَ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِأَطْوَلِ حَدِيثٍ . فَلَمَّا فَرِغَ اسْتَوْفَى الْحَجَّامُ حَمْسَمَائَةَ سَوْطٍ ، فَكَادَ يَتَلَفُ . ثُمَّ رَفَعَ الضَّرْبَ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَفَّيْنَاكَ بِالْوَعْدِ ، وَأَيَّ وَقْتٍ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْأَلَ خَبْرَنَا مَعَ غَيْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ أَجْبِنَاكَ .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو الحسين بن هشام قال : حدثني

أبو علي بن مقلة قبل وزارته قال :

عزم أبو الحسن بنُ الفرات في وزارته الأولى يوماً على الصُّبْحِ (١) من غد ، وكان يومُ الأحد من رسمه أن يجلس للمظالم فيه . ثم قال له : كيف تشاغل نحن بالسُّرور ، ونصرفُ عن بابنا قوماً كثيرين قد قصدوا من نواحي بعيدةٍ وأقطارٍ شاسعةٍ مُستَضْرِحِينَ مُتَطَلِّمِينَ ؟ فهذا من أمير ، وهذا من عامل ، وهذا من قاض ، وهذا من مُتَعَزِّزٍ ، ويمضون مغمومين داعين علينا . والله ما أطيب نفساً بذلك ، ولكن أرى أن تجلسَ أنت يا أبا علي ساعةً ومعك أحمدُ بنُ عبيد الله بن رشيد صاحبُ ديوان المظالم وتستدعي القِصَصَ وتوقِّعاً منها فيما يجوز توقُّعها فيه ، وتفرداً ما لا بُدَّ من وقوفٍ عليه ، وتُحَضَّرَ إليه لأوقع فيه ، وينصرفَ أرباب الظَّلَامَاتِ مسرورين ، وأتھناً يومئذٍ بذلك . فقلتُ : السمع والطاعة . وبَكَرْتُ من غدٍ فقال لي : اخرج واجلس على ما وافقتك عليه . فخرجت ومعى ابنُ رشيد ، وجلسنا ووقعنا في جُهورِ مارُفَعِ إِلَّا عَشْرَ رِقَاعٍ كانت مما يحتاج إلى وقوفه عليها توقُّعُهُ بحُطه فيها ، وكان منها رقعةٌ كبيرةٌ ضخمةٌ ترجمتها : المتظلمون من أهل روذ مستان وهرمزُ جرد . وهما ناحيتان من السَّيْبِ الْأَسْفَلِ وَجُنُبِلاء ، وكانتا إذ ذاك

(١) الصُّبُوح : الشرب أو الأكل صباحاً .

في إقطاع السيدة . وقد رت أنها في ظلامه من وكيلها في تغيير رسمه ونقص طسق^(١) .
 فجعلتها فيما أوردته ، وعدت إلى أبي الحسن فعرفته ما جرى . فأخذ الرقاع ، ولم يزل
 يوقع فيها إلى أن انتهى إلى هذه الرقعة ، فقرأها ووجهه يربد^(٢) ويصفر ، وينقل
 من لون إلى لون ، فضاقت صدرى وندمت على ترك قراءتها وقلت : لعل فيها أمراً
 يتهمني فيه ، وأخذت ألوم نفسي على تفريطي فيما فرطت فيه . وفرغ منها ،
 فكتمنى ما وقف عليه فيها وقال : هاتوا أهل رومستان وهرمزجرد . فصاح
 الحجاب دفعات ، فلم يحب أحد ، وقام وهو مهموم منكسر ، ولم يدا كرتنا بأمر
 أكل ولا شرب ودخل بعض الحجير ، وتأخر أكله ، وزاد شغل قلبي ، وقلت
 لخليفة لساكن صاحب الدواة - وكان أمياً - : أريد رقعة لابن بسام الشاعر ،
 عليها خرج لأقف عليه ، ولم أزل أأخذه حتى مكنتني من تنفيس ما هو مع الدواة ،
 ولو كان ساكن حاضرًا لما تم لي ذلك . وأخذت الرقعة فإذا هي رقعة بعض أعداء
 ابن الفرات ، وقد قطعها فيها بالثلب^(٣) والطن وتعدد المساوي والقبايح ، وهدده
 بالسعاية ، وقال فيما قاله : قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك وأهلك وأقاربك
 وكتائبك وحواشيك ، واطرحت جميع الناس ، وأقلت الفكر في عواقب هذه
 الأفعال ، وما ترضى لمن تنقم عليه ما تنقمه بالإبعاد وتشتيت الشمل حتى تؤدعهم
 الحبوس وتقل وتضع . وختمها بأبيات هي :

لو كان ما أنتم فيه يدوم لكم ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً
 لكن رأيت الليالي غير تاركة مساء من حادثٍ أوسر مطرداً
 وقد سكنت إلى أني وأنكم سنستجد خلاف الحالتين عداً

(١) الطسق : مقدار معلوم من الخراج . (٢) يربد : يتغير لونه إلى الرعدة وهي العبرة .
 (٣) الثلب : السب .

قال وبطل صبح أبي الحسن ، ودعانا وقت الظهر فأكلنا معه على الرسم ، ولم أزل
أبسطه وأقول له أقوالاً تُسكِّنه ، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه غبوقاً^(١) ،
ومضى على هذا اليوم أربعة أشهر وقبض عليه ، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى .
فلما خلع على أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان جلسنا نتحدث وتذاكر أمر
ابن الفرات . فقال لي ابن عبد الأعلى : كنت جالساً في سوق السلاح أنتظر جواز
الخلافتي بالخلع لأقوم إليه وأهنته ، فاتفق معي رجل شاب حسن الهيئة ، جميل
البيزة ، وحدثني أنه صاحب لأبي الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل ، وأنه أنفذه
من أصبهان قاصداً حتى دسَّ إلى ابن الفرات رُقعةً على لسان بعض المتظلمين ، فيها
كلُّ طعنٍ وثلبٍ ودعاءٍ وسبٍّ وتوعُّدٍ وتهديدٍ وفي آخرها شعر . فقلت له : على رسلك
هذه الرقعة على يدي جرت ووصلت إلى ابن الفرات ، وخرج الحديث مُتقابلاً .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبي
يقول لأبي علي بن مقلة في أول وزارته الأولى - وقد جلس مجلساً نقض فيه الأعمال
وبان منه فضلٌ كفايةً واستقلال - : العملُ في يد الوزير أيده الله ذليل . فقال : على
هذه الحال نشأنا يا أبا القاسم ، وأخذناها عن كانت الدنيا والملكة يطرحان الأتقال
عليه فنهض بها - يعني أبا الحسن بن الفرات - ثم قال أبو علي : لقد رأيتُه جالساً في
الديوان للمظالم ، والوزيرُ إذ ذاك القاسمُ بنُ عبيد الله ، فظلم إليه رجل من رسم
تقله عليه الطائي وغيره رسماً له قديماً خفيفاً ، ويسأل رده إلى ما كان عليه أولاً .
وهو يقول : قد مُتنتني أن أبطل رسماً قرره أبو جعفر الطائي - رحمه الله - في محله
من العدل والثقة والبصيرة بأسباب العمارة ، وقد درت عليه الأموال ، وصلحت

(١) الغبوق: ما يشرب في الليل وهو خلاف الصبح.

الأحوال ، وأحمدَه الجمهورُ ، واستقامت عليه الأمور . وهذا سَوْمٌ إِيغَاتٍ . وَيَكْتُبُ بِحَمَلِهِ عَلَى مَا رَسَمَهُ أَبُو جَعْفَرٍ .

ثم رأيت مرة ثانية مُتَطَلِّمًا آخر من رَسْمٍ ثَقِيلٍ خَفَّفَهُ الطائِيُّ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الضَّيْعَةَ لِالاحْتِمَالِ غَيْرِهِ ، وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِيهِ وَيَسْأَلُ إِجْرَاءَهُ عَلَى رَسْمِ الطائِيِّ فيقول له : يا بَارِكُ اللهُ عَلَيْكَ ، لَيْسَ الطائِيُّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ أَوْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَوْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِينَ نَعْتَقِي آثَارَهُمْ وَمُنْضِي أفعالِهِمْ . وَإِنَّمَا الطائِيُّ ضَامِنٌ عَمَلٍ ، رَأَى مَا رَأَاهُ حَظًّا لِنَفْسِهِ ، وَمَا يَلْزِمُ السُّلْطَانَ تَقْرِيرُهُ ، وَأَنْتَ مُعِنْتُ فِي تَطَلُّمِكَ . وَيَكْتُبُ بِأَنَّ يُجْرَى عَلَى الرَّسْمِ الْقَدِيمِ الثَّقِيلِ . وَيُخَاطَبُ كَلًّا مِنَ الرَّجُلَيْنِ بِلِسَانِ غَيْرِ اللِّسَانِ الْآخِرِ شُحًّا عَلَى الْأَمْوَالِ وَحَفْظًا لَهَا .

وحكى القاضى أبو على التنوخى قال ^(١) : اجتمعتُ مع أبي على بن أبي عبد الله ابن الجصاص ^(٢) ، فرأيت شيخاً حسنَ المحاضرة ، وحدثني قال : حدثني أبي قال : لما ولي أبو الحسن بنُ القرات إحدى وزاراته قصداً قبيحاً ، وأطلق لسانه في ثألياً متفقصاً ، ورسمَ للعمال حظَّ ضياعي ونقصَ معاملاتى ، وأدام الغصَّ منى والكسر بجاهى ، ووسَّطت بينى وبينه جماعةٌ من الناس ، وبذلتُ له بدلاً في مثله ما صلحت القلوبُ ، فأقام على أمره ، وأقت على احتمالهِ ، إلى أن زاد الأمرُ ، وسمعت حاجبه يقول وقد وليتُ عنه : أى بيتٍ مالٍ يمشى على وجه الأرض ؟ أى ألفى ألفِ دينارٍ مالها من يأخذها ؟ فعلمت أن القول قولُ صاحبه ، وأنتى منكوب على يده . وكان عندى فى الوقت ما قدره وقيمته سبعة آلافِ دينارٍ مالا وجوهراً سوى باقى المملوكات ، فضاقت على الدنيا ، وأشفقت إشفاقاً شديداً ، وسهرت أكثر

(١) القصة فى كتاب أخبار الحق والفيلين ص ٢٣ - ٣٥ .

(٢) انظر ترجمة أبى عبد الله الحين بن الجصاص فى المنتظم ٢١١/٦ وفوات الوفيات .

للى مُفكراً في تدبير أمرى . ثم عنَّ لى الرأى آخرَ الليل إلى أن ركبتُ إلى ابنِ الترات ، فوجدتُ بابهُ مُغلِقاً لم يُفتحْ بعدُ فدققتُهُ . فقال البوابون : من الطارق؟ فقلت : ابنُ الجصاص . فقالوا : الوزيرُ نائمٌ وما هذا وقتُ وصول . فقلت : اعرفوا الحجابَ أنتى حضرت في مُهمِّ ، فعرفوهم . فخرج إلى أحدُهم وقال : الساعةَ تَدبَّه ، تجلسُ ساعةً وتدخل . قلت : الأمرُ أهمُّ من ذلك . فدخل وعرفه ماقلته له . وخرج بعد ساعةٍ وأدخلنى من دارٍ إلى أخرى حتى وصلتُ إلى مرقدهِ ، وهو على سريرهِ ، وحواليه خمسون فرأشاً كأنهم حفظة ، ووجدته مُرتاعاً من قولى ، وقد ظنَّ حُدوثَ حادثةٍ ، وأنتى جئته برسالة الخليفة .

فلما رأنى رفعنى وقال لى : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قلت : خيرٌ ، وما حدثت حادثةً ، ولا معى رسالةً ، وإنما حضرت في أمرٍ يخصُّ الوزيرَ ويخصُّنى ، ولم يجزُ إيراده إلا على خلوةٍ تامَّة . فسكن ثم قال لمن كان حواليه : انصرفوا . فمضوا وقال : هات . قلت : قصدتُ أيُّها الوزيرُ أعظمَ قصدٍ ، وشرعتُ في هلاكى وزوالِ نعمتى من كلِّ وجه ، وليس من المهجة والنعمه عِوض . ولعمرى إننى قد أسأتُ في خِدْمَتِكَ ، وحرمتُ التوفيقَ في معاملتك ، إلا أن فى بعض هذه المقابلةِ بلاغاً وكفايةً ، وما تركتُ باباً فى صلاح قلبك إلا طرفته ، ولا أمراً فى استعطاف رأيك إلا قصدته ، ووسطت بينى وبينك فلانا وفلانا ، وُبدل لك كذا وكذا ، وأنت مقيم على أمرك فى أذيتى ، وما حيوانٌ أضعفُ من السُّنورِ ^(١) ، وإذاعائتُ فى دُكانٍ بقالٍ ثم مملكتها ولزمتها ولزمتها إلى زواية ليخنقها وثبت عليه ، وخدشت وجهه ، وخرقت ثيابه ، وطلبت الخلاصَ بكلِّ ما تقدّر عليه ، وقد وجدت نفسى معك فى هذه المنزلة ، ورأيتها كالسُّنورِ التى هى على هذه الصورة . فإن صلحت لى ، وفعلت ما تقتضيه الفتوةُ

(١) السُّنور : الهر .

والمروءة معي ، وإلا فعليّ وعليّ - وحلفت له أيماناً مغلظة - لأقصدنّ الخليفة الساعة ،
ولأحولنّ إليه ألفي دينار عيماً من خزانتي ، فلا يُصبح إلاّ وهي في يديه ،
وأنت تعلم قدرتي عليها ، ولأقولن له : خذ المال ، واستوزر فلانا ، وسلّم ابن الفرات
إليه . نعم ، ولا أذكر له إلاّ من يقبأه قلبه ، ويكون فيه نفاذٌ وحرّ كةٌ ولسان
ومحرّقة ، ما يتعدّى هذه الصفة أحدُ كتابك ^(١) فيسلك والله في الحال حرصاً على
المال ، ويراني المتقلدُ بمنزلةٍ مَنْ أعطى ماله في قضاء حقه وبلوغ غرضه ، فيخدمني
ويتدبر بتديري ، ويتسلمك فيتهى في مكروهك إلى حدٍ يستخرجُ به المال
منك ، ويردّه عليّ ، وحالك تحتاه ، ولكنك تفتقر بعده ، فأكون قد حرستُ
نفسى ، وشفيتُ غيظى ، وأهلكت عدوئى واسترجعت مالى ، وازددت محملاً بصرف
وزير وتقليد وزير .

فلما استوفى قولى سقّط في يديه وقال : يا عدوّ الله ، أو تستحل ذلك منى ؟
قلت : لستُ عدوّ الله ، ولكنى أستحلّ السعى على من يُريد هلاكى وإزالة
نعمتى فقال : أو أىّ شيء ؟ قلت : تحلف لى الساعة بما أستحلفك به ، على أن
تكون معى لا عليّ ، وأن تُجرّينى على رؤسوى ، وتخرّس ضياعى ، وترفع منى ،
وتعتقد الجميل فى ولا تسعى لى فى سوء ، ولا تُمكن منى أبداً ظاهراً أو باطناً ،
وتفعل كلّ ما تؤمّننى به . فقال : وتحلف لى أيضاً على إخلاص النية ، واعتقاد
الطاعة ، واعتماد المؤازرة والمظاهرة ^(٢) . فقلت : أفعل ^(٣) . وعلمنا نسخة يمين

(١) فى كتاب الحق : وأذكر له أقرب من يقع فى نفسى أنه يجب إلى تقليده من له وجه مقبول
واسان عذب وخط حسن ، ولا أعتد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال
حاضراً فيسلك فى الحال ويرانى المتقلد .

(٢) المظاهرة : المنصرة .

(٣) فى الأصل فقال : والتصويب من السياق ومن أخبار الحق .

حَلَفَ وحلَفْتُ بِهَا على الشرائط المقدَّم ذِكْرُهَا . وقال لى بعد ذلك : لعنك الله فما أنت إِلَّا إبليس ، والله لقد سَحَرْتَنى وعظمت مع ذلك فى نفسى ، وخففت ثقلاً عن قلبى ، ولعمرى إن المقتدر بالله لا يفرِّق بين موقعى وغنائى وكفائتى ، وبين أحسن كُتَّابى مع الطمع الحاضر والمال المبدول ، فليكن ما جرى مُنطَوِّباً . فقلت : سبحان الله . فقال : إذا كان من غد فأدخل إلى مجلس العموم لترى ما أعملك به . فقامت وقال : يا غلمان ، بين يدى أبى عبد الله . فخرج بين يدىَّ نحو مائتى غلام وعدت إلى دارى .

ولما طلع الفجر جثته عند الإصباح ، وقد جلس فى المجلس العام ، فرغنى على كلِّ مَنْ بحضرتة ، وقرَّظنى تقرِّظاً كثيراً ، ووصفنى وصفا جميلاً ، حتى علم الحاضرون صلاح رأيه ، وأمر بإنشاء الكتب إلى سُمَّال النواحي بِصِيَانَةِ ضِياعى ، وإعزاز وكلائى ، وإمضاء رسومى ، ووَقَّعَ إلى كُتَّاب الدواوين بإبطال مائبت فيها من الزيادة علىَّ ، ونَقَصِ معاملاتى ، فدعوت له وشكرته ، وقتتُ ، فقال : يا غلمان ، بين يديه . فخرج الحُجَّاب يَجْرُونَ سيوفهم ، والناسُ يشاهدونهم ، ورجع جاهى واستقامت أمورى . فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال القاضى أبو على : فقال لى أبو على بن الجصاص عند استتمامه لهذا الحديث : فهل فعلُ أبى ما فعله (١) مما يليق بما يقال فيه ويحكى عنه ؟ قلت : لا . قال : فكانت له فى تلك المقالات والحقاقت المروية - إن كانت حقا - أغراضٌ غيرُ معروفة (٢) .

(١) ما فعله : أى الذى فعله . وفى أخبار الحمقى : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات .

(٢) يذكر ابن الجوزى فى أخبار المغالين ص ٣٣ أنه ما كان إلا من أدهى الناس ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريبا مما يحكى عنه « أى من أنواع الحق والغفلة » لسلامة طبع فيه ولأنه كان يحب أن يصون نفسه عندهم بصورة الأبله لتأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء .

وحدث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي : أن رجلاً^(١) اتصلت
عُطْلته ، وانقطعت مادته ، حَمَلَ نفسه على أن زَوَّرَ كِتَاباً من أبي الحسن بن الفرات
إلى أبي زنبور المادرائي عاملِ مصرَ في معناه مُتَضَمِّناً لِلرِّصَاةِ به ، والتأكيدي في
الإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وخرج إليه فلقيه ، وارتاب أبو زنبور بأمره لتغير
الخطاب فيه عمّا يمهده ، وزيادة تأكيدي على ماجرت به العادة في مثله ، وأنّ الدعاء
للرجل في الكتاب أكثر مما يقتضيه محله . فراعاه مراعاةً قريبة ، ووصله بصلة قليلة ،
وارتبطه عنده على وعدٍ وعدّه به ، وكتب إلى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد
عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستثبته . وقرأ ابنُ الفرات الكتاب المزور فوجد فيه
ذكرَ الرَّجُلِ بأنه من أهل الحُرُمَاتِ به ، والمَوَاتِ لَدَيْهِ ، وما يقال في ذلك ، وَيُتْبِعُهُ
مما يعود بمعرفة حقه واعتماد نفعه . وعرضه على كتّابه وأصحابه ، وعرفهم الصورة فيه ،
وتعجب منها وقال لهم : ما الرأي في أمر هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : يُؤَدَّبُ بالضرب
والحبس . وقال آخرون : تُقَطَّعُ إبهامه لئلا يُعاوِدَ مثل هذا التزوير . وقال أحسنهم
مَحْضراً : تُكْشَفُ لأبي زنبور قِصَّتُهُ وَيَتَقَدَّمُ إليه بطرده وحرمانه مع بعد شقته .
فقال لهم ابن الفرات : ما بعدكم من الخيرية : وأنفَرَ طباعكم عن الخيرية . رجلٌ
توسَّلَ بنا ، وتحمل المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صنْعِ الله
ورزقه بالانتساب إلينا تكون ، أحسنُ أحواله عند أجلكم محضراً تكذيب ظنّه
وتخبيب سعيه ! والله لا كان هذا أبداً . ثم أخذ القلم ووقع بخطه على ظهر الكتاب
المزور : هذا كتابي ، ولست أعرف لِمَ أنكرت أمره واعتصتكت شبهة فيه ؟ وليس
كلُّ من خدمنا وأوجب حقاً علينا عرفته . وهذا رجلٌ تحرّم بحِدْمتي ، أيام استتارى

(١) النعمة في المنتظم ١٩١/٦ ونسوار المحاضرة ٢٣/١ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات
على بن محمد .

ونكيتي ، وما أعتقده فيه أكثر مما تَضَمَّنَه الكتاب من وصف ما عندى له . فَأَحْسَنُ
تَفَقُّدَهُ ، وَوَفَّرَ رِفْدَهُ ، وَصَرَّفَهُ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ ، وَنَصَلَ إِلَيْهِ فَوَائِدُهُ .

ورده إلى أبي زنبور من يومه .

فلما مضت مدَّةٌ طويلة دخل على أبي الحسن بن الفرات رجلٌ ذوهيئةٌ وريَّةٌ جميلةٌ ،
وأقبل يدعو له ويُثني عليه ويبكي ويُقبل الأرض بين يديه ، فقال ابنُ الفرات :
من أنت بارك الله عليك ؟ - وكانت هذه كلمته - . قال : صاحبُ الكتاب المزور
إلى أبي زنبور الذي صحَّحَه كَرَمُ الوَزيْر وتفضُّلهُ ، صنع الله به وصنع . فضحك
ابن الفرات وقال له : كم وصل إليك منه ؟ قال : أوصل إلىَّ من ماله وتقسيطٍ قَسَطَه
وعَمِلَ صَرَفِي فِيهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال ابنُ الفرات : الحمد لله ، الرِّمْنَا فإِنَّا
نُعَرِّضُكَ لِمَا يَزِدُّكَ بِهِ صَلاَحٌ حَالِكٌ . ثم اختبره وامتنحه فوجده كاتباً سديداً . فاستخدمه
وأكسبه مالا جزيلاً .

وحدث أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي الكاتب
قال : حدثني غير واحد من كتاب الحضرة أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات
المكتفي بالله جمع كتابه وخواصه وخلاهم وشاورهم فيمن يُقلِّده الخلافة . فأجمعوا
وأشاروا على العباس بعبد الله بن المعتز إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك . فقال له
العباس : لم أمسكت ولم تورد ما عندك ؟ فقال : هو أيها الوزير موضع إمساك . قال :
ولم ؟ قال : إنه وجب أن ينفرد الوزير - أعزه الله - بكل واحدٍ منا فيعرف رأيه وما عنده .
ثم يجمع الآراء ويختار منها بصائب فكره وثاقب نظره ماشاء . فأما أن يقول كلُّ
واحد رأيه بحضرة الباقيين فرُبما كان عنده ما يسلك سبيل التقيَّة^(١) في كتابه وطَّيه .
قال : صدقت والله ، قم معي ، فأخذ يده ودخلا وتركوا الباقيين بمكانهم . فقال له

(١) التقيَّة: الاحتراس وما يتق به الشر بأن لا يظهر مافي نفسه .

ابنُ الفرات : قرّرتَ رأيك على ابن المعتز؟ قال : هو أكبر من يُوجد . قال : وأى شيء تعمل برجلٍ فاضلٍ متأدّبٍ قد تحنّك وتدرّب وعرف الأعمالَ ومعاملاتِ السّواد وموقع الرعيّة في الأموال ، وخبر المكايل والأوزان وأسعار المأكولات والمستعملات ، ومجاري الأمور والمتصرّفات ، وحاسب وكلاءه على ماتولّوه ، وضايقتهم وناقشهم ، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم ، فكيف يتمّ لنا معه أمرٌ إن حملَ كبيراً على صغير ، وقاس جليلاً على دقيق؟! هذا لو كان ما بيننا وبينه عامراً وكان صدره علينا من الغيظ خالياً ، فكيف وأنت تعرف رأيه؟

قال العباس : وأى شيء في نفسه علينا؟ قال : أنسيتَ أنه منذ ثلاثين سنة يكتبك في حوائج فلا تقضيها ، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها ، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر ، ويتوسّل في الوصول إليك ليلا فلا تأذن ، وكل رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبتّه إلى مراده فيها . وكل قد جاءني منه ما هذه سبيله فلم أراع فيه وُصولاً إلى ما يريد إيصاله إليه . وهل كان له شغل عند مُقامه في منزله وخالوته بنفسه إلا معرفة أحوالنا والمسالّة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا؟ هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجدّه ، وأنه مظلوم منذ قُتل أبوه ، مهضومٌ مقصودٌ مضغوط ، فكيف يجوز أن نسلمّ إليه نفوسنا فننحرّس^(١) ، فضلاً عن أموالنا؟

فقال العباس : صدقت والله يا أبا الحسن ، فمن يُقلّد وليس هاهنا أحد؟! قال : تقلّد جعفر بن المعتضد ، فإنه صبي لا يدرى أين هو ، وعامة سروره أن يُصرف من المكتب ، فكيف أن يُجعل خليفة ويُملّك الأعمال والأموال وتدير النواحي

(١) تحرس واحترس هما بمعنى .

والرجال؟ ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر قد انغرت
محبّتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه. قال: فكيف يجوز أن يُبايع
الناس صبيّاً أو يقيموه إماماً؟ فقال له: أمّا الجواز، فمتى اعتقدت أنت أو نحن إمامة
البالغين من هؤلاء القوم؟! وأما إجابة الناس، فمتى فعل السلطان شيئاً فعورض
فيه، أو أراد أمراً فوقف؟ وأكثر من ترى صنائع المعتضد، وإذا أظهرت أنك
اعتمدت في ذلك مراعاة حقّه، واقرار الأمر في ولده، وفترقت المال، وأطلقت البيعة،
وقع الرضا، وسقط الخلاف. وطريق ماتريده أن تواقف بعض أكابر القوادم
وعقلاء الخدم على المضيّ إلى دار ابن طاهر وحمله إلى دار الخلافة، وأن تستر الأمر إلى
أن يتمّ التدبير، وإن اعتاص معتاص مدّاً بالعطاء والإحسان. فقال العباس:
هذا هو الرأى.

واستدعى في الحال مؤنساً مولى المعتضد، وأورد عليه ماذهب فيه إلى الجنس
الذى أشار به أبو الحسن في الوفاء للمعتضد، ورعاية ما كان منه في اصطناع الجماعة،
ورسم له قصد دار ابن طاهر، وحمل جعفر إلى دار الخلافة والسلام عليه بها.
فقبل، وماج الجند ففرق فيهم مال البيعة، ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد
وتمّ التدبير. فلما زال أمر العباس، وكان من قتله^(١) ما كان، وانتظمت الأمور بعد
قتل ابن المعتز، وتقلد أبو الحسن الوزارة، صارت ثمرة هذا الرأى له، وكان يقف
بين يدي المقتدر بالله وهو صبيّ قاعد على السرير، فيخطب الناس والجيش عنه. فإذا
انصرفوا أمرت السيدة بأن يُعدّل بأبي الحسن إلى حجرة، فيجلس فيها، ويخرج
المقتدر فيقوم إليه فيقبل يده ورأسه، ثم يقعد ويقعد في حجره كما يفعل الناس
بأولادهم. وتقول له السيدة من وراء الباب: هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قدّته

(١) انظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦.

الخلافة أولاً وثانياً . تعنى ماتقدم من مشورته على العباس به وبتقليده الخلافة ،
ومن بعد إزالة فتنة ابن المعتز . فيقول ابن الفرات : هذا مولاي وإمامي ورب نعمتي
وابن مولاي وإمامي . وبقى على ذلك مدة وزارته الأولى ، وتمكن أبو الحسن من
الخزائن والأموال وفعل ما شاء وأراد .

قال أبو محمد الصلحي : قال لنا أبو علي بن مقلة ، وقد جرى ذكرُ ابن الفرات :
يا قوم ، سمعتم بمن سرق في عشرِ خطواتِ سبعمائة ألف دينار ؟ قلنا : كيف ذلك ؟
قال : كنت بين يدي ابن الفرات في وزارته الأولى ، ونحن في دار الخلافة نقرر
أرزاق الجيش ، ونقيم وجوه مال البيعة ، ونرتب إطلاقه ، وذلك عقيب فتنة ابن المعتز .
فلما فرغ مما أراد ، وخرج فركب طياره ، وبلغ نهر الملقى . فقال : إنا لله ، إنا لله ،
قفوا . فوقف الملاحون . فقال لي وقّع إلى أبي خراسان صاحب بيت المال بحمل
سبعمائة ألف دينارٍ تُضاف إلى مال البيعة وتُفرق على الرجال . فقلت في نفسي :
أليس قد وجهنا وجوه المال كله ؟ ماهذه الزيادة ؟ ووقعتُ بما رسمته ، وعلم فيه بخطه ،
ودفعه إلى غلام وقال : لا تبرح من بيت المال حتى تحمل هذا المال الساعة إلى
داري . ثم سار . قال : فحمل إليه بأسره ، وسلم إلى خازنه ، فعلمت أنه أنسى أن
يأخذ شيئاً لنفسه في الوسط ، ثم ذكر أنه باب لا يتفق مثله سريعاً ، ويحتمل
ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير ، فاستدرك من رأيه ما استدرك ، وتنبه من
فعله على ما تنبّه .

وحدث أبو محمد الصلحي قال . حدثنا جماعة من كتاب أبي الحسن بن الفرات
وخواصه قالوا :

عاد أبو الحسن من الموكب يوماً ، فجلس بسواده^(١) مغموماً يفكرُ فكراً

(١) بسواده يعني بذلك السواد الذي كان شعار العباسيين إذ أن ملابسهم الرسمية كانت سوداء .

طويلاً. فثعلب ما رأينا منه قلوبنا، وظننا له حادث، فسالنا عن أمره، ودافعنا،
 وألحنا عليه، فهاجرنا، وقال: ما هنا إلا خيرٌ وسلامة. فقام ابن جبير، وكان
 من بيننا مُتَهَوِّراً مُدِلِّلاً. فقال: تأمر أيها الوزير بأمر؟ قال: إلى أين؟ قال: أَسْتَتِرُ
 وَأَسْتُرُ عِيَالِي، وسبيل هؤلاء الذين بين يديك أن يفعلوا مثل فعلى. قال: ولم؟
 قال: تعود من دار الخِلافة وأنت من النعم الظاهر في وجهك على هذه الصورة،
 ونسألك عن أمرك فكتمنا، ولم تجرِ عادتُك بذلك معنا، هل وراء هذا إلا
 القبضُ والصرفُ؟ فقال له: اجلس يا أحق حتى أحدثك السبب. فجلس. وقال:
 ويحكم، قد علمت أنني أشكو إليكم نقصان هذا الرجل - يعنى القنندر - دائماً
 وشِدَّةَ تَلَوُّمِهِ^(١) واختلاف رأيه، وإني أحب منذ مدة أن أزوره وأعرف قدر
 ذلك منه، وهل هو في كل الأمور أو في بعضها، وفي صغارها أم في كبارها؟ فقلت له
 اليوم في أمر رجل كبير - ولم يُسمَّه ابن الفرات - : يا أمير المؤمنين إن فلانا
 قد فسَدَ علينا، وليس مثله من أخرج عن أدينا. وقد رأيتُ أن أقلده كذا،
 وأقطعَه وأسوِّغَه كذا - وأكثرت - لتستخلصه بذلك، وتستخلص نيته،
 وتستديم طاعته، ولم يحز أن أفعل أمراً إلا بعد مُطالعتك، فما تأمر؟ قال: افعل.
 ثم حدثته طويلاً وخرجت من أمر إلى آخر، وقرب وقت انصرافي فقلت له:
 يامولانا، عاودتُ الفِكرَ في أمرِ فلان فوجدت ما نُعطيه إياه مما استأذنتُ فيه
 كثيراً مؤثراً في بيت المال، ولا نأمن أن يطمع نظراؤه في مثل ذلك، وإن أجنبناهم
 عظمت الكلفة، وإن منعناهم فسدوا، وقد رأيت رأيا آخر في أمره. قال:
 ما هو؟ قلت: أن قبضَ عليه وتأخذَ نِعَمَه وتخلِّده الحبس أبداً. قال: افعل.
 فقلت: واويلاه كذا والله تجرى حالي معه. يقال: إن ابن الفرات الكافي

(١) التلوم: تكلف اللوم أو تتبع الداء ليعلم مكانه. وقد تكون الكلمة أيضاً محرفة عن تلونه:
 أى قلبه وتغيره من حال إلى حال.

الناصح ، وهو وَطَّأَ لك الأمر ، وأقامك في الخِلافة وهو . . . وهو . . . فيقول : نعم .
وَيَقْرَبُنِي وَيُقَدِّمُنِي ، ثم يقف غدا بين يديه رجلٌ فيقول : قد سَرَقَ ابنُ الفراتِ
الأموالَ ، ونهبَ الأعمالَ ، وفعلَ وصنع . والوجهُ أن يُقبَضَ عليه ويُصرَفَ وَيُقَيَّدَ
ويُحْبَسَ ، وَيَقْلَدُ وزيرٌ آخرُ . فيقول : نعم . ويفعل ذلك بي . ثم يُعَاوَدُ ويُقالُ له :
لا يجوز أن يُوحَسَ ابنُ الفراتِ وَيُسْتَنْبَقَ ، ولا يُؤْمَنُ أن يُسْتَفْسَدَ وَيُتْرَكَ ،
والصوابُ قَتْلُهُ ، فيقول : افعلوا . فأهلك .

قال : واستشعر هذا فكان على ما قدره . وقد تواترت هذه الحكاية
عن جماعة عنه .

ومما ذُكر عن ابن الفرات أنه كان يقول : تمشية أمور السلطان على الخطأ
خيرٌ من وقوفها على الصواب . ويقول أيضاً : إذا كانت لك حاجةٌ إلى الوزير
فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان أو كاتب سره فافعل ، ولا تبُلُغْ إليه فيها .
وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو علي بن مقله قال :
كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات في التحرير أيام خلافته ^(١) أبا العباس أخاه
على ديوان السواد بجارى ^(٢) عشرة دنانير في كل شهر ، ثم تقدمت حاله فأرزقني
ثلاثين ديناراً في كل شهر ، فلما تقلد الوزارة جعل رزقي خمسمائة دينار في الشهر ، ثم
أمر ^(٣) بقبض مافي دور القوم الذين بايعوا ابن المعتز . فحصل في الجملة صندوقان ،
فسأل : هل علمتم ما فيهما ؟ قالوا : نعم . جرائدُ بأسماء من يُعاديك ويُدبِّرُ في زوال
أمرك . فقال : لا يفتحان . ثم دعا بنا ، دعاءً كرَّره وصاح فيه ، وأحضرها الفراءشون

(١) أي أيام قيامه بالعمل نيابة عن أخيه .

(٢) أي بأجر قدره عشرة دنانير .

(٣) تجارب الأمم ١٣/٥ ، ١٤ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات والغزوى ٢٣٤ .

فَأُجِّبَتْ . وتقدم بطرحها في النار على ماها فلما أحرقت (١) أقبل على من كان
حاضرا وقال : والله لو فتحها وقرأت ما فيها لفسدت نيات الناس كلهم علينا ،
واستشعر الخوف منا ، ومع فعلنا ما فعلناه طوينا الأمور بهذا ، فهذأت القلوب
واطمأنت النفوس ، ثم قال لي - يقول هذا أبو علي بن مقلة - : قد آمن الله والخليفة
- أعزه الله - كل من بايع ابن المعتز ، فاكتب الأمانات للناس جميعا وجئني بها
لأوقع فيها ، ولا ترد أحدا عن أمان يطلبه ، فقد أفردتك لذلك ، لأنه باب
مكسب كبير . وقال لمن حضر : أشبعوا قولي وتحذثوا به بين الخاص والعام
ليانس المستوحش ، ويأمن المستتر . قال أبو علي : فحصل لي في كتب الأمانات
مائة ألف دينار أو نحوها .

وحدث محدث أن التزويرات كثرت على أبي الحسن علي بن عيسى عند
صرفه وتقليد أبي الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة ، وزاد الأمر فيها : فوقع ابن
الفرات إلى أصحاب الدواوين توقيعا نسخته :

قَدْ نَسَخَ لَكُمْ - أكرمكم الله - آخِرَ هَذَا التَّوْقِيعِ كِتَابٌ وَرَدَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ - أطال الله بقاءه - فيما انتهى إليه من حال توقيعات في أيدي الناس بخط
علي بن عيسى ، بزيادات ونقل وفك وإثبات ، فأمر - أعلى الله أمره - بترك
إمضاء شيء منها ، فانتسخوا هذا التوقيع في مجالسكم ، وامتلوا ما أمر به فيه ، ولا
تنفذوا توقيعا من علي بن عيسى بخطه وتوقيع أو نقل جار ، وتحروا
من إيقاع حيلة في ذلك أو في شيء منه إن شاء الله .

ونسخه كتاب المقتدر بالله في آخره :

أَمْتَعَنِي اللَّهُ بِكَ وَبِالنَّعْمَةِ عِنْدَكَ ، انْتَهَى فِي الْخَبَرِ حَالُ تَوْقِيعَاتٍ كَثِيرَةٍ زُوِّرَتْ

(١) أي فلما أحرقت الجرائد .

على أنها بخطّ عليّ بن عيسى ، وظهرت في الدواوين بزياداتٍ تقوم في أرزاقهم ، فرأيتُ ألاّ تُمضَى يا أبا الحسن - أمتنى الله بك - توقيعاً من عليّ بن عيسى في زيادة ولا نقلٍ ولا إثباتٍ ولا في شيءٍ يجري هذا المجرى إلا ما كتبت به جامعاً^(١) حتى إذا اجتمعت عندك الجوامع ، عرّضت عليّ في كلِّ ثلاثة أشهر ما يجتمع منها لأقف عليه وأمر برأي فيه . فاعمل - متّنى الله بك - بذلك ، ولا تخالفه ، وعرّفني امثالك إياه إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال : كنتُ بحضرة أبي الحسن بن الفرات في وزارته الأولى ، وهو جالس يعمل ، إذ رفع رأسه ، وترك العمل من يده ، وقال : أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعني حقّ الطاعة فأنفذه في مهمّ لي ، فإذا بلغ فيه ما أُرسمه له أحسنتُ إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيته . فأمسك من حضر . ووثب رجلٌ يُكنى بأبي منصور أخُ لابن أبي شبيب حاجبِ ابنِ الفرات فقال : أنا أيها الوزير . قال : وتفعل ؟ قال : أفعل وأزيد . قال : كم تر تزق ؟ قال : أرتزق مائةً وعشرين ديناراً . قال : وقّعوا له بالصّمْف . وقال : سلّ حوائجك . فسأله أشياء أجابه إليها ، فلما فرغ من ذلك قال : خذ توقيعى وامض إلى ديوان الخراج ، وأوصله إلى كاتبِ الجماعة وطالبهما بإخراج ما على محمد بن جعفر بن الحجّاج ، وطالبه بأداء المال ، وأتلفه إلى أن يُستخرج جميعه ، ولا تسمع له حجة ، ولا تُمهله البتّة .

فخرج وأخذ من رجالة الباب ثلاثين رجلاً ، فقلت : لأخرجنّ وأمضينّ إلى الديوان حتى أنظر ما يؤول إليه الحال . فخرجت ، وصرّتُ إلى الديوان - وهو في الدار المعروفة بفتح القلاسي - فدخل أبو منصور هذا إلى الصقر بن محمد ،

(١) أي قائمة تجمع فيها ذلك .

وعبيد الله بن محمد الكلوذاني ، وهما صاحبا المجلس شركة ، فلم يجد الكلوذاني
ووجد الصقر بن محمد ، فأوصل إليه التوقيع وقال له : أخرج ما على ابن الحجاج .
فقال : عليه من باب واحد ألف ألف درهم ، فطالبه بذلك إلى أن تفرغ بالعمل
بساتر ما يلزمه ^(١) . وكان محمد بن جعفر من عمال أبي الحسن علي بن عيسى .
قال : فأحضر ابن الحجاج وشتته واقترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ويخضع له .
ثم أمر بتجريده وإيقاع المكروه به فأوقع ، وهو في ذلك كله يقول : يكفى الله .
ثم أمر أبو منصور بنصب دقل ^(٢) ، فنصب ، وجعل في رأسه بكره فيها جبل ،
وشدّت فيه يد ابن الحجاج ، ورفع إلى أعلى الدقل ، وهو يستغيث ويقول :
يكفى الله . فما زال مُعلقاً وأبو منصور يقول له : المال المال . وهو يسأله خطه
وإنظاره إلى أن يوافق الكتاب على ما أخرج عليه ، وهو لا يسمع منه ، وقد قعد
تحت الدقل واختلط وغيض من غير غضب اعتماداً لأن يبلغ ابن الفرات فعله .
فما صجر قال لمن يمسك الحبال : أرسلوا ابن الفاعلة - وعنده أنهم يتوقفون
ولا يفعلون . فأرسلوه لما رأوه عليه من الحدة والغضب . ووافق ابن الحجاج
إلى الأرض ، وكان بديننا سمينا ، فوقع على عنق أبي منصور فدقها ، وخر على
وجهه ، وسقط ابن الحجاج مغشياً عليه . فحُمل أبو منصور إلى منزله في حُمْل
فمات في الطريق ، ورُد ابن الحجاج إلى محبسه وقد تخلص من التلف . وعجب من
حضر مما رأى . وكتب صاحب الخبر بالصورة إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها
أعظم مورد . وبكرت عرفان زوجته ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى

(١) يعني أنه طالبه بالدلائل على ذلك وبالبيانات الثبته لهذا المال فقام بذلك وأعمده .

(٢) الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة ويمد عليها الشراع ويراد هنا أنه نصب هذه

الخشب في البر لا في سفينة .

أوصلها إلى ابن الفرات ، فقَرَّرَتْ أمره على مائة ألفِ دينارٍ سلمت بعضها جعدة^(١) وقراها من طَشُوح^(٢) كُوَئِي ، ونَجْم^(٣) الباقي ، وأطلق ابنُ الحجاج . وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات : أريد رجلاً لا يُؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعني .

وحدث محمد بن عبيد الله بن جعفر بن الحسن بن الجنيد قال : حضرت أبا العباس أحمد بن محمد بن محمد بن بُعدِ شَرِيٍّ ، وبين يديه أبو الحسن بن الفرات في المسكروه وهو يقول : يا قومِ مِنَّ أَسَاتُ؟ وَلِمَنْ ضُرِبَتْ؟ فقال له : فَمَنْ قَتَلَ حَامِداً وَالثَّعْمَانَ وابنَ الحواري؟ فقال : ما خرج حامد من داري إلا صحيحاً ، ولقد كنت أطعمه من طعامي ، وأسقيه من شرابي ، وألبسه من ثيابي ، وأبخره من بخوري . وأما الثعمان فذُكِرَ ما لُتُ أَعْرَفَهُ في أمره . فأما ابنُ الحواري فَكَلَمُوا هذا الفتى - يعني المُحَسِّنَ - عنه ، فلهذا يُورِدُ حَجَّةً أو يُظْهِرُ خُطُوطاً تُبْرِئُ سَاحَتَهُ مِنْهُ . وأنا قلتُ للخليفة : قد أطلقت يد هذا الغلام في مطالبة الناس ، وقد تخطى إلى مافيه وهن على الملكة ، فأمرني بترك الاعتراض عليه .

وحدث أبو عمرو بن^(٤) الجمل النصراني كاتب شفيع اللؤلؤي قال : لما قبض على أبي الحسن بن الفرات في الدفعة الثالثة من وزارته امتنع القواد من اعتقاله في دار الخلافة إشفاقاً من أن يرأس المتقدر بالله ويستعطفه ويستميله ويحتال عليه ويخدعه ، واستقر الأمر على تسليمه إلى شفيع اللؤلؤي ، فلما أُجِلَّ إلى داره وصعد الدرجة من شاطئ دجلة لم يُمْسِكْ أحدٌ بيده ، فَجَعَلَ يَعلَقُ بالدَّرَجِ ويصعد . ثم أقبل على شفيع

(١) جعدة : لعلها إقليم أو مدينة أو صوابها جندة

(٢) الطسوح : أشبه بالقرية .

(٣) نجم : قسط .

(٤) في تجارب الأمم ١٢٧/٥ : المعروف بالجمل . وفي ١٢٨/٥ ، ١٢٩ ، اللقب بالجمل .

— وأنا حاضر - فقال : يا أبا العُصن ، ما هكذا عاملتَ غيري؟ فقال له : كان غيرك أتقى
لله منك - يعني أبا الحسن علي بن عيسى - قال : فأفرده شفيحٌ بحبسٍ له ، ودعا
طبَّاحه سرّاً وقال له : استزِدْ فإن ابنَ الفراتِ مَلِكٌ ، فاستزادَ له ، وقرَع من
الطعام . فقال لي شفيح : ادخل إليه واعرضْ عليه الطعامَ ، فدخلتُ وآذنته فقال :
على كُلِّ حالٍ يأكلُ القومُ زادَهُمْ على البؤسِ والنعماءِ والأحدَثانِ
هاتِ الطعامَ . فقدمُ إليه ، فأكلُ أكلًا مُستوفىً منه ، وسقى ماءً مثلوجاً ، فلم
يَسْتَبْرِدهُ ، فاستزادَ من الثلجِ حتى صار مائعاً ، ثم شربه ، وقال لي ^(١) : من قُلِّدَ
الوزارةَ ؟ قلت : أبو القاسمِ الخاقاني . قال : نَكِبَ السلطانُ لأنا . فمن قُلِّدَ ديوانَ
السوادِ ؟ قلت : أبو الفرجِ بنِ حفص ^(٢) . فتبسّمَ وعجبَ وقال : رُمِيَ بحجره . فمن
تقلِّدَ الدواوينِ الباقيةَ ؟ قلت : تقلِّدُ المالكي ^(٣) ديوانَ المغربِ ، والمصري ^(٤) ديوانَ
المشرقِ ، وابنُ هبنتي ^(٥) القنَّائيُّ ديوانَ بيتِ المالِ والخاصَّةِ والمستحدثةِ وضياعك ،
وعبد الوهابِ الخاقانيُّ الأزَمَةَ ، وصُلِحَ ديوانَ النفقاتِ . فقال : لقد أيدَ الوزيرُ
- أعزه الله - بالكفاة . ثم قال لي : أريدُ الاجتماعَ مع أبي العُصن . فقلت : هو ناظم .
فقال أَنبَهُهُ وَعَرَّفَهُ أَن يَبْنِيَا مَهْمًا أُرِيدُ مَجَارَاتَهُ إِيَّاه . فَأَنْبَهُتُهُ وَعَرَّفْتُهُ مَا قَالَ . فقال :
مَا أَحِبُّ لِقَاءَهُ ، وَلَكِنْ تَعَرَّفْ مَا عِنْدَهُ ، فَعَدْتُ إِلَيْهِ وَاعْتَذَرْتُ وَسَأَلْتُهُ عَمَا يَرِيدُ .
فقال ^(٦) : قُلْ لَهُ عَرَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - عَنِّي أَنِّي لَا أَدْعُ نَصْحًا وَالِيًا
وَمَنْكُوبًا ، وَأَنْتِي حَاسِبُ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ الْجَهْمِيَّ الْبَارِحَةَ مُحَاسِبَةً تَوَلَّاهَا هِشَامُ
صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، فَكَانَ الْبَاقِي عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمَصَادِرِينَ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ
وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَتَيْنِ - ذَكَرَهَا ابْنُ الْفَرَاتِ - وَرُبَّمَا عَدَلَ بَيْنَهُمَا الْخَاقَانِيُّ

(٢) في تجارب الأمم : محمد بن جعفر بن حفص

(٤) محمد بن يعقوب المصري

(٦) تجارب الأمم ١٢٨/٥

(١) تجارب الأمم ١٢٩/٥

(٣) يحيى بن مقيم المالكي

(٥) إسحاق بن علي القنَّائي

عن بيت مال الخِصَّةِ وادَّعى أنه أنَّارها^(١) واستراح إلى تمشيَّة أمره بها ، وهي لأمر المؤمنين خاصَّةً .

وكتب شفيح إلى المقتدر بالله بذلك عنه ، ونفَّذ بالرقعة مع قيصر خليفته . فعاد جوابُ المقتدر بالله بخطه إلى شفيح بأن يُبادر بنفسه إلى دار الخاقانيّ وَيَقْبِضَ على هارون بن عمران ، ويأخذَ المال من يده ، ولا يُمكن الخاقانيّ منه . ففعل شفيح ذلك ، والحاقانيّ لم يعلم بعدُ بما عند هارون الجهمذ . وكانت هذه الحال من أوَّل ما حير به الخاقانيّ وأدهشه ، وحلَّ المالُ إلى بيت مال الخِصَّةِ وصُحِّح فيه .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثني أبو الحسن سعيد بن سنجلا الكاتب . قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجي الكاتب قال^(٢) : كنت بحضرة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الأخيرة ، وقد رسم لي كتب كتاب عنه في مهمّ من أمور السلطان ، فأنا متشاغلٌ به ، وقد شاع أمرُ مؤنسٍ ونفوذُ الكتاب إليه وهو بالرقعة في الورود إلى الحضرة ، وابنُ الفرات شديدُ الإشفاق من القصة حتى استؤذِن لأبي الهواء نسيم الخادم ، وهو من خواصّ الخدم وجلبتهم ودخل ، فلما جلس أوّمي إلى التخلّي لتأدية رسالة ، فنهض من كان في المجلس وبقيت وحدي مُقشعراً من الجلوس ، وأخذوا في السّرايرِ والخطاب ، وأكملت^(٣) على ما في يدي من الكتاب حتى فرغت ثم قمت . فقال لي : اجلس . فجلست . وأظهر ابن الفرات ما كان يُسرّه ثم قال : بيننا يا أبا الهواء حقوقٌ تلزمك أن تُراعياها . وأنت قليلُ التّراسلِ فيما بيني وبين السادة ، وأريد أن أحملك رسالة

(١) يريد بقوله أنَّارها أنه أظهرها من قولهم أنار الأرض : قلبها فأظهر باطنها ، وفي تجارب الأمم : حتى لا يوهمه الخاقاني أنه هو استخراجهم ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها أن تنفق من بيت مال العامة .

(٢) انظر تجارب الأمم ١٢٣/٥ - ١٢٤ .

(٣) أكملت : أسرعت ، يقال أكش في السير وغيره أسرع .

تؤدّيها كما أقولها . فقال : أيها الوزير . إن كانت جميلة فعلتُ ، وإن كان فيها غلظةٌ فليس في عادتِي إلا إعادةُ ما يحسُن . فقال : لا بدُّ من أن تُوردها على حالها وتحمل لي ما في ذلك من مشقّة . وقال : تقول للسادة : أتمّ تعملون ما كان مني في ابتداء هذا الأمر ، فإن الخاصّ والعالمَ اعترضواكم جانِباً ، وأفرجوا عنكم إفرجاً كليّاً غيري ^(١) ، فإنني أقت على طاعتكم ، وتفرّدتُ بنصرتكم ، وكان غايةُ أُملي وتقديرِي المقامَ على ما كنت عليه أتولاه من ديوان السواد ، لا تُشره نفسي إلى غيره ولا يدور في فكري تجاوزُه ، فأخذتموني بتقلدِ هذا الأمر والقيام به ، ولم تُفارقوني حتى أُجبتُ إليه ، وجَدَدتُ في الأمر إلى أن انعقد وتوَكَّد ، وعاديتُ كلَّ أحدٍ في رضاكم حتى استوسقتُ لكم الأمور ، وتكاملت في حياطة دولتكم التدبير ، وفتحتُ لكم فارسَ وما يليها ، ووَفَّرتُ عليكم الأموال ومرافقها ، وكَدَدتُ ديني ودنياي فيها ، فلما قام لكم الأمر وعلا مناره ^(٢) واستحصفت ^(٣) لكم الطاعة من بعدت ودنت داره ، نكبتموني فهتكتُ حرمتي وسلبتُ نعمتي وقبضتُ ضيعتي ؛ ثم أعدتموني ، فما حلتُ ^(٤) عما عهدتموه مني ، ولا فارقتُ ما كنتم تحمدونه وتصفونه عني . ثم أوقعتم بي إيقاعاً ثانياً ، فاستوعبتم بقبّة النعمة ، وأتيتم على الأصل والتتمة ، وجذبتموني إلى هذه الدفعة الثالثة ، فقد علمت ما كان مني في استخراج الأموال ، وإصلاح الأحوال ، والاستقصاء على جميع من خدمكم من الكتاب والعَمال . ووالله لا لحفتي مكروه في هذه الدفعة في

(١) أي انكشفوا عنكم وتركوكم تركاً تاماً إلا أنا فإن بقيت معكم .

(٢) في الأصل : على نياره . وقد تكون أيضاً نياره وهو جمع نير وهو لحم الثوب لكن الجمع مع ما بعدها من قوله ودنت داره ، المعنى أيضاً ، يقارب ما أثبت .

(٣) استحصفت : استحكت .

(٤) فاحلت : فافتريت .

نفسٍ أو ولدٍ ولا حالٍ إلَّا ولحقكم مثله ، وإن تمادى أمدُهُ ، من الله تعالى جدُّه ، فاعملوا ما بدا لكم .

وما زال يكرر هذا وأشباهه حتى عَرَفَهُ نَسِيمٌ ووعاه وانصرف . وأتقَى ابن الفرات ذَقَنَهُ على صدره ولحِيته ساعةً ثم رفع رأسه فقال : سمعتَ ما كُنَّا فيه ؟ فقلت : نعم . وما كان ليما جرى وَجْهُ ، والقوم مَكَّنُوك واستناموا ^(١) إليك في هذه الدفعة زيادةً على ما تقدَّمها . فقال : دعنى من هذا يا أبا عبد الله ، فوالله ليَصِحَّحَنَّ ما قلتُ . وأخبرك في هذا المعنى بخبر طريف جرى بينى وبين أبي الحسن على ابن عيسى ، ما لهَوْتُ عنه إلا في هذه الدفعة ، فإنه يَتَصَوَّرُ لى في النوم واليقظة ، ويعترضنى في الشُّغل والخُلوة ، وأنا أخبرك به :

لما بَلَغَ ^(٢) المكتفى بالله آخِرَ أمرِهِ ، كان العباسُ بن الحسن يجلس في كلِّ يومٍ آخرَ النهار ، فإذا فَرَّغَ من العمل جاراناً خَبَرَ المكتفى بالله وعِلَّتَهُ ، وآيسنا من عافيته ، وشاورنا فيمن يقوم بالأمر بعده ، فلا يستقرُّ الرأى على شيءٍ يعتمده ، إلى أن تكامل اليأس منه . فنحن في بعض العشايا عنده ، وقد أردنا النهوض حتى قال : قد انقضى أمرُ الخليفة ، وما نفترق إلا بعد تَقَرُّرِ الرأى على من يَقْعُدُ مقعده ، فما عندكم ؟ فقال أبو عبد الله محمد بن داود : اللهَ اللهُ أيها الوزير أن نَعْدِلَ عَمَّنْ يقوم بهذا الأمر ونُزِمِهِ خيره وشره وتَصَرَّفَ على أمره ونهيه . ونحوَ هذا الكلام . فقال لعلى بن عيسى : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : اللهُ اللهُ أيها الوزير في الإسلام ، نحن جميعاً صنائعُ المعتضد بالله - رحمةُ الله عليه - ثمَّ هذا الخليفة ، ولكنه أمر الدين فقلَّد هذا شيئاً قد فهِمَ الأمور وعُرِفَ بصواب الرأى والتدبير بِعِارة هذه الثغور وحجَّ البيت المعمور ، ويقمُّ الحدود ، ومن إذا قلت :

(٢) انظر تجارب الأمم ٢/٥ .

(١) استناموا : ركنوا .

أمير المؤمنين ، صدق قولك الصغير والكبير . قال ابن القرات : فعارضت قوله بأن قلت للعباس : قلّد أيها الوزير الأمر من يكون في حجرك ، ويتدبر برأيك ، فتسلم نعمتك واهمتنا معك . فقال العباس : رأيي لرأيك تبع يا أبا الحسن . ونهض وانصرفنا .

فلما حصلنا في بعض المرات قبض أبو الحسن على بن عيسى على يدي وقال : بيننا شيء . فوقفت معه ، وابتدأ يحلف يميناً أغرق فيها وأبلغ على أنه ما أراد بقوله ورأيه غير الله عزّ ذكره وإعزاز دينه وإصلاح شؤونه . ثم حلف على أني ما أردت أنا الله بما قلته وأشرت به ، وقال : كيف استجرت أن تجيء إلى رجل معروف - يعني العباس - فتساعده على ما يسخط الله به ، ويبعد من الحق ، ويزيده تسلطاً وجراًة على الظلم ؟ ! فقلت : لا والله يا أبا الحسن - أعرك الله - ما نعمل إلا للدنيا ، وإن جاء من يعرف أسعار الخبز واللحم لم نأمنه على نفوسنا ونعمنا . قال : فقال لي مجيباً : والله لئن تمّ الأمر على هذا وانتظم لأبلي بالحنّة فيه غيرك ، فانظر لنفسك أو دع .

فرضي ماضى بما فيه ، وصليت بما صليت به منه ، ويوشك أن يصحّ قول أبي الحسن على بن عيسى ولا يبعد ، لأن من أراد الله كان الله معه ، ومن أراد غيره خذله ، فما يحلوفكرى من قوله وخاصة في هذه الدفعة ، ونسأل الله حسن العاقبة .

وحدث هارون بن إبراهيم النصراني الكاتب قال : حضرت مجلس القاسم ابن عبيد الله في بعض الأيام ، وبين يديه كتاب الدواوين ، إذ خرج إليه توقيع من المكتفي بالله يعرفه فيه ما عزم عليه من الخروج إلى سمر من رأى للتصيد ، ويرسم له إنفاذ من يصلح الطرق وإعداد العلوقة والمير^(١) وما تدعو إليه الحاجة

(١) المير : المون والعلوفة جمع العلف : ما تطعمه للدواب .

للعسكر . فرمى به إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، لأنه مما كان يجري في ديوانه ، وقال له : اكتب في هذا المعنى بما يؤكده ، وأضف إليه منشوراً لتستجيب المطالبة والإعجال ، ومشاهدة ما يجري عليه الحال . فقال : نعم - أعز الله الوزير - وجعل التوقيع تحت خذّه ، وطلب دواةً ، فحضرت وتُركت بين يديه ، وأخذ يُكرّر النظر في كُتبٍ قد أُخرجت إليه متعلقةً بديوانه ، ومضت ساعة . فقال له القاسم : كتبت الكتب ؟ قال : نعم . والتفت فقال : ادعوا زنجياً الكاتب لينشئ نسخ ذلك ويحرّرها فإنه أعرفُ برسوم المناشير ، فضحك القاسم بن عبيد الله ثم أقبل على أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : الأمر يا أبا عبد الله مهمٌ لا يحتمل التأخير ، ومُنشئُ أبي الحسن غير حاضر ، ولعله يَحْتَسِبُ . وقال لابن الفرات : ادفع إليه التوقيع ليكتب في المعنى بما يتضمّن . قال : فأخذ أبو عبد الله التوقيع وكتب سريعاً بأبلغ عبارة وأشد استيفاءً ووصايةً . وخجل ابنُ الفرات . ولم تكن كتابته مُقَصَّرةً و [لا] بلاغته متأخرة ، ولكنَّ يده كانت تخونه وتقعده به .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : سمعت بعضَ شيوخ الكتاب يقول : كان أبو الحسن علي بن عيسى مُعظِّماً لصناعة الكتابة ، محافظاً على مكانه منها ، مُتَحَدِّراً من عيبٍ يلحقه فيها ، وكانت المنافسة واقعة بين أبي الحسن بن الفرات وبينه في الأعمال والمنازل والكتابة والصناعة ، فاتفق أن عمل علي بن عيسى مؤامرة لعامل يُعنى به أبو الحسن بن الفرات ، وأخرج عليه فيها مائة ألفِ دينار ، واعتقد موافقته عليها وإلزامه إياها . ثم أحضره وأراه المؤامرة وقال له : قف عليها واذكر ما عندك في كل باب منها ، فإن كانت لك فيه حجةٌ تُسقطه وإلا التزمته وأديته . فقال : أريد أن أقرأها قراءةً تأمُّلٍ ، وأنظرَ فيها نظرَ تصفُّحٍ ، وما يكون ذلك إلا (١٠ - الوزراء)

في منزلي عند خلوتي بنفسى . فقال : خذها . فأخذها وجاء إلى أبي الحسن بن القرات ،
 فشرح له صورته ، وسأله النظر في المؤامرة ، وتلقينه الجواب عن كل باب منها . فقرأها
 ابن القرات وقال للعامل : لولا أن علي بن عيسى قدّمها فيها سهوا ظاهرا ربّما
 خلصك لما سقطت عنك درهم واحد مما أخرج عليك ، وذلك أنه صدر المؤامرة
 بباب خرج عليك فيه فضل الكيل في غلات ناحيتك ، وأنت لم تورده ، وحصل
 عليك صدراً كبيراً من المال عنه ، ثم ذكر بعد ذلك في باب آخر أنك اقتطعت من
 غلات المقاسمة ما لم تورده ، وأقام الشاهد عليك فيه ، وأزمتك مالا جزيلاً عنه .
 وقد كان من قانون الكتابة أن يبتدئ بذكر الاقتطاع من أصول الغلة . ثم يجعل
 فضل الكيل مؤخرًا ، فإذا صدر فضل الكيل فقد صحّ به الأصول ، وهذا غلطٌ
 فاحش وخطأ ظاهر غير محيل ^(١) ، والصواب أن تمضي إليه وتخلو به وتقول له :
 محلك في الصناعة لا يقتضى ما فعلته في هذه المؤامرة ، وقد سهوت فيها سهواً قبيحاً
 وهو كذا وكذا ، وأنا معك بين أمرين ، إما أن أكشف للناس خطأك فعليك فيه
 ما تعرفه ، وليس يكون ما يلحقك من القباحة بأقل مما تناولني به من النكبة ،
 وإما أن تفضلت بطي هذا الأمر وستره وإبطال المؤامرة والإمساك عنها ولك من ذلك
 مرفق ^(٢) أحمله إليك . فإن إشفاقه على جاهه ، وكرهته ما يقدح في صناعته ، ورغبته
 في المرفق ، يحمله على إبطال المؤامرة .

قال العامل : فضيت سحرًا إلى داره ، فلما رأني قال : ما عملت في المؤامرة ؟
 فقلت له : بيننا شيء أقوله سرًا ، ودنوت إليه فقال : ماهو ؟ فأوردت عليه ما كان
 ابن القرات علمنيه ، ونشرت المؤامرة ووقفته على المواضع ، فحين شاهدها وتأملها وحَمَّ

(١) غير محيل أي غير آت بالحال . ولعلها محرفة عن : غير محتمل .

(٢) مرفق : منفعة .

وَجُومًا شَدِيدًا وَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ وَفَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْمَرْفِقَ ، وَأَسْقَطَ عَنْكَ الْمُؤَامِرَةَ ، فَإِنَّ أَكْبَرَ الْأُمُورِ عِنْدِي فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنْ وَقَفْتَ عَلَى غَلْطِي وَتَيَقَّظْتَ^(١) مُسْتَأْنِفًا مِنْ مِثْلِهِ ، وَاللَّهُ بَيْنِي^(٢) وَبَيْنَ ابْنِ الْفَرَاتِ ، فَإِنْ هَذَا مِنْ تَعْرِيفِهِ وَتَوْقِيفِهِ وَإِلَّا فَلَسْتَ مِمَّنْ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَا هَذِهِ سَبِيلُهُ .

وَنَهَضَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ كَفِّيتُ الْأَمْرَ ، وَزَالَتْ عَنِّي الْمُؤَوَّنَةُ وَالْمَطَالِبَةُ ، وَرَبِحْتَ الْمَرْفِقَ الَّذِي كُنْتُ عَلَى التَّزَامِهِ ، وَعَدْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ ، وَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ فَضَحِكَ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْأَزْرَقِ قَالَ : لَمَّا حُجِلَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ الثَّلَاثَةَ رَأَاهُ ابْنُ الْفَرَاتِ وَهُوَ مَقْبِلٌ إِلَيْهِ فَبَدَأَ يَكْتُبُ كِتَابًا ، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى وَهُوَ كَالْمَيْتِ خَوْفًا وَجَزَعًا ، فَوَقَفَ قَائِمًا وَابْنُ الْفَرَاتِ يَكْتُبُ ، وَعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى وَالْحَاضِرِينَ أَنََّّهُ لَمْ يَرَهُ ، وَبَقِيَ وَأَقْبَا نَحْوَ سَاعَةٍ إِلَى أَنْ فَرَغَ ابْنُ الْفَرَاتِ مِنْ كِتَابَتِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اقْعُدْ بَارِكَ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَأَكَبَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى عَلَيْهِ يُقَبِّلُ يَدَهُ وَيَقُولُ : أَنَا عَبْدُ الْوَزِيرِ وَخَادِمُهُ وَصَنِيعَتُهُ الْقَدِيمُ ، وَصَنِيعَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَخِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ صَاحِبًا وَلَا أَسْتَاذًا غَيْرَهُ . فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ وَأَنْتَ فِيهِ صَادِقٌ ، وَإِنِّي لِأُرْعَى لَكَ حَقًّا خَدَمْتِكَ الْقَدِيمَةَ لِي وَالْأَخَى رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمَا عَلَيْكَ بِأَسْفَى فِي نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا طَاعَةُ السُّلْطَانِ مَا أَفْسَدْتُ صَنِيعَتَنَا عِنْدَكَ .

وَقَرَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَادِرَةِ مَا قَرَّرَهُ ، وَعَمِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْفَرَاتِ عَلَى قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى ، فَلَمْ يَدَعُهُ أَبُوهُ . وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى نَفْيِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْخِصْرَةِ ، وَاخْتَارَ هُوَ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْمَجَاوِرَةَ . وَخَرَجَ بَعْدَ أَنْ ضُمَّ

(١) لعلها أيضا معرفة عن : ونهضت . (٢) في الاصل والله ما بيني

إليه موكّلون ، ووصاهم الحسن بِسْمِهِ في الطريق إن تمكّنوا أو قتله بمكة ، وعرف
عليّ بن عيسى ذلك فتحرّز في مأكله ومشربه . ووصل إلى مكة رجلٌ يُعرف
بأحمد بن موسى الرازي ، وكان داهيةً ذامرًا وخُبثًا ، وقد اصطنعه عليّ بن
عيسى في وزارته ، وقلّده القضاء هناك . فلما اجتمع عليّ بن عيسى معه حدّثه بحديثه ،
وسأله إعمال الحيلة في تخليصه وحراسة نفسه ، فتلطّف في ذلك بأن واضع^(١) أهل
البلد - وقد كانوا قدّموه وأطاعوه - عليّ أن اجتمعوا وثاروا بالموكّلين ، وخاف
أن يجري ما يلحقه فيه إثمٌ وإنكار من السلطان ، فطرح نفسه عليهم حتى
خلصهم وأخرجهم ليلاً إلى بغداد ، بعد أن أعطاهم نفقةً . وأقام بمكة .

وقد كان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات في خلافة عبيد الله بن سليمان
على الأمور عميل ديوانا سماه ديوان الدّار ، وجمع إليه سائر الأعمال ودبّره بنفسه
وكتابه ، واستتاب أخاه أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات فيه ، واصطنع كتاباً
قلّدهم مجالسته ، منهم أبو الحسن عليّ بن عيسى ، وأبو عبد الله محمد بن داود بن
الجراح عمّه ، فكانا يجلسان بحضرة أبي الحسن ، ويأمرها وينهاها ، ويسميانه
أستاذنا ، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك .

وجرى الأمر على هذا الترتيب إلى أن عزم المعتضد بالله على إخراج المكتفي
بالله إلى الجبل ، ومعه عبيد الله بن سليمان ، والخروج بنفسه إلى آمدٍ والثغور ، ومعه
القاسم بن عبيد الله ، فقال عبيد الله لأبي العباس بن الفرات : أريد كتاباً يصحّبني
ويتصفح أعمال كلّ بلد فتتحه ويُقرّر معاملاته عليّ ما يدلُّ عليه الديوان القديم
من رسومه . فقال : ذلك محمد بن داود . وإليه من ديوان الدار مجلسٌ ما فتّح من

(١) في الأصل وضع . واضعه في الأمر واقفه فيه على شيء واضعه الرأي أطلع كل منها
الأخر على رأيه .

أعمال المشرق ، وفيه الحُسبانَاتُ العتيقة . وقال القاسم : وأنا أريد آخر يكون
معي إلى المغرب . فقال : يكون عليّ بن عيسى .

وخرج محمد بن داود وعليّ بن عيسى في جملة عبيد الله والقاسم . فَمَنَّقَ (١) محمدٌ
عليّ عبيد الله وقرب منه واختصَّ به ، ورأى من فضله وصناعته ما أعجبه ، وانتهى
أمره معه إلى أن زوجه عبيد الله بنته ، وانزعَ مجلسَ المشرقِ من ديوان الدارِ
وجعله ديواناً مُفرداً [و] قلده محمد بن داود رئاسةً . وحصلتْ لعلی بن عيسى حُرمة
بالتقاسم ، وشاهد من كفايته وسداده وكتابته ونفاذه ما عَظُمَ به في عينه ، فقدّمه
وتوفّر (٢) عليه . وفعل مثل فعل أبيه مع محمد بن داود في انزعاج مجلس المغرب من
ديوان الدار وتقليده عليّ بن عيسى رئاسةً ، ولم يجعلاً لأبي العباس بن الفرات بعد
ذلك عليها يداً . وكان قولُ عليّ بن عيسى لابن الفرات ما قاله من أنتى عبدك
وصنيعتُك وعبدٌ وصنيعَةُ أبي العباس أخيك . وقبولُ ابن الفرات ذلك منه وتصديقه
إياه فيه ، على هذا الأصل .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : كان أخي أبو إسحاق إبراهيمُ
ابن عيسى يتقلد أعمال الزَّابِ الأعلى في أيام عبيد الله بن سليمان خلافةً لأبي الحسن
عليّ بن عيسى ثمَّ رئاسةً ، فصرفه (٣) بمحمد بن محمد بن حمدون (٤) بن سليمان
الواسطي عنها ، قال : لحدثني ابن حمدون هذا قال : أحضرني أبو العباس أحمد
بن محمد بن الفرات فقال لي : قد صرفتُ إبراهيم بن عيسى بك ، وأريد أن تعقله
وتُضَيِّقَ عليه . واتفق أن حضر أبو عبد الله محمد بن داود مُسَلِّماً عليه ، وقد عرف

(١) نَقَّ : راج عنده . (٢) توفّر عليه : تفرغ له .

(٣) صرفه بفلان عزله وولى هذا الفلان مكانه .

(٤) في الأصل ابن الحسن . والتصويب بما سيأتي في أخبار علي بن عيسى ومن سياق الكلام .

الخبر، فقال له ^(١) : تتقدم - أعزك الله - إليه في إمضاء مقاطعتي وإجمال معاملتي .
قال : فقال لي ابن القرات : أبو عبد الله من قد عرفت محلّه من الوزير أبي القاسم
ومنا ، فاعمل بصنيعته في جميع إرادته . فلما انصرف أبو عبد الله قال لي : إياك
أن تُمضيَ مُقاطعته ^(٢) أو تدع الاستقصاء عليه في مسأجه ^(٣) ، ووكل بعقلته
حتى تستوفي حقّ بيت المال منها على واجبه وتماه وكاله ، وإبطال مظالمه .

قال : فورد على من ذلك أعظم مورد ، وتبينت به ما في نفسه على
آل الجراح ، وشخصت إلى العمل ، فما داجيتُ أبا إسحاق ، وطالبتّه بأن يجيئني
في كلّ يوم ، فغلظ ذلك عليه ، وهو لا يعلم ما تقدّم به ابن القرات في أمره ،
والتصّلت كتب ابن القرات إلى بالحثّ على ما وصّاني به والتأكيد فيه اتصالاً
طويته عن أبي إسحاق ، ولم أذكره له وذلك في سنة سبع وثمانين ومائتين ومضت
الأيام . فلما تولى أبو إسحاق الإشراف على أعمال واسط كنت أدخل إليه فيقول
الإقبال على ، ويظهر الانحراف عني ، حتى خفت أذيتّه في ضيقتي ، فحفته في بعض
الأيام ، ومعى بعض ما كان ابن القرات يكتبه إليّ في بابه . فلما خلا وجهه ^(٤)
دنوت منه وقلت له : قد تبينت منك إعراضاً وسوء رأى ، ولا شك أن ذلك
لما كان مني إليك ، وقد علم الله نيايتي كانت عنك ، وحراستي إياك مما كنت
أطالب به فيك ، ومن الدليل على صدق هذه الكتب . وأخرجتها إليه وقرأتها
عليه . فلما وقف على ما فيها أكبره وأعظمه ، وبسط عُذري فيما عاملته به ، وعاد
إلى ما أحبه . وكان تقلد أبي إسحاق الإشراف على واسط بعد أن تقلد أعمال

(١) يعني أن محمد بن داود قال لأحمد بن القرات : اطلب من محمد بن محمد بن حمدون أن يكرمني
في تنفيذ أعمال وحسن معاملتي .

(٢) المقاطعة : ما يقرر له من هبة أو أجر وما أشبه ذلك .

(٣) مسأجه : ما يتساهل فيه أو ما يسمح له به جهم مسموح .

(٤) خلا وجهه يعني به أن الناس انصرفوا من عنده .

الراذائين . وكاشف ابني الفرات فيما اقتطعاه واجتذباه من الضياع السلطانية ، وحسن أثره عند القاسم بن عبيد الله ، فنقله إلى الإشراف على أعمال واسط نقلا كان من سببه أن كان القاسم سيء الرأي في أبي العباس بن الفرات . فقال لأبي الحسن علي بن عيسى : قد كثرت ضياعُ ابني الفرات بنواحي واسط ، واستضافا إليها ضياعا سلطانية ، وصارا يأخذان لمصالحهما نحوَ عشرين ألفَ دينارٍ في السنة ، وأريد رجلا حصيفا أردّ إليه الإشراف على هذه النواحي وأعوّل عليه في كشف ضياع ابني الفرات ، وإثارة الفضل^(١) الذي في أيديهما ، وآمنُ عندهُ محاباةً لهما وخوفاً منهما ، فهل في أهلنا من يصلح لذلك ؟ فوصف له أبا إسحاق بالشهامة والاستقلال ، واستحضره وقلده ، وانحدَر وَجَدَّ في النظر والكشف ، وواصل كُتُبَ الكُتُب بما وقف عليه وعرفه ، وعمل الأعمال بما أثاره واستدركه ، فكان من ذلك عملٌ ما يقيضه وكلاء ابن الفرات لمصالح ضياعهما بواسط ، وهو زيادة على عشرين ألفَ دينارٍ في السنة ، وعملٌ آخرٌ لما اقتطعاه من ضياع السلطان وأضافاه إلى أملاكهما ، وهو نيفٌ وثلاثون بيذراً ، منها بيذَرٌ يعرف باليهودي ، ارتفاعه نحوَ الحسين ألفَ درهم . وعاد إلى الحضرة وعرض الأعمال على القاسم ، فقال له : تواقف ابن الفرات على أعمالك هذه ؟ فقال : ما عملتها لأسترها وأخاف المناظرة عليها . فأحضره وقد حضر أبو العباس بن الفرات ، وواقفَه في المجلس مواقفة ألزمه فيها مالاً كثيراً، فرأى القاسم من أبي إسحاق صرامةً عجيبةً ، وتبين ابن الفرات من القاسم إنكاراً همتَه^(٢) نفسه معه .

(١) يريد بذلك تبين الزيادة التي استوليا عليها .

(٢) همت : شفته وأقلفته .

قال أبو علي عبد الرحمن ، فحدثني بعض أصحابنا قال : لما انصرف أبو العباس بن
الفرات من هذا المجلس إلى منزله ، وهو مُتَخَنٌ^(١) ، وجد أخاه أبا الحسن يعمل .
فقال له : يا أبا الحسن ما فارقته حتى هتكتني ونكبتني ، أقرأ هذا العمل . وورى
إليه بعمل المصالح وقال له : إذا كانت نفقات مصالحننا عشرين ألف دينار فأى شيء
تقول للسلطان والوزير والناس في الارتفاع والاستغلال ؟ ! ثم أعطاه العمل بالضياح
المستضافة . قال : هذه الظامة الكبرى والفضيحة العظيمة . قال عبد الرحمن : وهم
القاسم بن عبيد الله بالقبض عليهما والإيقاع بهما ، فتدافع الأمر بظهور صاحب الخال^(٢)
والتشاغل بخطبه والخروج إلى المغرب^(٣) في طلبه . فلما عادوا لم تطل المدة حتى توفي
القاسم بن عبيد الله وأبو العباس بن الفران في آخر سنة إحدى وتسعين ومائتين
ثم ولي أبو الحسن بن الفران الوزارة^(٤) فقصد أبا إسحاق ونفاه إلى الصافية ،
ووزر أبو الحسن علي بن عيسى بعد ذلك^(٥) وصرّف ، وعاد ابن الفران^(٦) فنسب
أبا إسحاق وصادره على خمسين ألف دينار استخرج منها ثلاثين ألف دينار .
وأقام أبو إسحاق في منزله وامتنع من العمل بعد ما لحقه . فلما تقلد أبو الحسن بن
الفران الوزارة الثالثة^(٧) أعاد القبض عليه وطلبه ببقية المصادرة ، ثم بمثلها^(٨) فأداه
ثم بمثلها دفعة ثالثة بعد مكروه عسفه به ، وأخرجه بعدد إلى البصرة ، وسلّمه إلى ابن
الأصبغ عاملها ، فيقال إنه سمه ، ومضى لسبيله^(٩) .

(١) يريد بالمتخّن هنا أنه مرهق مكدود تشبهاً بمن أثخنه الجراح أي أوهنته وأضعفته .

(٢) هو الحسين بن زكرويه أخو يحيى بن زكرويه انظر ابن الأثير حوادث . ٢٩ وفيه أنه سمى نفسه
أحمد ودعا الناس فأجابوه أكثر أهل البراري وغيرهم فاشتدت شوكرته وأظهر شامة في وجهه ووزعم أنها
آبته . . . ثم تسمى المهدي أمير المؤمنين وقد قتل صاحب المال أو صاحب الشامة في سنة ٢٩١

(٣) يريد بالمغرب ما كان غربي العراق لأن صاحب الشامة كان في بلاد الشام .

(٤) كانت أول وزارة له في سنة ٢٩٦ كما تقدم (٥) كانت وزارته الأولى سنة ٣٠١

(٦) الوزارة الثانية كانت سنة ٣٠٤ (٧) كانت الوزارة الثالثة سنة ٣١١

(٨) في الأصل : بمثله وكذلك التي جاءت بعدها (٩) يريد أنه توفي .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : كان سببُ العداوة بين أبي الحسن بن الفرات
ومحمد بن عبدون أنه غلب على العباس بن الحسن واختصَّ به فسعى في صرف أبي
الحسن بن الفرات ونكبتِه لتبحيح قديمٍ كان بينه وبينه ، واستمال محمد بن عبدون أبا
عبد الله محمد بن داود بن الجراح عمِّي فقال معه ، وساما أبا الحسن علي بن عيسى أخي
الدخولَ معهما فامتنع ، ووجرت في ذلك خطوبٌ طويلةٌ باطنةٌ وظاهرةٌ . وتجرد محمد
بن عبدون - بِفَضْلِ شَرٍِّ وحسدٍ كانا فيه - في مكروه ابن الفرات وطالب العباسَ
بإطلاع المكتنفي بالله على خياناته واقتطاعاته وما تأثَّل^(١) من حاله بذلك وَعَظُمَ من
نعمته ، وساعده محمد بن داود على أمره . قال عبد الرحمن : فأذْ كُر ، وقد صار أبو
الحسن بن الفرات في بعض الأيام إلى أخي أبي الحسن علي بن عيسى في داره ، فقام
إليه وأكرمه ، وجعل ابنُ الفرات يشكو إليه ما يلاقيه من محمد بن عبدون ، ويُعرض
بمحمد بن داود عمِّي ، وأخي يسترجع ويقول له : يكفيك اللهُ ثم قال له أخي : أما أنا
فقد عرفتَ إخلاصي لك ، وما يراني اللهُ تعالى مُساعداً فيما يسوءُك ، وأما عمي
فالأمر معه قريب ، وسأرُدُّه وأكفيك ما تخافه منه ، ومع هذا فدبّر أمرَك تديراً
يُصلحه مع صاحبينا وصاحبك . فقال له : أشرُّ عليَّ ياسيدي . فقال : استعطفِ الوزيرَ .
قال : قد فعلتُ . قال : زد ، وليس بكثير أن تفرم في هذه القصة^(٢) خمسين ألف
دينار ، وإن احتجت إلى مالي في ذلك فهو بين يديك . فتكرَّه وقال : أريد
التَّوَقُّعَ منك . فقال له أخي : ما تجدُ عندي خِلافاً عليك إلا أن اليمين غيرُ مباركة
وما بنا إليها حاجةٌ ، وفي الأقوال الصادقة والآراء الصافية غني وكفاية . وقام
فانصرف .

قال عبد الرحمن : ووافي ابنُ عبدون في بعض الأيام إلى أبي الحسن أخي ، فلما

(١) تأثَّل تجمِع وتَأَمَّل .

(٢) لها أيضاً معرفة عن القضية .

جلس قال له : قد فرغنا من أمر الرجل إن كانت منك مساعدة . فقال :
اللهم غمراً . وقتنا ، وحلوا وتحذثا . ثم نهض ابن عبدون ، وعذت أنا
وإبراهيم بن أيوب الكاتب إليه ، فوجدناه مقطّبا واجما . فقال لنا مبتدئا : ما أعجب
ما نحن فيه ! نعوذ بالله من البغي وجوابه . ثم قال : وإفانا هذا الرجل - يعني
ابن عبدون - يريد أن يلقننا عن ديننا ، ودكر أن الخليفة قد استحباب إلى صرف
ابن الفرات إن توليت ديوانه ، فقلت له : يا هذا ، إن صرفت ابن الفرات ازددت
بصرفه رزقا وأجلا ، وإن لم أصرفه نقصني الله مما قرره لي ؟ قال : لا . قلت : فإن
تركتهموني أدبر هذا الأمر معكم وأقوم بما إني منه ، وإلزمتم منزلي وأرحت نفسي .
فانصرف متنكرا متسخطا وقال : هذا الأمر يبراد .

ومضى ابن الفرات إلى العباس فأعطاه وأرضاه . وقد كان قال للمكثني بالله :
إن حال ابن الفرات قد عظمت ، وأنا آخذ منه خمسين ألف دينار أردوها في بيت
مال الخاصة ، وأبقى عليه صدرا من نعمته . فقال له : نعمه ابن الفرات لي ، ومتى
أردتها أخذتها ، وما يملكني إنشاء كاتب مثله واصطناعه والرفع منه حتى يكون
حاله الحال الذي يظن فيه .

وكان ما قاله المكثني بالله وفعله من أحسن ما روي وأثر عن كل خليفة قبله .
وقد كان خفيف السمرقندي الحاجب يقوم بأمر ابن الفرات ويعضدها ويشد منها ،
فقلما طمع في أبي الحسن وانسبط الألسن فيه .

وحدث عبد الرحمن قال : لما عهد الأمر لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، ووزر له محمد
ابن داود بن الجراح عمي تأخر أبو الحسن علي بن عيسى أخي عن الحضور ، ووصلت
مراسلة بالاستدعاء ، وهو يأبى ويتوقف ، حتى إذا زاد الإلحاح عليه - وبلغه عن
عبد الله بن المعتز أنه قال : علي بن عيسى متأخر عنا ليضي إلى جعفر ، فإن كانت

له خَلَصَ عَمَّه ، وإن كانت لنا خَلَصَهُ عَمَّه . وليس كذلك . فإنه لات حين مناص -
صَارَ ^(١) إلى القويم . فلما لم يَرِ ابنَ الفرات قال لمحمد بن داود : ما فعل ابنُ الفرات ؟
قال له : وأية فائدة في حضوره ؟ قال : كل فائدة ، وستعلم ما تكونُ عواقبُ تأخُّرِهِ
وأنه لا يكون هلاك الجماعة إلا على يده . فسكَّنَ قوله وافقَ قَدْرًا .

ولما انتقض أمرُ ابنِ العتَزِ ووزر أبو الحسن بنُ الفرات [و] أُخِذَ على بن
عيسى ومحمد بنُ عبدون وحِمْلًا إلى دارِ بَدْرِ اللَّائِنِ ، كتبتا رقعة إلى ابنِ الفرات
ترجماها ^(٢) : لعبيديه محمد بن عبدون وعلي بن عيسى .

فعاد الجواب : فهمتُ هذه الرقعة يا أبا الحسن على بن عيسى أطال الله بقاءك .
وأدام عزك وسعادتك ، وأنت تعلم ما يلزمني من حَقِّك ، وما أنا عليه لك ، ولن أدعَ
مُكِنًّا في تحليصك واستنقاذك وردِّك إلى أفضل ما كنت عليه إلا أنيته وبلغته
وقضيتُ حَقِّك به .

ولم يذكر محمد بن عبدون بشيء ، فلما وقفنا على ذلك لطم محمد بن عبدون على
رأسه وقال : قَتَلَنِي وَاللَّهِ . وكان الأمر كما قال .

ولم يدع ابن الفرات المنافسة في الرئاسة والعيِّرة على الوزارة حتى نفي على بن
عيسى إلى مكة .

وحدث عبد الرحمن قال : لما ثَقُلَ على ^(٣) أبي الحسن بن الفرات أمرُ سوسنٍ
وبلغه عنه عمُّه على الإيقاع به وشرُّوعه لمحمد بن عبدون في الوزارة ، خوَّفَ المقتدر

(١) في الأصل وضار . والسباق يقضى حذف الواو والفائل هو على بن عيسى وانظر كتب
التاريخ حوادث ٢٩٦

(٢) لعله يراد بذلك التعبير أنهما كتبتا الرقعة أنهما عبداه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٢/٥

بالله منه ، وأعلمه أنه على الوثوب به ، وأنه كان على تقديم عزمه منه إلى أن سأله أنوش بن الخرهان كاتب سوسن أن يؤخر ذلك في هذا اليوم لعيد له ، ووقع الاتفاق بينهم على الإيقاع بك وبى وبجماعة معنا في يوم الثلاثاء المقبل بعد يوم الموكب ، وقرّر ذلك في نفسه وحقّقه عنده ، فلما كان يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ركب المقتدر بالله إلى الميدان ، ومعه تكين الخاصة ونازوك وغريب الجلي ورائق وياقوت ، وقد ضمّن ابن الفرات لتكين أن يقلّده مصرّ إن ساعده على أمر سوسن . وأحسنّ سوسن بما يُدبّر عليه ويراد به ، ففجّر في أمره ودخل الميدان ولم ينزل عن فرسه ، ولعب مع الخليفة ساعة بالصولجان ، ثم مضى إلى صافي الحرّمي يعود من شيء وجده ، وتبعه مؤنس الخازن والغلمان ، فلما نزل إلى صافي وكان في آخر الميدان قبض عليه تكين الخاصة .

قال عبد الرحمن : حدثني تكين الخاصة عند اجتماعنا بمصر ، وقد جرى ذكر سوسن وتجبره وعُتوه قال : فلما مضى إلى صافي بادرت كأني معه ، ونزل فددت يدي إلى منطقتة ^(١) كأني أتوكأ عليها ، فجدبتها ، وأخرجت سيكينا معي فقطعتهما ، وحصلت مع السيف في يدي ، وسلبه الغلمان ما كان عليه ، ودفعناه حتى أدخلناه باب الميدان ، فعند ذلك بكى ، وحمل الخدم السلاح ، ووكل بداره ، واجتمع من كان خلفه وصار في حيزه من الغلمان ، فخرج إليهم ^(٢) خادم وقال : مولانا يقول لكم : أتم غلماني وخاصّتي ، وهذا عبدى ومملوكى ، وقد بلغنى عنه ما أريد مواقفته عليه ، وأنا لكم بحيث تُحمّون . فدعوا وقالوا : الأمر لمولانا . وتفرقوا ولم يعد منهم قول بعد ذلك .

وقرر ابن الفرات في نفس المقتدر بالله دخول محمد بن عبدون وعلى بن عيسى

(١) المنطقة : حزام يشد في الوسط . (٢) في الأصل : إليها .

مع سوسنٍ فيما كان عميل عليه وهمَّ به . فأما محمد بن عبدون فإنه أنفذ من حملة من الأهواز^(١) إلى الحضرة . قال عبد الرحمن : فحدثني من سمع ابن الفرات يقول له : والله لأقتلنك . وابن عبدون يقول : يكفى الله ويعفو الوزير . فقال : لا والله . ما فيها إلا التلف وحسبنا الله ونعم الوكيل . وحسب أياما يسيرة وأخرج ميتاً وطرح في مشرعة الساج عند داره ، ووُجد عند غسله وقد أُكل لحم ذراعيه فما طالت الأيام حتى أصاب من ساعد ابن الفرات على أمره مثل ذلك . فأما أبو الحسن علي بن عيسى فكتب بحمله إلى الكوفة ، وأقام بها إلى وقت الموسم ، وخرج إلى مكة وقد وُكِّلَ به حبشي بن إسحاق السَّجَّانُ .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : وزر أبو الحسن بن الفرات ، وارتفاع ضيعته وضعية أخيه أبي العباس نحو مائتي ألف دينار ، وصرف بعد أربعة وعشرين شهرا . وقد بلغ ثمانمائة ألف دينار وكسراً . وذلك بما استضافه واجتذبه من الأملاك والضيايع . ووجد له أبو علي^(٢) الخاقاني - عند تقلده بعده - في الدواوين والودائع نحو ثلاثة آلاف ألف دينار أكثرها محمول من بيت مال الخاصة - الذي بنى له^(٣) المعتضد بالله ، وكان قلعة قد صب في أثقالها الرصاص . ومات وقد اجتمع فيه تسعة آلاف ألف دينار وكسراً ، وكان نذر عند بلوغ ذلك عشرة آلاف ألف دينار أن يترك عن أهل البلاد ثلث الخراج في سنة البلوغ ، وأضاف المكتفي بالله إلى هذه الجملة في أيام خلافته سبعة آلاف ألف دينار حتى تكامل المبلغ ستة عشر ألف ألف دينار وكسراً . ومات المكتفي بالله ، وتفرق المال

(١) في الأصل : مال الأهواز .

(٢) أبو علي الخاقاني هو محمد بن عبيد الله المترجم له في هذا الكتاب وتولى الوزارة سنة ٢٩٩ .

(٣) هكذا في الأصل ولعلها: الذي بناه . أو الذي بنى للمعتضد .

وَمَرَّقَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ وُجِدَ فِيهَا وَجِدٌ مِنْ وَدَائِعِ ابْنِ الْفَرَاتِ مَا هُوَ مُخْتَوٍ مِنْ أَبِي خِرَاسَانَ
فِرْعَانَ الْخَادِمِ خَازِنِ الْمَعْتَضِدِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْقَلْعَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهَا كَانَ يَحْوَلُ
إِلَى حَضْرَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَيُخْرَجُ إِلَى مَجْلِسِ الْعَطَاءِ زَادَ عَلَى الْخَدِّ . وَخَرَجَ عَنْ
الضَّبْطِ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَقَرَأْتُ تَوْقِيعًا لِنَافِطَةِ الْقَهْرْمَانَةِ خَرَجَ إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ
تَقُولُ فِيهِ : أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَجْلِسِ أَرْبَعِينَ بَدْرَةَ^(١) عَيْنًا مِنْ^(٢) بَيْتِ مَالِ
الْخَاصَّةِ إِلَى حَضْرَتِهِ . وَتَوْقِيعَ ابْنِ الْفَرَاتِ فِي آخِرِهِ بِامْتِثَالِ الْمَرْسُومِ فِيهِ ، وَكَانَتْ
لِهَذَا التَّوْقِيعِ نِظَائِرًا كَثِيرَةً ، وَابْنُ الْفَرَاتِ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ ، حَتَّى
قِيلَ إِنَّهُ أَخَذَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْقَلْعَةِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَأُطْلِقَ مِنْهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ
مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَلِاصْطَفَيْنَ بْنِ يَعْقُوبَ كَاتِبَ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ وَخَلِيفَةَ دَانِيَالَ بْنِ
عَيْسَى^(٣) كَاتِبِ مَوْئِسِ الْخَادِمِ الْمَلَقَّبِ بِالْمُظْفَرِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
فَخَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو سَنَجَلًا أَنَّ رِزْقَ ابْنِ جُبَيْرٍ لَمَّا كَانَ يَكْتُبُ وَهُوَ
بَيْنَ يَدَيْ ابْنِ الْفَرَاتِ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ دِيْوَانِ الْخِرَاجِ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ دِينَارًا . فَلَمَّا
تَقَلَّدَ ابْنُ الْفَرَاتِ الْوِزَارَةَ بَلَغَ بِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَأَنَّ رِزْقَ يَعْقُوبَ بْنِ اصْطَفَيْنَ^(٤) كَانَ فِي أَيَّامِ
مَوْئِسٍ وَهُوَ يَنْوِبُ عَنْ دَانِيَالَ بْنِ عَيْسَى عَشْرَةَ دِنَانِيرَ . ثُمَّ بَلَغَ أَرْبَعِينَ دِينَارًا فِي وَزَارَةِ
ابْنِ الْفَرَاتِ الثَّانِيَةِ ، فَظَهَرَ لهُمَا مِنَ الْحَالِ مَا قُدِّرَ فِيهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَلَقَّبِ بِأَبِي قَبْرَاطٍ كَاتِبُ ابْنِ الْفَرَاتِ
عَلَى دِيْوَانِ بَيْتِ الْمَالِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ سِرًّا : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ اقْتَطَعَ
مِنْ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَحَمَلَهُ مَا حَوَّلَ مِنْهُ . فَعَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ إِطْلَاعَهُ

(١) البدرة : الكيس الموضوع فيه المال ويقدر بمحوالى عشرة آلاف درهم وقد يكون
قدوما ذميا .

(٢) العين من معانيها الذهب المضروب أى المسكوك .

(٣) كتب العباس وسياق أن عيسى وهو الأقرب . (٤) تقدم انه لاصطفين بن يعقوب .

على القصة ، وقال له : لن تعدّم نصيبك يا أبا القاسم . وأوصل اليه في أوقات مائة ألف دينار عظمت بها حاله ، وابتاع منها ضياعاً جليلاً بنواحي واسط ، حتى كتب إلى القاهر^(١) بالله يخطب وزارته فذفع رقعته إلى أبي العباس الخصبى^(٢) وسأله عنه ، فقال : هذا رجل جاهل أخذ من المال في أيام ابن الفرات كذا وكذا - المبلغ الذى ذكرناه - وأنا أستخرجه منه . وانصرف ووقع إليه : « قد رُسمَ تقليدك بعض الدواوين فاحضّر . فقدّر أنّ رقعته قد حرّكت أمره ، وبادر فقبض عليه ، وأخذَ خطّه بمائة ألف دينار ، أدّى بعضها وكتب على صبيّته بياقيها ونفاه إلى الموصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : فلما حصل أبو الحسن أخى بمكة خرجت للحج وتجديد العهد به ، ووصلت إليه واجتمعت معه ، وورد عليه كتابُ ابن الفرات بالإذن له فى الحج ، لأنه كان محبوساً فى داره ، ممنوعاً من التصرف على إيثاره^(٣) ، ووافق بعد أيام أبو الحسن عيدُ الله بن عيسى أخى فى الرقة الأخيرة ، فسأله أخى عن شخصه من مدينة السلام ووقته . فقال : خرجتُ فى آخر الناس لاحتباسى على لقاء ابن الفرات ووداعه . فقال عبد الرحمن : فلما كان يوم الأربعاء لست خلونَ من زى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين مضيت إلى المسجد الحرام ارتفاعَ النهار ، وصلتُ وطُفتُ وسعيتُ وعدتُ إلى المسجد ، وجلست عند باب السهميين ، فوافقنى خادمٌ لنا أسودُ شيخٌ يقال له مُقبِلٌ غلامُ الجُدّة ، واستهنى فنهضت إلى جوار المسجد ، وقال لى : اعلمْ أن سياً الفلانىّ من غلمان الحَجَرِ لقينى الساعة وهو صديقى وأعلمنى سراً أنّ ابنَ الفرات قد قبضَ عليه . فورد على من السرور ما لم أتمالك نفسى ، وبادرتُ

(١) تولى الخلافة سنة ٣٢٠ وكان قد يوبع يومين بالخلافة سنة ٣١٧ بعد خلع المعتد أخيه ثم عاد المعتد للخلافة

(٢) هو أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصبى وزير المعتد سنة ٣١٣ كما وزر للقاهر ٣٢١

(٣) كذا بالأصل . ولعل معناها : أنه ممنوع من التصرف كما يشاء وطى ما بهوى

إلى أبي الحسن أخي ، وهو جالسٌ يُسَبِّحُ . فعرفته ما عرفني . فقال : ويحك ، من أين له هذا ؟ قلت : قد أخبرتك بما خبرني به ، وما عنده زيادةٌ عليه . فقال : امض إلى أبي الحسين أخيك وسله عما عنده . فضيت إليه وحدثته . فقال : ما خلق الله لذلك أصلاً وأنا آخرٌ من ودَّعه وهو جالسٌ للمظالم على أجلٍ حالٍ وأُفدَّ أمرٍ . فقال أبو الحسن أخي : فاقصد ابنَ مُجَاشِعِ المُنْفِقِ وسله . ففعلت ، وكان قوله وقولُ أبي الحسين واحداً . وأمَسَكْنَا ، وشاع ذلك بمكة ، وكثرتُ به الأراجيفُ . فلا والله ما كان إلا عند وصولنا إلى الحاجر راجعين حتى وافى مؤنسُ الورقانيُّ صاحبَ السرية ليلاً لتلقى الحاجُّ . فقال : أشروا بامعاشِرِ الحاجِّ ، قد قبضَ على ابنِ الفرات ، واتفق أن كان قريباً مني ، والليل يحجرُ^(١) بينه وبين معرفتي ، فقلت له مبادراً : ومتى كان ذلك يامبارك ؟ فقال : يومَ الأربعاء السادس من ذي الحجة . فورَدَ عليَّ من قوله وموافقَةَ اليوم الذي سمعتُ فيه ما سمعته ما عجبتُ منه واستطرفته ، ووجدتُ هذا الحديثَ مُشاكلاً حديثَ الرشيدِ في موته بطوسَ وانتشارِ خبره بمدينة السلام في يومه . والحديثُ مأثورٌ مشهورٌ .

وَأُنشِدْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ ابْنِ الْفِرَاتِ :

مُعَذِّبِي هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ حِيلَةٌ وَهَلْ لِي إِلَى اسْتِطْفَافِ قَلْبِكَ مِنْ وَجْهِ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتِ بِحِيلَةٍ وَلَا خَيْرَ فِي وَصْلِ يَكُونُ عَلَى كَرِّهِ

وقال جعفر بن حفص : مضيت قاصدا حتى رأيت أبا العباس بن الفرات وأبا الحسن أخاه ينظران في الأعمال ، فنظرت إلى حفظٍ لأمرِ الدنيا لم أر مثله ، ولو رآها من تقدّم من الكتاب لعلوا أنهم لم يروا مثلهما .

(١) يحجر : يمنع ولها أيضا يحجز وهي بمعنى يمنع ويفصل ويحول .

وذكر أبو علي الصوليُّ قال : خرجتُ يوماً مع أبي العباس النوفليِّ من دار أبي الحسن بن القرات مع صلاةِ المغرب ، فخرج معنا فرّاشان بشمعتين ، فلما نزلنا إلى السُّمَيْرِيَّةِ ^(١) دفعا الشمعتين إلى غلماننا ، فرددناهما وامتنعنا من أخذها ، فقالا : قد أمرنا بأن ندفع إلى كلِّ من يخرج من الدار عند اصفرار الشمس شمعةً . فقلنا : قد قبلناها ووهبناها لكم . فقالا : تريدان أن نعاقب ونصرف ؟ وتركاهما ومضيا .

وحدث أبو الفضل بن الوارث قال : لما قبض على أبي الحسن بن القرات في وزارته الأولى نظرنا فإذا هو يُجْرَى على خمسةِ آلاف إنسان ما بين مائة دينار في الشهر إلى خمسةِ دراهم ، ونصف قفيز دقيقاً إلى عشرة أقفرة .

وحدث أبو العباس أحمد بن العباس النوفلي ^(٢) وكان جليسا لبني القرات قال : سمعت الوزير أبا الحسن قبل الوزارة يقول : ما رأيت أحداً قطّ في داري أو على بابي ليس لي عنده إحسان إلا كنت أشدَّ اهتماماً بإيصال ذلك إليه منه والاحتيال له .

وحكى أن أبا الحسن بن القرات جلس يوماً للمظالم في سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين . فتقدم إليه خصمان في دكاكين بالكركخ . وتأملهما فقال لأحدهما : أرفقتَ إلى قصة في سنة اثنتين وثمانين في هذه الدكاكين ؟ ثم رجع فقال له : سنك تصغر عن هذا . فقال : ذلك أبي . فقال : نعم ، قد كان رفع قصةً فوقعتنا له فيها . ثم وقعَ بإخراج رُفع القصص والتوقيعات في سنة اثنتين وثمانين من الديوان . وقال للخصمين : كونا هاهنا . قال بعضُ من حضر المجلس : فلما خرجتُ

(١) السُمَيْرِيَّة نوع من السفن .

(٢) الفخرى ٢٣٤ .

من عند الوزير أبي الحسن سمعتُ أحدهما يدعو له . فقلت له : ما شأنك ؟ قال : لما سمع خصمي بهذا فرَّ وعلم أن التوقيع كان بتسليم الدكاكين إلى أبي .

وقال الحسين الخادم المعروف بالخلدي : سمعتُ خفيقاً السمرقنديَّ الحاجب يقول للكفتي بالله : الخليفةُ الماضي لم يَسْتَعْنِ عن ابني القرات ووزيرُه عبيدُ الله ابنُ سليمان ، كيف تستغني أنت عنهما ووزيرك القاسم^(١) ؟

قال القاضي أبو علي التنوخي : أنشدني أبو الحسين عليُّ بن هشام لنفسه لما قُتِل أبو الحسن بن القرات :

فَرَاتٌ غَاضٌ مِنْ آلِ الْفَرَاتِ فِقَاضٌ عَلَيْهِ دَمْعُ الْمَكْرُمَاتِ
سَمَاءٌ غُودِرَتْ فِي بَطْنِ أَرْضٍ وَبِحُرِّ غَاضٍ فِي بَعْضِ الْفَلَائِ
عَسَى الْيَوْمَ آخِذَةٌ بِثَأْرِ فَتَأْخُذَ لِي بِثَأْرِ الْمَأْتُرَاتِ

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين عليُّ بن هشام قال : سمعتُ أبا الحسن بن القرات يتحدث في مجلسه قال : كنتُ بعد وفاة أينا وقبل تصرُّفنا مع السلطان نَقَدَم إلى بغداد من سُرٍّ من رَأْيٍ فنقيمُ بها المدَّةَ بعد المدَّة ، وتفرِّجُ ثم نعود ، ونزل - إذا وردنا - شارعَ عمرو بن مسعدة بالجانب الغربيِّ ، ففكرنا يوماً نريد بستاناً ، فإذا بجالد الكاتب^(٢) والصبيانُ يُولعون به ، وقد اختلط وهو يَرَجُم ويشتُم ، ففرقناهم عنه ، ومنعناهم منه ، ورفقنا به ، وسألناه أن يصحبنا وأنزلنا أحدَ غلماننا من مَرِّ كوه وأركبناه ، وحملناه إلى البستان . فلما أكل وسكن وجدناه مُماسِكَ العقليِّ ، بخلاف ما رأينا عليه ، وظننا به ، وسمعناه عنه ، فقلنا له :

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد والكفتي وفوض إليه الكفتي جميع الأمور توفي سنة ٢٩١ ترجمه بالمنظم ٤٦/٦ .

(٢) هو خالد بن يزيد الكاتب الشاعر له ترجمة في طبقات الشعراء لابن المعتز والأغانى ٤٥/٢١ ومعجم الأدباء وفوات الوفيات وتاريخ بغداد ٣٠٨/٨ .

مالذي يَلْحَقُكَ؟ فقال: أكَرُّ آفَتِي هَوْلَاءِ الصَّبِيَانِ فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونَ عَلَيَّ حَتَّى أَعْدَمَ
بَقِيَّةَ عَقْلِي وَأَصِيرَ إِلَى مَا شَاهَدْتُمُوهُ مِنِّي . وَأَخْذُ يُنْشِدُنَا لِنَفْسِهِ ، وَيُورِدُ الْحَسَنَ مِنْ
شِعْرِهِ . وَطَابَ لَنَا يَوْمُنَا مَعَهُ . وَأَحَبُّ أَخِي أَنْ يَمْتَحِنَهُ فِي قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَهَلْ هُوَ عَلَى
مَا كَانَ أُمُّ قَدِ اخْتَلَّتْ ، فَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا فِي الْفِرَاقِ السَّاعَةِ ، فَأَخَذَ
الدَّوَاةَ وَفَكَّرَ وَقَالَ :

عَيْنِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدَّعِيًا أُمُّ حَيْنٍ أَرْزَمَ بَيْنَهُمْ خُنْتَ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا قُلْتَ صَادِقَةً فَعَلَى فِرَاقِهِمْ أَلَا بِنْتَ

وَحَدَّثَ مُحَمَّدٌ عَنْ حَضْرَةِ مَجْلِسِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفِرَاتِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
نَظَرِهِ أَنْ نَسُوَّةَ رَفَعْنَ إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونُ فِيهَا رِقَّةَ أَحْوَالِهِنَّ ^(١) ، وَانْتَسَبْنَ إِلَى
أُمَّهِنَّ بَنَاتِ ابْنِ رُسْتَمٍ ، فَقَدَّرَ أَنَّهُ ابْنُ رُسْتَمٍ كَاتِبٌ كَانَ بَسْرًا مِنْ رَأْيِ ، وَوَقَعَ بِأَنْ
يُجْرَى عَلَيْهِنَ دَقِيقٌ وَدِرَاهِمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَلَمَّا انصَرَفْنَ قَالَ لَهُ أَحَدُ الْكُتَّابِ :
لَيْسَ هَوْلَاءُ النَّسُوَّةِ بَنَاتِ ابْنِ رُسْتَمٍ الَّذِي أَشَارَ الْوَزِيرُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هُنَّ بَنَاتُ ابْنِ
رُسْتَمٍ الَّذِي كَانَ مَعَ بَغَا الشَّرَابِيِّ . فَقَالَ : لَيْكُنَّ مَنْ كُنَّ فَقَدْ أَخَذْنَ رِزْقَهُنَّ ،
وَإِنْ حَضَرَ أَوْلَئِكَ أَجْرَيْنَا لَهُنَّ أَيْضًا وَأَحْسَنًا إِلَيْهِنَّ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : كُنْتُ بِحَضْرَةِ أَبِي الْحَسَنِ
ابْنِ الْفِرَاتِ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا ، فَقَطَّ الْفِرَاشُ الشَّمْعَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَطًّا
اسْتَعْجَلَ فِيهِ ، فَسَقَطَ مِنْهَا شَرَارٌ قَرُبَ مِنْهُ ، وَخَافَ الْفِرَاشُ فُضِيَ مُبَادِرًا ، وَتَبِعَهُ
خَادِمٌ كَانَ يَرْوُسُ عَلَى حَوَاشِيهِ لِيُنْكِرَ عَلَيْهِ وَيَضْرِبَهُ ، فَصَاحَ الْوَزِيرُ بِهِ وَقَالَ لَهُ :
عُدْ إِلَى مَكَانِكَ ، أَتَرَاهُ الْبَائِسَ تَعَمَّدَنِي بِمَا فَعَلَ وَاعْتَقَدَ أَنْ يُجْرِيَ قَنِي؟ وَإِنَّمَا اتَّفَقَ
مَا اتَّفَقَ عَلَى سَبِيلِ الْعَلَطِ .

(١) رِقَّةُ أَحْوَالِهِنَّ : فَقرهن .

وحدث أبو الحسين قال : عرض أبو أحمد الحسنُ على أبيه عملاً من أعمال
المغرب الذي كان يتولّى ديوانه ، وقد أخطأ المُحرّرُ له فكتب سنة ثلاثٍ وتسعين
ومائتين ، وأراد سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فقال الوزير أبو الحسن : هذا غلطٌ وكان يجب
أن يكون سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فأظهر الحسنُ الغيظَ على الكاتب ، فقال له الوزير :
« كَأَنِّي بكَ عِنْدَ خُرُوجِكَ وَقَدْ اسْتَدْعَيْتَهُ وَوَجَّهْتَهُ وَعَفَّيْتَهُ . فَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ إِن
فَعَلْتَ ^(١) وَعَامِلٌ كُتَابِكَ وَأَحْبَابُكَ بِفَضْلِ الْحِلْمِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَلُطْفِ الْقَوْلِ فَإِنَّ
النَّاسَ لَا يَخْلُونَ مِنَ السُّهُوِ .

وكانت عادته جاريةً مع كتابه إذا وقف لهم على خطأ فيما يعملونه أن يُواقفَ
صاحبه عليه من غير إنكار ولا تهجين ، ثم يُسَلِّمَ العملَ إليه ليتولّى إصلاحه ، وإن
طعنَ أحدهم على صاحبه في عمله أنكرَ قوله وردّه وسهّلَ على المخطئِ خطأه وأقام
فيه عُذْرَهُ .

وحدث محدث أن أحمد بن أيوب صاحب خبره رَفَعَ إليه يَدَهُ كَرَاهَةً أَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي
وزارته الأولى سبعةُ دنانيرَ بِرَسْمِ النَّوْبَةِ . فَلَمَّا تَقَلَّدَ الْخِاقَانِي ^(٢) قَطَعَهَا وَجَعَلَهَا لِرَجُلٍ
— أَسْمَاهُ — وَسَأَلَهُ رَدَّهَا عَلَيْهِ . فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِ رُفْعَتِهِ : أَمَّا إِسْقَاطُ الرَّجْلِ الْمُثَبِّتِ
فَلَا أَرَاهُ وَلَا أُسْتَجِيزُهُ ، وَلَكِنْ اطْلُبْ رَسْمَ رَجُلٍ سَاقِطٍ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا الرَّزْقِ
لِأَوْقَعِ لَكَ بِهِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الْبَائِسَ قَدْ التَزَّمَ عَلَى مَا أُثْبِتَ بِاسْمِهِ مُجْلَةً .
ثُمَّ وَقَعَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَيُوبَ بِمِثْلِ مَا كَانَ لَهُ .

وعرض عليه كتابٌ من صاحب ديوان الجيش أو صاحب الإعطاء يَدُّ كَرَاهِيَةٍ
أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّرَ مِنْ جَارِيَةِ جَمَاعَةٍ — مِنَ الْمَشَائِخِ وَالزَّمَنِيِّ ^(٣) وَمَنْ يَجْرِي أَمْرُهُ هَذَا

(١) يعني بحيان عليك لا تفعل

(٢) يريد به أبا علي محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني

(٣) المشايخ هنا : الكبار في السن . والزمني : الرضي .

الْمَجْرَى أُسْقَطُوا - نَحْوُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، . فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِهِ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أُسْتَوُوا
وَأَصِيبُوا فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَخِدْمَتِهِ فَلْيُمْضِ أَمْرُهُمْ ، أَوْ كَانُوا بَدَلَاءَ وَدَخَلَاءَ أُقِيمُوا
مُقَامَ غَيْرِهِمْ فَلْيُصَدَّقْ عَنْ صُورَتِهِمْ .

ثم أتبع ذلك بأن قال : أَمْضِ أَمْرَ جَمَاعَتِهِمْ ، وَلَا تُسْقِطْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنِّي
أَكْرَهُ أَنْ أَقْطَعَ مَعِيشَةَ إِنْسَانٍ .

وعمل قوم من الكتّاب لأحمد بن العباس بن عيسى بن شيخ - وكان رجلاً كبيراً
مُفْقَلاً - توقيعاً بتضمينه آمدٍ وجميع ما كان إلى عيسى بن شيخ^(١) وتقلد . ونقل
غلماناً من برسم الأحرار إلى رسم المالك ، وزيادته في أرزاقه وأرزاق من معه ،
وضم جماعة من الرجال إليه ، وصار الشيخ إلى ديوان المغرب ، وتنجز الكتب
وأخرجت له الخرج ، وبينما هو في ذلك شك أبو أحمد المحسن في بعض ما عرض
عليه ، واستدبت أباه فيه ، فأنكره واستعظم الإقدام عليه بمثله ، وأمر بإحضار
الشيخ . فلما حضر غلظ عليه في القول وقال له : ما حملك على هذا القول ؟ . فقال :
خِدْمَتُكَ وَأَنْ أَظْهَرَ كِفَايَتِي عِنْدَكَ ، وَأَرَأَيْكَ قَدْ اسْتَكْرَمْتُ لِي هَذَا الْعَمَلُ ، وَهَذَا
بَلَدٌ لَمْ نَزَلْ تَتَوَلَّاهُ ، وَقَدْ تَقَلَّدَهُ أَخِي وَابْنُ أَخِي وَمَا أَنَا بَدُونَهُمَا . وأقبل يخاطبه مخاطبة
المحتاج المناظر لا الجاني المحاذر . فضحك منه عندما سمعه من قوله . وعلم أنه
استغفل واحتيل عليه . فقال له : عَرَفْتَنِي مَنْ أَخْرَجَ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ لَكَ ، فَأَقْرَأْ عَلَيَّ
جَمَاعَةَ مِنَ الْكُتَّابِ ، أُحْضِرْ بَعْضَهُمْ وَحُسِّسُوا أَيَّامًا ثُمَّ أُطْلِقُوا ، وَلَمْ يَعْزِضْ لِلشَّيْخِ وَلَا
لِحَقِّهِ مِنْهُ مَكْرُوهٌ .

وحدّث محدث أن بنات محمد بن سعيد الأزرق الأنباري الكاتب - الذي

(١) في ابن الأثير حوادث ٢٦٩ والطبري وفيها نوق عيسى بن الشيخ بن الليل الشيباني ويده
أرمينية وديار بكر . وفي حوادث سنة ٢٥٦ أن عيسى بن الشيخ عزل عن الشام وولى أرمينية

كان يتقلدُ أَمْرَ الجَيْشِ وَقَبْضَ عليه مع أصحابِ عبد الله بن المعتز ، ومات في حبسِ مؤنس - رُفِعَ إلى أبي الحسن بن القرات أن وكيلاً كان لأبيهنَّ غلبنَّ على مالهٍ وأنكرهُنَّ إياه ، وابتاع عَقَارَاتٍ وَمُسْتَعْلَاتٍ به . فنظر إليهن نظراً رَقَّ فيه لهنَّ ، ودمعت عيناه عطفاً عليهن ورافةً بهن ، وتقدّم بإحضار الوكيل . فلما حضر خاطبه على ما ادَّعَيْته عليه ، فأنكر أن يكون محمدُ بنُ سعيد خَلَفَ في يده مالاً ، وجحدَ ذلك جحداً شديداً . وأمر الوزيرُ أَحَدَ أصحابه بالمسألة عن حالِ الرجلِ وما كان يتصرف فيه قبل أن يصحبَ محمدَ بنَ سعيد ، وما تصرف فيه بعده ، وإعلامه ذلك على صحبةٍ . فامتثل صاحبه ما رسمه له ، وعاد وعرفه أن هذا الوكيل ما تصرف قبلَ محمد بن سعيد ولا معه . ولا بعدَه تصرفاً يقتضى كسبه الذي في يده . فأعاد إحضاره ، ولم يزل يَرَاوِضُهُ إلى أن اعترف عنده ببعض ما ادَّعَى عليه ، وأشهدَ لبنات محمد بن سعيدِ بشيء من العَقَارِ الذي كان ابتاعه . فأحيَاهُنَّ بما استخلصه لهنَّ ، وسترهنَّ بما أعاده إليهن .

وذكر أبو القاسم بن زنجي أن أبا الحسن بن القرات خُوطِبَ في معنى (١) أسماء بنتِ عيسى أختِ أبي الحسنِ عليِّ بن عيسى وزوجه عليِّ بن محمد بن داود ، وعُرِفَ رِقَّةٌ حالها واختلال أمرها ، فرد عليها الضَّيْعَةُ المقبوضة عن محمد بن داود بَكُوْنِي ونهرِ درقيط ، وأجرى عليها خمسمائة درهم في كلِّ شهرٍ من ماله . فلما تقلدَ أبو الحسنِ عليُّ بن عيسى أخوها منعها ذلك .

ووجدت ثَبْتًا بما كان أبو الحسن بن القرات يخاطب به السيدة والأمرء وأولاد الخلفاء والولاة والكبراء وأصحاب الأطرافِ وَعُمَالِ الأعمالِ وسائر الطبقات في كتبه توقيعاً به إليهم أيام وزارته الثالثة . وقد تغيرت الرسومُ وَوَهتِ الأمورُ

(١) هي مصدر ميمي من عى الأمر لفلان : حدث وتزل به أو من عناه : شغله وأمه

ووقع التَّسْمُحُ منه فيما كان من قبلُ يُضَاقُ فيه ، فأوردته مُتَعَجِّبًا وَمُعَجِّبًا من التناوت الشديد بين ما كان وبين ما نحن عليه الآن ، فإننا اليوم في انحراقٍ قد زاد وأَسْرَفَ ، وتمسدى وما وَقَفَ ، حتى أن الملوك ومن بَعَدَهُم من الوزراء قد أُنْفُوا من ذِكْرِهِم بسيدنا ، واستقلُّوا خطابهم بملانا ، فعُدل الناس بأولئك إلى الحضرة الشريفة ، والحضرة العالِيَّة والحضرة السامية ، وبالوزراء إلى مثل ذلك . ثم كَدَّوْا عن الخلفاء بالموقف الأشرف المقدس ، وذكروه بالمقام الأطهر النَّبَوِيِّ ، ونقلوا الملك إلى الأشرف والأعظم . وقالوا في الدعاء : نَوَّرَهُ اللهُ ونصره اللهُ : إلى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة . وانهت هذه الحال إلى أن شاركهم فيها الأَكْبَرُ من أصحاب الأطراف ، ووقفوا بالوزارة على الحضرة السامية . ثم أَلْحَقُوا بها: المظفَّرة والمنصورة ، مع النسبة إلى الألقاب كالوزيرية والعَمِيدِيَّة والكَمَالِيَّة ، وما جرى هذا المَجْرَى ، ودخلهم في ذلك مَنْ يَتَلَوُّهُم من خلفائهم ، وأصحاب الجيوش وأمراء العرب والأكراد .

وأتسع هذا الباب ، فدخل فيه كلُّ من أراد من غير احتشام ولا ارتقاب . ولا أعرف معنى للموقف ولا الحضرة ، لأنه إشارة إلى غير شخص مُتَمَثِّل ، وعبارة عن غير محسوس مُشَكَّل ، وما الذى يتعلَّق بالمخاطب من ذلك ؟ أم أى موضع للدعاء إذا كان لِمَا لَاحَظَ له فيه ، ولا عائدة عليه منه ؟ ولقد استُخِيرَ من هذا الأمر مالا جَمَالَ فيه ، ولا جلاله ولا عظم ولا فخامة . وإنما يُشار إلى الحضرة والموقف كما يشار إلى الباب الذى يَطْرُقُهُ الزُّوَّارُ والوُفُودُ ، والمجلس الذى يكون فيه المُتَوَلُّو القُعود ، والمقام الذى يكون فيه الحُضُور والوُقُوف . فأما الخلفاء فذكروهم بالسَّادَةِ وأمير المؤمنين - التى لا يُشاركون فيها ، ولا يُجاذبون عليها - أولى وأعلى من هذه الفقايع التى لا تُفِيدُ معنى .

وأما الملوك والوزراء فذكروهم بالسيادة والملك والوزارة [وما هو] جارٍ ذلك المجرى

[كان أخرى] ولخَلَصُوا من المشاركة الواقعة ، وحصلت لهم منزلة الانفراد بهذه السمة الرائعة ، وإنما تبين الرتب إذا تفاوتت ، وتظهر المنازل إذا تباينت ، وأما أن يُبتدَر الرئيس [و] الرؤوس بحالة^(١) واحدة ، ويُجرّوا في طريقة جامعة ، فإن ذلك يدعوا إلى التساوى ويخلط الأدون بالعالى ، ولو أُعيد الوقوف بالخلفاء على : سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين ، وأُفرد الملوك بمولانا الملك ، واقتصر بالوزراء على : سيّدنا الوزير ، واتسع في ذلك ما كان معهوداً من قبل ، وطُبّق من بعدهم على حكم منازلهم ، وقدر مواقعهم ، لكان التمييز موجوداً ، والاختلاط مفقوداً ، على^(٢) أنه لم يكن يُعرّف فيما مضى مولانا ، ولا مولاي ، ولا سيدي ، وإنما كان التكتاب والتخاطب بالهاء فقط .

ولقد بلغنى أن بعض خواصّ المقتدر بالله - رحمة الله عليه - سأل أبا الحسن على بن عيسى زيادة أحد العمّال المتقدمين في خطابه ، وكان يخاطبه : بأعرك الله . فامتنع عليه امتناعاً شديداً ، وعاوده حتى وعده . وكتب إلى الرجل : بأعرك الله . - ممدود ما بين العين والزاي - فقال ألم يمدنى الوزير بالزيادة ؟ قال : قد فعلت . قال : في أى شيء ؟ قال : كنت أجمع بين العين والزاي . وقد مددت بينهما مدّة . وهى الزيادة .

فكان القوم على هذه الصورة من المناقشة ليبين الترتيب فيها ويُلوح التطبيق في مجاريها .

فأما عصرنا هذا فقد اختلفت الرسوم وانقلبت الأعيان فيه ، وقلّت المراعاة لما كانت موكولة به ، وصارت ملوكه المدبرون للأمر يخاطبون وزراءهم بمولاي الأجل وزير الوزراء أدام الله علوه .

(٢) في الأصل : وعلى .

(١) في الأصل : حالة

وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجِيُوشِ وَأَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، وَخُلَفَاءِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ بِالْأَجْلِ . عَلَى الْكِنَايَةِ . وَيَجْمَعُونَ فِي الْأَجْلِ بَيْنَ وَجْهِ الْكِتَابِ وَالْأَتْرَاكِ وَالْحَوَاشِي وَحَتَّى الْقِضَاةِ وَالشُّهُودِ . فَأَمَّا الْأَلْقَابُ فَقَدْ خَرَجَتْ عَمَّا يُحَاطَبُ بِهِ وَيُوصَفُ أَوْ يَأْتِي عَلَيْهِ حَضْرًا ، وَصَارَ لِقَبِّ الْأَصْغَرِ أَكْبَرُ مِنْ لِقَبِّ الْأَكْبَرِ . وَمِنْ أَنْمُودَجِ هَذَا الْإِفْرَاطِ وَالِاخْتِلَاطِ أَنْتَى كُنْتُ أَشَاهِدُ الْوُزَرَءَ فِي آخِرِ أَيَّامِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ^(١) ، وَأَيَّامِ صَمَّامِ الدَّوْلَةِ ^(٢) يَذْكُرُونَ عَنْهَا بِأَبِي فَلَانٍ فَلَانِ بْنِ فَلَانِ أَدَامِ اللَّهُ عَزَّهُ . وَأَرَاهُمْ وَأَرَى خُلَفَاءَهُمْ وَأَصْحَابَ الدَّوَاوِينِ وَنَظْرَاءَهُمْ وَزَعَمَاءَ الْجِيُوشِ وَمَنْ يَتْلُوهُمْ مِنَ الْقَوَادِ وَخَوَاصِّ النَّاسِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ يَنْزِلُونَ مِنْ دَوَابِّهِمْ فِي الْبَابِ الْعَامِ مِنْ دَارِ الْمَلِكَةِ فِي أَمَا كُنْ مَا يَقْنَعُ الْيَوْمَ بِمَا كَانَ الْوُزَرَءُ إِذْ ذَاكَ مِنْهَا كَاتِبُ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ الْبَوَاوِينُ يَدْعُونَ بِدَابَّةِ الْوَزِيرِ غَلَامِ الْأَسْتَاذِ ، مُطْلَقًا بِغَيْرِ كُنْيَةٍ . وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْكُنْيَةِ الَّذِينَ يُفْضَلُونَ فِي مَرَاتِبِ أَرْبَابِهَا بِإِعْلَاءِ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ . وَبُعْدَ الْمَدَى وَقُرْبِهِ ، وَيَقْتَصِرُونَ فِي الْأَقْلِّ الْأَدْنَى عَلَى اللَّفْظِ الْمُدْغَمِ الَّذِي لَا يُرْفَعُ وَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ ، هَذَا فِيمَنْ يَتَمَيَّزُ أَدْنَى تَمَيُّزٍ . فَأَمَّا الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ فَلَا يُفْعَلُ مَعَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَوْسَطُ الْكِتَابِ وَالْحَوَاشِي يُدْعَى بِدَابَّتِهِ الْيَوْمَ بِغَلَامِ الرَّئِيسِ الْأَجَلِّ ، وَالْأَجَلِّ مَعَ الْقَبِّ إِنْ كَانَ ، مَعَ غَيْرِ تَمَيُّزٍ وَلَا تَرْتِيبٍ . لَا جَرَمَ أَنَّ الرَّتْبَ قَدْ نَزَلَتْ لَمَّا تَسَاوَتْ ، وَسَقَطَتْ لَمَّا تَوَازَتْ . وَلَمْ يَبْقَ لَهَا طَلَاوَةٌ يُشَارُ إِلَيْهَا وَلَا حَلَاوَةٌ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . حَتَّى لَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(٣) — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — أَنَّهُ قَالَ : لَمْ تَبْقَ رُتْبَةٌ لِمُسْتَحِقِّ .

(١) عضد الدولة من ملوك البويهيين تولى الملك بعد وفاة أبيه ركن الدولة أبي علي الحسين بن بويه سنة ٣٦٦ وتوفى سنة ٣٧٢ .

(٢) صمصام الدولة هو ابن عضد الدولة تولى الملك بعد موت أبيه ٣٧٢ وقتل صمصام الدولة في ذي الحجة من سنة ٣٨٨ .

(٣) هو أبو جعفر عبد الله تولى الخلافة سنة ٤٢٢ بعد وفاة أبيه القادر بالله وتوفى سنة ٤٦٧ .

ومن أطرفٍ طريفٍ أن السلطان - أطل الله بقاءه - يذكر القضاة والشهود بالأجل والجليل . وقاضى القضاة يُوقَع إليهم بما يقول فيه : أبو فلان فلان بن فلان - أيده الله - يفعل كذا .

ومعلوم أن ذلك مما يتفاوت ويتباين ولا يتناسب ، وعهدى وأنا أُوقَع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدى في ديوان الإنشاء إلى قضاة الحضرة الناظرين فيها : أبو فلان فلان بن فلان القاضى أعزه الله ، والقاضى مؤخر ، وربما تقدم لمن تَمَيَّز . وإلى قضاة النواحي : فلان بن فلان الحاكم ، بغير كُنْيَةٍ ولا دعاء ولا ذِكْرٍ قَضَاءٍ .

وأما المناشير فلم تَجْرِ العادةُ فيها بذكرٍ أحدٍ بِكُنْيَةٍ ولا دعاء . وقد فُعل في زماننا ذلك على الزيادة والتساهى . والعلة في ألا يُذكر الناسُ بالكُنْيَةِ والدعاء أن ذِكْرَ السلطان يكون فيها بألقابه خاصةً من دون الدعاء ، فلا يجوز أن يقع التَّمَيُّزُ عنه . فظاهر قولنا : هذا كتابٌ من فلان لفلان ، إخبارٌ عن الكتاب ولذلك يُقال في الكتب عن الخلفاء : من عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان ، إما بلقب وكنية ، وإما بكنية بغير لقب أو باسم دون الكنية واللقب . ولا يُدعى للمكتوب عنه حتى إن استتمَّ التصدير استَوْقَفَ (١) الدعاء بعد قولهم : أما بعد . فقيل : أما بعد ، أطل الله بقاءك وأمتع بك . وما شاكل ذلك وما كان الأصل .

فما تعيَّر عن الرسوم الصحيحة واستَوْقَفَ من هذه الفقائع الطريفة إلا أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان . فإن القادر بالله (٢) - صلوات الله عليه - منعه

(١) استوقف يبدو أنها استعمال يراد به بدأ وأنشأ .

(٢) تولى الخلافة سنة ٣٨٦ وتوفى ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر .

بعد فخر الملك ^(١) أبي غالب من مخاطبة أحد من الوزراء بمولانا . فلما ورد أبو محمد ابن سهلان ^(٢) إلى بغداد كتب إليه : سيدنا . فأنكر أبو محمد ذلك ، ورمى بالرقعة وقال : يزيدني وينقصني عما كان يخاطب به أبا غالب ، لا أرضى بهذا ولا أقبله ولا أقرأ له رقعة به .

ومضت مدة فكتب إليه : بالحضرة العالمة الوزيرية - على ما يُكتب الآن - فاستنكر ذلك وقال : هذا فرار من : مولانا . ولا أقنع به . فقيل له : هذا أجلُّ وأعظمُ ، وأعلى وأفخم ، وما منعك من : مولانا . إلا لأن الخليفة حظر عليه خطاب أحدٍ بمولانا سواه . فقَبِلَ هذا القولَ وتصورَ زيادةً به لا تقيصَةً . فاقنني الناسُ أثره فيه . ثم أخرج أبو الحسن في ذكر الخليفة : الحضرة المقدسة النبوية . اختراعاً جعله قُرْبَةً فصار سُنَّةً ، وأشْرَكَ ^(٣) به : الشُّدَّةَ النبويةَ . وَمَضَى من هذا الفن ما خَرَقَ به العُرْفَ والعادةَ ، وأسقطَ معه القوانينَ القديمةَ المهبودةَ ، وتجاوز هذه المنزلةَ إلى أن صارت كتابته عن الخليفة بالخدمة ، وتَصَرَّفَ في ذلك حتى قال : قالت الخِدْمَةُ ، وفعلت الخِدْمَةُ ، وسُئِلت الخِدْمَةُ . حتى رأيت بخط أبي الحسن بن أبي الشوارب القاضي في ترجمة رقعة : خادمُ الخِدْمَةِ الشريفةِ فلانُ بنُ فلان .

ومضى من يعرف الأصول ، ونشأ من لم يعرف ولم يسمع إلا بهذه الفروع ، فخالها الصحيح ، وتمدَّى الأمر من حال إلى حال ، في الباطل والانتقال ، حتى أفضى هذ إلى الاختلال والانهلال .

(١) ولي العراق لبهاء الدولة البويهى سنة ٤٠٩ والوزارة له ثم من بعده لسلطان الدولة ثم قبض عليه سلطان الدولة وقتله سنة ٤٠٦ . (٢) تولى الوزارة لسلطان الدولة البويهى سنة ٤٠٦ بعد قتل فخر الملك ثم ولي العراق لسلطان الدولة سنة ٤٠٩ ثم غضب عليه ، انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٩ (٣) في الأصل : اشترك

المخاطبات عن أبي الحسن بن الفرات

أولادُ المقتدر بالله : أطال الله بقاء الأمير . والدعاء عدةٌ سطور . والترجمة : ،
عبدُه ، عليُّ بن محمد ، بغير كنية .

السيدة أم المقتدر بالله : مثلُ ذلك .

الخالة : أطال الله بقاء الخالة .

والدعاء عدة سطور . والترجمة : للخالة أطال الله بقاءها . من عليِّ بن محمد .

أولاد المعتضد بالله والمكتفي بالله : أطال الله بقاءك ياسيدي . والدعاء عدة سطور
والترجمة : لأبي فلان ، بأجل دعاء ، من علي بن محمد .

ثمل وزيدان القهرمانتان : أطال الله بقاءك . ويُنمَّ بثلاثة سطور دعاء .
والعنوان : ثمل أو لزيدان القهرمانة ، من أبي الحسن . ثمزاد زيدان خاصّة : يا أختي .

نصر بن أحمد^(١) صاحب خراسان ، وثلاثة أسطر هي : أطال الله بقاءك ، وأدام
عزك وتأييدك ، وسعادتك وكرامتك ، وسلامتك وعافيتك ، وأتم نعمته عليك ، وزاد
في إحسانه إليك ، وفضله لديك ، وجميل مواهبه عندك ، وجزيل قسمة لك ، وجعلني
من كل سوء ومكروه فذاك ، وقدمني قبلك . والفصول : أدام الله عزك . وفي آخر
الكتاب : فإن رأيت ... والعنوان : لأبي فلان ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده
وسعادته وسلامته ونعمته . من علي بن محمد - بلا كنية - .

مؤنس المظفر^(٢) : أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته وإحسانه

(١) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وماوراء النهر ولي بعد

قتل أبيه سنة ٣٠١ وعمره ثمان سنوات وتوفي سنة ٣٣١ انظر ابن الأثير حوادث ٣٠١ .

(٢) قتل سنة ٣٢١ قتله الخليفة الفاهر بالله وقد كان من كبار القواد ولقب بالمظفر سنة ٣٠٩

لقبه الخليفة المقتدر وأنشأ بذلك الكتب عنه إلى أمراء النواحي ، انظر المنتظم ١٥٩/٦ حوادث

سنة ٣٠٩ .

إليك . العنوان : لأبي الحسن أطال الله بقاءه ، من أبي الحسن .

أبو القاسم نصر الحاجب^(١) وأبو القاسم يوسف^(٢) بن داود ابن أبي الساج لما
جمعت له أعمال أرمينية وأذر بيجان والرى وقزوين وزنجان وأبهر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان :
لأبي القاسم أدام الله عزه نصر الحاجب مولى أمير المؤمنين ، من أبي الحسن .

شفيع اللؤلؤى وشفيع المقتدرى وبشر الشرابى وبدر الحرمى ومفلح الأسود^(٣)
وهارون بن غريب الخال^(٤) وأحمد بن بدر العم ونازوك وياقوت^(٥) : أعزك الله وأطال
بقاءك ، وأكرمك وأتم نعمته عليك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله . من
أبي الحسن .

فلان مولى أمير المؤمنين ، أمير الشام وأجنادها ، والمسمى ، ومن يتقلد فارس
وكرمان ، وصيف البكتري - وهو يتقلد جند قنسرين والعوامم وأنطاكية - ونجح
الطولونى . أمير أصبهان ، ومن يتقلد الموصل وقردى ويزبدي وديار ربيعة : أعزك الله
ومدّ في عمرك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام
الله كرامته .

من يتقلد ديار ربيعة وديار مضر مفردا ، وأمراء الثغور الشامية ، والثغور الجزرية ،
محمد بن أحمد بن بدر العم ، وأمير واسط ، محمد بن عبد الله الفارقى ، أمير البصرة ،
وأحمد بن هلال صاحب عمان ، أمير همدان وماء البصرة وماء الكوفة والإيفارين ،
غريب الجلى ، وغريب الكبير ، وأبناء رائق وفريد إذا لم يكونوا ولاية :

(١) كان حاجباً للمقتدر توفى سنة ٣١٦ انظر المنتظم ٦/٢٢٠ .

(٢) انظر عنه ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وما بعدها وقتل سنة ٣١٥ .

(٣) كل هؤلاء من الغلبان الذين صاروا قادة وأصحاب سلطان .

(٤) هو ابن خال الخليفة المقتدر وقتل سنة ٣٢٢ (٥) قتل سنة ٣٢٤ .

مدّ الله في عمرك وأكرمك ، وأتمّ نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله .

أمير الرحبة وهيت وعاملها ، وعمال المشرق ، وأمير ماسبذان ، ومهرجا تندق ، أمير الطيب وقرقوب وجوخي ، السمعي صاحب أيدج والبنيان وواسط والزوموم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتمّ نعمته عليك ، وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله .

عبد الله بن حمدان ، وجعفر بن ورقاء ، ومن يجري مجراها إذا لم يكونوا ولاية : مدّ الله في عمرك ، وأتمّ نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته .

ولباقي القواد : أكرمهم الله .

صاحب اليمن والতির ومُكران ، والمتقلد الكوفة وأعمالها : أكرمك الله ومدّ في عمرك ، وأتمّ نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله . أبو أحمد الحسن ابن الوزير : أطال الله بقاءك . وتام سطرين . العنوان : لأبي أحمد أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وسعادته .

وباقى الولد يمثل ما يدعى لمونس^(١) إلا ابن دولة الأصغر فإنه كان يكتب على العنوان : لأبي عليّ أبقاه الله طويلا في عافية وسلامة .

وكذلك كان يكتب عبيد الله بن سليمان إلى القاسم ابنه إلى أن استخلفه على الوزارة .

(١) لعلها معرفة عن الحسن لأن الكلام يدل على أنه يكتب لبقية أولاده مثله إلا ابن دولة الأصغر فإن خطابه كان مقابرا لإخوته .

أصحاب الدواوين

ثلاث طبقات

الطبقة الأولى : مثل شفيح المقندري وطبقته

الطبقة الثانية : مثل المسمى وطبقته

الطبقة الثالثة : مثل عامل ديار ربيعة

العمال

عامل مصر مثل أميرها ، عامل الشام مثل أميرها ، عامل فارس مثل أميرها ، عامل أصفهان مثل أميرها ، عامل البصرة مثل أميرها ، عامل الثغور مثل أميرها ، عامل الأهواز إذا اجتمعت أعمالها مثل عامل فارس ، عامل الري مثل عامل أصفهان . فأما حامد بن العباس فكان يُجرى في الدعاء يُجرى أمير الشام وعاملها ، إلى أن أرفق ابن الخواري وأمّ موسى القهرمانه وأصحاب الدواوين مالا جليلا فألحق بصاحب مصر ، ودعاؤه : أدام الله عزك وأطال بقاءك وأكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي محمد أطل الله عزه حامد بن العباس . من أبي الحسن ^(١) .

القضاة

أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وأبو عمر محمد بن يوسف : أعزك الله وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان ، من أبي الحسن .

(١) في الأصل لأبي محمد أطل الله عزه من أبي الحسن حامد بن العباس .

أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ، وأبو عبد الله الحسين بن إسماعيل
الحاملي : مد الله في عمرك وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك .
العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان . من أبي الحسن .

أبو عبد الله بن أبي موسى وأبو الحسين عمر بن الحسن الأشناني - وإليهما إذ ذاك
القضاء في نواحي جليلةٍ وهما مقيمان بالحضرة - وأبو طالب بن البهلول قاضي مصر إذا
كان واحداً ، والقاضي بفارس ، والقاضي بالأهواز إذا اجتمعت له أعمالها ، والقاضي
بأصبهان والقاضي بالري : مد الله في عمرك وأكرمك وأتم نعمته عليك وأدامها لك .
العنوان : لأبي فلان ، أكرمه الله فلان بن فلان . من أبي الحسن .

قاضي الجبل سوى الريّ وقاضي مهرجا نقدق وماسبندان وقاضي واسط ومن
يُجرى مجراهم : أكرمك الله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان
أبقاه الله فلان بن فلان .

فأما قضاة طساسيج السواد إذا فرقت طشوجاً طشوجاً : حفظك الله وأبقاك
وأمتع بك . والعنوان : لأبي فلان حفظه الله . ومن الجانب الآخر : فلان بن فلان .
أصحاب المظالم والحسبة وأسواق الرقيق والعيار والمواريث على طبقتين . الطبقة
الأولى : من يتولى مصر والأهواز أو فارس أو الري وأعمالها وأصبهان ، وخطابهم :
أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان ، أبقاه الله
فلان بن فلان من أبي الحسن .

الطبقة الثانية : باقي الحسبة والمطالين : حفظك الله تعالى وأمتع بك .

عامل طساسيج السواد ، وعامل المستغلات بالحضرة ، وعامل الجوالي بها ،
وعامل سوق الغنم ، وعامل دار البطيخ والقطن : مثل الحسبة ، إلا ابن بطحا مُحْتَسِب
الحضرة وسوق الرقيق خاصةً فإنه يُجرى مُجرى الطبقة الأولى :

الدَّرَاعُ^(١) والمهندسون - إذا اجتمع لواحد منهم أعمالٌ كثيرة - فخطابهم :
حفظك الله وأبقاك ، وأمتع بك . وإذا كانوا ذا عمل واحد : حفظك الله وعافاك .
والعنوان : لأبي فلان أكرمه الله . وَيُبَيِّضُ الْجَانِبَ الْآخَرَ .
المستحون ؛ يُدْعَى لَهُمْ مِثْلَ مَا يُدْعَى لِلدَّرَاعِ^(٢) الْجَلِيلِ .
التجار المتاعون للغلات : عافانا الله وإياك من سوء . والعنوان : إلى فلان
ابن فلان ، بغير كنية .

المنفقون في الإعطاء - إذا جُمعت للواحد منهم أعمال مصر أو أعمال الشام
كلها أو الأهواز أو فارس أو الرى أو الجبل أو أصفهان - فخطابهم : أكرمك الله
وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان أبقاه الله فلان بن
فلان . من أبي الحسن .

وإذا كان إليهم ما دون ذلك : فأبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك .
والعنوان : لأبي فلان حفظه الله ، فلان بن فلان ، من الجانب الآخر^(٣) .
يوسف بن فنجاس ، وهارون بن عمران وزكريا بن يوحنا وجهابذة الحضرة ،
يوقع إليهم توقيع : أبقاك الله . وعلى رأسه : أبو فلان فلان بن فلان أبقاه الله .
صاحب ديوان البريد والخراطة ، مثل الطبقة الثالثة من كتاب الدواوين ، وإذا
تقلد البريد على الوزير وأصحاب الدواوين فائدٌ أو خادمٌ ، وانفرد بذلك دون
غيره مما هو أجلُّ منه ، كُوتِبَ : أعزك الله وأطال بقاءك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك
وإحسانه إليك .

(١) الدراع جمع ذراع وهو الذى يذرع أى يقيس .

(٢) فى الأصل : الدراع .

(٣) أى يكون فلان بن فلان من الجانب الآخر .

فأما أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيَّات الخرائطي فكان يتولى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريد وحده ثلاثين سنة ، وكان يكتب : مد الله في عمرك ، وأكرمك ، وآتم نعمته عليك ، وأدامها لك .

أصحاب البرد وسائر النواحي

الطبقة الأولى ممن يتقلد الأعمال الجليلة : أكرمك الله ، ومدني عمرك ، وآتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان فلان بن فلان ، أكرمك الله ، من أبي الحسن .

والطبقة الثانية منهم : أكرمك الله وأبقاك ، وآتم نعمته عليك وأدامها لك .

والطبقة الثالثة : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك .

وعلى مثل ذلك يكتب أصحاب الخرائط في النواحي .

وأصحاب الوزير الذين من قبيله : أبقاك الله .

وحدث أبو علي بن هبتي القنَّائي قال . كان بشر بن علي كاتب حامد صديقاً لي ولأبي يعقوب أخي . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في الدفعة الثالثة ، واستعرت الدنيا ناراً يشرُّ ابنه المحسن ، وتسلطه وتبسطه ، طلب بشراً وأباً بمحمد بن عينونة في جملة من طلبه ، وتبعه وكبس عليه^(١) واستقصى في أمره . فأما بشر فإنه أخذ لنفسه عند القبض على حامد صاحبه بأن استتر وأخفى نفسه [و] شخصه . وأما ابن عينونة فإنه حصل عندي حُصولاً لم أعلم أخي به خوفاً من أن يخلف فيدل عليه . واتفق أن كتب أخي إلى بشر رُقعةً ضمَّنها كلَّ إرجافٍ وفُضولٍ وما اطلع

(١) كبس عليه أي هاجم المنازل بمناء عنه .

عليه من تَقَرُّرِ الأمرِ لأبي القاسم الخاقاني وَقُرْبِ تَقْلِيدِهِ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَ لَهُ مَا يُرِيدُ مِنْهُ . وَأَجَابَهُ بَشْرٌ فِي تَضَاعُفِهَا بِمَا شَا كُلَّ الْإِبْتِدَاءِ مِنْ غَيْرِ تَحْفُظٍ وَلَا تَحْمُوزٍ ، فَاخْتَلَطَتِ الرَّقْمَةُ بَيْنَ يَدَيْ أُخَى بِمَكَاتِبَاتٍ وَحُسْبَانَاتٍ ضَيَعَتْهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا فِكْرَ فِيهِ .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن محمد أخو أبي إبراهيم موسى بن محمد - وكان يتولى نصيبين - إلى الحسن بما قال فيه : إن أردت ابن عينونة وعبد الرحمن بن عيسى ابن داود فهما عند ابن القنأني . فما شعر أبي وأخى في يوم الأحد النحس إلا بمريب خادم الحسن قد كبسهما في جماعة من الرجالة ، وفنس جميع الدور والحجر والبيوت ، ولم يبق غاية إلا بلغها في الاستقصاء والاحتياط . فلما لم ير أحداً عدل إلى ما كان بين أيديهما من رفاع وحساب ، فجمعه وحمله إلى الحسن ، وفي جلته رقعة بشر المشتمة على العجائب . ورأى أخى ذلك ، فمات في جلده ، ولم يقصد دارى أحداً اكتفاء بما جرى على دار أبي وأخى ، وعلم ابن عينونة ، وكان في الوقت سكران لافضل فيه لحركة .

- فحدثني أبو منصور فرخان شاه صهرنا قال : كان خبر الرقعة عندي ، وقد علمت أنها حصلت في جملة ما أخذه مريب من الرفاع التي بين يدي أبي يعقوب . فأنا على مثل النار للإشفاق عليه منها ، ولم أزل أمشي خلف مريب وهو متابط لِمَا أَخَذَهُ إِذْ أَنْسَلَّتِ الرَّقْمَةُ بَيْنَهَا بِتَفَضُّلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْكُتُبِ وَالرَّفَاعِ ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَشْعُرْ مُرِيبٌ بِهَا ، وَأَخَذْتُهَا أَنَا وَبَادَرْتُ إِلَى مُسْتَرَاخٍ وَطَرَحْتُهَا فِيهِ ، وَهَدَأْتُ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ بِنِ هَبْنِي : وَمَضَى أَبِي وَأَخَى مَعَ مُرِيبٍ إِلَى الْحَسَنِ ، وَوَقَّفَ عَلَى الْكُتُبِ وَالرَّفَاعِ وَقَرَأَهَا ، فَمَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْكَرَهُ وَخَاطَبَهَا بِالْجَمِيلِ وَالْإِعْتِدَارِ ، وَعَرَّفَهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَذَ إِلَيْهَا . وَكُتِبَ

الوزير أبو الحسن أبوه يُنكر عليه ما فعل ، وانصرفاً مكرّمين ، وزالت البليّة
المخوفة بانسلاّل تلك الرقعة من بين الرقاع المأخوذة ، والله الحمد والمنة .

وحدث أبو عليّ قال : خرج إلىّ في يوم من أيام وزارة أبي الحسن عليّ بن
الفرات الأخيرة - وقد ابتدأ الحسنُ ابنه في مصادرة الناس وقتلهم ، وقتل أحمد بن
حماد الموصلي وغيره - سعيدٌ وعبدُ الله ابنا الفرخان ، وأنا في ديوانها ، فقالا لي :
كنا الساعة مع الوزير في أمرٍ طريف . قلت : فما هو ؟ قالوا : قال لنا : عمل
أبو معشر^(١) مؤلدي ، وحكم فيه بأشياء عظيمة صحّت كلها وقال : إنَّ عليّ في سنة
سبعين من عمري نكبة عظيمة يكون سببها بعضُ وُلدي وأنا في السبعين . وقد
دخل هذا الفتى - أعني الحسنَ ولده - من مكاره الناس فيما نسألُ الله السلامة
من عاقبته . قلت لها : فأى شيء قلتما له ؟ قالوا : ما قلنا له شيئاً . قلت : قد غشمتاه ،
فإنه كان يجب أن تُشيراً عليه بقبض يده وصرّفه ، وأن يستعمل من الخير ما يُقرّبه
إلى الله وإلى الناس . قالوا : لم نجسّر على أن نواجه بهذا الرأي ، ولكنّ أباك
متمكّن منه ، فقل له حتى يُشير عليه به . فقلت : أباي لا يُنكبُ بنكته ، وأتما
أولى بالإشفاق عليه ، وعلى نفوسكم . قال أبو عليّ : وكنت قد حصّلتُ طالع
وقتِ نظره ومولده الحسنِ ابنه . فجعلت أنظر فيهما وأسير الكواكب منها حتى
عرفت من ذلك يومَ نكبته ، وصررت إلى أبي بشر بن فرجويه قبل ذلك بخمسة
عشر يوماً فذكرته له ونبهته عليه ، وحذرته من أن يقع كما وقع في الدفعة الوسطى .
فقال لي : ما أصنع وأنا منوط بهذه الأعمال التي ترى . وبماذا أحتجّ على صاحبي ؟
قلت : تعالّل وتأخّر . قال : لا يتم لي ذلك إلّا بأمره . قلت : فالله الله أن تحكي
له مما عرّفْتُك إياه شيئاً ؛ فإنه يقبّح مواجّهته به . ولكن اذكّر ما عليه الناس من

(١) هو الفلكي المشهور جعفر بن محمد الذي تنسب إليه الطوالع مات سنة ٢٧٢ انظر ابن خلكان .

الإرجاف ، وما يُتحدّثُ به من كَوْنِ^(١) الاختلاط ، وما جرى عليك حين أخذتَ من المكروه الغليظ في جسمك ، وأنتك تخاف أن يلحقك مثله فتتلف وتستأذنه في التعاللي والتأخر . فإني ألزم الديوان مع خليفتك أبي محمد المادرائي ولا أفارقه حتى يقضى الله بما هو قاض . قال : نعم .

واجتمعنا من غدٍ فخلنا معي وقال لي : جارتُ الوزير ما جرى بيننا على جهته فقال لي : من قال لك هذا ؟ فإنه قد صدق فيه وأصاب ، ونصح لك في الرأي ، لأن أبا معشر حكم في مولدي بنكبة مَرَّيْحِيَّة في سنة سبعين ، وهذه سنة سبعين ، وقد بقي من الأيام إلى الوقت الذي قاله أبو معشر كذا وكذا يوماً . قلت : فلان . قال : قد سرّني أن كان في هذه المنزلة من الصنّاعة ، فأقبل ما أشار به ولا تخالفه ، فأنا ماضٍ الآن لأستتر ، فالزم أنت الديوان ولا تُخَلِّ به ، ومن سألك عنى عرفه أنتى عليل حتى تنظر ما يكون . قلت : استخِر الله .

ثم مضى واستتر أياماً ، ثم لم أشعر به إلا وقد حضر الديوان ، فسألته عن سبب حضوره مع قرب المدّة . قال : أرجو ألا يكون لما حكمت به وحذرت منه أصلٌ ، ومتى تطاول انقطاعي عن صاحبي لم آمن فسادَه علىَّ

فما مضت - شهد الله - خمسة أيام حتى قبض على ابن الفرات ، وكان تقديري له أن ينكب في يوم الاثنين ، فنكب في يوم الثلاثاء بعد يوم التقدير ، وحصل في الحبس ، وأقلت أبو بشر . فحدثني الموكّل - كان - بابن الفرات قال : مكثت أياماً كاسيف البال شديد الإشفاق ، حتى إذا كان يوم ضربت فيه عنقه جَزِع جزعاً شديداً وقال لي : ويحك ، جاء الوزير اليوم ؟ قلت : لا . قال : أرجو الله وأتوكل عليه . فسألته عن قصته . قال : قد حكم لي أبو معشر في مولدي أنتى متى سلمتُ

(١) كون هنا مصدر لكان التامة أي من وجود الاختلاط .

في هذا اليوم انحسرتِ المحنةُ عني ، وزالتِ الخافةُ عليَّ ، وتجددتْ لي حالٌ جميلةٌ ،
فأنا قلقٌ إلى أن يتصرَّم النهار . فما زال على هذه الصورة حتى سمِعَ الحركةَ
وأصواتَ الرجالِ والغلمانِ . فقال لي . ما الخبرُ ؟ قلت . الأميرُ نازوكٌ قد حضر .
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبتُ ^(١) والله . ولم يكن بأسرع من أن دخلَ
عليه فضربتْ عنقه .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : تظلمَ إلى ابن الفرات في وزارته رجلٌ من
أهل السواد من بعض العُمالِ . وذكر أن ضيعته قطيعة ^(٢) ، ورثمها قديمٌ ، وأنه
قد عومل فيها على معاملة الإستان ^(٣) ، وسأل إنصافه وإزالة الظلم عنه ، وحمله على
رثمها ، وكتبَ إليه رقعة في هذا المعنى ، فوقع عليها بإخراج الحال ^(٤) . فأخرج
من ديوان السواد خراجٌ حكى فيه : أنه رُجعَ إلى جماعة ^(٥) العامل للسنة
الماضية فوجد في التخريج : قد أُجْرِيَ فيها البيدرُ الذي تظلمَ لأجله على
معاملة الإستان ^(٦) .

فلما عرِضَ ذلك على أبي الحسن عرّفه وُجوبَ الحجّةِ عليه ، وأن العاملِ
لم يتحصّفهُ فيما فعله .

وأقامَ على الظلامة ، وأنّ غائته لم تُقسَمَ في السنة الماضية إلّا على مُقاسمةِ

(١) قد تكون معرفة أيضا عن : دهيت .

(٢) قطيعة : منحة وهبت له .

(٣) أي معاملة أهل الإقليم أو الضريبة المختصة بأهل الإقليم .

(٤) يعني لإخراج المثل الخاص بها ومعرفة ضرائبها .

(٥) الجماعة لعله يراد بها هنا : الكشوف .

(٦) أي وجد أنها قد عوملت للمعاملة المختصة بأهل الإقليم ، من العام السابق .

القطاع^(١) . وكان يُكثر من الحضور في أيام جلوسه للظالم ، ويُعاود النظم ، ويقف له في الطريق ، ويسأله تأملَ أمره والتقرُّبَ إلى الله تعالى بإنصافه . فلما أَلحَّ وألحفَ تقدم إلى أحمد بن يزيد المدير بأن يُحضِرَه جماعة^(٢) العامل لينظرَ فيها بنفسه . فأحضره إليها ، وتأملها وتبَّعها ، وحسبَ مبلغ ما يجيء من الغلَّة في سائر أعمال الناحية على أن تلك الغلَّة جارية في معاملة الاستان - ومبلغ ما يجب فيها على رسم القطاع^(٣) ، ووجد الحيلة قد وقعت من بعض أعداء أصحاب الضيعة في حكِّ مَوْضع رسمها في القطاع وإثباته في الإستان^(٤) . فاستدعى صاحبها وأعلمه بالصورة ، وأن الذي أراد الإساءة به وإفسادَ معاملته لم يُحسِن التَّأني^(٥) لذلك ، لأنه اقتصر على إصلاح موضع قِسمَة الغلَّة دون تَتبُّع مواضع الحِمل ، وأن رسمه صحيح لأشبهه فيه . فشكره ودعا له ، وسأله الكِتَابَ إلى العامل بإجرائه على رسمه في القطاع . فتقدَّم به . ثم عرفه أنه يتَخَوَّفُ أن يُنْبِتَ في ديوان الناحية ما حِمل من غلتها على غير الرسم الصحيح ، وسأله التوقيعَ بإطلاقه له وردِّه عليه . فوقع له بذلك ، وكان الرجل يدعوا لابن الفرات ويقول : أُمى وزير يتفرغ لى حتى يتتبع جُمل الجماعة^(٦) من أولها إلى آخرها ، ويُحصِّل ارتفاع الناحية بأسرها حتى يظهرَ له موضع الحيلة على ؟

وكان عبید الله بن الحسن النرسی رفع جَمَاعَتَه لأعمال السَّيب الأعلى لسنة اثنتين

- (١) يعنى أنه أصر على أن خراجه في العام السابق لم يكن إلا على نظام ضرائب الأرض المقطعة وليس كما قيل من أنه عومل معاملة أهل الإقليم .
 (٢) جماعة العامل يريد بها كشف العامل .
 (٣) يعنى أنه حسبها على فرض ضريبتها باعتبار معاملتها كمعاملة أهل الإقليم وحسبها على فرض ضريبتها باعتبارها أنها لإقطاع .
 (٤) المراد أنه تبين له أنها كسخت من موضعها الذي كانت فيه وأثبتت في الحساب الآخر الذي هو معاملة أهل الإقليم .
 (٥) التأني : الحيلة والتقصدها
 (٦) لعله يراد بجمل الجماعة : كل الكشوف .

وثمانين ومائتين إلى ديوان الخراج ، فنظر فيها أحمد بن محمد الهرج الكاتب ،
وعمل لها معاملة تحصيل ، فوجد بقايا المعاملة شديدة الاضطراب ، فقابل بها الجماعة
ولم يجد فيها خطأ ، فقال : لا بد أن يكون لهذا الاضطراب سبب ، وتتبع مواضع
الجملة التي تقتضيها معاملة التحصيل ، فكان قد عمد جملة النفقات في المعاملة
بألوف دنانير^(١) ، وأرج^(٢) النفقات التي عمدها منها تلك الجملة ، فعجزت ألفا وثلاثمائة
دينار . وأخرج الباب إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكانت إليه خلافة
أبي العباس أحمد بن محمد أخيه على ديوان الخراج ، فأحضر أحمد بن إبراهيم
ابن أفلح المكبري كاتب النرسی ، ووقفه على ذلك ، فلم تكن له حجة فيه ، وعرف
النرسی ماجرى ، فلأم كاتبه وقال له : لا بد من أن تقف على دستور الجماعة وأقابلك
عليه . وكان النرسی عاملاً كاتباً فرماً بالحساب ، وتقابلا ، فوجد النرسی أحمد
ابن إبراهيم كاتبه قد أغفل عند التحرير الاحتساب بألف وثلاثمائة دينار انصرفت
في النفقة على بئق^(٣) بالسبب الأعلى . فصار إلى أبي الحسن بن الفرات ووقفه على
موضع السهو من الكاتب ، وأعطاه رفع الدارج^(٤) بالنفقة ، فلم يقبل أبو الحسن ذلك
منه . ثم استظهر^(٥) بالرجوع إلى مارفع من هذه الجملة إلى مجالس الأصل والجماعة
والسودان ، فكانت النسخة واحدة ، وقد أغفل إيراد هذه النفقة في كل منها ،
فألزمه المسأل كمالاً^(٦) ، ولم يلتفت إلى ما أحضره إياه من رفع الدارج . وهذا حق
في حكم الكتابة لا يدفع .

(١) أي استظهر واستخلص جملة المعاملة فوجدها ألوف دنانير .

(٢) أرج يراد بها وازن النفقات بما استخلصه فوجد مجزأ قدره ألف وثلاثمائة دينار .

(٣) البئق : الشق في جسر النهر ليقبض منه الماء .

(٤) لعله يراد به أنه أعطاه البيان الذي أدرجت فيه نفقة البئق أو أن الدارج هو المنتبج والمرجع
للأعمال ورفع الدارج يراد به تقريره الذي رفعه .

(٥) استظهر : استعان .

(٦) كمالاً : كاملاً أو كله .

وكان أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كتب إلى الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن - وهو يتولى له أعمال البصرة - كتاباً عدّد فيه آثاره ، وذكر أنه قد عقّد صدقات أراضى العرب بالبصرة لسنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين بمائة ألفٍ وعشرة آلاف دينار ، وأن غيره عقد ذلك لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ستّة وتسعين ألف دينار . وأخرج الكتاب إلى ديوان الخراج ، فنظر بعضُ كتّاب المجالس فيه ، ورجع إلى موافقه أبي الحسن بن أبي البغل لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فوجدها مرفوعة عشرة أشهرٍ من هذه السنة ، وقد أورد فيها من مال الصدقات نيّفًا وثمانين ألف دينار . ثم كتّب بعد ذلك بما ارتفع إلى وقت انقطاع العرب ، فكانت نيّة تسعين ألف دينارٍ ونيمٍ . ونظر في جماعته لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فكان ما عقّده من ارتفاع مال الصدقة في أرض العرب مثل ذلك ، واتفق ما أوجبه الموافقة وتضمّنته الكتب الواردة . وأخرج في ذلك خرّجاً إلى ابن الفرات . وكان ابن الفرات يقصد ابن أبي البغل ، ويتبعُ عثراته ، ويبدى مساويةً ، لميله - كان - إلى أبي الحسن علي بن عيسى وعمّه أبي عبد الله محمد بن داود ، ومحمد بن عبدون ، وانحرافه عن ابني الفرات .

فلما وقف أبو الحسن بن الفرات على ما أخرجه الكاتب . دعا بالجماعة والكتّاب ، وقابل على ما ذكر في الباب ، فوجده صحيحاً لا شبهة فيه . والتمس من ابن عمر خازن الديوان كتاب ابن أبي البغل بالتقدير لسنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين وكلّ كتاب له يتضمن التقدير . فحمل إليه ثلاثة كتب في ذلك قد أورد فيها آثاره ، وزيادة تقدير مال الصدقة لسنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين على عبرتها^(١) لسنة اثنتين وتسعين ومائتين . فلما قرأ ابن الفرات الكتب أمره بتحرير الخراج وإنفاذه إلى

(١) لعلها يراد بها على مقدار حسابها .

الوزير أبي أحمد . فلما قرأه الوزير أمر بمطالبة ابن أبي البغل بالمال ، وكتب إليه فيه كتاباً طويلاً مُعَمَّلاً في الديوان ، فأجاب عنه بأن الارتفاع - الذي ذكره في كتبه الوزيرُ بالتقدير ، ونسبه إلى العبرة لسنة اثنتين وتسعين ومائتين في الصدقة بأراضي العرب بالبصرة - هو مع ارتفاع الشعبي والولدي ، وأن الكاتب غلط في النقل ونسب جميع المال إلى الصدقة ، وأنه إذا تُوَمِّلَ ارتفاعُ الشعبي والولدي وُجِدَ ستة آلاف دينار وهو قدرُ الخِلافِ .

وكتب إلى أصحابه المائلين إليه بِنُسْخَةٍ جوابه ليعرفوا الصورة فيه ويعارضوا ابن الفرات في مجلس الوزير أبي أحمد بما أورده من حُجَّتِهِ . وكان الوزيرُ أبو أحمد أيضاً على عنايةٍ بابن أبي البغل شديدةٍ . فلما وَقَفَ على الكتابِ خاطب ابن الفرات في ذلك بحضرة الكتاب فقال : الآن وجب المالُ - أيد الله الوزيرَ - ولزِمَ الخُروجُ منه ، لأنه اعترف بصحة ما أُخْرِجَ ، وادَّعى السهوَ الذي لا يُقبل من العمال بعد نفوذِ كتبهم بالارتفاع ورفعهم حساباتهم به إلى الديوان . وَضَحِكَ من المعارضين له وَضَحِكَ مُتَعَجِّبٍ منهم . وقال : ما ظننتُ أن أحداً يذهبُ عليه هذا الموضعُ أو يلحقه منه شكٌ . فورد على القوم ما حَيَّرَهُم وأدهشهم وقطعهم . وأمر الوزيرُ حينئذ بإفناذ الرنداق^(١) إلى ابن أبي البغل لمطالبته بالمال ، وذلك بعد أن أحضر ابن الفرات الكُتُبَ والجماعات ، وواقف الوزيرَ والكتابَ واعترفوا بكون الحقِّ معه . وانحدر الرنداقُ إلى البصرة ، وحلَّ ابن أبي البغل من داره إلى ديوانِ البلدي وأقامه على ساق^(٢) وعامله وخاطبه بما زاد فيه على ما أمرَ به ، ولم يبرح حتى أُخْرِجَ ابنُ أبي البغلَ المالَ إلى مجلس العطاء ، وأطلق للجدد وأورد جماعةً سنة

(١) الرنداق لعله يشبه كلمة الرسول .

(٢) أقامه على ساق : أي على شدة ، من قولهم : قامت الحرب على ساق .

ثلاثٍ وتسعين ومائتين منسوباً إلى وجهه ، وهو من العين ستة آلاف دينارٍ وكسرة .
وكان أبو الحسن بن الفرات في وزارته الأولى قد نصر بن عليّ برّاز الرُّوز
والبندِ نيجين من أعمال طريق خراسان . فلما رفع الحسابَ بذلك إلى ديوان الخراج
أخرج الكتابُ عليه أنه احتسب في الجارى برُّبع العُشر في الارتفاع وأوجه عن
سُمائة ألف درهم ، ونظر في جماعته وما أورده فيها فوجد المالَ خمسائة وسبعين ألف
درهم . وأخرج عليه التفاوتَ بين المبلغين وهو ثلاثون ألف درهم . وأجمع الكتابُ
على مناظرته ومواقفته ، فضجَّ وقال : قد رضيت بحكم الوزير ، طالعوه بالصورة ،
وأفدوا إليه المؤامرة ، وكان مُتخَلِّياً في دار حُرمة . فضحك وأمر بإيصال الجماعة
إليه ، وأصحابُ المجالس يومئذ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني ، وأبو منصور
عبد الله بن جبير ، وأبو الحسين الصقر بن محمد ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن سهيل ،
فدخلوا معهم نصر بنُ عليّ فقال له ابنُ الفرات : ويحك يا نصر ، عملتَ لنفسك
مؤامرة ، مَنْ كانتْ أخذك بذكر الارتفاع ؟ ولم لم تقبضْ جارِيك وتُمسِك
عنه ؟ قال : أخطأتُ أيها الوزير . فقال : خَطَأوك ^(١) يُلزِمك المال . ثم ألزمه ربع
العشر في الثلاثين وأخذ خطه به .

وكان من طريف ما أخرج علي نصر أيضاً أنه كتب عند تقلده برّاز الرُّوز
والبندِ نيجين فذكر أنه وجد في بعض البيوت من غلّة السنة الماضية نحو من مائة
كُرٍّ ^(٢) بالمعدّل حِنطةً وشعيراً . ثم أورد في حسابه ستين كُرّاً ، فأوجب عليه
التسمة . فقال ^(٣) : إنما كتبتُ : بنحو مائة كُرٍّ . ورَضِيَ بحكم الوزير أبي الحسن .

(١) الخطاء : هو الخطأ .

(٢) السكر : مكيال يقارب أربعين إردبا .

(٣) في الأصل المطبوع : وقال إنما كتبت « بفتح التاء للمخاطب » .

فأنفذ الكتاب الخرج بذلك إلى حضرته . فوقَّع بخطه : النَّحْوُ : من واحدٍ إلى تسعة ، فإذا تجاوز للعشرة لم يُجْزَأ أن يُقال فيه : نحوٌ .

فلما وَقَفُوا على ذلك وضعوا عنه عشرة أكرار ، وأزموه ثلاثين كراً حنطة وشعيراً . وكان أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي يتقلد السرفان من أعمال الأهواز في وزارة أبي أحمد العباس بن الحسن ، فعُمَّلَتْ له مؤامرةٌ عُرِضَتْ على أبي الحسن ابن القرات ، فلم يكن فيها - على ما ذُكِرَ - بابٌ واحدٌ يَظْهَرُ وجوبه ، وأُخْرِجَ في باب المرافق ما جرت العادة بالتأويل فيه . فقال أبو الحسن : هذا لا يُخْرِجُ مثله كتابُ الحضرة إذ كان رَجَاءً ^(١) لا يقوم على مثله بيئته . وحضره المظفر بن المبارك القمي بعد مُدِيْدَةٍ قريية ، وقد كانت له ضيعةٌ بالأهواز قد باعها على أبي الحسن ابن القرات ، فاستدعى منه حساب وكيِّله فيها ليستدلَّ منه على رُسُومها ومعاملاتها ، وجاءه به في بعض العشايا ، فقرأه . ووجدته للسنة التي كان الحسن بن محمد الكرخي مُقَدِّماً فيها . وقد احتسب الوكيلُ فيه نحوَ خمسمائة دينار ، ونسبها إلى الحسن بن محمد وعمَّاله وخلفائه على سبيل المرفق : فأنفذ في الوقت من أحضر الحسن بن محمد الكرخي وأحمد بن محمد بن سهل والصفير بن محمد وعبيد الله بن محمد الكلوزاني ، فحضرُوا ، ووجدوه يَتَمَيَّزُ غيظاً ، ودعا بالمؤامرة التي كانت مُعْمَلت للكرخي فاطَّرحها ، وأقلَّ المبالاة بها ، وأخذ في مناظرته على ما أُخْرِجَ من المرافق ، فاحتجَّ بما يَحْتَجُّ به مثله في ذلك ، وعرض عليه وعلى الكتاب حساب ابن المبارك القمي وقال له : يا عدو الله يا خائن ، يا لص ، تأخذ من ضيعة واحدة ورجل واحد خمسمائة دينار مرفقاً وتقدِّرُها نصفُ ارتفاعه ! فكم أخذت من أهل الكورة ؟ وما أحتاج أن أنظر في غير هذا . فبهِتَ الحسن ووردَّ عليه ما لم يكن في حسابه :

(١) رجا : تحمينا .

ثم قال : قد أخطأتُ، وأنا بين يديك . فأخذ خَطَّهُ طائعا - بعد أن قبَّل يده مرارا - بسبعة آلاف دينار ، فأدَّى من ذلك خمسة آلاف دينار . ثم استشفع عليّ ^(١) ابن الفرات ، وعرفه سوء حاله وقصور يده ، فسأحه بالبقية ، وردَّ خَطَّهُ عليه ، وقلده بابلَ وخُطْرَ نَيْةً .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : حدثني أبي قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات يُكرِّمان عبيد الله ^(٢) بن عبد الله بن طاهر ويعرفان حَقَّهُ وقُدُمته ^(٣) . فبعث إليه أبو الحسن في بعض الأيام مع أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن رشيد الكاتب بجملةٍ وافرة ، وحمله رسالةً جميلةً يَعِدُهُ فيها بما يتلو ذلك ويتبعه من مراعاته وتفقدِهِ . قال ابن رشيد : فأوصلتُ المحمولَ إليه ، وأوردت القول معه عليه . فشكَّرْتُه شُكْرًا ، ثم قال فيه أبلغَ قول ، وكتب إليه :

أَيَادِيكَ عِنْدِي مُعْظَمَاتٌ جَلِيلٌ طَوَالُ الْمَدَى ، شُكْرِي لَهِنَّ قَصِيرٌ
لَنْ كُنْتَ عَن شُكْرِي غَنِيًّا فَإِنِّي إِلَى شُكْرٍ مَا أَوْلَيْتِي لَفَقِيرٌ

قال : فقلت له : هذا - أعز الله الأمير - حَسَنٌ . قال : أحسنُ منه ما سَرَقْتُهُ منه ^(٤) . فقلت له : إن رأيتَ أن تعرفنيه فأفعل . قال : حديثان حَدَّثْنَا بهما أبو الصلت المهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا ^(٥) عن آبائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْرَعُ الذُّنُوبِ عِقُوبَةً كُفْرَانُ

(١) استشفع عليه بإنسان : استعان به عليه ايشفع له عنده .

(٢) راجع ترجمته في ابن خلكان والمنظوم ١١٧/٦ توفي سنة ٣٠٠ .

(٣) المقدمة : السابقة في الأمر والتقدم .

(٤) يريد أن الذي أحسن من هذا الشعر هو القول الذي سرق معناه منه .

(٥) أبو الحسن الرضا هو علي بن موسى له ترجمة في ابن خلكان ومقاتل الطالبيين ٥٦١ مات

في أيام المأمون وقبل مات مسموما سنة ٢٠٣ .

النَّعْمَةُ » وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُؤْتَى بَعْدِي فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، لَمْ أَسْرَتْ بِي إِلَى النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : لِأَنَّكَ لَمْ تَشْكُرْ نِعْمَتِي . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنْعَمْتَ بَكُنَا فَشَكَرْتُ بَكُنَا . فَلَا يَزَالُ يُخْصِي النِّعْمَ وَيُعَدُّ الشُّكْرَ . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقْتَ عَبْدِي ، إِلَّا أَنَّكَ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ عَلَى يَدَيْهِ » .

وانصرف ابنُ رشيد بالخبر إلى أبي الحسن ، وهو في مجلس أبي العباس أخيه ، وعرفه ما جرى ، فاستحسن أبو العباس الحكايةَ عن عبيد الله ، وبعث إليه بصلَّةٍ أوفرَ من صلَّة أخيه على يدَيِ ابنِ رشيد . فَحَكَى أَنَّهُ لَمَّا أُوصِلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ سُرَّ سُرُورًا شَدِيدًا وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ :

شُكْرِي لَكَ مَعْقُودٌ بِإِيمَانِي حُكْمٌ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عَقْدٌ ضَمِيرٍ وَفِيهِ نَاطِقٍ وَفِعْلٌ أَعْضَاءٍ وَأَرْكَانِ

قال : فقلت : هذا أحسن من الأول . فقال : أحسن منه ما سرَّفته منه . قلت : وما هو ؟ قال : حدثني أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم ^(١) عن الصادق ^(٢) عن الباقر ^(٣) عن السجَّاد ^(٤) عن السبط ^(٥) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ » .

(١) راجع ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد ٣٢/١٣ ومقاتل الطالبين ٤٩٩ توفي سنة ١٨٣ أو سنة ١٨٦ كما في مروج الذهب .
(٢) ترجمته في ابن خلكان وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب مات سنة ١٤٨ .
(٢) هو محمد بن علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان مات سنة ١١٣ .
(٤) المراد به علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان ، مات سنة ٩٤ .
(٥) المراد به الحسين بن علي بن أبي طالب .

وعدتُ إلى أبي العباس ففرّفته ما ذكره عبيد الله فاستحسنه . واتفق أن حضر المجلس ابنُ راهويه الفقيه وكان متبهما بالنصب^(١) فقال: ما هذا الإسناد؟ فقال له ابن رشيد: هذا سَعُوطُ الشيلثا الذي إذا سُعِطَ به المجنون برأ .

قال أبو القاسم بن زنجي: قال لي أبو جعفر محمد بن القاسم بن الكرخي: قال لي أبو القاسم بن محمد: ما حضرتُ مجلسَ رئيسِ قَطُّ إلا ووعدتني نفسي بالقيام بما يقوم به والزيادة عليه إلا أبا العباس بن الفرات ، فإنني كنت أعلم من نفسي القصور عما يقوم به، لبراعته في كل حال، واستقلاله بالعظيم من الأعمال .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال: كان عبد الله بن الحسن النرسي وإخوته يتقلّدون عِدَّةَ نواحٍ من سَقَى الفرات، فاستقصى عليهم أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في المعاملة استقصاءً غلظ عليهم، وتخوّفوا معه، وعلّكوا إلى استخصامهما ومظاهرة أعدائهما ومساعدتهم عليهما، وأقبلوا يذكرونهما ويذكرون مافي أيديهما من الضياع، وما يتحصّل لهما من الارتفاع . فتقدم أبو العباس إلى أبي الحسن أخيه أن يعمل لما يتقلّدونه من الأعمال عملاً، ويخرج ما يلزمهم من مرود الجارى والاحتسابات الباطلة، ولا يمتنّب لهم إلا بالواجب الصحيح، ويرجع إلى ما كتب به أصحابُ البردِ والأخبار فيما وصل إليهم من الأموال والاستثناء على مُبتاعى القلّات . فعمل ذلك وجوّده، وأحضره أبو العباس، فوجده يشتمل على ثلاثمائة ألف دينار، فاستحسنه ووافقه على أن يجعله في الديوان ، فأبى وقت أنكر أحد من الترسيين أمراً أظهره . ولم يمض إلا أيامٌ يسيرة حتى بلغ أبا العباس اجتماعهم مع محمد بن داود ومحمد بن عبدون وإفاضتهم في ذكره وذكر أخيه أبي الحسن ، وأنهم قد جمعوها على مخاطبة أبي القاسم عبيد الله بن سليمان في بابهما ، وأن يضمننا له عنهم مالاً وافراً من ضياعهما ، ولم يزالا بهما إلى أن خاطبا عبيد الله في ذلك . وواجهوا أبا العباس

(١) النصب يراد به المعادة لعل بن أبي طالب رضى الله عنه .

وأبا الحسن بِذِكْرِ الضمان ، فنبت أبو العباس وأقلَّ الحفلَ بهم ، وقال لعبيد الله :
هذا كلامٌ فارغٌ لا محصولَ له ، وتشنيعٌ باطلٌ لا حقيقةَ لشيءٍ منه ، وإنما دعاهم
إليه الاستقصاءُ في المعاملة ، وعليهم - أيها الوزير - ما اقتطعوه من أصول الأموال ،
وسرقوه من الغلات ، وزادوه في الاحتسابات ، ثلاثمائة ألف دينار ، أنا أضحَّحها
عليهم بالشواهد الظاهرة ، والدلائل الواضحة . فلما سمع ذلك عبيدُ الله خاف أن يتَّصل
خبرُ المجلس بالمعتضد بالله - رحمه الله عليه - فسامهم إليه ومكَّنه منهم . ووجهُ
أبو العباس من وقته إلى دورهم من كَبَسها ، وحمل ما كان فيها من الأعمال
والحسابات والكتبِ والرِّقاع . ونقلهم إلى ديوانه ، وأقبل يناظرهم على بابٍ بابٍ
مما أخرج عليهم ، حتى أخذ خطوطهم به ، وأحضرَ عبيدَ الله بن سليمان ذلك ،
فاستحسنه ، وطولبوا بالمال فأدَّوه .

قال أبو عبد الله زنجي : وقد كان النرسي الأكبرُ عبيدُ الله بن الحسن صارَ
إليَّ في بعض الأيام مُسلماً عليَّ ، ثم سألتني إجمالَ خِلافته ^(١) بحضرة أبي العباس
ابن الفرات ، وحفظَ غيبه ومراعاة ما يجري من ذِكره ، ووضع غلامه بين يديَّ
صُرَّ فيها ثلاثمائة دينار ، وتختين ^(٢) فيها ثياب ، وسامني قبُول ذلك فامتنت ، وقال :
إني لا أكفُّك أن تكشف لي سرَّ صاحبك ولكن تُشعِرنِي بما يجري من ذكرنا
فقط . فقلت : متى ضمنْتُ لك هذا لم أفِ به ، ولكنني أحسنُ المنابَ عنك ، وأقضى
ما يعرض من حوائجك ولا أعلمك ذلك ولا أمتنُّ به عليك . وأما هذا المحمولُ
فَعَلَى وَعَلَى ، وحلفتُ يمينا غموساً ^(٣) إن قبلته على وجهٍ وسبب . فنهض وترَكَ
بين يديَّ ، وتقدَّمتُ إلى بعض غلماني بأخذه وإتباعه به ، وردَّه عليه ، وحذَّرتُه من أن

(١) إجمال خِلافته لعلها تجميل حاله خلفاً عنه في ذلك أو هي معرفة عن إجمال حاله أي تجميل
حاله وتجميلها .
(٢) التخت من معانيه خزانة الثياب .
(٣) اليمين الغموس هي الشديدة التي يتعمدها صاحبها أو هي التي لا كفارة لها .

يَرْجِعُ وَهُوَ مَعَهُ ، فَأَبْطَأَ الْغَلَامُ طَوِيلًا ، ثُمَّ عَادَ وَعَرَّفَنِي أَنَّهُ لِحَقِّهِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي دَارِ
بَعْضِ الْوُجُوهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَلْطَفُ بِهِ إِلَى أَنْ تَقَدَّمَ إِلَى غَلَامِهِ بِأَخْذِهِ .

فَلَمَّا قَبِضَ ابْنَا الْفِرَاتِ عَلَى النَّرْسِيِّينَ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
وَالْكِتَابِ وَحَمَلَ إِلَى دَارِهِمَا ، وَمَيَّزَاهُ ، وَجَدَا فِيهِ ثَبْتًا بِمَا بَرَّ بِهِ النَّرْسِيُّونَ أَسْبَابَهُمَا .
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَكُنْتُ جَالِسًا قَرِيبًا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَمَعِيَ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَبُو نُوحٍ
عَبْدَ اللَّهِ وَعِيسَى ^(١) ابْنَا جَبْرِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ ، فَأَنَا أَحَدُهُمْ بِحَدِيثٍ قَدْ شَفَعَنِي
عَمَّا سِوَاهُ إِذْ وَقَعَ هَذَا الثَّبْتُ فِي يَدِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَأَخَذَهُ وَأَنْفَذَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ أَخِيهِ ،
وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، وَقَالَ : انْظُرْ فِيهِ هَلْ تَرَى اسْمًا لِصَاحِبِ الزَّيِّ - يَرِيدُ زَنْجِي -
فَقَرَأَهُ وَتَأَمَّلَهُ ثُمَّ رَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا فِيهِ ذِكْرٌ لَهُ . فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ ثَانِيًا وَقَالَ : ارْزُدْ
تَنْظُرْ فِيهِ . فَأَعَادَ قِرَاءَتَهُ وَرَدَّهُ وَقَالَ : مَالَهُ فِيهِ ذِكْرٌ . كُلُّ هَذَا وَلَا أَعْلَمُ صَاحِبَ الزَّيِّ
مَنْ هُوَ ، حَتَّى قَالَ لِي أَبُو مَنْصُورِ بْنِ جَبْرِ : أَيُّهَا الْمَشْغُولُ بِالْحَدِيثِ قَدْ افْتَضَحَ الْيَوْمَ
الْخَلْقُ غَيْرَكَ ، وَاسْوَدَّتْ الْوُجُوهُ وَابْيَضَّ وَجْهُكَ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا ؟ قَالَ . وَجَدَ فِيمَا
أَخَذَ مِنْ دُورِ النَّرْسِيِّينَ ثَبْتَ بِمَا رَفَعُوهُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِ أَسْتَاذِنَا وَلَمْ يُوجَدْ
لَكَ فِيهِ ذِكْرٌ وَلَا اسْمٌ . فَحَمَلْتُ اللَّهُ وَشَكَرْتَهُ عَلَيَّ مَا وَفَّقَنِي لَهُ . وَلَمَّا فَرَّغَ أَبُو الْعَبَّاسِ
دَعَانِي إِلَى حُجْرَةِ خَلْوَتِهِ ، فَدَخَلْتُ وَهُوَ جَالِسٌ ، وَمَعَهُ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ ، فَشَكَرَانِي
عَلَى خُرُوجِي مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ قَبْلِ بَرِّ النَّرْسِيِّينَ وَجَزِيَانِي خَيْرًا عَنْ حِفْظِ الْأَمَانَةِ ،
وَاسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَخَاطَبَانِي أَجْمَلَ خَطَابٍ وَوَعَدَانِي أَحْسَنَ وَعْدٍ ، وَحَلَفًا عَلَيَّ أَنِّي
قَدْ أَصْبَحْتُ لِدَيْهِمَا كَأَحَدِهِمَا . وَلَمْ تَزَلِ الْحَالُ تَزِيدُ مَعَهُمَا وَعِنْدَهُمَا إِلَى آخِرِ الْمُدَّةِ .
وَكَانَ النَّرْسِيُّونَ بِفَضْلِ عِدَاوَتِهِمْ لَهَا قَدْ تَوَصَّلَا إِلَى بَرِّ كُتَّابَيْهِمَا وَخُرَّانِهِمَا وَحُجَّابَيْهِمَا

(١) فِي الْأَصْلِ وَمَعِيَ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَبُو نُوحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى ابْنَا جَبْرِ .

وعلمائها والقرّاشين والقهارمة في دورهما ، ومن يتولّى نفقات حُرّهما ، حتى لا ينحني عليهم شيء من أمورهما في خلواتهما ولا مجالس أعمالهما .

وقال أبو القاسم بن زنجي : كان حامدُ بنُ العباس قد اعترف بأن له قبل جماعة من أهل واسط نحو ثلاثمائة ألف دينار ، منهم علي بن إسحاق وأبو أحمد بن المنتاب وابن شاذة وابن جناح وإسحاق بن شاهين . وكتب إليهم كتاباً بخطه - بتسليم ذلك إلى محمد بن علي البرزقري العامل - كان يومئذ على أكثر أعمال واسط - وأنفذ الوزير أبو الحسن علي بن الفرات الكتاب إلى محمد بن علي ، وأمره بأخذ المال من القوم وحمله . فكتب محمد بن علي يقول : إنهم أنكروا ما ادّعاه حامد عليهم وكتب بتسليمه منهم . ووقف الوزير على ذلك ، فغاضه ، وعظم عليه ، وظن أن غرض حامد - فيما كتب به - المدافعة والترصُّ ومضي الأيام بنفوذ الكتاب ورجوع الإجابة . قال أبو القاسم : وكان ورودُ هذا الجواب في يوم الجمعة ، وأنا جالس محضرته ، فأعطانيه ومعه الكتابُ المردودة ، ورسم لي الدخول إلى حامد وأن أقره على ما ورد ، وأتبع ذلك بما تقتضيه الصورة من التحريك والغلظة في المخاطبة . فقامت ، ومشى بين يدي الغلام الموكّل بالدار التي كان حامد فيها ، فلما أراد فتح بابها وكان مقللاً سمع حامد صوت فتح القفل ، فارتاع ، وتشوّف (١) ورآني ، فسكن لأنني كنت أكرمه وأعرف له حقّ رئاسته وجميل فعله بنا ، وكان غيبي ممن يدخل إليه يسئ عشيرته ، ويلقاه بالصبيح فيما يخاطبه به . فأقرأته كتاب البرزقري ، وأريته الكتاب المردودة ، وعرفته ما وقع في نفس الوزير من أمرها ، وقلت : الصواب أن تكون الحال معمورة ، والمواعيد صحيحة ، لئلا يتمكن طاعن من طعن . فذكر أن المال قبل القوم على مبالغته التي كتب بها إلا ألف

(١) تشوّف : نظر وتطلّم .

دينار شكّ فيه . وذكر أنه قد كان كتب بدفعه إلى أحد غلمانه ، فإن كان أطلق (١) وُضِعَ من الجملة . وبذل إعادة الكتابة وتأكيد القول على القوم مما لا يكون بعده مراجعة . فقبلت ذلك منه ، ووضع غلامى الدرّج (٢) والذواة بين يديه ، وكتب إلى القوم بما استوفى الخطاب فيه . وأخذت الكتب وعدت إلى الوزير ، وابنه المحسنُ جالسٌ على يساره - وكذلك كان يجلس - ووضعتها بحضرتة ، وعرفته أن حامداً أنكر مخالفة القوم وعظّم عليه ردّهم الكتب ، وأعاد اليمين بحصول المال قبلهم ، وأنه قد جدّد مكاتبتهم بما لا يتأخر معه صحته من جهتهم : فقرأ الكتب ، وتقدّم بإجابة البروفرى عن كتابه ، وأمره بإحضارهم ، وقبض المال منهم ، وحمله منفرداً عن مال الخراج . ففعلت ، وكتبت إليه بذلك ، وتأكّدت فيه ، وعرضته عليه ، فقرأه وأمضاه ، ووقع فيه توقيعاً طويلاً يلزمه فيه المبادرة بالمال وترك تأخيريه أو قبول احتجاجه في أمره ، وأمرنى بحتمه وإنفاذه في خريطةٍ محلّقة (٣) . وأصلحه صاحب الذواة في الخريطة ، وجاءنى بها فعنوتها وحلقتها بإحدى عشرة حلقة ، وأنفذتها إلى أبى مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان على ديوان البريد .

فلما خلا مجلسُ الوزير تقدّمتُ إليه وعرفته سراً أننى رأيت الشعر قد كثر على وجه حامدٍ وذراعيه ، ولم أستجز ستر ذلك عنه ، فأحدت على مطالعته بذلك ، وأمر بإحضار الحسن المزيّن ، وكان فى الدار ، وتقدم إلى بدر الخادم الحرمى بإحضار صينيّة المزيّن على مثل ما تقدّم عليه إليه . وأمر بإدخال الحسن المزيّن والصينيّة إلى حامد ، وتقدم عقيب هذا بإصلاح الحمام على أنه هو الداخل ، ثم استحضر أباً زكريا

(١) أطلق : دفع له

(٢) الدرّج : ما يكتب فيه .

(٣) المحلّقة : التى فيها حلق والخريطة : وعاء من جلد أو غيره .

يحيى بن عبد الله الدقيق قهرمانه ، ورسم له بإحضار ثيابٍ تاحتج^(١) وقصَبِ
 وديبقي^(٢) وعمائمٍ ليختار منها لحامد ما يصلح لخلعتين . فقال له يحيى : ليس في
 الخزانة إلا متاعٌ حمله التجار وما قطع ثمنه معهم . فقال : هاته . فليس يلزمنا
 لهم أكثر من أن نعطهم الثمن على سؤمهم . فمضى وأحضر عدةً تحوت اختيارها
 بحضرتة ما يكفي لمبطنتين ودراعتين [من] تاحتج وثوبان [من] ديبقي لسراويلين
 وثوبان [من] قصب لقميصين وعمامتان [من] تاحتج ، وأمره بإحضار الخياطين
 وألزمهم الفراغ عاجلاً من خِلعةٍ واحدةٍ ليلبسها حامدٌ عند الخروج من الحمام . فذكر
 أن من يرسم الدار من الخياطين تأخروا لأنه يومُ جمعة ، فأنكر ذلك وقال : يرسم
 الدار فوجانٍ أفتأخروا جميعاً ؟ والآن فاستدع من على الطريق من الخياطين حتى
 يفرغوا الساعة . وتفرق الرسل في طلب الخياطين إلى أن أحضروا جماعةً منهم ،
 وسئلت إليهم الثياب ، ولم يزل يُراعيهم إلى أن قاربوا الفراغ من خِلعةٍ واحدة .
 وتقدم إلى بعض العلمان بإنذار حامدٍ بإصلاح الحمام . وأعلمه بذلك فدخله . وأمر
 الوزيرُ بمحمل الخِلعة التي فرغ منها إليه ليلبسها عند خروجه ، فلما خرج قدمت
 إليه فامتنع من لبسها . وعرف الوزيرُ امتناعه فأنكره ، وتقدم إلى المضي إليه
 والرفق به وإبلاغه رسالةً عنه في هذا المعنى ، ففعلت ولطفت به في لبس الثياب
 فأبى وقال : ثيابي غير محتاجة إلى تغيير . وعاودته فأقام على أمره . ووقع في الوقت
 تخوفه من حيلةٍ تم عليه في أمر الثياب ، فخلت له على بُعد الحال من ذلك وقلت :
 أنا أدخل الحمام وأفيض على الماء ثم أخرج وأتنشف وألبس الثياب ثم أنزعتها
 لتلبسها بعدى . وقلت : إن نية الوزير قد صلحت ، فلا تنسدها بما أنت عليه من

(١) نوع من الثياب كان يصنع في نيسابور .

(٢) نسبة إلى ديبق وكانت تصنع فيها ملابس فاخرة .

هذا الامتناع . فلان في القول ، وجددت اليمين فسكن وليس الثياب ، وعدت إلى الوزير فعرفته ذلك فسر به . ثم تقدم بأن يحمل إليه صينية الطيب ويجوز كثير وماله وزد فانفذت واستعمل منها ما اراد . وخفت من أن يميد الوزير على ابنه الحسن ما جرى فيقع عنده أقبح موقع فتقدمت إليه وسألته ستر ذلك عنه . فتبسم وجعلني على ثقة ألا يكون لي فيه ذكرك .

ثم عدت إلى موضعي من المجلس . فلما قدمت فيه سمعت أصوات الملاحين في طيار الحسن ، ثم اتصل ذلك بصعوده فحمدت الله تعالى على ما وقع لي من مخاطبة أبيه بما خاطبته به قبل حضوره . ثم خفت أن يجري في عرض الحديث ذكر ذلك على غير عمد ، فبينما أنا على هذه الجملة ^(١) من الإشفاق إذ وافي أبو صالح مفلح الخادم الأسود برقة من المقتدر بالله - رحمه الله - ورسالة فاجتمعوا على السرار . وكتب الوزير أبو الحسن الجواب بخطه وعنوانه وختمه ، وسلمه إلى مفلح ، وقد نودي بالصلاة وقت المغرب ، وانصرف ، وانصرف المجلس في أثره . ولما عدت إلى منزلنا حدثت أبي بما جرى ، فاستصوب ففعل وقال لي : عرف الله تعالى نيتك فواك ما تخوفته .

وحدث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنباري زنجي قال : لما تقلد أبو الحسن علي بن محمد بن القرات الوزارة الأولى استدعاني واستدعى أبا علي محمد بن علي بن مقله ، وبدأ فدفع لي درجاً فيه ثبت الدواوين بالخضرة وأرزاقها ، وقال لي : اختر من ذلك ما تحب أن أقلدك إياه ، فأخذته وقرأته إلى آخره ، ثم أعدت نظري فيه لأنتي كلما رأيت شيئاً تتبعته نفسي . فلما رأى ذلك قال : أنا أعرف منك بما تريده ، وقد قلدتك ديوان الدار ومكاتبه العمال بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري مع ذلك من أعمال

(١) لعلها أيضاً معرفة عن الحالة .

الحرَمين وِعمانَ وأذربيجانَ وأرمينيةَ وأصحابِ الأطرافِ والأعمالِ الجاريةِ بحضرتي ،
وأجريتُ عليكِ في كلِّ شهرِ خمسَ مائةِ دينارٍ ، فقدَرُ ما تحتاجُ إليه لكتابكِ .
فقدَرْتُ ذلكَ بتفصيلٍ اشتملتُ جملتهُ على خمسةٍ وتسعينَ ديناراً ، وتقدَّم إلى أبي
علي بن مقلَّة بأن يُوقِّع لي بذلكَ ، فوقعَ . ثم دفعَ الدرَّجَ إلى أبي عليٍّ وقالَ له :
اخترمنه ما تريدُ . فأخذهُ أبو عليٍّ ودفعهُ إليَّ وقالَ لي : أحبُّ أن تختارَ لي . فنظرتُ
فلم أجد ما يصلحُ له أن يتقلَّده إلا ديواني الفصِّ والخاتمَ ، وجاريهما في كلِّ شهرٍ
أربعمائةِ دينارٍ ، فعرفتهُ ذلكَ . وسألَ الوزيرَ تقليدهُ إيَّاهما ، فتقدَّم إليَّ بالتوقيعِ لهما ،
فوقَّعتُ . ثم قالَ لنا : إنَّ بني أخى وأهلى سيصرونَ إليَّ ويسألونني أن أقدمَ بقيةَ
هذه الأعمالِ ، فإن كان في نفوسكما أن تسألاني بقيةَ شيءٍ منها مضافاً إلى ما قدَّمكما
إياه فاذكرْه لآوِّع لكما به . فشكرناه وعرفناه أن لاجاجة بنا إلى زيادةٍ عليه .
وتقدَّم إليَّ بأن أسبَّبَ لنفسى وكتابي بجاري شهرينَ على عمالِ الأهوازِ ، وأسبَّبَ
لأبي عليٍّ بن مقلَّة بمثلِ ذلكَ ، ففعلتُ ، وعرضتُ الكتابَ عليه ، فأمرَ بإخراجِ
نسختها إلى الديوانِ ، وضرَّيها بالعلاماتِ ، وردَّها إليَّ بعد ذلكَ . وجرى الأمرُ
على هذا ، وأعيدتُ إليه ، فوقعَ فيها وأمرَ بحتمها . وأحضرَ يوسفَ بنَ فنحاسَ الجهميَّ
اليهوديَّ وكان جهيدَ الأهوازِ ، فقالَ له : إن هذه الحالَ وافتُ ولم يتأهَّبْ أصحابنا
لها ، وقد سبَّبتُ أرزاقهم على مالِ الأهوازِ ، ولا بدَّ أن تقدِّم لهم مالَ شهرينَ .
فذكرَ كثرةَ الأموالِ التي ألزِمَ تعجيلها من مُعاملةِ الأهوازِ ، وأنه لا يتمكَّن من غيرِ
ذلكَ ، فلم يزلْ معه في مُناظرةٍ حتى استجابَ إلى إطلاقِ جاري شهرٍ مُعجلاً في ذلكَ
اليومِ . ثم أنفذتُ بشريَّ غلاميَّ معه لقبضِ المالِ منه ، وفعلَ أبو عليٍّ مثلَ فِعْلي ،
وانصرفنا ، وفي منزلٍ كلِّ واحدٍ منا ألفُ دراهمٍ كثيرة . فتمعَّجنا وتمعَّجَ الناسُ

من حُسْنِ رِعَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْدَأْ بِأَحَدٍ قَبْلَنَا ، وَلَا شَغَلَتْهُ الْحَالُ الَّتِي دُفِعَ إِلَى مُعَانَتِهَا
عَنْ اِفْتِقَادِ أُمُورِنَا وَالْعَنَايَةِ بِمَصَالِحِنَا .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ زَنْجِي : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْقِرَاتِ يَقُولُ فِي وَزَارَتِهِ الثَّلَاثَةَ
فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةَ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى الدَّارِ الَّتِي كَانَ يَنْزِلُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
— وَفِيهَا قُبُضَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ دَارُ سَلِيمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَمَوْقِعُهَا فِي الْحَرَمِ ، وَفِي يَدِ الْحَاجِبِ
الْكَبِيرِ أَبِي مَنْصُورِ سَبَكْتِكِينَ الْآنَ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَفِي يَدِ ابْنِ لَشْكُرُونَ شَيْءٌ آخَرَ ،
وَفِي أَيْدِي قَوْمٍ مِنْ قُوَادِ الدَّيْلَمِ الْبَاقِي — ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَاشْتَهَى فِي وَزَارَتِهِ
هَذِهِ أَنْ يَجْمَعَ حُرَمَهُ وَبَنَاتِ إِخْوَتِهِ وَأَصَاغِرَ وَكَلْدِهِ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ الْبِسْتَانِ ، مِنْ
هَذِهِ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ [بِدَارِ] سَلِيمَانَ بْنِ وَهْبٍ ^(١) ، فَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِهَا وَتَنْظِيفِهَا وَإِنْفَاقِ
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ تَبْيِضِهَا ، فَلَبِغَتْ النِّفْقَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَجَلَسَ وَهُمْ فِيهَا يَوْمًا
وَاحِدًا ، وَلَمْ يَمُدَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْجُلُوسِ فِيهَا مَعَهُمْ .

وَمِنْ أَحَادِيثِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ أَخِي أَبِي الْحَسَنِ فِي فِضَائِلِهِ مَا لَا بَأْسَ
بِإِيرَادِهِ فِي عُرْضِ أَخْبَارِهِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ ^(٢) : حَدَّثَنِي بَعْضُ الْكُتَّابِ قَالَ : سَمِعْتُ
مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوَنَ يُحَدِّثُ فِي مَجْلِسِهِ قَالَ : جَاءَ ابْنُ سَمْعَانَ صَاحِبُ بَدْرِ الْمُعْتَضِدِي إِلَى أَبِي النَّجْمِ
بَدْرِ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحَدُ بَنِي مُحَمَّدِ بْنِ الْقِرَاتِ لَا يَزَالُ يَسْتَخِفُّ بِنَا ، وَيَسْتَهِينُ
بِرُسُلِنَا ، وَيَجْتَبِهُهُمُ بِالْقَبِيحِ فِيمَا يُوصِلُونَهُ إِلَيْهِ ، وَيَعْرِضُونَهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ
بِإِقْطَاعَاتِكَ ، وَهُوَ عَدُوٌّ مُكَاشِفٌ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَصَاحِبُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بُلْبُلٍ .

(١) يَعْنِي أَنَّهُ يَنْقَلِبُ مِنَ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ سَلِيمَانَ وَيَضَعُهُمْ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ الْبِسْتَانِ .

(٢) هُوَ الَّذِي أَكْمَلَ كِتَابَ التَّارِيخِ بِمَدَائِهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي طَاهِرِ الْمَعْرُوفِ بِأَحْمَدَ بْنِ طَيْفُورٍ ، اَنْظُرْ
تَرْجَمَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ .

فقال له بدرٌ: خذ نجريراً وأمضِ به إلى ديوانه وجئني به . فجاءه به ، فلما رآه قال له :
أمسِطِرْ أنت على مولاي أم شريك له ؟ يُقَطِّعُنِي الإِقْطَاعَاتِ فَمَتَمَعُ مِنْهَا وَتَعَرَّضُ
فِيهَا ! فقال له : اسمع أيها الأميرُ قولي ، فإن ثبتتْ عندك حجةٌ لي تخفِّضُ من لومي
وإلا عملتَ بعدها ما رأيتَ . أنت تعلم أن قوامَ المَلِكِ بالمال ، وأن الجند لا يسمعون
ولا يُطِيعون إلا إن أعطاهم ، وإن عَدِمُوا المالَ كان ذلك الدَّاعِيَةَ القَوِيَّةَ إلى ذهاب
المَلِكِ وَسَمَكَ الدِّمَاءِ وَانْقِطَاعِ الشُّبُلِ وَاتِّهَاكِ المَحَارِمِ . وَجَمِيعُ المَالِ فِي عُنُقِي وَعَلَى
فَإِذَا خَرَجَتِ الضِّيَاعُ مِنَ الإِقْطَاعِ تَبِعَهَا الخِرَاجُ فَتُحَيِّفَتِ الحَقُوقُ ، وَأُضِيفَ إِلَى كُلِّ
نَاحِيَةٍ مَا يَجَاوِرُهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ مِمَّا أَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : صَدَقْتَ
يَا أَبَا العَبَّاسِ - أَيْدِكَ اللهُ - ارْتَقِعْ فَإِنَّ الحَقَّ فِي يَدِكَ . وَإِنَّمَا تَحْرُسُ بِهَذَا الفِعْلِ
نِعْمَةً مَوْلَايَ مِنْ أَنْ تَزُولَ ، وَدِمَاءُ الخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَكُلُّ مَنْ يَخَاطِبُنِي
فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ هَوَايَ وَلَا يَنْظُرُ فِي أَعْجَازِ^(١) الأُمُورِ . أَحْضِرُونِي خِلَعًا . فَأَحْضَرَهَا
[فَنَحْنَهَا] أَبَا العَبَّاسِ ، وَاحْتَبَسَهُ حَتَّى أَكَلَ عِنْدَهُ وَقَدَّمَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَدَعَا بِطِيبِ
طَبِيبِهِ بِهِ . فَلَمَّا أَحْضَرَتِ المِجْمَرَةَ قَامَ أَبُو العَبَّاسِ لِيَتَبَخَّرَ خَارِجَ المَجْلِسِ ، كَمَا كَانَ
أَبُو القَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ يَفْعَلُ وَهُوَ كَاتِبُهُ إِذَا أَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا . فَخَلَفَ بَدْرٌ أَنَّهُ لَا يَتَبَخَّرُ
إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَبَخَّرَهُ وَخَرَجَ ، فَأَمَرَ نَجْرِيراً وَابْنَ سَمْعَانَ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ إِلَى دِيوَانِهِ عَلَى
سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا العَبَّاسِ ، لَا تَرَى قَطُّ مَنِي إِلَّا مَا مُنِحِبٌ بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ
وَلَا تَجْرِي مَنِي إِلَّا تَجْرِي الأَخِي ، وَلَسْتُ أُورِدُ عَلَيْكَ تَوْقِيعًا يَاقُطَاعَ وَلَا ضِيعَةً بَعْدَ
هَذِهِ الدَّفْعَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا الحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوَنَ يَقُولُ : سَمِعْتُ بَدْرًا يَقُولُ
بَعْدَ خُرُوجِ ابْنِ الفِرَاقِ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ يَخْرِجُ مَا دَامَ فِي كِتَابِهِ مِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ لَوْلَا
مَجَلَّةٌ فِيهِ

(١) أَعْجَازُ الأُمُورِ : عَوَاقِبُهَا .

قال أبو القاسم بن زنجي حدثني أبو عبد الله أبي قال : وافت رسالةُ أبي النجم بدرٍ في ذلك اليوم إلى أبي العباس بن الفرات وأنا في الديوان بين يديه ، فَوَجِمَ لها كُلُّ مَنْ حضر سواه ، فإنه بادر إلى لبس ثيابه ، واستدعى دَوَّابَهُ ، وركب من وقتِه وسار إلى بدرٍ . فعدَّلَ به ابنُ سَمْعَانَ إلى داره ، فأجلسه فيها ، وعرف أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان ذلك ، فقامت عليه القيامةُ منه ، وعظمت في نفسه الحالُ فيه ، وبادر إلى بدرٍ تخوفاً من أن يتَّصِلَ بالمتعضد بالله فيُنكِرَهُ على بدرٍ ويَجْرِي ما يضيق صدرًا به . ووصل عبيدُ الله إلى باب بدرٍ وسأل عن ابن العباس ، فعرف انصرافَهُ مُكرماً إلى ديوانه ، فحين سمع ذلك أراد الرجوع قبل لقائه ، فاستقبحه ، ودخل إليه . فابتدأ بدرٌ بالحديث ، ونسب الأمرَ عنده إلى أجمل وجوهه ، وأخذ عبيدُ الله في وصف ابن الفرات وتقرِظه ، وذِكْرِ كفايته وكتابتِهِ فصدَّقَه بدرٌ . وقال : ما طننته على ما شاهدتهُ منه . ولا يزال السلطان بخيرٍ وأمره مستقيماً ، مادام في أعوانه مثلُ هذا الرجل . ولما عرف بدرٌ أنَّ ابن سَمْعَانَ أدخل أبا العباس إلى داره قبل أن يُطالعه بخبره أنكر ذلك عليه أشدَّ إنكار ، وأغلظ عليه القول فيه أتمَّ إغلاظ ، وتقدم إليه بالإذن له والدخول إلى بين يديه ، وكان فِعلُ ابنِ سَمْعَانَ ما فعله مِمَّا حلَّ ما كان في نفس بدرٍ وخفَّفه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : كانت للمتعضد - رحمة الله عليه - جاريةٌ يتخطاها يقال لها فريدة ، فأمر بإقطاعها ضياعاً بمالٍ حدَّه وبين مبلَّغه ، فصار كاتبُها إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بتوقيع المتعضد بالله بذلك ، فقبله ووقَّعَ بامثاله ، واختار كاتبُها ضياعاً وبساتين بأُكناف مدينة السلام من الجانب الشرقي ، وعرض على عبيد الله بن سليمان الثبتَ بذلك فوقَّع بتسليمه . وصار الكاتبُ إلى أبي العباس بن الفرات به فقَبِلَه ، وطالب بتسليم ما في الثبت من

الضياغ والساتين فامتنع عليه وقال : هذه مواضع طرف أمير المؤمنين إذا ركب ولا يجوز أن يُقطع لأحد . فأقام على المطالبة بتسليم ذلك إليه ، وأقام أبو العباس على منعه إياه . ومضى الكاتب إلى فريدة ، فأعاد عليها ما جرى شيئاً شيئاً وقال لها : مضيت إلى الوزير فعرضت عليه توقيع الخليفة بما أمر لك به والتسمية بما اخترته فقَبِلَ وَوَقَّعَ ، وصرتُ إلى ابن الفرات كاتِبِه فدفعني وقال . إنه لا يُسَلِّمُ إِلَيْكَ الضَّيَّاعَ والساتين . وجرى عليّ من ردّه القبيح ما استحسنتُ معه من كل من حضر عنده وهذا لا يُشْبِهُ مَحَلَّكَ من الخليفة وموضعك من جميل رأيه . وأتبع هذا القول بما يُشاكله من الطعن على أبي العباس بن الفرات . فدخلتُ على المعتضد بالله وهي مُقَطَّبة كالسيف المرهف ، وأعدت عليه قول الكاتب وقالت : وأى شيء يتفنى من عناتك بي ومحلى منك إذا كان كاتِبُك يعارضك في أوامرك ولا يقبل توقيعك ؟ وسألته أن يُوقِّعَ لها توقيعاً مُجَرِّداً يأمضاء الإقطاع على ما سُمِّيَ في الثبت ، فقال لها : لست أتهم ابن الفرات في معرفته بمحكك . ومن الحال أن يمنع كاتِبُك مما أَرَادَهُ إِلَّا بِحِجَّةٍ تقوم له بالعذر ، فسألته بأي شيء أحتجّ عليه ، ولأى سبب منعه ، ليكون ما أُوقِّعُ به بحسب ذلك . فاستعلمت الكاتب ، فذكر أنه قال له : هذه مواضع طرف أمير المؤمنين إذا ركب ، ولا يجوز أن يقع عليها إقطاع لأحد . فقال المعتضد بالله : قد صدق ابن الفرات وأحسن فيما فعل ، أزدري كاتِبُك إليه وسليه أن يختار لك بما لك ضياعاً يعودُ عليك منها ما وقَّعتُ به . فعاد الكاتب إليه برسالتها فاختار لها الضياع المعروفة بالفريديات من بزرجسابور ، وكتب بتسليمها إليها .

قال أبو القاسم : وهذا قريب من حديث حدثني به عمي أبو الطيب أحمد ابن إسماعيل فإنه قال : إن المعتضد بالله رحمه الله أقطع دريرة حظيته التي قال فيها

علي بن محمد بن بسام ما قال ^(١) إقطاعاً ، وَوَقَّعَ به توقيعاً تَكَلَّمَهُ كاتبُها وصار به إلى أبي القاسم عبید الله بن سليمان ، فوقَّع تحته بامثاله . ثم جاء إلى أبي العباس ابن الفرات ، فوقَّع بالعمل عليه ، وأنشأ الكتابَ من حضرته بتسليم الإقطاع والتمكين منه ، عنايةً منه بأمرها ، وإيثاراً لاجتلاب سُكرها . وأمر المديرَ بإدارته في الدواوين ، وإثباته ، وأخذَ علاماتِ الكتابِ على رأسه وردَّه إلى حضرته من وقته ، ففرَّغَ منه في نحوٍ من ساعتين وسلمه أبو العباس إلى الكاتب وانصرف شاكرًا . ومضى إلى أبي القاسم ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان الزَّمام ، فعرض عليه التوقيع والكتابَ قبيلَ التوقيع وامتنع من إمضاء الكتاب ، وذكر أنه يحتاج إلى أن يُخْرَجَ إليه من ديوان الزمام عَيْنُ الإقطاع ليكون بما يُمضيه على معرفة وبيَّنة . فالتمس منه توقيعاً إلى أبي أحمد ابن أخيه ، وكان خليفته على الديوان ، فوقَّع له بذلك ، ودفع التوقيع إلى أبي أحمد . فباطله ودافعه ، ولم يزل يتردد إليه وهو بعده ويُخَلِّفُهُ ، وعاد إلى أبي القاسم ميمونٍ مُتَمَدِّباً به على خليفته ، وشاكياً من مَطْلَه ومُدْأَفَعته ، فقال له : لا يجوز إمضاء الكتاب إلا بعد الوقوف على العبرة ^(٢) من الديوان . وحملَ الكاتبَ ما عرض بقلبه - من الضجر بوقوف أمره - على أن صار إلى دُرَيْرَةٍ وعَرَفَها الصورة ، وخطبها بما بعثها فيه على مراجعة الخليفة ، فدخلت إليه ، وأعدت ما ذكره الكاتبُ عليه . ثم شكرت الوزير وذمَّت ميمونَ

(١) في هامش المطبوع ما يأتي : جاء في حاشية : الذي قاله ابن بسام عند ما بنى الخليفة لحظيته البحرية :

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَةٍ وَتَخَلَّى بِالْبَحِيرَةِ

قَاعِدًا يَضْرِبُ بِالطَّبْسَلِ عَلَى فَرْجِ دُرَيْرَةٍ

هذا وانظر معجم الأدياب ترجمة علي بن محمد بن بسام ففيه هذا الشعر .

(٢) العبرة لهما : المراجعة ومطابقة ما في الديوان على ما في الكتاب .

ابن إبراهيم ، واستدعت منه توقيعاً بإنكار ما كان منه ، وإمضاء إقطاعها على ما أمر به وأمضاء وزيره وصاحب ديوانه . فقال لها : انخطأ منك ومن كاتبك ، ولو كنت عملت ما يوجب الحزم ويقتضيه الصواب لراج أمرُك ومحل كتابك وتسلت إقطاعك ، ولكن كاتبك متخلف لا يحسن التأني لأمره ، ويريد ما يريد على شدة وصعوبة ، فقالت : يا مولاي ، وما كان الصواب ؟ قال : أن تبعثي إليه بتياب وأطاف كما يفعل الناس ، فإنك كنت تستغنين عن خطابي وخطاب وزيرى ، وكان ذلك أنفع لك وأعود في العاقبة عليك . قالت : يا مولاي ، فأحتاج إلى هذا مع موضعي منك وموقعي من عنايتك ؟ ! قال : إي والله إنك لاحتاجة إليه . فعدلت عما كانت عليه ، وبعثت إلى أبي القاسم ميمون تخوناً فيها تياب فاخرة من قصب وديبقي ، وطيباً كثيراً ، وراسلته بإنكارها على الكاتب تقصيره في حقه وإغفاله ما وجب أن يقدمه من ملاطفته وبره ، وسألته إمضاء الكتاب بإقطاعها . فقبل ما أنفذته ، وأخذ الكتاب من يد الرسول ، وعلم عليه ، وسلم إليه خراجاً كان خليفته قد أخرجه ، واشتمل على عبرة ثقيلة لا توجب إمضاء الإقطاع ، وعرفه إغضاه عن ذلك ومساحته إياها بالفضل^(١) ، واعتماده موافقتها بهذا الفعل . فأعادت على المعتضد بالله ما جرى ، فاستصوب ما كان منها وقال لها : هذا أنفع لك من عنايتي في هذا الوقت وفيما بعده .

وكان أبو القاسم ميمون يفتخر على الكتاب بأنه أخذ مَصَانَعَةً بأمر الخليفة وأن ما فيهم من يحس على مثل ذلك .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال حدثني أبو الطيب أحمد بن إسماعيل عني قال : مضيت في يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالترية ، فبينما أنا أسير

(١) الفضل هنا : الريادة .

إذ لحقني فارس فسأرتني ، وأقبل يُحدثني ويسألني عن اسمي وكُنيتي ومنزلي وصناعتي ، فلما ذكرت له مكاني مع أبي العباس بن القرات قال : كيف مذهبه في العمل ؟ قلت : أحسنُ مذهبٍ ، يستمضي حقوقَ سلطانه ويستوفي مناظرة عماله ، ويجدُّ في استخراج أمواله . قال لي : فكيف يجري أمرُ هذا الوزير ؟ - يعني عبيد الله بن سليمان - فإنني ما رأيت أشدَّ تخطيطاً منه ، ولا أفظَّ من حُجابه ، ولا أكثر إخلاقاً للمواعيد منه ، قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأني رجل من الفرسان قد أخرج عني رزقي ، وأحوجني إلى القدوم إلى الحضرة متظلماً منه ، وأنا أجتهد في أن يُطلق لي ما وجب من رزقي فليس يلتفت إليّ ، ولا يفكر فيّ ، وكلما رفعت إليه رُقعةً رمى بها ، ومتى وصلتُ إليه لم يخرُجْ عليها توقيعٌ ، فقد احترقتُ وهلكتُ وذَهَبَتْ نفسي وطالت على بابه مدَّتني ، فكيف يُمكن هذا الرجل - وهو على ما وصفتُه لك - أن يعمل أعمالَ الخليفة ويُدبِّرَ أمرَ مملكته ؟ قلت له : الذي نعرفه من مذهبه ومعرفته وكفايته غيرُ ما ذكرته عنه ، وما يدعُ شيئاً إلا نظر فيه ، ولا مظلوماً إلا أنصفه . قال : الذي يبلغني عنه أنه قد اضطلم الدنيا ، وأخذ الأموال لنفسه ، فأجند يتظلمون ، وحاشية الخليفة يشكون ، والنواحي خراب . فقلت : ما أحدٌ من الحاشية إلا وهو راضٍ ، والأموال كلها تُحمل إلى الحضرة وقد حسبَ للعمال أرزاق الشحن . والعِارةُ زائدة ، والأمورُ منتظمة . فقال : ما الآفةُ في جميع ما يجري إلا هذا الغلامُ الذي قد رُفِعَ الخليفةُ ، وأعطاه مالا يستحقُّه وصيرَ الناسَ عبيداً وخوفاً له . قلت : ومن الغلامُ الذي تعنيه ؟ قال : بدْرٌ . وأقبل يَطعنُ عليه ، ويتكلمُ فيه . قلت : ما وضعه الخليفةُ إلا موضعه ، والرجالُ حامدون له راضون برئاسته . ثم حوّل وجهه فنظر إلى كوكبة^(١) عظيمة من الفرسان قد

(١) كوكبة : فرقة وجماعة .

أقبلت ، فحرك دابته ومضى . فلم يتعد حتى أقبل العسكر ، وجاء قوم يسألوني عن الخليفة هل رأيته ، وأين أخذ^(١) . فقلت لهم : ما رأيت الخليفة . قالوا : فهل مر بك فارس على دابة من صفته كذا ، وعليه من اللباس كذا وكذا ؟ قلت : نعم . قالوا : فأين مضى ؟ قلت : بين أيديكم ، فمن هو ؟ قالوا : المعتضد بالله . فوقف فيما لا يُنادى ولا يده^(٢) ، وأقبل أتدكر ما خاطبني به وأجبتُه عنه ، حذراً من أن يكون وقع خطأ مني أو طعن على إنسان ممن سألتني عنه . وصرت إلى الديوان بالثريا ، وأنا لا أعقل عما . فأنا في تلك الحال إذ خرج عبيد الله بن سليمان من حضرة المعتضد بالله ، واستدعى أبا العباس بن الفرات ، وأعاد عليه كل ما جرى بيني وبين المعتضد بالله ، وأحد عنده ما كان مني في الإجابة عما سألتني عنه ، وجزاني الخير . وخرج أبو العباس فاستدعاني ، وسألني عن حالي في طريق فأعدت عليه خبر الفارس وجميع ما جرى بيني وبينه ، فصدقني فيه . وقال : إن الوزير أعاد عليّ مثله . وأقبل يحمّد الله على حسن توفيقه إياي فيما خاطبته به . ثم أوصاني بالتحفظ فيما أخاطب به من يسأرنى . والاحتراس من زلل تقع فيه ، فصرت بعد ذلك لا أمر في طريق إلا ومعى جماعة ، ومتى خاطبني إنسان تجرّرت منه غاية التحرز .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله والدي قال : كنت يوماً بحضرة أبي العباس بن الفرات في الديوان في دار السلطان إذ جاءه خادم برسالة من المعتضد بالله - رحمه الله - يقول فيها : إنّه قد زوج جاريتك في داره من^(٣) أحد غلمانه ،

(١) أين أخذ : أي طريق سلّكه .

(٢) وقع فيما لا ينادى وليده . هو تعبير يراد به أنه وقع في أمر عظيم بحيث إن الشخص ينسى فيه ولده ولا يتذكر اسمه .

(٣) المروف أن زوج تعدى بنفسها أو بالياء قال تعالى : « وزوجناهم بحور عين » وقال تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها » . واستعملت في العصور المتأخرة مع من

وأفد إليه ألف دينار أمره أن يتناع بها لها جهازاً ، وأن يفرغ من جميعه في بقية يومه . فأجابه بالسمع والطاعة . ثم أمرني بإثبات جميع ما يُحتَاج إليه ، فأثبتته ، ونظر فيه وزاد فيما أراد . ثم أحضر محمد بن عبد الوهاب وجماعة ممن يسكن إلى نهوضه وكفايته ، فأفرد كل واحد منهم بصنف يتناعه ، ودفع إليه من المال بقدر حاجته ، ووصاهم باختيار ما يتناعونه ، والاحتياط في ثمنه ، والمبادرة به إلى حضرته في الدار . ومضوا ، ولم يزل يرأعهم^(١) إلى أن انصرفوا إليه بعد العصر بما ابتاعوه ، فنظر إليه وارتضاه ، وقابل به الثبت الذي عمله فوجده قد انتظم جميعه . ثم تذكّر فقال : يُحتَاج أن يكون مع ذلك كبريتٌ وحرّاق وأحجار النار وسُرُجٌ . وتقدم بإحضار ذلك فأحضر . وطلب الخادم ، فخرج وسلم إليه المتاع وثبتاً به ، وحمله الخادم ومن معه إلى حضرة المعتضد بالله . فلما عرض عليه شاهده شيئاً شيئاً وقابل به الثبت ، فوافق أحمد المعتضد فعل أبي العباس فيما تفقده وقال : من راعى هذا الأمر هذه المراجعة حتى لم يُخلّ بشيء ، مما تدعو إليه الحاجة لحقيق بتدبير الملكة ، وموضع للاعتماد والتعويل . ووقع عنده ما كان منه أَلطَفَ مَوْقِعٍ وأحسنه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : لما شَخَصَ أبو القاسم عبيدُ الله بنُ سليمان إلى الجبل مع بدرِ المعتضديّ استخلف أبا الحسين القاسم ابنه على الوزارة وضافت الأحوال على أبي الحسين ، واشتدت المطالبة بالاستحقاقات ، فدعته الضرورة إلى طلب مائتي ألف دينار من المعتضد بالله قرضاً إلى أن ترد الأموال فيردّ عيوضها . وخطبه في ذلك ، وسأله إسعافه . فأجابه إلى إطلاق ما استدعاه منه إن حضر أحمد بن محمد بن القرات وضمن رده . فحملت القاسم الحاجة على أن سأل أبا العباس ضمان المال للمعتضد بالله ، فاستغفاه من لقاءه ، وعرفه كراهية

(١) يرأعهم هنا يراد بها يربح حضورهم .

الدخول إليه ، وكان القاسمُ لذلك أكره ، لكنَّ الضرورة دعته إلى ماخلف رأيه وإيثاره فيه ، فأخذه معه ، واستأذن له على المعتضد بالله ، فأوصله . فلما مثل بين يديه استدناه وقرَّبه ، وأقبل يسأله عن نواحي السواد ، وما يرتفع منها ومن عبرها القديمة في الوقت الذي افتتحت فيه . ثم تجاوز ذلك إلى نواحي البصرة ونواحي الأهواز ثم فارس وكرمان وسجستان وفرج بيت الذهب والقندهار والسند والمهند والصين ، ثم نواحي خراسان والجليل ، ثم نواحي الموصل وديار ربيعة ومضر وأجناد الشام ومصر والإسكندرية وما وراء ذلك من البلدان . وهو ينجيه بارتفاع ناحية ناحية ، وفي أيام من فتحت ، ويشرح له أحوالها ، فاستعظم المعتضدُ بالله ما شاهده وسمعه منه ، وأعجبه إعجاباً شديداً ، وأقبل عليه إقبالا كثيراً شق على أبي الحسين القاسم ، وتدم معه على الجمع بينه وبينه . ثم سأل أبا العباس عما عنده في أمر المال الذي التمه القاسمُ منه فعرفه صدق الحاجة إليه ، وضمَّنه رده إلى بيت مال الخاصة ، فضمن له ذلك عند افتتاح الخراج واتساع الارتفاع ، فوقع إلى صاحب بيت المال بإطلاقه ، ووقع إليه وإلى صاحب بيت مال العامة بالألقاب توقيماً للقاسم في شيء من المال إلا بعد أن يكون فيه توقيع أحمد بن محمد بن الفرات ، وأعلمه أن اعتماده في استيفاء الأموال وجمعها عليه لا يعرف فيها سواه . وانصرف القاسم كثيراً حزينا بما جرى ، ولم ينقذ له من بعد توقيع بإطلاق مال إلا ما توقع فيه أبو العباس .

وكتب القاسم إلى أبيه بصورة المجلس ، فكتب إلى أبي العباس يشكره على ما كان منه ، وإلى القاسم يُؤنِّه ويعنِّفه على فعله ، وقال له في فصل من كتابه : كنتُ ظننتُ أن السنَّ حَكَكَكَ ، والأيام قد ثققتك ، حتى ورد كتابك بما ورد به .

ثم أتبع ذلك بالخطاب القبيح بما يشاكله ، وأعلمه أنه قد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه وعلى أيه جناية لا يمكن تلافيتها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجار ويلتزم في ماله ومال أيه قدر الرّبح فيه ولا يفعل ما فعله .

قال أبو القاسم : سمعت جماعة من الكتاب يذكرون أن السواد لم يرتفع لأحد بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمثل ما ارتفع له إلا المعتضد بالله فإن أبا العباس أحمد بن محمد بن الفرات رفعه في أيامه ثلاثمائة ألف وأربعين ألفاً كرت شعيراً مصرفاً بالفالج^(١) ، وباع الكرتين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين ديناراً^(٢) فكان ثمن الأكرار أربعة آلاف ألف وثمانين ألف دينار ، وحصل من الخراج وأبواب المال أكثر من ألف ألف دينار ، فإذا أضيف إلى ذلك فضل الشروط والمقاطعات والإيفارات ، بلغت الجلة ما حصل لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه .

قال أبو القاسم : سمعت مشايخ الكتاب يقولون : إنه لم يجتمع في زمن من الأزمنة خليفة ووزير وصاحب ديوان وأمير جيش مثل المعتضد بالله وأبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبي العباس بن الفرات وبدر . فكان التدبير مع هؤلاء الأربعة مطرداً ، والأمر منتظماً ، والحارة وافرة الأموال دارّة ، حتى اجتمع في بيت المال - بعد النفقات الراتبية والحادثية وإطلاق الجارى للأولياء في سائر النواحي وجميع المرتزقة بها وبالخضرة تسعة آلاف ألف دينار فاضلة عن جميع

(١) الفالج : مكبال ومصرفاً بالفالج : مباع مع كبله بهذا المكبال .

(٢) لا يكون هذا هو الثمن ولعل في السلام تحريفاً لأن النتيجة التي ذكرها لا تنفق إلا إذا باع الكرتين بأربعة وعشرين ديناراً وبهذا يحصل الناتج أربعة ملايين وثمانين ألف دينار .

النفقات . وكان المعتضد بالله - رحمه الله - قد اعتقد أن يُتِمَّهَا عَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ يَسْبُكُهَا وَيَجْعَلُهَا نُقْرَةً ^(١) واحدة ويطرحها على باب العامة لِيَبْلُغَ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ أَنْ لَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفِ دِينَارٍ ، وهو مستغن عنها ، فَاخْتَرَمَتْهُ ^(٢) الْمَنِيَّةُ ، قَبْلَ بُلُوغِ الْأُمْنِيَّةِ .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : تأخرت عن أبي العباس ابن القرات في يوم جمعة ، وأقمت عند بعض أهلي بالجانب الغربي ، وحضرتنا مغنيتان محستانان فاندفعت إحداهما وغنت ^(٣) :

قَايَسْتُ بَيْنَ فِعَالِهَا وَجَمَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَنِي
وَاللَّهِ لَا كَلِمَتُهَا وَلَوْ أَنَّهُهَا كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَكْنِيِّ
وَضَرَبَتْ الْأُخْرَى وَغَنَّتْ :

يَا ذَا الَّذِي حَافَ الْعَشِيَّةَ جَاهِدًا أَلَّا يُكَلِّمَنِي فِعَالَ الْمُسْرِفِ
قَدْ جُرَّتْ فِيمَا كَانَ مِنْكَ وَإِنَّهُ لِيَزِيدُ قُبْحُ الْجَوْرِ عِنْدَ الْمُنْصِفِ

قال : فاستحسنت أن أجابت الثانية الأولى بجواب في وزن الصوت وقافيته ومعناه . وصرت إلى أبي العباس بن القرات من غدي ، وسألني عن سبب تأخري عنه ، فأعلمته إياه ، وحدثته حديث المغنيتين وما غنَّتا به ، فعجب منه ومضى إلى أبي الحسين القاسم بن عبيد الله فأخبره . فكانت سبيله فيه سبيله ^(٤) وقد كان أبو العباس سألني عن قائل الشعر . فقلت : هو لعبد الله بن المعتز ، وحضر القاسم بحضرة المكثفي بالله ، فأعاد عليه الحديث فقال له : لمن الشعر ؟ فقال : لعبيد الله بن عبد الله

(١) النقرة من معانيها : النطعة المذابة من الذهب والفضة

(٢) اخترمته : أدركته وأخذته

(٣) انظر الديارات

(٤) يعني أنه تعجب كتعجب أبي العباس بن القرات .

ابن طاهر . فقال : قد بلغني عنه ^{حَلَّةٌ} (١) ، فَأَحْمِلْ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَعْلِمْهُ أَنَّي لَا أُخْلِيهِ مِنْ مِثْلِهِ فِي كُلِّ مُدَّةٍ . وانصرف القاسم وعرفَ أبا العباس ماجرى ، وما حَمَلَ إِلَى عبيد الله من الدنانير . قال أبو عبد الله : وأخبرني أبو العباس بما جرى فقلت : الشعر لعبد الله بن المعتز . فقال : قد أتاح الله لعبيد الله بن عبد الله الرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ ، وَهَذَا مَا لَا حِيلَةَ لِلْمَخْلُوقِينَ فِيهِ .

وحدث أبو القاسم عن أبيه أنه كان جالساً بحضرة أبي العباس بن القرات في يوم سبت وقد ابتدأ المطر، وهو يريد المضيَّ إلى دار أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، إذ وردت عليه رقعةٌ محمد بن إبراهيم بن الخصب وفيها :

انْعَمُوا آلَ الْقِرَاتِ وَأَشْرَبُوا بِالْبُكْرَاتِ
يَوْمَ سَبْتٍ وَرِذَاذٍ وَجَوَارٍ مُحْسِنَاتِ
مَا قَرَى (٢) كَسْرَى أَنْوَشِرُ وَإِنْ هَذَا فِي الصِّفَاتِ

فعمل على القعود ، وأضرب عن الركوب ، وبعث إلى محمد بن إبراهيم في الحضور ، واستدعى أبا الحسن أخاه ، ومَرَّ لَنَا أَطِيبُ يَوْمٍ .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بخطه إلى أبي العباس أحمد ابن محمد بن القرات :

يَاوُلَىَّ الْإِمَامِ هَتَاكَ اللَّهُ بِدَيْنِ الْهُدَى وَشَهْرِ الصِّيَامِ
وَبِكُلِّ الْأَعْيَادِ فِي الدِّينِ فَاسْعَدْ أَمَدَ الدَّهْرِ عَابِرَ الْأَيَّامِ
عَالِيًا غَايَةَ الذَّرَى كَالِي (٣) الدِّينِ رَيْسًا أَقْصَى مَدَى الْإِحْرَامِ (٤)

(١) الخلة من معانيها الحاجة والفقر

(٢) هكذا في الأصل : وقرى الضيف : أضافه ، وقد تكونت الكلمة معرفة عن : مارأى أو ما درى أو هي : ما فرى أى ما صنع .

(٤) الإحرام : الدخول في حرمة لانتهاك .

(٣) كالي الدين : حارسه

أنت قُطْبُ الدُّنْيَا تدور عليه ما أُدِيرَتْ وحافظُ الإسلام
أنت بالدين في الزمان مُهَيَّبٌ وله في يدك عَمَدُ الدِّينِ
وَتَهَيَّبَ الدُّنْيَا وأعيادها منك لك بطول البقاء والإحتكام
والمرآق في المجد والأمر والنهْيِ وأعلى الإِعزاز والإِكرام
والتَّصالِ الإِحسان منك إلى الناس وسنَعِ الإِبصالِ بالإِنعام
أنت عنوانُ كلِّ مجد وتاريخُ العالَمِ وسَيِّدُ الأَقوامِ
حارسُ الإِرْثِ والخِلافةِ والسُّلْطَانِ والدَّهْرِ كُلِّهِ والأَنامِ
عَلِمُ الدَّهْرِ فَابَقَ فِيهِ تَجَاهًا عَلَمًا لِلنَّارِ والأَعْلَامِ
جَمَعَ اللهُ كُلَّ خَيْرٍ ومَأْمُورٍ وَسُؤْلِ وَنِعْمَةٍ لِلنَّهْمِ
جامعًا للوزيرِ كُلِّ تَمَامٍ من أَقاصى النَّبِيِّ بِكُلِّ دَوَامِ
ذا دعائى وَصَلْتُهُ بِنِئَانِي وَمُنَايَ انْتَضَفْتُمَا فِي نِظَامِ
مُقْسِمًا بِالوَفَاءِ والشُّكْرِ والإِخْلَاصِ والنُّصْحِ غَايَةَ الإِقْسَامِ

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات
يقول : كثر القول في حفظ أبي جعفر أحمد بن إسرائيل الكاتب الأنباري ،
فأحب أخى أبو العباس أن يقف على صححة ذلك من بطلانه ، فضى إليه ،
وأخذني معه ، ودخلنا داره ، وقصدنا مجلسه ، فوجدناه قد نهض منه يريد الزكوب ،
فقال لي أخى : فاتنا كل ما قدرناه . وسلنا عليه ومشينا معه . فبينما نحن
في تلك الحال إذ جاءه خليفة لبعض العمال بكتاب ضخم من العامل الذي كان يخلفه ،
فدفعه إليه ، وفضه ، وأخذ الغلام طرفه ، وأقبل يهده (١) عليه هذا سريعا مُصَلًّا
حتى انتهى إلى آخره . ثم رمى به إلى الكاتب وقال له : وقع عليه بأن يحاب

(١) يهده : يسرده .

بكذا وكذا . ومشى إلى الموضع الذي يركب منه وركب . فقال أخى : أُعْطِيَ اللهُ عهداً إن كان قرأ الكتابَ أو دَرَى ما فيه ، وإنما فعل ما فعله لِئُرِينَا أَنَّهُ قد قرأه وفهمه . وتقدم إلى بعض غلمانهِ بِطَلْبِ صاحب اللوآة ، وبَدَلِ شَيْءٍ لَهُ على إِخْرَاجِ الكتابِ إِلَيْنَا لِنَقْرَأَهُ وَنَرُدَّهُ مِنْ وَقْتِهِ ، ففعل ذلك ، وجاءنا بالكتاب فقرأناه ، وقرأنا التوقيع عليه ، فوجدناه قد انتظم بسائر معاني الكتاب . فعلمنا أن الذى تُحَدِّثُ بِهِ عَنْهُ حَقٌّ لَا تَزِيدُ فِيهِ .

وحدث أبو القاسم عن عبد الله أبيه قال : كان أبو العباس بن الفرات يَحْتَبِسِيْ عِنْدَهُ فِي أَيَّامِ خُلُوتِهِ لِلْأَنْسِ ، قَالَ : فَحَضَرَ عِنْدَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عِدَّةٌ مَغْنِيَّاتٍ ، وَغَنَّتْ إِحْدَاهُنَّ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

أَخِيَّ بِي شَجْوٍ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوُ وَكُلُّ فِتْيٍ مِنْ شَجْوِ صَاحِبِهِ خَلْوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَهْرَ الْفَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَرِّهِ فِي حَلْقِ ذَائِقِهِ خَلْوُ

فقال أبو العباس : هذا خطأ ، وإنما يجب أن يكون الباردُ ضدَّ الحارِّ والخُلْوُ ضدَّ المرِّ . فقلت له : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : كان يقول :

غَدَوْتُ عَلَى شَجْوٍ وَرَاحَ بِي الشَّجْوُ وَكُلُّ فِتْيٍ مِنْ شَجْوِ صَاحِبِهِ خَلْوُ
وَبَاكَرَنِي الْعُدَّالُ يَلْحُونُ^(١) فِي الْهَوَى وَمُرُّ الْهَوَى فِي حَلْقِ ذَائِقِهِ خَلْوُ

فلم يبق أحد من حضر إلا علم أن الذى قاله أحسن وأصوب .

وحدث أبو القاسم عن أبيه قال : تقدم أبو الصقر إسماعيل بن بلبيل إلى أبي عبد الله محمد بن غالب الأصفهاني^(٢) أن يكتبَ إلى العمَّالِ فِي النَوَاحِي كُتُبًا يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْعَارَةِ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِطَالِبَةِ الرَّعِيَّةِ بِهَا ، فَكَتَبَ

(١) يلحون : يلومون ويمتلون .

(٢) كان يقلد ديوان الرسائل ، وأوقع به القاسم بن عبيد الله ، انظر مروج الذهب : « ذكر جل من أخبار المكتفي بالله » .

الْكُتُبَ وَأَحْضَرَهَا أَبُو الصَّقْر ، فَاسْتَحْسَنَهَا وَتَرَكَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَرَّاتِ ، فَدَفَعَهَا أَبُو الصَّقْرَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْهَا وَانظُرْ مَا أَحْسَنَ مَا أَوْرَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . فَقَرَأَهَا ، وَوَجَدَهُ قَدْ افْتَحَهَا بِأَنَّ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْتُمِبَهُمْ فِيهَا »^(١) .

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْأَزْدَرِاعِ إِلَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « كَرَزِعٌ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ »^(٢) فَلَمَّا قَرَأَهَا أَدْرَجَهَا^(٣) ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِيرَادِ شَيْءٍ فِي مَعْنَاهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الصَّقْر : مَا عِنْدَكَ فِيهَا ؟ وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا ، فَعَارَضَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَنْكَرْتَهُ ؟ قَالَ : ابْتِدَاءَهُ بِأَنَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْتُمِبَهُمْ فِيهَا . فَلَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا^(٤) .

ثُمَّ تَنَبَّأَ أَنَّ جَعَلَ الْآيَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي نَبِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَثَلًا لِلزُّرْعِ ، وَهَذَا خِلَافٌ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّوَايَاتُ ، وَفَسَّرَهُ الْمُفَسِّرُونَ . فَفَعَلَ أَبُو الصَّقْرُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا قَالَ ، وَكَلَّفَهُ كُتُبَ الْكُتُبِ مِنْ جِهَتِهِ ، وَدَفَعَ الْمَكْتُوبَةَ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ يَعْتَبِرُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَلَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَّاتِ لِلشَّرْبِ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى ، فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالدَّارِ الْجَدِيدَةِ مِنْ دَارِ سَلِيمَانَ بْنِ وَهْبٍ . وَحَضَرْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِهِ ، وَحَضَرَ مِنَ الْمُغْنِيَاتِ بَيْنَ يَدَيْ السَّائِرِ وَمِنْ وِرَائِهَا مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَأَحْضَرْتُ مِنْ أَوْانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَهُ الْقِيَمَةُ الْوَاقِرَةُ .

(١) يَكْتُمِبُهُمْ : يَمِيتُهُمْ .

(٢) سُورَةُ الْفَتْحِ الْآيَةُ ٢٩

(٣) أَدْرَجَهَا : طَوَّأَهَا .

(٤) لَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا : أَيْ لِرِزْقِهِمْ أَوْ هِمَّةً .

يومَ يومٍ حسنٌ طيبٌ إلى وقت العصر، وإذا العباسُ الفَرَغانِيُّ حاجِبُهُ قد دخل
وقال: يا سيِّدنا، قد حضرت بِدَعَةِ^(١) الكَبيرةِ وهي في طيَّارها تَسْتأذِنُ للوَصولِ .
فأَطرقَ مُفَكِّراً ثم رَفَعَ رأسه وقال: ارْزُقُوا ما هاهنا من الأوائِ . فَرَفَعَ إِلا قليلاً ،
ونَهَضتِ المَغنياتِ اللواتي كُنَّ قَدَّامَ السَّتَّارةِ ، وأَمَرَهُ بالإذْنِ لها . فدَخَلتْ ووقفتْ
بِحُضرتِهِ ثم تقدَّمتْ . وقبَلتْ يَدَهُ وقالت: بلغني أن سيدي الوزيرَ قد نَشِطَ للشُّربِ
فحضرتُ للخِدْمَةِ . فأمرها بالجلوسِ ، وجلستْ وطلبتِ العودَ ، فجيءَ به ، وغنَّتْ
فجودتْ ، واستحسن أبو الحسن ما أتتْ به ، وطربَ عليه وشربَ . ثم أخذَ رُبْعَ
قِرطاسٍ كان في دوائِهِ ، وكتبَ شيئاً وقطعه ، ودفعه إلى وقرأته فكان :

إذا بِدَعَةٌ جودتْ عودَهَا تدلَّلَ في ضَرْبِها كُلُّ صَعْبِ
تُنغِّي فتَجَنِّي ثَمَارَ القُلُوبِ وتُهْدِي سُوراً إلى كُلِّ قَلْبِ

فاستحسنتُ ذلكَ ، وكانت بِدَعَةٌ بالقُرْبِ مِنِّي . فقلتُ لها : اسمي إلى ما وصَفَكَ
الوزيرُ به . وأنشدتها البيتين ، فسرَّتْ وفرحتْ ، وقامت مسرعةً فقَبَلتْ يَدَهُ ثم
الأرضَ وعادت إلى موضعها وقالت : باللهِ ياسيدي إِلا أعدتِ الشُّعْرَ علىَّ حتى
أحفظَه ، ففعلتُ وحفظتُه وأدارتُه في حَلَمِها ، وعمِلتْ له لِحْناً من وقتها ، ثم ضربتُ
وغنَّتهُ ، فجاء في نهايةِ الحُسْنِ . ونَشِطَ أبو الحسنِ ، وتقدَّمَ بِرَدِّ المجلسِ ومن كان فيه
إلى ما كان عليه . ولم يزل ذلكَ الصوتُ صَوْتَنَا عَلَيْنَا بَقِيَّةَ ليلتنا . فقال أبو القاسمِ :
قلت لأبي عبد الله أبي : فلمَ كَرِهَ حُضُورَ بِدَعَةٍ وهي من آلةِ الشُّربِ وموصوفةٌ
بالِحْدَقِ في ذلكَ الوقتِ ؟ قال لأنَّهُ كان يَتَهَمُها بنقلِ أخبارِهِ إلى المقتدرِ باللهِ
رحمه الله .

قال أبو القاسمِ : وكان لأبي الحسنِ بن القراتِ مَطْبَخانٍ في دارِهِ . فأما مطبخُ

الخاصة الذي يُطبخ فيه فلا أحصى ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرتهم . وأما مطبخ العامة المرسوم بما يُقدّم إلى خلفاء الحُجَّاب المقيمين في الدار ويُعرف منه للرجالة والبوابين وأصغر الكُتَّاب وعلمان أصحاب الدواوين فكان يُستعمل فيه في كلِّ يوم تسعون رأساً من الغنم وثلاثون جذياً ومائتا قطعةٍ دجاجاً سمناً وفراريج مُصدّرة ، ومائتا قطعةٍ دُرّاجاً ، ومائتا قطعةٍ فِرَاحاً . وهناك خَبَّازون يخبزون الخبز السَمِيدَ ^(١) ليلاً ونهاراً ، وقوم يعملون الحلواء عملاً متصلاً ، ودار كبيرة للشراب . وفيها ماذيان ^(٢) يجعل فيه الماء المبرد ويُطرح في الثلج كدراً ، ويُسقى منه جميع من يريد الشرب ، الرجالة والفرسان والأعوان والخزّان ومن يجرى بحرى هدم الطبقة من الأتباع والعلمان ، ومزملات ^(٣) فيها الماء الشديد البرد . ويرسم خزانة الشراب خدماً نظافاً ، عليهم الثياب الدبيقية السريّة ^(٤) ، وفي يد كلِّ واحد منهم قذح فيه سكتنجين ^(٥) أو جلاب ^(٦) ومخوض ^(٧) وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يتركون أحداً ممن يحضر الدار من القواد والخدم السلطانيين والكتّاب والعمّال إلا عرضوا ذلك عليه . وفي جانب الدار أدراج ^(٨) كثيرة لأصحاب الحوامج والنظّاهين حتى لا يلتزم أحدٌ منهم مؤونةً لما يبتاعه من ذلك ، وأنصاف قراطيس وأثلاث .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو الفضل بن الحجاج النحويّ

- (١) الخبز السميد : ما كان من الدقيق الأبيض .
- (٢) الماذيان : الأنبوبة ولعلها تشبه « الزمزية » .
- (٣) المزملات : الجرار والحواري جمع مزملة .
- (٤) السرية : الجيدة .
- (٥) السكتنجين : من نوع الشراب .
- (٦) الجلاب : العسل أو السكر يعقد بماء الورد .
- (٧) المخوض لعله أداة للقرف .
- (٨) الأدراج هنا جمع درج : وهو ما يكتب فيه .

يكثُر الجلوس إلى جانبي في دار أبي العباس أحمد بن محمد بن القرات يحدثنى ، فاتفق أن جالس يوماً على رُسمه ، واستمددتُ من الدواة فترششَ من ذلك المداد ، على ثيابه ، فأخذ قلمًا من دواتي وقَرطاسًا من بين يدي وكتب إلى أبي العباس :

ياسيدى وموأملي في كلِّ حادثةٍ ورئبٍ
لكَ كاتبِ شابِ الكِتابَةِ بالبلاغةِ أَى شوبِ
فإذا جلستُ بجنبه جعلَ اسمَه صِنغًا لِثوْبِي

يعنى « زنجى » فضحك أبو العباس مما كتب به ، وأمر فحُمِلتُ إليه عدَّةُ أثواب من ديبقٍ وقصبٍ وغير ذلك .

قال أبو القاسم : حدثنى عمى أبو الطيب أحمد بن إسماعيل قال : كان معنا فى الديوان خازنٌ شيخٌ قد خزنَ فى الدواوين فى سُرِّ من رأى ، يُعرف بجعفر الحرامى ، فكان يقول كثيرًا : ما استطعتَ ألا تكتبَ مغمومًا فأفعلَ فكنت أسمع هذا الكلام منه صَفْحًا^(١) . فلما كان بعد مُدَّة ، وأنا أكتب بين يديّ أبى العباس أحمد ابن محمد بن القرات وأخفف عنه . جاءنى رجل من التَّنَاء^(٢) بالسَّواد ، ومعه توقيعٌ يُنقلُ مُقاسمَةً بيَدِ له من رسمٍ ثقيلٍ إلى رسمٍ خفيفٍ ، ذكر أن أبى القاسم عبيد الله بن سليمان وقعَ له به ، وتوقيعُ أبى العباس بن القرات فيه بالعمل على مُوجِبِهِ . فاسترَبْتُ بالتوقيع فشككت فى صِحَّتِهِ ، وبذل لي مائةَ دينار على إمضائه ، وكتبَ الكِتابَ بمقتضاه . ففعلتُ وأخذتُ المائةَ دينارَ وتسلمَ الكِتابَ . فلما كان الليلُ وأويتُ إلى فراشى اجتهدتُ فى النوم فامتنع علىَّ ، وذكرت ما عملتُه وتجاوزتُ فيه ؛ فضاقتُ صدرى ، وساء ظننى ، وقلت : هذا الذى كان يُحدِّرُنِي منه جعفرُ الحرامى ، وندمتُ على

(١) صَفْحًا : بدون انتباه ولا مبالاة أو ممرضاً عن ذلك .

(٢) التَّنَاء : أهالى البلاد اللفيمون بها جمع تانى .

ما كان مني ، وتقلبت على الفراش من غير أن يدخل النوم عيني ، وحدثت نفسي بالركوب وقصد الرجل . وقد كان ذكر لي فيما جرى بيننا من الحديث أن منزله في الجانب الغربي في سكة كذا من سلك المدينة ، فلم يمكن ذلك لأنه كان أول الليل ، ثم لم أزل على حال في القلق طويلاً ، حتى إذا زاد ما بي تقدمت إلى غلماني بأن يسرجوا لي وبالخروج إلى الشارع ، والمسألة عن تلك الطريق ، فخرجوا وعادوا يذكرون أنه مأمراً أحد . ثم أمرتهم بأن يسرجوا لي على كل حال ، وأسرجوا وحملوا بين يدي شمعة ، وركبت وسرت ، فإذا السراج^(١) ممدودة ، وأبواب الدروب مغلقة ، فما تهيأت لي فتح شيء منها إلا ببر الحراس . ولم أزل على ذلك حتى اتهمنا إلى رأس الجسر من الجانب الشرقي ، فكان الباب مقفلاً ، فسأل الغلمان الموكل به ففتحته ، فأني ، وبدلوا له دراهم عن ذلك فلم يقبلها . ووقفت إلى أن وافى قرانق^(٢) من قبلي بدر غلام^(٣) المعتضد بالله بكتاب منه إلى بعض أهل الدولة النازلين في الجانب الغربي ، ففتح له الباب وجازت معه . ثم وصلت بعد اجتهاد إلى دار الرجل ، وتقدم غلماني إلى بابه فدقوه ، وطلبهم من السطح ، وسألهم عما يريدونه ، فأشعروه بحضوري ، فأمهل قليلاً ثم فتح الباب ، وأذن في الدخول ، ورآني فأنكر محيبي في مثل ذلك الوقت ، وقال : لو كتبت إلى لجنتك ! فما الذي تحب الآن ؟ فقلت وقع على سهو في الكتاب الذي كتبتك ، وخفت أن يقع عليه من يتتبعني وتتطرق من قوله قياحة على . فقال : هذا قول لا يجوز على مثلي ، ومن الحال

(١) السراج جمع شريحة : وهي قلعة المود . وبني بذلك الأخشاب التي تدرس بها الأبواب .

(٢) القرانق : الرسول .

(٣) أمر بقتله المكتفي بالله ، انظر مروج الذهب « ذكر جمل من أخبار المكتفي وسيره »

وذلك في سنة ٢٨٩ وله ترجمة في المنتظم ٣٤/٦ .

أن يخرج عن يدك ما فيه لَحْنٌ وخطأٌ ، ولعلك فكرت في شيء آخر من أمر الكتاب نفسه ، قلت : لا بدُّ من إحضاره ، فقال : تَوَقَّفْ قليلاً . ثم قام وغاب لحظة وجاء معه صُرَّةٌ فيها خمسون ديناراً ، وقال : تلك مائةٌ وهذه خمسون ديناراً ، وليس في كلِّ وقت يعرض مثلُ ذلك ، وكم في الدواوين من توقيع يجري هذا المجرى ولا يُؤبه له ولا يُتنبَّه عليه ؟ ورغبني فيها ترغيباً كدتُ معه أن آخذها . ثم ذكرتُ محليَّ من أبي العباس بن الفرات ، وموضعي من خدمته ، ومكان أخى منه ، وأنتى أقدر أن أفيدمه وفي جلته الفوائد الكثيرة ، فمأسكتُ وامتنعت ، وعادته المطالبة بالكتاب ، ووضع غلامي بين يديه المائة الأولى . فقال : أحبُّ أن تتوقَّفَ قليلاً . وقام ثم رجع ومعه الكتابُ وخمسون ديناراً أخرى ، وقال : هذه مائتا دينارٍ ، وهذا الكتاب ، فاختر ما تُريده منهما وخذه . وأعاد من تهوين القصةِ وتجديد القول الداعي إلى الرغبة ما كادت به يدي تمتدُّ إلى الدنانير . ثم راجعت الفكر ، وأشفتت من ظهور الأعداء [على] الأمر ، وفسادِ الجاه ، وأخذتُ الكتابَ ومرَّقتُه ، ونهضتُ وزكبت . فلما توسَّطتُ الجسرَ رميته مُحَرَّقاً في الماء ، وعُدتُ إلى منزلي ، وكنت أنزل بسوق العطش . وقد بقيتُ سُدُقَةٌ^(١) من الليل ، فطرحتُ نفسي على الفراش ، ونمتُ نوماً طيباً ، وزال ما كنت عليه من سوء الفكر واستشعار الخوف ، وأصبحتُ وسألتُ غلاماني عما عندهم من الطعام ، وأنفذتُ إلى جماعةٍ كانوا يماشرونني ، فحضرُوا وأكلنا ، وحضر النبيذ وشربنا ، وجاءني غلامي وقال : غلامُ أبي العباس بن الفرات بالباب يستدعيك . فأدخلته وأجلسته معنا ، فأكل وشرب ، وقلت له : عرِّفه أنتى عند بعض أهلي بالجانب الغربي . فضى ، ولم يبعد أن جاء غلامٌ آخرٌ يطلبني ، ففعلت به كمثل فعلى بالأول ،

(١) السدفة : الظلمة .

فانصرف . وقلت في نفسي : لَأَنَّ أَلِيَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ تَأْخُرِ يَوْمٍ عَنْ خِدْمَتِهِ
أَوْلَى مِنْ أَنْ أَلْفَاهُ مُعْتَذِرًا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ . فَأَقَمْتُ عَلَى جِلَّتِي بَقِيَّةَ
يَوْمِي ، وَبَاكَرْتُهُ مِنْ غَدٍ ، فَسَأَلْتِي عَنْ سَبَبِ تَأْخُرِي فَأَعْلَمْتُهُ كَوْنِي عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِي
بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ . وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، وَوَرَدَ كِتَابُ الْعَامِلِ الَّذِي تَلَكَّ الضَّيْعَةُ فِي عَمَلِهِ
وَفِي دَرَجِهِ حَزْرٌ ^(١) النَّعْلَةَ وَقَدْ نَسَبَ كُلَّ بَيْدَرٍ إِلَى مِقَاسِمَتِهِ ؛ وَعَلَى مِثْلِ هَذَا كَانَتْ
الْحَزْرُورُ تَرِدُ . فَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى رَسْمِهِ حَرْفًا حَرْفًا ، وَوَجَدَ قَدْ حُكِيَ تَحْتَ اسْمِ
بَيْدَرٍ مِنَ الْبِيَادِرِ : مِمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ بِنَقْلِهِ مِنْ مِقَاسِمَةِ كَذَا إِلَى مِقَاسِمَةِ كَذَا .
فَلَمَّا قَرَأَهُ اخْتَلَطَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : مَا أَذْكَرُهُ ، وَمَتَى أَمَرْنَا بِنَقْلِ الْمِقَاسِمَاتِ الثَّقِيلَةِ
إِلَى الْمِقَاسِمَاتِ الْخَفِيفَةِ ؟ وَاسْتَدْعَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخِي ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَكْتُبَ
إِلَى الْعَامِلِ بِإِنْكَارِهِ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَايَةِ الَّتِي حَكَاهَا فِي الْحَزْرِ ، وَيُرَدِّدَ
الْكِتَابَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعِينَهُ . فَكُتِبَ ذَلِكَ ، وَمَضَتْ أَيَّامٌ فَلَمْ أَشْعُرْ
وَأَنَا بِمَحْضَرَتِهِ إِلَّا بِكِتَابِ الْعَامِلِ قَدْ وَرَدَ جَوَابًا عَمَّا كُوتِبَ ، وَفِي دَرَجِهِ الْكِتَابُ
الَّذِي طُلِبَ مِنْهُ . وَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بِنِ الْقِرَاتِ ، وَأَقْبَلَ يَدْفَعُهُ إِلَى وَاحِدٍ وَاحِدٍ
مِنَ الْكِتَابِ الَّذِينَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنِ صَاحِبِ خَطِّهِ . ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ فَلَمَّا قَرَأْتُهُ
ذَكَرْتُ اسْمَ الْبَيْدَرِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنِّي لَوْ كَانَ
بِخَطِّي وَقَدْ وَرَدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ الْحَافِلِ ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ الْخَطَّ ،
وَسَلَّمَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدِ الْمَدِينِيِّ وَقَالَ لَهُ : امْضِ بِهِ إِلَى الدِّيْوَانِ ، وَخُذْ خَطُوطَ
أَصْحَابِ الْمَجَالِسِ وَحَلْفَانِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ ، وَجِئْنِي بِنَسَخَتِهِ إِذَا وَجَدْتَهَا
مِنْ مَوَاضِعِهَا .

قال : وسبق الخبرُ إلى الكتاب ، وقد كان الرجلُ صاحبُ البيدرِ برَّهمُ بجملة حتى أثبتوه عندهم ، فما منهم إلا من قطعَه وأخرجه من شكِّ^(١) الورق ، ورمى به في المستراح ، أو أعطاه غلامه حتى أخرجه من الديوان وخبأه في خنَّه أو تحت الأرض . ولما دار عليهم ابنُ يزيدَ أنكروا وجدوا ما فيه من علاماتهم وخطوطهم فأخذ خطوطهم على ظهرِ الكتاب بما ذكره ، وجاء به إلى أبي العباس . ونحن في تلك الحال إذ جاءت إليه رقعةٌ من مُننَّصِحٍ يذكر فيها اسمَ الرجلِ الذي كتب الكتاب وموضعَ منزله ، فدعا أبو العباسَ الترعانيَّ حاجبه ، وأمره بكبسِ الدار وطلبِ الرجلِ ، فإنَّ وجده أحضره وإن لم يجده أنهبَ كلَّ ما فيها . فمضى ومعه ثلاثون راجلا فكبس الدار ، ولم يظفروا بالرجل ، فذهب الرَّجالةُ والأتباعُ ما كان فيها ، وعرفَ الرجلُ الخبرَ فاستتر مدة ، ثم خرج إلى الموصل هاربا ، ولم يزل مقيما بها إلى أن مات أبو العباس ، فحمدتُ الله وشكرته على ما وقَّفتي له ، وخلَّصني منه ، وعلمت أنه لا شيء أنفع من الصَّحَّة ولا أجلُّ من الأمانة .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو العباس بن الفرات يميل إلى أبي خازم القاضى ويُكرِّمه ويُقبل عليه إذا حضر عنده ، ويتحدث معه ، وكان أبو خازم أديباً حافظاً ، فحضر يوماً عند أبي العباس ، وجرى الحديثُ بينهما ، إلى أن أنشده أبو خازم :

أأنت الذى أخبرت أنك ظاعنٌ غداة غدي أوراخٌ لهجير
وقلت يسيرٌ نصف شهرٍ أغيبه وما نصف يومٍ غيبةً يسير

قال له أبو العباس : أنمخفظ في هذا الشعر غير ما أنشدته ؟ قال : لا . قال : بلى

(١) شك الورق : يراد به انضمام بعضه إلى بعض كما ترتب الملفات مأخوذ من قولهم : شك الشيء إلى الشيء إذا ضمه إليه .

أشدنا أبو محمّد قال : أشدنا الأصمعي^(١) لبعض العرب :

وما أنسَ مِلاشِياءَ لا أنسَ مَوْقِفاءَ لنا ولها بالسّفحِ سَفْحِ شِيرِ
ولا قَوْلها يوماً وقد بلَّ جِيبِها سَوابِقُ دَمْعِ اللِّراقِ غَزيرِ
أنت الذي أخبرتَ أنك ظاعِنُ غداةَ غَدِ أو رانِحُ لهجيرِ
وقلتَ يسيرُ نِصفُ شهرٍ أغيبُه وما نصفُ شهرٍ غيبةَ يسيرِ

قال : فقلت له : ألا قال نصفُ لحظةٍ ، نصفُ ساعةٍ . قال : إنَّ العربَ تهالكُ في أشعارها أحياناً ، وتتركُ أحياناً فيه نفساً . فعجب أبو خازم من حفظه وزيادته على ما كان عنده ، وطلب الدواةَ وكتب الحكايةَ والزيادةَ عنه وقال له : ما جئناك بفائدة إلا وانصرفنا من عندك بقوائد .

وحكى أبو القاسم عن أبيه قال : كان أبو العباس بنُ الفراتِ أذكَرَ الناسِ وأحفظهم لما يَمُرُّ به من قليل وكثير ، فقال لي يوماً . ما اشتيتُ أن أحفظ شيئاً قطُّ إلا حفظته . وما آسى من عمري إلا على ثلاثِ سنينَ أفيتها في علمِ إقليدس ، كيف لم أفتها في الفقه ؟ قال : وكان أعلم الناس بالفقه على سائر المذاهب .

وقال أبو القاسم : تأخرتُ أرزاقُ الكُتّابِ في وزارةِ حامدِ بنِ العباسِ ونظيرِ عليِّ بنِ عيسى تأخراً طويلاً . فلما تقلد أبو الحسن بن الفراتِ الوزارةَ الثالثةَ ، وعرف ذلك ، أنكره ، ومحب من استمراره ، وأنفذ المستحقين إلى العمال للمطالبة به ، فقبضوا في مدّةِ عشرةِ أشهرٍ جارِي أربعةَ عشرَ شهراً ، وكان شديدَ التعصّبِ لهم ، والعنايةِ بأمرهم . ولقد سمعته يوماً وقد خاطبه مخاطبٌ على أن يجعلَ جارِي بعضِ الكُتّابِ

(١) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب ، له ذكر كثير في اللغة والأدب ، انظر ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد وثرمة الألبا وغيرها .

لكاتبٍ في ناحيته ، وهو يقول : قطع الله رزقي يوم أقطع رزق كاتبٍ . ووقعَ للذي سئل في أمره بجارٍ مُستأنفٍ .

وقال أبو القاسم : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول في وزارته الثالثة ، وقد ذكر حالَ السوادِ وجلالته : إن الإحسانَ إلى الرعيّةِ يزيد في ارتفاعه ، ولولا خوفي من أن يجلس في هذا المجلس من لا يعرف غرضي فيما أفعل ، و يجعله تسوّفاً^(١) على عند من لا يفهم ، لتقصت المزارعين ثلاثة أقدرة في كلِّ كرتٍ من مقاسمة الإستان التام ، ثم كان يُنظر بعد ذلك كم يزيد في الارتفاع بهذه المسامحة .

وحكى أبو القاسم قال : كان^(٢) أبو الحسن بن الفرات يُطلق للشعراء في كل سنة من سني وزارته عشرين ألفَ درهمٍ رثماً لهم سوى ما يصلهم به متفرقاً وعند مديحهم إياه . فلما كان في وزارته الأخيرة تذكر طلاب الحديث وقال : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدائقي ودونيه ، ويصرف ذلك في ثمن ورقٍ وحبر ، وأنا أحقُّ بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم . وأطلق لهم من خزانته عشرين ألفَ درهم .

قال أبو القاسم : وكان في جهتي رجل يعرف بأبي بكر محمد بن إبراهيم البرقي فأخذت له منها ثلاثمائة درهم ، وأخذت لأبي سعيد الحسن بن علي العدوي^(٣) خمسمائة درهم ؛ وكان جارِي وقد سمعتُ منه سماعاً كثيرة . وأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار^(٤) - لأنه كان يجيئني ويُقيم عندي وسمعتُ منه أخبار البيضة^(٥)

(١) تسوّفاً : تكسباً

(٢) توفي سنة ٣١٩ له ترجمة في المنتظم ٦/٣٣٨ .

(٤) له ذكر كثير في الأغاني فهو من رجال سند أبي الفرج الأصفهاني كما ذكر في فهرست وذكرت له مؤلفات منها أخبار أبي نواس .

(٥) البيضة أصحاب المنع وهم فرقة من الثنوية لبسوا البياض مخالفة للعباسيين السوداء .

ومقتل حُجْرٍ وكتابِ صَفِينٍ وكتابِ الجملِ وأخبارِ المقدَّمي وأخبارِ سليمان بن أبي شيخ وغير ذلك - خمسمائة درهم . وتمَّ لي أخذُ هذه الدراهمِ لمن أخذتها له - وهم مُحَدِّثون لا من طُلاب الحديث - بفضل الجاه يومئذ .

وقال أبو القاسم : كان أبو الحسن بن الفرات قد تقدَّم إلى والدي أبي عبد الله بأن يستأمره في كلِّ توقيع يردُّ عليه ، فكان يفعل ذلك ، وحضره في بعض الأيام رجلٌ بتوقيع في آخر رُقعةٍ قد كتبها يشكو فيها حاله ، ويسأل إجمال النظر في أمره بإجراء خمسة عشر ديناراً في كل شهر وتسيبها على بعض الجهات ، فلما قرأه عرفه ما أمر به الوزير من استئذانه في كلِّ توقيع يرد ، وسأله عما يُحِبُّه في توقيعه : من رده عليه - لأنه كان قد استراب به - أو عرضه والاستثمار فيه . فأثر الاستثمار ، وأعلمه أنه يفعل ذلك في يومه ، وأنه يجب أن يعود إليه في غده ليُعرفه ما يكون منه فيه . وعرض والدي التوقيع على أبي الحسن ، فلما قرأه أنكره وعرفه أنه مزور ، وتقدم إليه بإحضار الرجل الذي أوصله إليه ليضربه بالسوط ، ويشمِّره على جمل ويُخلِّده الحبس ، ويجعله أدياً وعظة لغيره ممن يُحدِّث نفسه بمثل هذا الفعل ، وأكَّد القول عليه . وحضر الرجل من غد مُتعرِّفاً لما جرى في أمر التوقيع ، فأشار عليه والدي بالانصراف والإمساك وألَّا يعيد قولاً في ذلك . فامتنع امتناعاً دعاه إلى أن شرح له الصورة ، وأشعره بغلظِ القصة وقال له : أنا أخالف الوزير فيما أمرني به ، وأعرفه متى سألتني عنك أنك لم تعدَّ إليَّ . فذكر أن توقيعه صحيح ، وأنه لا يبالي بالحضور والوصول إلى حضرة الوزير ، ولا يدعُ عند ذلك إقامة حُجَّته وإبراء ساحته . فراجمه وحذره إشفاقاً عليه؛ وهو مقيم على أمره . ثم قال : فأثقتُك إلى الدار . قلت : الاختيار إليك . فانصرف .

قال أبو عبيد الله : وتشاغلت بالنظر في حوائج من كان عندي من أسباب

المقتدر بالله - رحمه الله - وغيرهم . فلما فرغت ركبتي ، ووجدته قد سبقني ،
ودخلت إلى أبي الحسن بن الفرات فقال لي : أين الرجل صاحب التوقيع ؟ قلت :
هاهو حاضر . فأمر بإيصاله إليه . فلما رآه اتهره وزبره ^(١) وقال له : تقدم علي
التزوير ؟ وتقدم بحمله إلى صاحب الشرطة ليعاقبه ويشهره ، ثم سأله عن نسيبه ،
فأعلمه أنه ابن عم العباس بن الحسن . فلما ذكر ذلك له سكن غضبه ، وأقبل عليه
فتعرف منه خبر واحدٍ واحدٍ من أهله ، ووصف له حاله . فقال له : ما الذي حملك
على ما فعلته ؟ فقال كُتِّبَ بك الذين بحضرتك ، لأنني قصدتهم وسألتهم إيصال رقعة لي
إليك أستعطف بها رأيك ، وأستدعي فيها إحسانك ، فما منهم من فعل ، وأحوجني
فعلهم إلى أن جعلت هذا التوقيع سبباً للوصول إلى مجلسك ، وشكوى حالي إليك .
فأخذ التوقيع ووقع تحته بإمضائه ، ورسم لي مراعاته فيه حتى يسبب له على حيث
يرجى منه . ثم دعا أبا العباس أحمد بن مروان وكيله في داره ، وتقدم إليه بأن يُطلق له
عاجلاً ثلاثة آلاف درهم يصرّفها في مؤوته ، وأن يقيم له في كل شهر خمسة عشر
ديناراً من ماله سوى الجاري السلطاني الذي أمرنا بإجرائه له . فلما خرج إلى قال لي :
أيماً كان أعرف الوزير ، أنا أو أنت ؟ وعجب الناس من كرم ابن الفرات ورعايته لأهل
البيوتات وذوي النعم والأقدار .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قد قلده
أبا عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات أعمال بهر سير والرومقان وإغار يقطين وما يجري
مع ذلك . وكان لأبي عبد الله محمد بن غالب الأصهباني هناك مقاطعة ، وتتبعها
جعفر بن محمد فوجد فيها فضلاً كثيراً حمّله على أن وكل بغلاتها إلى أن

(١) زبره : زجره .

يرد عليه الكتاب بالإفراج عنها أو غير ذلك . وشق ما كان منه على محمد
ابن غالب ، وكتب إلى عبيد الله بن سليمان رقعة في هذا المعنى ، وأورد في آخرها أبيات
شعر فيها :

أَيُّظَلُّنِي عَامِلُ الْبَهْرَسِيرِ وَيَرْكَبُ مِنِّي صَعَبَ الْأُمُورِ
وَيُبْطِلُ مِنْ سُنِّي مَا جَرَى وَيَضَعُنِي ضَمَّ ذَنْبِ عَقُورِ

وأوصلها من يده إلى عبيد الله ، وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات
حاضراً ، فأعطاه عبيد الله الرقعة وقال لمحمد بن غالب : الأمر إلى أبي العباس
في الإمضاء أو الفسخ . فقال أبو العباس : فإني قد أمضيت . وأخذ القلم من الدواة
ووقع بإمضاء المقاطعة ، والإفراج عن الغلة . فكان محمد بن غالب يشكره على ذلك
بعد عييه عليه مما جرى في أيام أبي الصقر إسماعيل بن بلبل .

وحدث أبو القاسم قال : اجتمع كُتَّابُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْقِرَاتِ يوماً بحضرته ،
وذلك في وزارته الأخيرة ، فذكر كلُّ واحد منهم ما لحقه من الشدائد في استتاره ،
فحدثه أبو عمرو سعيد بن الفرخان التصرائي أنه كان في موضع وأراد الاستئصال عنه ،
فخرج قبل طلوع الفجر ، فلما توسَّط الطريق تبعه إنسان لا يعرفه . وأخذ في غير
الوَجْهِ الذي أراد ، وتبعه ، وخرج منه إلى غيره ، وهو يمشى معه . قال أبو عمرو :
فلما كاد الصبح يُسْفِرُ وقفت وقلت : أنا رجل خائف ، وأريد أن أقصد موضعاً
أستتر فيه ، وقد قارب الوقت الذي قدرته أن يقرب باتباعك إياي . قال لي :
قد عرفتك ، وما قصدت فيما فعلته إلا الجليل معك ، ولو أردت الاستتار لكنت
مَعُوضَةً ، وهذا منزلي لك وبين يديك ، وأسألك أن تعدل إليهِ وتعمل على المُقَامِ فيه .
فنظرت فإذا الوقت قد أُرْف ، ولا يمكنني الوصول إلى الموضع الذي أردت قصدَه
إلا مع طلوع الشمس . ففضيت معه ، وتقدَّمتني واتبَعْتُهُ حتى وصل إلى منزله ،

ودخل وأدخلني ، فوجدت داراً طيبة ، وفيها فرش نظيف ، وأكرمني ومهد لي (١) ، وجلس دوني وقال لي : اعلم - جعلني الله فداك - أني رجل مُزَيِّن ، وأرجع إلى سعةِ حالٍ ولي ثلاثون غلاما ، لكل واحد منهم منزلٌ مثلُ منزلي ، فقيم عندي ما أحببتَ ، فمتى ضاق صدرك وأحببتَ الانتقالَ نقلتكَ إلى منزلٍ واحدٍ واحدٍ منهم ، فأقمتَ فيه شهرا ، ولعل المدة - في فرَجِ الله عنك وبلوغِكَ بحابك - أن تكون أقصر من ذلك ، وبالعاجل قد أفردت لك دارا ، وأعددت فيها جميع ما تحتاج إليه ، حتى لا تستعمل شيئا مما نستعمله نحن ، فربما لم تستنظفه .

ونفض من عندي وغاب ساعة وقال : إذا شئت ياسيدي .

فقممت وأدخلني إلى دارٍ متصلة بداره ، قد فرُشت بفرش نظيف ، وجعل فيها ما يحتاج إليه ، من طَسْتٍ وإبريقٍ وجِرَارٍ وكِيزانٍ وقُدُورٍ وِعَضَائِرٍ (٢) وجامات (٣) وِسُكْرُجَاتٍ (٤) وصواني وأطباق وقناني وأقداح ، وإذا جارية سوداء واقفة . فقال : تكون هذه بين يديك متوليةً لخدمتك ، وأنا صاحبُ خبرك ، فإذا كان عشيّة انصرفتُ إليك بما أسمع . فشكرته وجزيتُهُ الخير . ومضى وطبخ لي ما أردتُ ، وأحضرتُ من الشراب ما طلبتُ ، وكان يجيئني في آخر كل نهار فيحدثني بما يعرفه فلم أزل على هذه الحال مدة أربعة أشهر لا أعدم شيئا مما أريده . ثم ضاق صدري وأحببت الانتقال ، فأشعرته بذلك ، فاختر لي واحدا من أصحابه ذكر تقدمه عنده وثقتُه ، فأشار بالثقلَةَ إلى داره . ففضيت إليه معه ، فكان منزله قريبا من منزل مولاه ، وخدمني وما قصر في معرفةِ حقي والقيام بما أريده ، وأقمت عنده شهرا ،

(١) مهد له : هيا له ، وفي الأصل : مهدني .

(٢) الفضاير جمع غضارة وهي فصعة كبيرة . وفي الأصل غضار .

(٣) الجامات : جمع جامة وهو الكاس .

(٤) السكرجات : جمع سكرجة وهي الصلصة التي يوضع فيها الطعام .

وأردت الانتقال ، فعرفت المزين ذلك ، فأشار بالرجوع إلى منزله ، فرجعت ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى فرّج الله عنا ، وكشف وجوهنا بالوزير أدام الله تأييده .
فقال له الوزير أبو الحسن بن القرات : فأى شيء عملت في أمر هذا الرجل ؟
وبأى مكافأة كافأته على جميل فعله ؟ قال : لا والله أيها الوزير ما عملت معه قليلا ولا كثيرا . فقال له : بس ما فعلت . فإنك قد فضحت المستترين ، وضيقت عليهم مذهبهم . والآن أنا أولى بقضاء الحق عنك منك . أنفذ إلى الرجل وجنبي به .
قال ابن الفرخان : فقلت لكاون غلامي : امض إلى المزين الذي كنا مستترين عنده فجيء به ، وعرفه أن الوزير يريد . فمضى فلما بعد قال لي الوزير : اردده وتقدم إليه بأن يورد عليه رسالة جميلة يسكن إليها ، وأن يحضره على رفق وإكرام قال : فرددته وأوصيته ، ومضى الغلام ، وتشاغل أبو الحسن بالنظر والعمل ، وتشاغلنا بالتوقيع والكتب . ثم جاء الغلام وعرف أبا عمرو بن الفرخان حضور المزين ، وعرف أبو عمرو الوزير ذلك . فقال : يدخل . وخرج الحاجب فأوصله إلى المجلس ، فوقف على بعد ، فاستدناه وامتنع ، فألح عليه فدنا ، وأمره بالجلوس فأبى أشد الإباء . ولم ينزل به حتى جلس . ثم قال له : لم تتأخر مقابلة أبي عمرو لك عن جميل ما أوليته إياه إلا لأنه خرج على حال محتلة ، وذات يد قصيرة ، وأنا أتولى ذلك عنه ، ولقد أحسنت بارك الله عليك وفعلت ما يفعله الأحرار . فقام وقال : قد وصلت إليها الوزير إلى أعظم الجزاء بوصولي إلى هذا المجلس ، وسماعى لهذا الخطاب ، وبلغت غاية أملى ، ونهاية أمنيتي بذلك . وما بلغت ما كان في نفسي من قضاء حقه . وأشار إلى أبي عمرو . فأمر أبو الحسن بإحضار أبي العباس أحمد بن مروان وكيه ، فحضر وأسر إليه شيئا لم نعلم ما هو ، فخرج ، وأخذ المزين معه ، ثم عاد بعد ساعة وحدته ما لم نسمعه ، فأخرج رأسه من سِراره وقال : أرايتم مثل ما نحن فيه مع هذا

المزين؟ تقدمت إلى ابن مروان بأن يدفع إليه خمسة آلاف درهم، فعرفني أنه امتنع من قبولها؛ وذكر سعة حاله واستغناء عنها. وردَّ إليه ابن مروان برسالة في هذا المعنى، فضى وعاد فذكر إقامته على الامتناع، فأمر الوزير أبا عمرو بن الفرخان بأن يقوم إليه، ويلطف به ويرفق، ولا يدعه حتى يقبل ما أطلقه، وقال: لعله استقل الخمسة آلاف درهم، فلتجعل خمسمائة دينار. فأحضره وألزمه أخذها، وعرفه أنه إن امتنع من ذلك غضبت عليه وأنه يُسَد ما قد حصل له في نفسى. فقام أبو عمرو ساعة ثم عاد وقال ما زلت معه في مراوطة وملاطفة حتى قبلها وانصرف شاكرًا. فبقينا وبقي الناس زمانًا يتعجبون من فعل المزين وكبر نفسه. وكرم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبه.

قال أبو القاسم بن زنجي: كان أبو الحسن بن الفرات قد كاتب يوسف بن ديوداد بن أبي الساج في أمر الرى، وطالبه بمحمل ماوجب من مالها على أنها ضمان في يده. فأجاب بأنه لم يضمن ضمانًا يتعين عليه الخروج منه، ويسأل أبو الحسن عما عنده في ذلك - يعنى على بن عيسى وكان إذ ذاك مصروفًا منكوبًا في اعتقال أبي الحسن ابن الفرات - فسأله عن ذلك، فذكر أنه ضمَّنه الأعمال، وأن وثيقة الضمان عند صاحب الديوان. وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد يتقلد ديوان المشرق، وهذه الناحية جارية فيه، فطوب بذلك، وأحال على أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن الفرات^(١) وكان خليفته على الديوان. ورجع إليه فذكر أن الوثيقة حملت إليه، ووقف عليها، وردّها بعد أن حملها إلى صاحب الديوان. واعتقل أبو الحسن بن الفرات الفضل بن جعفر بهذا السبب، وجرت خطوب في هذا المعنى، وذلك في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة بعقب صرف حامد عن الوزارة وعلى بن عيسى عن خلافته،

(١) تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣٢٠ كما تولاها للراضى سنة ٣٢٤.

وأوجبت الصورة طَلَبَ ذلك في الخزانة المنقولة من دار علي بن عيسى إلى دار أبي الحسن بن القرات .

قال أبو القاسم : فأمرني أبو الحسن بأن أدخل الخزانة ، وأقلب ما فيها من الأعمال ، وأتمس وثيقة الضمان ، وفعلت ، وكانت خزانة عظيمة في بيت يُعرف بالدمشقي في داره المعروفة بسليمان بن وهب في المحرم ، والأعمال تكاد تبلغ السقف . وكان يمر في عرض ما أفتش عنه نسخ ما كتبه علي بن عيسى إلى ذكا الأعور ، المقيم كان بمصر ، ثم إلى تكين الخاصة المتقلد لها بعده وإلى الحسين بن أحمد المادرائي ومحمد بن جعفر القرمطي ونجح وابن رسم وغير هؤلاء من الولاة ، فأقرأها وأجدها في نهاية الحسن . وربما أخذت بعضها وأجد في خلال ذلك خزوراً^(١) وكيولاً وكتباً من المنفقين في العسائر بما توفر من أموال الرجال ، وبما وقفوا عليه من حال البدلاء والدخلاء لم يخرج إلى الدواوين ، وأجمع ذلك وأخرج إلى الوزير أبي الحسن إضبارة منه في كل يوم . فكان يعجب من علي بن عيسى وتره وإخراج هذه الأعمال إلى الدواوين ويطعن عليه بذلك ويقول : يا قوم ، سمعتم من يؤخر إخراج تقدير الغلات وحزرها وكيلها وكتب المنفقين بما توفر من المال إلى الدواوين ؟ لم لا يتناقل كبار الكتاب وأصاغرهم هذه الأعمال ويثبتونها في مجالسهم ويقابلوا عليه ما عندهم ؟ وأية حجة تكون لنا على الأعمال والعامل إذا احتسبوا بمال الرجال على العبر من غير حطيطة ؟

وكان فيما أخرجته في بعض الأيام إليه عمل عمه عثمان بن سعيد - المعروف بابن الصيرفي صاحب ديوان الجيش - لما يراد للجيش في مدة سنة ، وقد أورد فيه حال المالك خمسة أشهر ، فحين وقف عليه جزاني الخير على إخراجهم إليه ، وذكر أن

(١) خزور : تقديرات .

نصرا القشورى طالبنى بحضرة المقتدر بالله بإطلاق مال المالك لسته أشهر ، وادعى أن على بن عيسى كان يطلق لهم على ذلك ، وأن هذا العمل يُبطل قوله سَيِّئاً وهو بخط ابن الصيرفى كاتبه وصاحب ديوانه . فأخذه معه ، وانحدر إلى المقتدر بالله ، وواقف نصرا الحاجب عليه بحضرتة ، فوقع له بذلك من المقتدر أحسنُ موقع ، ولنصر أقيحُ موقع .

قال أبو القاسم : وكان فى هذه الخزانة كُتِبَ إلى على بن عيسى ممن كان يُشخصه من القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم وزيد بن إبراهيم والحسين ابن أحمد المعروف بأبى زنبور اللادرانى وأبى بكر محمد بن على اللادرانى فيها، العجائب ، ودفتره منسوب الى الحلاج^(١) فيه آداب الوزارة ، وغير ذلك من رقايع المقتدر بالله ووالدته إليه ونسخ أجوبتها .

قال أبو القاسم : وكان أبو الحسن بن الفرات قد استظهر فى أمر الموسم لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة استظهاراً شديداً ، لأنه أحب أن يجزى أمره فى أيامه على أفضل ما جرى عليه فيما قبلها ، وأطلق لأبى الهيجاء^(٢) بن حمدان فى وقت واحد بإطلاق واحد مائة ألف دينار ، وأخرج إلى من نفذ فى القافلة الثانية ما قدره أبو بكر عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش ، وكذلك لمن صدر فى القافلة الثالثة ، وكان أكثر من مائة ألف دينار . وأزاح العلة فى ثمن جميع ما احتيج إلى ابتياعه من الحضرة ، وابتيع ذلك وحل ، وانتظم أمر القوافل ، وتوجهت بأجمعها

(١) لعله هو الحسين بن منصور الحلاج اتهم بأنه ادعى الألوهية أو النبوة ، انظر قصته فى تجارب الأمم ٧٦/٥ وصلة عرب من ٨٦-٩٦ والتنظم ١٦٠/٦-١٦٤ وابن الأثير حوادث سنة ٣٠٩ ذكر قتل الحسين الحلاج .

(٢) هو عبد الله بن حمدان كان إليه طريق الكوفة وطريق مكة انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ .

من الحضرة . واتصل بأبي الحسن بن الفرات أن القرامطة قد تحركوا للفساد وهُمُوا
باعتراض الجيش ، فكتب إلى أبي الهيثم كتاباً بخطي^(١) يعرفه ما بلغه ، ويوصيه
ويحذّره ، ويأمره بالتيقُّظ والتحفظ وإذْكَاء^(٢) العيون في جميع الطرق ، وأجابه
من القصر جواباً أنفذ في درجته^(٣) كتاباً في جلدٍ يضمنُ فيه المالَ والدمَ ،
وقد أشهد فيه جماعةَ الشهود والوجوه والتَّناء في البلد . فلما قرأه أبو الحسن سرَّته
قوةً نفسه ، وضايق صدره من هذا الفعل الذي هو جارٍ في سبيل البغي . وحدث
في تلك السنة ما حدث على الحاجِّ^(٤) مما زاد به القلقُ والازعاجُ ، وأنفذ نزارَ
ابنَ محمدٍ وغيره من القواد لتلقِّيهم ، وأطلق صدراً كبيراً من المال ابتاع به من
الحضرة القميصَ والسرراويلات والعمائم والأردية والأزر ليُدفع ذلك إلى من
يحتاج إليه ، وحلَّ مالا واسعا ففرَّق على الناس بحسب أحوالهم وما يتحمَّلون به
إلى منازلهم .

وحدث أبو القاسم قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات ينزلان
في أيام أبي الصقر إسماعيل بن بلبل في ربضٍ مُحميد ، وكان حدَّ دارهما من الموضع
الموازي لسكة الحوض إلى درب أبي سورة ، وهو حد الدار المعروفة بالعروض .
وعهدى بها وفيها بستانٌ كبيرٌ كثيرُ النخل والشجر ، وبيتٌ أحمرُ السقف
والحيطان يُعرف بيت الدم . ثم قبضتُ وبيعت مع أن أصلها وقْفٌ ، وابتاعها
جماعةٌ وتقل الملكُ فيها من واحدٍ إلى آخر . فمن ذلك الدارُ التي في الطرف وتوازي

(١) أي بخط أبي القاسم بن زنجي راوي الخبر .

(٢) إذكر العيون: بث الجوايس ومن يتطلعون الأخبار .

(٣) في درجته : في داخله .

(٤) راجع في ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج .

سكة الحوض ، فإنها حصلت لأبي الحسين محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي ، ثم انتقلت إلى ورثته . ومن ذلك دورٌ وحجرٌ وغرفٌ كثيرة تلي هذه الدار صارت لجماعة من الناس ، ومن ذلك دارٌ كانت لعثمان بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، ويليهما دارٌ لعلی بن عبد الرحمن المعروف بابن هاني الكوفي ، ثم دارٌ كبيرةٌ واسعةٌ ملكتها نزهة الملقمة . وهي تنتهي إلى آخر دور بني الفرات .

ولجعفر بن قدامة في أبي الحسن بن الفرات (١) :

يا بنَ الفراتِ ويا كريد	م الخيم محمودَ الفعّالِ (٢)
ضُيِّعْتُ بعدك واطُرِحَ	ت وبأن للناس اختلالِ
وتغيرت - مذ غيّرتُ	أحوالك الأيام - حالي
لهفا أبا حسنٍ على	أيامك الغرّ الخوالي
لهفا عليها إنها	بليت بأحوالِ بوالي

لا يجوز في « لهفا » التثنية لأن تفجع المرزبة (٣) « لهفا » فحذفت الهاء في الوصل وبقيت الألف على سكونها .

وله أيضاً فيه :

لما خلوتُ من الفوا	تد وللنافع والصلواتِ
وعدمتُ في الأعياد ما	عودتُ من كلِّ الجهاتِ
وبقيتُ فيها حائراً	كالسفرِ ضلوا في الغلاة (٤)
ناديت يا سقياً ويا	رعياً لمصرِ ابنِ الفراتِ

(١) هذه الأبيات في معجم الأدباء في ترجمة جعفر بن قدامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، والفعّال : الفعل الحسن والكرم .

(٣) في الأصل : لأنه تفجع المرأة . (٤) السفر : المسافرون .

مَلِكٌ أَشْمٌ مُسَوِّدٌ رَطْبُ الْأَنْمَالِ بِالْهَبَاتِ
يُعْطِي الرِّغِيبَ ^(١) وَلَا يَمِينُ وَلَا يَنْقُصُ بِالْعِدَاتِ

وله فيه أيضاً :

لَمَّا غَدَوْتُ فِي الْحَشَا نَارٌ مُضْرَمَةٌ تُشَبُّ
وَالْفِكْرُ وَالْأَحْزَانُ مَشٌّ حُونَ بِهَا جِسْمٌ وَقَلْبٌ
أَنْشَدْتُ مَا قَالَ ابْنُ جَهْمٍ ^(٢) وَهُوَ بِالْأَشْعَارِ طَبٌّ ^(٣)
أَمَلَقْتُ بَعْدَكَ يَا عَلِيُّ وَنَالِي مَا لَا أَحِبُّ

وحدث أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان قال :

كان الفضل بن الحسن الواسطي يتولَّى بَيْعَ غَلَّاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَبِي الْحَسَنِ ابْنِي الْفَرَاتِ،
وكانت عظيمة لكثرته ضياعهما وزيادة ارتفاعهما . فاتفق أن مات ، فأقاما مقامه
عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله أحد غلمان الرفاشيين ^(٤) بين يديه ، وقدماه ورفعاه
منه ونوَّها باسمه ، وأكسباه مالا جزيلًا ، فتأثَّلت به ^(٥) حاله وصرف أبو الحسن
عن وزارته الأولى . فخدم علي بن عيسى وباع غلَّاته . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات
إلى الوزارة ثانياً لم يؤخِّدْهُ بِخِدْمَةِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى ، وأجراه على رِشْمِهِ فِي بَيْعِ غَلَّاتِهِ ،
وخطب أبا عمَّار القاضِي فِي قَبُولِ شَهَادَتِهِ وَإِظْهَارِ عَدَالَتِهِ . وَقَبِضَ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ ،
وتقلد الوزارة حامداً بن العباس ، وخلفه علي بن عيسى ورؤساء الناس ^(٦) ، فلما صرف

(١) الرغيب : المرغوب فيه ، والطاء : الكثير .

(٢) ابن جهم : هو علي بن الجهم من شمراء الدولة العباسية له ترجمة في الأغاني وطبقات ابن المعتز
وابن خلكان وغيرها .

(٣) الطب معناها هنا : الحاذق الماهر بعمله .

(٤) الرفاشون : جمع رفاش وهو من يحرف الفصح .

(٥) تأثَّلت : تجمعت وتأسلت ويريد تحسنت .

(٦) هكذا في الأصل ولعلها وخلفه علي بن عيسى في رئاسة الناس أو ورأس الناس .

حامد ووزر ابن الفرات الثالثة قبض على ابن ماشاء الله ، فأفد مفلح الأسود خادم المعتدر بالله - وله القدم المتمكنة ، والمنزلة المتقدمة ، والدالة^(١) القوية على ابن الفرات لقيامه بأمره عند عوده في هذا الوقت إلى نظره^(٢) - يسأله في بابه^(٣) ، وحضر كاتبه برسالته في معناه . فقال ابن الفرات : الأستاذ هو صاحب ، وأمره الممثل ، وأنت أيها الرسول المأمون ، لكنني أحضر ابن ماشاء الله ، وأفقه بين يديك على ماتسمعه ، فإن أردت بعد ذلك أن تأخذه سلمته إليك ولم أراجعك فيه . ثم تقدم بإحضار ابن ماشاء الله ، فحضر يرسف في قيوده ، فأمر بنزع الحديد عنه ، فنزع من وقته ، ثم قال له : اجلس ، فامتنع ، فكرر عليه القول فجلس . ثم أحلقه يمينا استوفاهما عليه أنه يسمع مايقول له ويحجب بما عنده من غير تقيية ، ولا تورية ولا مؤاربة ، ومتى ذكر له ما فيه تزيد رده أو تعنت دفعه ، وناظره مناظرة النظير لنظيره من غير مراعاة لموضعه ، ولا احتشام لمكانه . فلما فرغ من ذلك قال له : ألم يكن الفضل ابن الحسن الواسطي بيبي وبيع أبي العباس أخي ، وله الحال والجاه والمنزلة والوجاهة بمعاملتنا وتولى غلاتنا وكنت رفاشا بين يديه ؟ قال : بلى . قال : فلما مات ألم يصطنعك وتقمك في خدمتنا مقامه وترتبك الترتيب الذي شاع ذكرك فيه ؟ ومال الناس إلى معاملتك به من أبي الحسن على بن عيسى خصمنا وغيره من أصحاب السلطان حتى كثر مالك وترىشت حالك ؟ قال : بلى . قال : فلما سخط السلطان على وانصرفت عما كنت أخدمه فيه ألم تعدل إلى أبي الحسن على بن عيسى - وهو عدوى - تعامله وتداخله ؟ قال : بلى . قال : ثم عدت إلى خدمة السلطان فهل

(١) الدالة: يراد بها المنزلة التي يجعلها صاحب سلطان عليه .

(٢) يعني بذلك أنه قام بأمره حتى عاد إلى النظر في أمور الناس بأمر صار بسبب مسمى مفلح وزيراً .

(٣) يسأله في بابه : يريد بها يخاطبه في شأنه .

وَإِخْدَاتِكَ بِذَلِكَ أَوْ نَعِمَّتُهُ عَلَيْكَ أَوْ عَدَلْتُ فِي خِدْمَتِي عَنْكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ اسْتَعْتَمَّا بِكَ فِي نَكْبَةٍ، أَوْ حَمَلْنَاكَ مِنْ أَمْرٍ نَا كَلْفَةً، أَوْ حَمَلْتَ إِلَيْنَا قَطْرَ مِرْعَاةٍ أَوْ مِلَاطِفَةٍ أَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَسْبَابِنَا فِي وَقْتِ اسْتِغْنَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: أَفَلَمْ نَرْفَعْ مِنْ قَدْرِكَ وَأَلْزَمْنَا أَبَا عَمْرِو الْقَاضِي قَبُولَ شَهَادَتِكَ حَتَّى زِدْتَ عَلَى الْأُمَائِلِ مِنْ نَظَائِكَ؟ قَالَ: بَلَى. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ ابْنُهُ وَكَانَ حَاضِرًا: أَمَا جِئْتِكَ لَيْلَةً فِي سُمَيْرِيَّةٍ وَمَعِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ بِنْتُ عَمِّي وَزَوْجَتِي وَثَلَاثُونَ بَدْرَةً عَيْنًا قَلَّتْهَا عَلَى كَتْفِي إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَاوِرِ لِذَاكَ بِشَارِعِ الْمَلَاذِيانِ وَعَلَى قَرِيبٍ مِنْ سَوْقِ الطَّعَامِ، وَأَجْلَسْتُ الْمَرْأَةَ تَحْفِظُ الْبَدْرَ، وَطَرَقْتُ بِأَبِكَ مُتَخَفِيًا، وَعَلَى كِنَانَةَ سُودَاهِ، وَبِيَدِي طَبْرَزِينَ، وَدَفَعْتُ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لِي جَارِيَتُكَ وَهَجَمَتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَحُرْمُكَ فِي صَفَّةٍ (١) دَارَكَ فَارْتَمَتْ وَقَلَّتْ: مَنْ أَنْتَ؟ فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهِي قَلَّتْ: سَيِّدُنَا الْوَزِيرُ؟ قَلْتُ: لَسْتُ الْوَزِيرَ أَنَا سُورُورٌ غَلَامٌ خَدِيجَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَخْرَجْتُ مَعِيَ وَأَبْعُدُ مِنْ مَعَكَ عَنْكَ. فَخَرَجْتُ. وَقَلْنَا الْبَدْرَ إِلَى دَارِكَ، وَمَعَازِجَتِي وَقَلْتُ لَكَ: هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ عَمِّي وَزَوْجَتِي وَهِيَ طَالِقٌ مِنِّي ثَلَاثًا بِنَاتًا إِنْ كَانَ هَذَا الْمَالُ لِي أَوْ لِأَبِي، بَلْ هُوَ مِلْكُهَا وَإِزْهَابُهَا عَنْ أَيْبِهَا، وَهُوَ وَدِيعةٌ لَهَا عِنْدَكَ، وَأَمَانَةٌ فِي عِنْقِكَ، لَا تَعْطِ أَحَدًا مِنْهُ دِينَارًا فَمَا فَوْقَهُ سِوَاهَا. فَقَلَّتْ: نَعَمْ. وَسَلَّمَتِ الْبَدْرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَلَمْ أَخَاطِبْكَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تُقَرِّضَنِي مِنَ الْجُمْلَةِ بَدْرَتَيْنِ، فَمَا فَعَلْتَ، وَاعْتَذَرْتَ بِمَا كَانَ جَرَى فَعَذَرْتُكَ وَقَلْتَ لَكَ: إِنَّمَا اعْتَبَرْتُكَ وَاخْتَبَرْتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ: أَفَلَمْ تُحْضِرِ الشُّهُودَ عِنْدَ مَصَادِرَتِنَا وَقَدْ جُمِعَ النَّاسُ لِلْكَشْفِ عَنْ حَالِنَا وَبَيِّنَةِ إِنْ كَانَتْ بَيِّنَةً مِنْ أَمْوَالِنَا، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى اسْتِحْلَافِنَا فَخَلَفْنَا أَنَا وَالْحَسَنُ

(١) الصفة: تشبه السقيفة.

ابني بالأيمان المغلظة السلطانية والمشتمة على القتاق والطلاق وصدقة المال أنه لم يبق لنا موجود ولا مذخور ولا مودوع ، وأقسمنا بعد القسم بالله بحق رأس أمير المؤمنين على مثل ذلك ، وأحلناه من دمننا إن كنا كاذبين ؟ قال : نعم . قال : أفلم تسمع اليمين وأنت تعلم أننا صادقان فيها بخروج ما عندك عما نملكه مع ما قاله لك الحسن في أمره أنه تزوجته من دونه ودون غيره ، وأنه مال ورثته عن أبيها ، ما استفادته منا ؟ قال : نعم . قال : أفلم تقم في ذلك المجلس مع علمك ما تعلم وقلت كذب ، له عندي ثلاثون بدرّة عينا أودعنيها ابنه الحسن ؟ ولو لم نبلغك ما بلغناك ونقدمك من منزلة الشهود إلى ما قدمناك لما حضرت مثلك ذلك المجلس . وبإيالك لما فعلت ما فعلت صدقت عن باطن الأمر ، فقد كان يسعك أن تعطى ما أعطيت وتسلم ما سلمت بعد أن تدكر ما جرى بين الحسن وبينك .

فلما سمع كاتب مفلح من قول ابن الفرات لابن ماشاء الله ما قال واعترافه له بجميع ذلك نهض وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف ، وأمر الوزير برد ابن ماشاء الله إلى محبسه ثم قتله . وقال الناس : إن كان دم لا يطالب الله به ابن الفرات فدم ابن ماشاء الله .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو الحسن الأزرق التنوخي

قال : حدثني بعض أصحابنا قال : حدثني أبو علي بن مقلة قال :

كنت أكتب بين يدي أبي الحسن بن الفرات قبل وزارته ، فلما وزر قال لي في يوم نظره : أحضر ابن الأكموش وعشرة أنفار من التجار وبيع عليهم ثلاثين ألف كره من غلات السواد ، واستثنى في كل كره بدينارين ، وطالبهم بتعجيل مال الاستثناء في ثلاثة أيام . ففعلت ذلك ، وكتبت لهم بالتسليم ، وأنسيت مطالعة الوزير لشغل قطعي . ثم عرفته إياه . ثم استأذنته في تسليم المال إلى من يراه ، فقال :

يا سبحان الله ، أقدرت أنتى استثنيت به لنفسى ؟ لقد قبحت فى هذا الظن ، إنما أردت أن أصلح حالك به وأبين صحبتك بمكانه ، فخذ واصرفه فيما تحتاج إليه ، فقبلت يده ودعوت له ، وانصرفت إلى منزلى وما أملك فرحا ، فطالبتنى نفسى منذ حصل لى ما حصل من المال بمعالى الأمور وكبير المنازل .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو جعفر طلحة بن عبد الله قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى قال : قال لنا أبو الحسن بن الفرات يوما وقد جرى بحضرته أمرٌ رجلٍ قد أسرف فى الظلم : الظلم إذا زاد رفع نفسه .

وقال أحد مشايخ الكتاب : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُعَلِّمُ على كتابٍ بحضرته إلى وكيلٍ فى ضعيفته : استكثر من غلة القاسمة فإنها لنا دون الأكار ، وتوسط فى الشئوى فإنه لنا وللاكرار ، وقلل الصفى فإنه للاكرار دوننا .

وحدث أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الروذبارى قال : حدثنى أبو بكر ابن فتح الوراق قال : وقف على أبو الحسن بن جعفر بن حفص الكتاب ، وكان جماعة للكتب قد قرأ وسمع ، فقال لى : كنت يا أبا بكر فى مجلس الوزير أبى القاسم - يعنى عبيد الله بن سليمان - فجرى ذكرُ الفيروزج^(١) فوصف أبو العباس ابن الفرات أجناسه بأحسن وصف وأبلغ شرح ، وخرج من ذلك إلى ذكر أصناف الأحجار ومعادنها وخواصها وفضائلها ، حتى استغرق المجلس ، واشتمل عليه دون من كان فيه من الرؤساء والعلماء ، فمن أين علم ذلك ؟ قلت : من كتاب هو عندك . قال : فما هو ؟ قلت : كتاب الأحجار ، ولكن حفظ أبو العباس وأنسيت أنت . قال لى : أحب أن تخبئنى لنخبرجه .

وحدث أبو الحسن الروذبارى قال : مرَّ أبو العباس بن الفرات فى طريق له

(١) الفيروزج : نوع من الجواهر الكريمة .

على أرحاء عبد الملك وقد عطش ، فنظر إلى باب رحبة فيها دُكَّان ، عليه شيخ كبير اللحية ، نظيف البزّة ، له رُوءاء وهيئة ، يعرف بالمرى ، فقال لأحد غلمانه : استسق لنا من هذا الشيخ ماء . ففعل الغلام ، وقام الشيخ مسرعا ، فجاء بثلجينة نظيفة فيها ماء بارد ، فشرب وانصرف أبو العباس إلى منزله ، فلم ينزع خُنه حتى أنفذ من سأل عن خبره ، فتعرّف اختلال حاله ، فأمر بحمل مائتي دينار إليه ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير برسم الكتّاب ، فما زال يقبضها حتى مات .

وحدث أبو بشر بن فرجويه في وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية قال : بينما نحن في ليلة من الليالي الشتوية نعمل ؛ إذ خرج إلينا من حضرة الوزير أبي الحسن توقيعٌ بخطّه مع خادم من خدمه ، وقد مضى من الليل قطعة ، يقول فيه : خرجتُ يا أبا بشر - جُعِلتُ فداك - لأهريق الماء ، فوجدت ريحاً قد هبّت فوقت حتى عرفتها ، وهي ريح إذا نشأت مرّت على السُّكر^(١) الفلاني من أنهار الجامدة وأفسدته وقطعته ، فاكتب الساعة إلى وكيلنا بهذه الناجية ، وإلى ابن المشرف المهندس في المصير إلى الموضع ومراعاته ، وإصلاح شيء إن كان اختل منه ، وإعداد آلة عتيّدة تكون عنده ، ووَكِّدِ القول في ذلك غاية التأكيد ، ولا تعتمد على حامد بن العباس فيه ، فإنه لا يهتمّ به . وقد انخدعنا عندنا حتى كتبتُ الكتُب .

ومن طريف أحاديث أبي الحسن بن الفرات في معرفته بالأمر ما حدّث به أبو عليّ الحسن بن حمدون ، فإنه قال : كنت مع يوسف بن ديوداد بنواحي باب الأبواب^(٢) ، وهو السدّ الذي كان أنوشروان عمله بين الخزر وأرض فارس ، وطول

(١) السكر : السد .

(٢) في الاصل الباب والابواب ، وانظر معجم البلدان : باب الابواب .

السور مسيرة يوم ، وله مروحة في البحر طولها ستمائة ذراع ، تمنع مراكب الحزرم من الدخول ، والباب من حديد ، والسور من حجارة مهندمة ، في كل حجر ثقبان فيهما عمودان من حديد ، قد صُبَّ عليهما الرصاص ، والمروحة التي في البحر على هذا العمل . فاتفق أن سقطت هذه المروحة ، ودفعت يوسف بن ديوداد الضرورة إلى أن قصد الموضع ، ونزل عليه لإصلاحه ، وجمع المهندسين وذوى الخبرة بالأعمال ، فقدروا له ستين ألف دينار تنفق على إعادة المروحة . وكتب إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات يعرفه الخبر ، ويمتدح إليه من تأخير المال الذى واقفه عليه بهذا الحادث الذى حدث في هذا الموضع ، فوالله ما كان إلا مقدارُ مسافة الطريق حتى ورد علينا كتابُ ابن الفرات يقول فيه : فهت كتابك - أطال الله بقاءك - بما شرحته من حال المروحة الساقطة ، وما قدّر لها من المال للنفقة . وقد قرأنا في الأخبار أن أنوشروان لإشفاقه على هذا الموضع أعد له ما يكفيه ، فأحضر مشايخ أهل البلد وذوى الأسنان العالية منهم ، وسألهم هل سقطت المروحة قبل هذه الدفعة ؟ فإن كانت سقطت فقد استعملت الآلة فيها ، وإن كانت لم تسقط فاطلب الآلة وسل عنها فإنك تجدها ، وعرفنى ما يكون منك إن شاء الله .

قال ابن حمدون : فلما ورد الكتاب على يوسف أحضر المشايخ وسألهم عن ذلك ، فلم يجد أحداً يذكر أو يخبر أن هذه المروحة سقطت قبل هذه الدفعة ، وسألهم عن الآلة وموضعها فلم يكن فيهم من يعرف حديثها إلا رجلٌ منهم فإنه قال : سمعت مشايخي يتذاكرون خبرها ، وأنها مدفونة على قرب من المروحة . فلم يزل يفتش عنها حتى وجدها وأخرجها ، فكانت كاملة من حجارة منحوتة منقوبة ، وأعمدة من حديد مفروغ منها ، ورصاص وسائر ما يحتاج إليه ، فاستعملها ، ولم يؤد من المال إلا قدر أجرة الصنّاع .

وحضر أحد العمال بحضرة أبي الحسن بن الفرات . فلما ناظره على ما أَرادَه
يَذْهَبُ فِيهِ وَلَمْ يَجِيءْ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنْ كُنْتَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَتَكَ عَلَى شَرْطِ أَنَّكَ
كَاتِبٌ فَقَدْ بَانَ مِنْكَ وَحَرَمْتَ عَلَيْكَ ، لِأَنَّكَ خَلَوْتَ مِنَ الصَّنَاعَةِ مُنْسَلَخٌ مِنْهَا .

وَمَا تَقَلَّدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفِرَاتِ الْوِزَارَةَ قَالَ أَبُو أَحْمَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
طَاهِرٍ : مَا افْتَقَرَتِ الْوِزَارَةُ إِلَى أَحَدٍ قَطُّ مِثْلَ افْتِقَارِهَا إِلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْمُتَقَلِّدِ ، عَلَى أَنَّهُ
لَمْ يَتَجَدَّدْ عَلَيْهِ مِنْهَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ ، فَأَمَّا أَعْمَالُهَا فَازَالَتْ دَائِرَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ
أَخِيهِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُ بَوْمَا إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَأَيْتُهُ يَقِفُ
عَلَى الرَّقَاعِ ثُمَّ يَرِي بِهَا إِلَيْهِمَا ، وَيَنْظُرُ مَا يَقُولَانِ فَيَأْمُرُ بِهِ ، حَتَّى ذَكَرْتُ قَوْلَ الْقَائِلِ :

خَلِيْفَةُ مُقْتَسَمٍ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُغَا

يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ كَمَا يَقُولُ الْبَغَا

وَقَالَ خَفِيفُ السَّمَرْقَنْدِيِّ : لَمَّا قَامَ ^(١) الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ وَاسْتَوَزَرَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ
قَالَ لَهُ : قَدْ دَقَفْتَ إِلَى مُلْكَا مُخْتَلًا ، وَدُنْيَا خِرَابًا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ ارْتِفَاعَ
النَّوَاحِي لِأَجْرِي النِّفَقَاتِ وَالرَّوَاتِبَ عَلَى مُوجِبِ ذَلِكَ ، فَاعْمَلْ بِهِ عَمَلًا مَشْرُوحًا ،
وَأْتِنِي بِهِ وَمَجَلَّهُ . فَخَاطَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ كُتَّابَهُ وَأَحْسَابَ دَوَائِبِهِ عَلَى ذَلِكَ فَوَعَدُوهُ
وَاسْتَنْظَرُوهُ . وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا الْفِرَاتِ مَحْبُوسَيْنِ مُصَادَرَيْنِ ، وَعَرَفَا
مَا التَّمَسَّهُ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ فَبَدَّلَا الْقِيَامَ بِهِ وَالْفِرَاقَ مِنْهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَوَقَّيَا بِذَلِكَ وَبَلَّغَا
الْمُرَادَ مِنْهُ . وَعَلِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنَّ الْخَبْرَ سَيُصَلُّ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ فَكَلَّمَهُ فِيهِمَا وَاسْتَأْذَنَهُ فِي
اسْتِخْدَامِهِمَا وَالْإِسْتِعَانَةَ بِهِمَا .

وَحَكَى أَبُو بَكْرٍ الصَّوَلِيُّ قَالَ : خَاطَبَ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ الْمُنْجَمُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفِرَاتِ
فِي أَبِي حَاتِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاتِمِ الْمَرْزُوقِيِّ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَيَخَافُ التَّتَبُّعَ

(١) انظر الخبر في ابن خلكان ترجمة علي بن محمد بن الفرات .

لأجل رِزْقِهِ ، وسأله إسقاط جَارِيهِ ، والإِذْنَ له في الخروج الذي اعترمه . فضحك وقال : ما أوجبتُ له في الرزق فأَقَطَعَهُ ، ولو كنتُ موجِباً له لما رآني اللهُ وأنا أُوَقِّعُ بقطع رزق أحدٍ ، فإن شاء فليَقِيمِ ، وإن شاء فليُخْرِجِ .

ودفع أبو الحسن إسماعيل القاضي إلى أبي الحسن بن الفرات رُقْعَةً ذَكَرَ فيها أن ضيعة الفلانية قطعةٌ ، وقد تأوَّلَ عاملُ الناحية عليه وادَّعى أنها إستان (١) . فلما وقف عليها قال : هذه الضيعة كانت في إقطاع زبيدة ، وانتقلت إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبى ، وباعها ابنه محمد ، فاشتراها ابنُ فلان السى (٢) وتوفى فصار لورثته فقال له أبو الحسن : أنا اشتريتها من ابنه فلان . قال : فما فعلت حصّة أخيه ؟ قال : لولده ، وهم شركائي فيها . فَوَقَّعَ إلى العامل : هذه الناحية من القطائع القديمة ، فأَمْضَاهَا على رَسْمِهَا ولا تَعْرِضْ لها . فعجب الناس من حِفْظِهِ ما حَفِظَهُ .

وحدث أبو الحسن أحمد بن العباس بن الحسن (٣) قال : كنت محضرة الوزير أبي أحمد والدى (٤) وعنده كُتَّابُهُ ، وهو يتصفح رِقَاعاً بين يديه ، فرمى واحدة إلى محمد بن داود ، وكانت من صاحب الخبِرِ . فلما قرأها محمد اضطرب وقال : كَذَبَ كَاتِبُهَا أيها الوزير . قال له وماذا يكون لو صدق ؟ ثم رمى بأخرى إلى أبي الحسن على بن عيسى تتضمن ذِكْرَ ماله من الغالَتِ بسوق الطعام فتغير وجهه وارتدَّ لونه وقال : كذب كاتِبُهَا أيها الوزير والذى لى في الأحراز هناك دون المبلغ المذكور . ورمى إلى محمد بن عبدون بثالثة فقرأها وجحد ما فيها . ثم رمى رابعة إلى أبي الحسن بن الفرات فلما نظر فيها ضحك وقال له : أنا أذكر ما عندى في معناها . وجلس إلى أن

(١) إستان : أى أنها يسرى عليها من الحراج ما يسرى على أهل البلد .

(٢) غير واضحة في الأصل

(٣) توفى سنة ٣٠٥ انظر صلة عريب حوادث ٣٠٥

(٤) يريد به والده العباس بن الحسن الوزير الذى قتل سنة ٢٩٦ .

تَقَوَّضُ (١) المجلس ولم يبق عند أبي غيبري ، ثم قال له : قد كذب صاحب الخبر أيد الله الوزير ، فإن لي بسوق الطعام وعند الباعة أضعاف ما ذَكَرَهُ ، فإن كان قوله في غيبري مثل قوله في قَدْحِ حَابِي وصانع وكذب ولم يَصْدُقْ ، وأنا مُسْتَعْنٍ عن جميع ما أشرتُ إليه ، ومستظهِرٌ على الزمان بأكثر منه ، والله الحمد والمِنَّة . بلى ، لي إلى الوزير حاجة أسأله الإنعام على بها . قال : ما هي ؟ قال : لا أقولها إلا بعد أن يَشْرطَ لي الإجابةَ إليها . قال قد شرطتُ وفعلتُ ، قال : عندي خمسمائة ألفِ دينار أنا في غناها عنها ، فليأذن لي الوزير في أن أبنى بها داراً لأبني الحسن ، وأبتاع له ما يحتاج إليه فيها وأجعل ما يبق من المال في خزائنه ، فإنه في دار الوزير ، وموضعه ومكانه يقتضيان إفرادَه بدارٍ وأثاثٍ وَتَجَمُّلٍ وَحَالٍ . فقال له أبي : بل يزيدك اللهيا أبا الحسن ويضاعف مالك وحالك ويريني لك في الشهر الواحد ضِعْفَ ذلك ويجريه على يدي في قضاء حَقِّكَ . فقال له نقض الوزير شرطِي ، وأخلف وعدِي ، وما أقنع منه إلا بالوفاء . فجعل يشكره ويدافعه وأبو الحسن مقيم على أمره ومُخْلِجٌ في سؤاله ، ثم قام على رجليه وأخذ يضرع إليه ويكرر القول عليه ، حتى قال له : قد قبلتها فلتكن لي قِبَلِكَ إلى أن أعرَّفَكَ من بعدُ رأيي فيها . فعند ذلك أمسك وانصرف . وأقبل أبي يقول لي بعد خروجه : ما أعلم أن الله تعالى خلق مثل هذا الرجل في سَعَةِ نفسه ، ولا مثل أولئك في ضيق نفوسهم وجحدهم القليل مما نُسب إليهم ، واعتراف هذا بأضعاف ما ذَكَرَ أنه له ، ثم بذله إياه هذا البذل من نِيَّةٍ خالصة صادقة . ثم أخذ أبي ينشد ويردد :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي طُلُوحٍ لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ مِنْ يَسُودٍ

قال أبو الحسن : ودخل جدِّي ونحن في ذلك ، فخذته بما جرى ، وقال له : قد

والله سَرَّني ما شاهدتهُ منه ، وعلمت أنه رَدَّه (١) للملك ومَفَزَع متى دعته إليه حاجة .
قال : وكان أبي رُبَّما يمازحه ويقول له : ما خَبِرَ تلك الجارية ؟ فيقول : أ كَمَلُ
ما كانت ، أفيأذن الوزير في حملها ؟ فيقول لا بل تكون على حالها .

وعرض عليه في وزارته الثانية - وقد جلس للمظالم - رجل عُمرِيٌّ رُقْعَةٌ تَتَضَمَّنُ
شكوى حاله ورقعتها ، وأن عليه دينًا قد ضاق دَرْعُهُ به ، وعلى ظَهْرِها توقيعُ أحدِ
الوزراء بأن يُقضى دينُه من مال الصدقات ، فقال له : يا هذا ، إن مال الصدقات
لِأَقْوامِ بأعيانهم لا يتجاوزهم ، ولقد رأيت المهتدي بالله رحمة الله عليه وقد جلس
للمظالم ، وأمر في مال الصدقات بما جرى هذا الجرى ، فقال له أهلها : ليس لك
يا أمير المؤمنين ذلك ! فإن حَمَلْتَنَا على أمرنا وإلا حَاكَمْنَا إلى قضائك وفقهائك .
فحَاكَمَهُم فحاصموه . وإن شئت أنت حَاكَمْتِك . فقال له العمري : لا حاجة لي إلى
المخاصمة . قال : الآن نعم أواسيك وأقضى دينك . وفعل ، وكان مبلغه خَمْسَمِائَةَ
دينار .

وحدث محمد بن داود بن الجراح قال : قال ابن أبي بدر وغيره : أشدنا أبو
العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات لنفسه :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهُوَى فُحِصَلْتَهُ وَعَلَّمَكُمُ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظَلَمِي
وَأَعْلَمَ مَالِي عِنْدَكُمْ فَيُرِدُّنِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِ فَأُقْصِرُ عَنْ عِلْمِ
وله أيضا :

لَا تَلْحَقْنِي لَسْتُ سَامِعَ الْفَنَدِ (٢) عَدَلْتَنِي بِي عَنْ مَنَاجِجِ الرَّشَدِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَضْطَبِرْ لِحَادِثَةِ فَالْصَبْرِ فِي الْحَادِثَاتِ مِنْ عُدْدِي

(١) الردء : الناصر والمون .

(٢) الفند : الكذب أو الخطأ في القول .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية بمحضرة أبي منصور ابن جبير : تأملت ما صار إلى السلطان من مالي فوجدته عشرة آلاف ألف دينار وما أخذت من الحسين بن عبد الله الجوهري^(١) فكان مثل ذلك . إلا أن فيما أخذ من الجوهري متاعاً وجوهرأ .

وللقاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول في أبي الحسن بن الفرات في وزارته الثالثة :

قُلْ لهذا الوزيرِ قولَ مُحِقِّ بِشَّه النَّضْحِ أَيْمًا إِبْنَاتِ
قد تَقَلَّدْتَهَا سَرَارًا ثَلَاثًا وَطَلَّاقُ الْبَنَاتِ عِنْدَ الثَّلَاثِ

ووقع بيدي ثبت^٢ أخرج من ديوان المغرب في أيام الراضي بالله بما أخذه الحسن ابن علي بن محمد بن الفرات من الخطوط ممن قبض عليه وصادره في أيام وزارتهم الثالثة ، نسختها :

أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامي عن النصف ممن بقى عليه من مصادرتة في سنة ثلاثمائة ، سبعة^(٢) آلاف وثلثمائة دينار .

علي بن الحسن الباذينبي الكاتب عما تولاه بالموصل أحد عشر ألف دينار :

أبو الفضل محمد بن أحمد بن بطام ، خمسين ألف درهم .

محمد بن عبد الله الشافعي عما تصرف فيه لعلي بن عيسى ، ثلاثين ألف دينار .

محمد بن علي بن مقله عما تصرف فيه ، ثمانين ألف دينار .

محمد بن الحسن المعروف بأبي طاهر . مائة ألف دينار .

الحسن بن أبي عيسى الناقد عما ذكر أنه ودبعة^٣ لعلي بن عيسى ، ثلاثة عشر

ألف دينار .

(١) هو المشهور بابن الجصار وقد تقدم ذكره .

(٢) نصبت على : أخذته .

ومن الحسن بن أبي عيسى صلحاً عن نفسه ، أربعة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي ، عشرين ألف دينار .

عبد الواحد بن عبيد الله بن عيسى عن بقية مصادرة والده ، ستة وثلاثين ألفاً
وثلاثمائة وثلاثين ديناراً .

أحمد بن يحيى بن حاني الكاتب عن مصلحة وجبت ، عشرة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد بن إدريس الجيهذ عن صلحه ، ستة آلاف دينار .

محمد بن عبد السلام بن سهل عما عنده من الوديعة لمحمد بن علي وإبراهيم بن
أحمد المادرائي ، أربعة آلاف دينار .

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله عن صلحه ، أربعين ألف دينار .

علي بن حسن الباذيبي صلحاً عما تصرف فيه بالموصل ، وقتل ، مائتي ألف درهم .

محمد بن عبد الله بن الحارث عن صلحه ، عشرة آلاف دينار .

محمد بن أحمد بن حماد صلحاً عما تصرف فيه بأعمال الموصل وغيرها وقتل بعد
أيام يسيرة ، مائتين وخمسين ألف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي عن الباقي عليه من جملة خمسين ألف دينار ، خمسة عشر
ألف دينار .

أبو عمر محمد بن أحمد ، بن الصباح الجرجرائي عن ضمانه الباقي من مصادرة أبي
ياسر إسحاق بن أحمد ، مائة ألف درهم .

أبو عمر بن الصباح أيضاً عن الباقي على أبي العباس أحمد بن محمد بن علي
الجرجرائي المعروف بقرقر ، ثلاثة آلاف دينار .

علي بن محمد الحواري ، وقيل ، سبعمائة ألف دينار

عبيد الله بن أحمد اليعقوبى ، مائة ألف درهم
هارون بن أحمد بن هارون الهمداني ، سبعة آلاف دينار .
الحسن بن إبراهيم الخرائطي صلحا عما اقتطعه من مال الرئيس ، مائة ألف درهم
الحسين بن علي بن نصير أخو نصير بن علي ، مائة ألف درهم .
عبد الله بن زيد بن إبراهيم ، ألفين وخمسين دينارا .
ومن عبد الله بن زيد صلحا عن نفسه ، خمسة عشر ألف دينار .
علي بن محمد بن أحمد بن السمان عن ورثة قرقر ، ألفين وخمسة مائة درهم .
علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي كاتب ابن الحواري ، وقتل ، ستين
ألف دينار .

أبو بكر أحمد بن القاسم الأزرق الجرجاني عن ضياع علي بن عيسى ، عشرة
آلاف درهم .

الحسين بن سعد القطرثلي ، مائة وثلاثين ألف درهم .
محمد بن أحمد بن ماسراد^(١) ، ألف ألف وخمسة مائة ألف درهم .
أبو الحسن محمد بن أحمد بن بسطام ، ثلاثة آلاف ألف درهم .
أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ، خمسين ألف درهم .
يحيى بن عبد الله بن إسحاق عما تصرف فيه مع حامد ، سبعين ألف دينار
حامد بن العباس ، وقتل ، وثلاثمائة ألف دينار
محمد بن محمد بن حدون الواسطي ، مائة وخمسين ألف دينار .
أبو الحسن علي بن عيسى ثلاثمائة ألف وأحدا وعشرين ألف دينار .

(١) غير واضح في الأصل .

إبراهيم بن يوحنا جهيد حامد بن العباس ، مائة ألف دينار .
أبو محمد الحسن بن أحمد المادرائي ، ألف ألف ومائتي ألف دينار ومنه أيضاً
بمخطِّ آخر ، ألف ألف دينار .
أبو بكر محمد بن علي المادرائي ، ألف ألف دينار وألف دينار وبمخطِّ آخر أيضاً ،
عشرة آلاف دينار .

سليمان بن الحسن بن مخلد ، مائة وثلاثين ألف درهم .
فذلك من العين سبعة ^(١) آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً
وسمائة وثمانين ديناراً ومن الورق خمسة آلاف وثلاثمائة ألف درهم ^(٢) .
قيعة الورق عينا على التقريب ثلاثمائة وثمانين ألف دينار ^(٣) .
ويكون الجميع من العين ثمانية آلاف ألف دينار وأربعين ألف دينار ^(٤) .

وحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أن منجماً أخبره أنه لم ينزل زحل
في برج الثنبلة إلا حدثت حادثة ، وقد جرت العادة بذلك على مضي الأوقات ،
ومن ذلك أنه نزل هذا البرج سنة ثمان للهجرة فكان في تلك السنة فتح خيبر
ومكة ، ونزل في سنة ثمان وثلاثين ، فكانت حرب صفين بين علي عليه السلام
وبين معاوية ، ونزل في سنة ثمان وستين وكان فيها حرب المختار وعبد الملك
وقصة عبد الله بن الزبير ، ونزل في سنة ثمان وتسعين فمات سليمان بن عبد الملك

(١) الجملة هي ٦/٥٧٥/٦٨٠ ولعله نسي مليوناً في ذكره لمصادر الأشخاص أو أن الكلمة
حرفت من ستة إلى سبعة .

(٢) الجملة هي ٥/٤٧٢/٥٠٠ ولا شك أن هناك سقطاً في أرقام آلاف الدراهم فتلازم على
ابن محمد بن أحمد بن السمان وهو ٢٥٠٠ درهم مبلغ قليل في المصادر ولم يذكر في الجملة للدونة
في الكتاب رقم مئات .

(٣) معنى هذا أن الدينار عندهم كان يساوي أربعة عشر درهماً تقريباً .

(٤) على حسابه السابق تكون الجملة ٧/٩٥٥/٦٨٠ وعلى ما جمناه تكون الجملة ٦/٩٥٥/٦٨٠ .

وانتقل الأمر إلى عمر بن عبد العزيز ، ونزل في سنة ثمان وعشرين ومائة فظهر أبو مسلم وجرت قصة مروان بن محمد . ونزل في سنة ثمان وخسين ومائة فمات المنصور ونزل في سنة ثمان وثمانين ومائة فأوقع الرشيد بالبرامكة . ونزل في سنة ثمان عشرة ومائتين فتوفى المأمون . ونزل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فتوفى المنتصر وقتل المتوكل . ونزل في سنة ثمان وسبعين ومائتين فتوفى الموفق . وحدث من الأمور ما حدث .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : لما توفى أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات أحضر المكتفي بالله القاسم بن عبيد الله وسأله عنه ، فعرّفه وفاته وعزّاه عنه ، واستأذنه فيمن يُقلده الديوان مكانه ، فأعلمه ما كان يسمعه من المعتضد بالله أبيه في وصف بني القرات وذِكْرِ كفايتهم ، وأمرَ بإقرار أبي الحسنِ على دواوينه ، وسمع خفيفُ السمرقندي ذلك فأنفذ إلى أبي الحسن سراً فطالعه وهو جالس للعزاء عن أبي العباس أخيه ، وأعلمه أنه أمرٌ يجب كتابته إلى أن يظهر من غير جهته ، وأنفذ إليه القاسمُ أبا عليّ وأبا جعفر ابنيه مُعزّيين له ولأبي محمد الفضل وأبي الخطّاب العباس وأبي جعفرِ محمد بن أبي العباس ، وسار إليه وإليهم أبو أحمد العباس بن الحسن وأبو الحسين ابن فراس ، مُعزّيين ، ولم يبق أحد من القواد والكتّاب والقضاة وسائر الطبقات إلا فعل مثل ذلك . فحضر أبو الحسن بنُ القرات بعد انقضاء أيام العزاء الديوان ، ونظر في الأعمال ، وأمضى ما كان تأخر إمضاؤه منها . وكان في نفسِ القاسم من أبي العباس وأبي الحسن ما لا يتمكّن من إظهاره في حياة أبي العباس ، فلما توفى عاودَ محمد بنُ عبدون الواقعة في أبي الحسن ، وأغرى القاسم به ، وحمله مع عِلته على مطالبته بما كان أخرج عليه . فأمر بإحضار الأعمال التي كانت حُمِلت له ، وجلس للنظر فيها ، ومواقفه عليها في يوم الثلاثاء قبل وفاته بثمانية أيام ، وأقبل ينظر أبا الحسن

وهو وقيد^(١) من علته ويسم الروائح الطيبة طلباً للتماسك في قوته . فلما زاد ما يجده أشار عليه إسحاق بالإسك لئلا يزيد احتداد طبعه ، ودعا بقاء ورد فرسه على وجهه وانقضى المجلس . واشتغل القاسم بنفسه وتوفى في يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين بعد أن كاتب المكتفي بالله ، وعرفه اشتداد مرضه وبأسه من برئه ، وأشار عليه بالتعويل في مكانه على العباس بن الحسن كاتبه ، ووصفه بما رغبه فيه به . وكانت فارس الداية على عناية بأمره ، لأن القاسم استكتبه لها فأحسن خدمتها ، فأشارت على المكتفي بالله - وكان كثير القبول منها - بالتعويل عليه ، والتفويض إليه ، ففعل . وخرج المكتفي بالله إلى سمر من رأى ، ومعه العباس ابن الحسن ، وهو معتقد للقبض على أبي الحسن بن الفرات هناك . فذكر أبو عبد الله زنجي أنه خرج متبعماً لأبي الحسن بن الفرات ، فلقى أبو القاسم ميمون بن إبراهيم المادرائي منصرفاً عن وداعه ، وسأله عن مقصده ، فعرفه أنه لاحتق بأبي الحسن ابن الفرات ليكون معه ؛ فأشار عليه بالعود إلى منزله وأوحى^(٢) إليه بإشفاقه من حادث يحدث عليه . قال : فقلت : لا يحسن التأخر عنه ، وكفاية الله من دون ما يشفق منه^(٣) وسار المكتفي بالله والعباس بن الحسن وأبو الحسن بن الفرات ، وأنا في الصحبة ، ووصلنا إلى الأحدي وليس مع أبي الحسن من كتابه غيري وغير أبي منصور بن جبير .

فلما كان في بعض الأيام حضرت عنده على رسمي ، وقدم الطعام ، ودعاني إليه فامتعت وقلت : إنني صائم . وسألني عن سبب ذلك وألح ، فعرفته أتى رأيت

(١) الوقيد : من معانها الشديد المرض .

(٢) في الأصل : وإراح يقال : أوحى إلى فلان : كلمه بكلام يخفيه عن غيره .

(٣) يعني أنه يدعو له : بأن تكون عناية الله وكفايته حائلة دون ما يخاف منه .

في المنام أبا العباس أخاه وهو يقول لي : قل لأبي الحسن أخي : لَسْتَ تَقَمُّ بَعْدَ
هذا اليوم .

فسر بما حدثته به وقال : أنا أحقُّ بالصوم . وأمر برفع المائدة وجلسنا ،
فنحن في ذلك حتى وافاه خادم أسود مسرعٌ قد علا وجهه الغبارُ ، فدنا منه
وسارّه ثم انصرف . والتفت أبو الحسن إلى وقال : قد حقق الله رؤياك ،
هذا رسول خفيف السمرقدي يُملِّني عن خفيف أن أمير المؤمنين
المكتفي بالله ركب في هذا اليوم يتصيدٌ ومعه العباس بن الحسن ، وأنه قال له :
إن جماعة من الكتاب قد غلبوا على ضياع للسلطان ، وعليهم من حقوق بيت المال
ما يحتاج معه إلى القبض عليهم وارتجاع ما حصل في أيديهم . وأذن له في تدبير
أمرهم بما يراه ، قال : فلما انصرف دنوت من أمير المؤمنين وقلت له : إنما أراد العباس
— بما قاله لك — أبا الحسن بن القرات ، وأن المتضد بالله كان يؤثقه ويوثق أبا العباس
أخاه ، ويعول عليهما في تدبير الأعمال وحفظ الأموال . فقال لي : إذا كان الأمر
على ذلك فبادر إلى العباس وتقدم إليه بالألّا يعرض لأبي الحسن بن القرات
ولا يُعَيِّرَ شيئاً من أمره ، ويعمل ما شاء في غيره . ففعلت وبادرت إليه بمن قال له هذا
لثلا يعجل إلى أمر من الأمور . فسجد أبو الحسن بن القرات شكراً لله تعالى
وتصدق بصدقة كثيرة . وصحح يومئذ ثلاثين ألف دينار عند صاحب بيت المال
وأخذ خطه بقبضها ، وصار إلى العباس فأعلمه أن الكلام قد كثُر والحوض قد طال
في ذكره وذكر ما كان في يده من ضياعه وأملاكه وما خدم به وكلاؤه من حقوق
بيت المال مما لا تعرف حقيقة دعاوى فيه ، وأنه صحح لبيت المال ثلاثين ألف دينار
صلحاً عن هذه القُروف^(١) المشتهية ، وحسباً لمادة الأقوال المختلفة ، وتخفيفاً عن قلب

(١) القُروف : التهم جمع قرف أو قرفة .

الوزير والاهتمام بأمره ، وسلم إليه الخط بالقبض . فأظهر العباس إنكاراً لفعله وقال له : تجلّت إلى ما وجب أن تتوقف عنه ، وتُعرّفني ذلك وعزمك فيه . وأورد جميلاً كثيراً فيما خاطبه به .

ولما لم يجد العباس طريقاً إلى ما همّ به في أبي الحسن بن القرات عدل إلى الإقبال عليه والتفويض إليه . وعاد المكتفي بالله من سفره بعد أن ضاقت صدور أصحابه وندمائه من طول مُقامه وشدة البرد الذي يلاقونه والقشْف^(١) الذي يقاسونه ، وقال يحيى بن علي المنجم أحد جلسائه :

قالوا لنا إن في القاطول مشتانا ونحن نأملُ صنعَ الله مولانا
والناسُ يأتُمرون الرأى بينهم والله في كل يومٍ مُحدثُ شأنَا

وغنّى للمكتفي بذلك ، فسأل عن قائله فقيل : يحيى بن علي المنجم . فأمر بالرحيل إلى بغداد وشكر الناس يحيى بن عليّ على شعره .

ولما حصل العباسُ بن الحسن بالحضرة عاودَ محمدُ بن داود ومحمد بن عبدون وعليُّ بن عيسى الوقيعةَ في أبي الحسن بن القرات والإغراء به ، والإطاعَ فيه ، والكلام على حاله .

قال أبو عبد الله زنجي : وحضرت مع أبي الحسن في دار العباس ، فوجدناه جالساً في مجلسه ، والجماعة المذكورون بين يديه ، إذ نهض وأقام الكتاب على انتظاره ، وخرج كاتبه فاستدعى أبا الحسن ، فدخل إليه ، ولم يشكّ الحاضرون أنه يقبض عليه . قال أبو عبد الله : واشتدَّ إشفاقى ، وزاد خوفي ، وتأخَّر عنده طويلاً . والقوم مُتسوّفون إلى علم ما جرى في أمره . ثم خرج العباس وأبو الحسن معه ، وقعد

(١) القشْف : سوء الحال ورنانة الهيئة وضيق العيش .

وأفعدّه عن يمينه ، وأقبل عليه بوجهه ، وزاد في تفرّيبه وبَسَطه ، ونظر بعضُ الجماعة إلى بعضِ واجمين بما يشاهدونه ، وتمعّجين من انعكاس ما كانوا يُقدِّرونه . ثم نهض أبو الحسن منصرفاً إلى داره ، وصَحَّبْتُهُ ، ووصل فما استقر به مجلسه حتى سألتُه عن خبره ، وما جرى عليه أمرُه مع العباس ، فقال : دعاني ودخلت إلى حجرة ما دخلت إليها من قبل ، فوجدته جالسا خاليا بنفسه وبعضِ حواشيه ، فتقدّم إلى الحاجبِ بإخراج كلِّ من يقرب من موضعه ، والجلوسِ على الباب ، ومنع كلِّ من رام الدخول ، وانفردنا جميعاً وبدأ يذكر ما يعتقده فيّ من الجميل ، وما هو عليه من المحاماة عني ، وأنه قد حُجِّل في أمرى على أشياء فوقف عنها مراعاةً لحقِّي . ثم قال : إن كان في نفسك من هذا الأمر - يعني الوزارة - شيءٌ سلَّمْتها إليك وخَلَّيت عنها لك ، على أن تحرسني في نفسي ومالي وحرَمي وولدي . فأعلمته أنني أحسن حالاً منه مع الأثقال التي عليه ، وأنتى أرجع من المالِ والنِّعْمَةِ والأَمْلاكِ والضيعة والجاه والقدرة إلى ما أستغنى به عن زيادة . وراجعتني مراجعةً بعد مراجعة . فلما رآني مُقبياً على على حالٍ واحدة قال . فإذا كان ذلك كذلك فأنا أتصور أن الأمر من بعدى صائر إليك ، وأوصيك بولدي وحرَمي ، فقلت : بل يُبقيك اللهُ ويطيل عمرك ولا يُحْجِلِي مكانك منك ، ولا يُريني سوءاً ولا محذوراً فيك . فلم يقنع إلا بأن استحلقتني ثم مدَّ يده إلى وعانقتني وقال : أمرنا الآن واحدٌ ، ويدنا واحدة ، فلا تلتفت إلى هؤلاء الكتابِ وأقوالهم ، ولا تُفكِّر في كلامهم وتشنيعاتهم ، وثِقْ بما لك عندي من مَزِيَّةِ المِرَاعَةِ وزيادة المحاماة . فشكرته ودعوت له وأعلمته قوَّةَ نفسى الآن به ، وخرجنا . فكان ما رأيتَ من فعله . قال أبو عبد الله : فسُررت كلَّ سرور بما حدثني . ثم ردَّ العباسُ بعقب ذلك إلى أبي الحسن الزمامَ عَلَيَّ عَلِيَّ بن عيسى . وأعفاه من ديوان الجيش ، وقد كان سألَ القاسمَ بنَ عبيد الله إعفاه منه فلم يفعل .

وقيل إن أبا الحسن تصدق عند إعفائه بعشرة آلاف درهم .

ولما قُتِلَ العباس بنُ الحسن . ووزر أبو الحسن بن الفرات قُبِضَ على أولاد العباس في جملة من قُبِضَ عليه . وأدخلت اليَدُ في جميع أملاكهم فحدث أبو عبد الله زنجي قال : التمس أبو الحسن بنُ العباس بن الحسن لقاء أبي الحسن بن الفرات فَمُنِعَ منه ، فألحَّ في ذلك إلحاحاً طُوْلَع به أبو الحسن فأمر بإحضاره ، فحضر وقال له : احفظ فينا أيها الوزير وصية أئينا لك وما أخذنا من عهدك . قال : ومتى كان ذلك ؟ قال : في اليوم الذي خلوت فيه معه في الحجرة ، وصرف كلَّ من كان بين يديه وقريباً منه ، وكان من حديثكما فيما تفاوضتماه كذا وكذا . قال له : ومن أين عرفت ذلك ولم يكن معنا ثالث ؟ قال : كنت في الرُّواق خلفَ الباب ، وسمعت ماجرى بينكما كلَّه . قال : صدقتَ وقد كنتُ أُسيتُ ذلك . ثم أمر بإطلاقه وإطلاق إخوته والإفراج عن أملاكهم التي تخصُّهم . ثم قدَّم بعد ذلك الدواوين . وحدث أبو عبد الله زنجي قال : حضرت مع أبي الحسن بن الفرات مجلس أبي أحمد العباس بن الحسن وهو وزير ، وبين يديه الأعمال ينظر فيها ، إذ مرَّ به كتاب من الحسن بن محمد القصرى المعروف بابن زياد - وإليه الصدقاتُ بقصر ابن هبيرة - جواباً عما كُتِبَ به من جمل ما اجتمع عنده من مالها . فلما نشره قرأ في العطف الذى وراءه : ضربتُ وجهك يا عباس بلا حَوْلٍ ولا قُوَّةٍ إلا بالله . فاستشاط غضباً واختلط غيظاً وقال : من ابنُ زياد الكلبُ حتى يلقانى بما لقي ، ويستعمل من المرأةِ وأطراحِ المراقبة ما استعمل ؟ ! ودفع الكتاب إلى أبي الحسن بن الفرات وقال له أنفذ إليه مَنْ يسجبه إلى الحضرة على وجهه ، ويعامله من المكروه بما استدعاه لنفسه ، وإذا ورد لم يبرح من الديوان إلا بعد الخروج مما عليه . وقام أبو الحسن ومضى إلى ديوانه وتصفح ما قدَّم إليه من الكتب ، فقرأه ، ولحظ في طَيِّ عنوانه

ضربت وجهك يا علي بن محمد بلا حول ولا قوة إلا بالله . فاغتاظ أبو الحسن مثل غيظ العباس وأكثر ، وأمر بإنفاذ من يجرئه من القصر إلى الحضرة ثم قال : لا ، ولكن التمسوا ثلاثة أنفس من المستحئين الغلاظ الفظاظ وأنفذهم إليه وواقفهم على ألا يفارقوه إلا بعد تصحيح ما عليه ، وأوجبوا لكل واحد منهم في اليوم دينارين يأخذونها منه . قال أبو عبد الله بن زنجي : والتفت إلي وقال : اكتب لهم منشورا ينفذون به ، وندب من يخرج ، وكتبت المنشور ، وحمل إلى حضرته مع غيره مما كنت كتبت ، فأول ما وقع بيده المنشور ، فأخذه وقرأه وعزله إلى جانبه ، وأقبل يقرأ ماسواه إلى أن استغرق قراءة الجميع . ثم قال لي وأنا جالس بين يديه : قد والله يا أبا عبد الله - ضرب ابن زياد وجهنا بشيء لا تقدر معه على أن نسيء به ، خرقت المنشور وأضرب عن إنفاذ المستحئين ، واكتب إليه أن يعجل حمل ما عليه ولا يجوز إلى إنفاذ من يقيم عنده ويُتقل عليه مؤنته . ففعلت ذلك ، ومضى الأمر عليه ، ولم يعد من العباس فيه قول .

ووجدت نسخة ما كتب به أبو الحسن بن القرات عن نفسه إلى ولاية البلاد عند تقلده الوزارة وزوال فتنة عبد الله بن المعتز فكانت :
نعم الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدد في سائر أوقاته ، وتتوكد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه وناصره لأوليائه ، والله سبحانه وتعالى يُعينه على أداء حقها والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من جلة الكتاب والقواد ووجوه الغلمان والأجناد حسدوا أبا أحمد العباس ابن الحسن - رحمه الله - على محله ومنزلته ، وما قام به لأمر المؤمنين - أيده الله - من عقد بيعته ، فسعوا في إتلاف مهبته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبد الله ابن المعتز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وشيعته ، وحسن لهم الخروج عن طاعته ، فكثروا ومرقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف

الفتنة ، وأضرموها نيرانها ، وأظهروا أعلامها . وتفرد الحسين بن حمدان بأبي أحمد
 قتلته ، وَثَنِي بِفَاتِكِ الْمُعْتَضِيَّ فَأَتَلَفَهُ ، وقصد المارقون دار الخلافة ، ووصلوا
 إلى جدرانها ، وجرقوا عِدَّةً من أبوابها ، ووفق الله الغلمان الحُجْرِيَّةَ والخدم
 والأولياء المصافيَّةَ لمازلتهم ومحاربتهم ، فانصرفوا مغلولين . واجتمعوا إلى عبد الله
 فعاقبوه وبايعوه ، وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووارزه محمد بن داود بن الجراح
 على ضلالتة ، وصَبَّحَهُمْ ^(١) من غلمان أمير المؤمنين أدام الله تمكينه وخاصته وذوى
 البأس من رعيته من حَسَنِ دِينِهِ ، وخلص يقينه ، فتحصَّنوا بالإبعاد في الهرب
 لما خافوه من شِدَّةِ الطَلْبِ ، وأسیر جماعة من أصحاب عبد الله بن المعتز وكتَّابه ،
 منهم : يُمَيْنُ الكَبِيرُ ووصيف بن صُوارتَكين وخطار مش ^(٢) وعلى اللبثي ومحمد
 الرقاص وسرخاب الخادم ، وأبناء دميانة ومحمد بن عبدون وعلى بن عيسى بن داود
 ابن الجراح ومحمد بن سعيد الأزرق والمعروف بأبي المثنى ^(٣) ، ومحمد بن يوسف
 المكنى أبا عمر ، وحلوا إلى دار أمير المؤمنين ، وحصلوا في أعظم البؤس ، وأضيق
 الحبوس . ولما خمدت النائرة ^(٤) ، وسكنت النائرة ، استدعاني أمير المؤمنين - أطال
 الله بقاءه - وأوصلني إلى حضرته ، وخصني ببره وتكريمه ، وفوض إليّ تدبير
 مملكته ، وقلدني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع عليّ خِلْعاً ألبسني بها جلالاً وقدرًا ،
 وجمالاً وفخراً ، وعُدَّتْ إلى داري مغموراً بإحسانه ، مثقلاً بأياديه وامتنانه ، وأسأل الله
 معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاه وإرادته بمنه ورحمته . وقد أُوْبِقْتُ عبد الله

(١) في الأصل : صبحهم . وأضاف إليه الناشر الأول كلمة «ما» فصارت : وما صبحهم ، لكن صبحهم
 هي التثنية مع المعنى بدون زيادة على أنه قد سبق مثل هذا الخطاب في صفحة ١٠٠ وفيه :
 وما صبحهم .

(٢) في تجارب الأمم ٧/٥ خرطامش ولم يرد في الخطاب المشار إليه في صفحة ١٠٠ .

(٣) هو القاضي أحمد بن يعقوب كما في تجارب الأمم ٧/٥ .

(٤) النائرة : الفتنة والمداوة .

ابن المعتز ذنوبه ، وأسلمته عيوبه ، وحصل في قبضة صافي مولى أمير المؤمنين مأسورا مهورا . وأوجبت الحال إطلاق صلي للأولياء وافرة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة متشاغل وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أجل مجاريها ، وأفضل المحاب فيها ، والحمد لله رب العالمين . وعرفتك ما جرى لتعلمه أهل عمك وتزداد اجتهادا إلى اجتهادك ، وكفاية وغناء على كفايتك وغنائك ، وتكتب بما يكون منك في ذلك إن شاء الله .

وكان أبو الحسن بن الفرات خاطب محمد بن داود وهو يتولى عطاء الجيش فيما يطلقه بغير صك ولا حجة ، وأخرج عليه مما أطلقه من بيت المال بصككين مثبتين مكررين مائة وعشرين ألف دينار ، واقفه على ذلك بحضرة العباس موافقة اعترف بها محمد بن داود ، واعتذر بالسهو في فعله . وجدد ذلك أن أمر العباس صاحب بيت المال بالأطلاق شيئا في إعطاء وإنفاق إلا ما عرفه أبو الحسن وأذن فيه ، وثبتت علامته على الصكك به ، وكان مما قاله أبو الحسن لمحمد بن داود : أنا أجمع الأموال وأحصلها وأتم تفرقونها وتفرطون فيها ! فقال له محمد : التفریط والتضييع كان في أيامك - يعني أيام نظره في ديوان الجيش - فقال له أبو الحسن : قد كنت أحد كتابي إذ ذاك وفي بعض مجالس الإطلاق ، فإن عرفت خيانة فاذا كرها أو إضاعة فاستدركها . وقال له العباس . حالك يا أبا الحسن في الضبط والاحتياط معروفة ، وطريقتك في الاستيفاء والاستقصاء معلومة ، وما بك إلى هذا القول حاجة .

وكان أبو الحسن على بن عيسى حضره بحضرة العباس بن الحسن لمناظرة أبي الحسن بن الفرات على ما كتب به إبراهيم بن عيسى ومحمد بن عيسى العرمم أخواه في ضيعة أبي الحسن بن الفرات بكورة كسكر ، وضياعه بناحية الأجتين وما غير

من معاملتها وخفف من مقاسمتها . فلما بدأ علي بن عيسى يذكر ما كتب به أخواه وأورده قال العباس بن الحسن لأبي الحسن بن القرات : ما عندك يا أبا الحسن في ذلك ؟ قال له . ما أعرف من أمر ضياعي شيئاً ، لأن العمال قد أدخلوا أيديهم فيها منذ نيفٍ وعشرين شهراً ، وأخذوا الحقوق السلطانية فيها على ما أرادوه واقترحوه منها ، وما تكلمت ولا نظمت انصراف قلبٍ عنها ، ولكنه قد وجب على محمد بن عيسى من ثمن الأرز بالسبيين أكثر من ثمانية آلاف دينار لا عذر ولا حجة له في دفعها ، ولما كاتبته بجمعها والخروج منها كتب في أمر ضيعتي بما كتب ، والأمر للوزير ، وهو أعلى عيناً فيه . فأمر العباس عند سماعه ذلك بإفناذ من يستحث محمد بن عيسى فيما أخرج عليه ، ويطالبه بالخروج منه ثم صرفه من بعد . وتقدم إلى أبي الحسن بن القرات بأن يعمل له عملاً يستقصى النظر فيه ويكشف أمره فيما تولاه وقام به . وقال له أبو الحسن : ومما أسأله صرف جعفر أخى عما يتقلده ، فإن علي بن عيسى قد قصده وأنفذ إليه من المستحسين من ثقل به عليه ، وإذا انقطعت المعاملة بينه وبينه زال بذلك تسوقه عليه وعلى به . فأجاب العباس إلى صرفه .

وكتب أبو الحسن بن القرات إلى عامل طريق خراسان مما تولاه بيده : قد اشتهرت بأحكام الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، في الخراج مذ انتصحت نواحيه ، ووُضعت الطسوق فيه ، بالرسوم الجارية والشئ الباقية التي سبها أفضل سلف ، وعمل بها أعدل خلف ، ليس في شيء منها حكاية مختلفان ولا طسقتان متفاوتان ، في صقع واحد ، لسلم أو معاهد . وبطريق خراسان وكلوذاي ونهرين معاملات محطوة الوضائع ، في الإستان والقطائع ، لطائفة دون أخرى ، سبها ما شرطه محمد بن جعفر في سني ضمائه . وأحق الشروط عند الفقهاء بالإبطال ،

ما يجرى على سبيل حيلة وإدغال^(١) ، فانقضى كل شرط ورسم يعودان على مال السلطان - أعزه الله - بنقض أو نلم ، واستوف خراج ذلك على أكمل طسوقه ، وأفضل حقوقه ، حتى تنحسم تلك الأطباع ، ويتوفر على يدك الارتفاع إن شاء الله . وكتب للنصف من رجب سنة ست وتسعين ومائتين .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في أول مرة أجرى كلاً من حجابيه وكتابه وأصحابه على رسمهم ، وأقرم على ما كانوا يقولونه من أمره ، ولم يستبدل بهم ، ولا استزاد فيهم ، لا كتفائه بمن كان معه عن غيرهم . وكانت أخلاقه وهو وزير مثله وهو صاحب ديوان . ومن رسمه أن يقدوا إليه الكتاب فيواقفهم على الأعمال ، ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وصاته به . ثم يروحون إليه بما يعلمونه من أعمالهم ، فيواقفهم عليها ، وعلى ما أخرجوه من الخروج ، وأمضوه من الأمور ، ويقيمون إلى بعض من الليل . وإذا خف العمل ، وقد عرّضت عليه في أثنائه الكتب بالنققات والتسييات والإطلاقات والحسابات ، نهض من مجلسه ، وانصرفت الجماعة بعد قيامه . وكانت علامته تحت بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : ورفع إلى أبي الحسن بن الفرات أن جماعة الكتاب في ديوان الجيش المتولين للعطاء احتسبوا على الجند بما لم يعطوهم إياه ، وأخذوه لنفوسهم ، واقتطعوه من دونهم ، فأنكر ذلك ، وعظم في نفسه ، وكشف عنه فوجده صحيحاً ، ورأى الإقدام على مثله غليظاً . فقبض على القوم الذين فعلوه ، فمنهم من ضربه وأدبه ، ومنهم من ارتجع منه ما حصل في يده ، ومنهم من صفح عن جرّمه . وكان في الجماعة أبو القاسم الحسين بن علي بن كردي ،

(١) إدغال : غش .

وقد اعتقل ، فكتب إلى أبي عبد الله والدى يسأله خطابَ الوزير في بابه والتلطف في إطلاقه . واتفق أن دعا الوزير أبا عبد الله إلى طعامه على رسمه ، فلما حضر امتنع من الأكل ، فقال له الوزير : ما سبب امتناعك ؟ قال : إنني ما أطيب نفساً بأن آكل وأبني كردى قريبي في الحبس يُعرضُ للمكروه . وأتبع ذلك بالمسألة في أمره وهبته ما عليه له ، فأجابه جواباً جميلاً ، وتقدم بتغذية ابن كردى ، وتسليمه إليه ، والصفح له عما يُطالب به . ثم قال له . تَقَدَّم الآنَ كُلُّ . قال أبو القاسم : ولم يكن بيننا وبين ابن كردى نَسَبٌ ولا قُرْبَى . وإنما قال أبى ما قاله تأكيذاً للخطاب في بابه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : استدعى أبو الحسن بن الفرات في بعض الأيام أبا علي بن مقله وأبا عبد الله والدى في وقت العصر ، على خلوة لم يحضرها غيرها ، وقال لأبي علي : استدعِ قِرْطاساً يُكْتَبُ فيه . فأحضره صاحبُ الدواة تَلَتْ قِرْطاس ، وقال له : وَقَعَ بَأْنُ يُكْتَبَ إلى علي بن أحمد بن بسطام بوصول كتبه بما قرَّر عليه أمر المادرائيين ، وأنتى وجدته مخالفاً لما أمرته به . وما توجبه الجملةُ المحصَّلة عليهم وهي ثلاثة آلاف ألف وكذا دينار ، وكذا منها من جهة كذا وكذا ، ومن جهة كذا وكذا ، حتى استوفى الإملاء بتفصيل الجملة المذكورة ، وفيها أنصاف دينار وأثلاثه وأرباعه وما دون ذلك . ووصلَ القولُ بما ملأ به الثلث . واستدعى أبو علي ثلثاً آخر ، واستتمَّ الأمر فيه وفيما أراد خطابه به في معانيه ، فكان ذرعُ الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعاً . ثم قال لأبي عبد الله أبى : اكتب إلى علي بن أحمد علي موجب ذلك . فقال له : والله أيها الوزير ما يحتاج إملأوك إلى أكثر من أن نُثبت في أوله وآخره الدعاء ، فإنه قد أتى على كل غرض ، وبلغ فيما يُراد كل مبلغ . فقال : تأمله على كل حال وتفقدّه وَفَّ معانيه . قال

أبو القاسم : ولقد حدثتُ بعضَ الرؤساءِ هذا الحديثَ في مجلسٍ حافلٍ قد صعدَ على ابنِ الفراتِ فيه بِنزارةِ الكلامِ ، فمجب منه ، وقال لي : لولا أن ذكرته لَمَا صدَّقته .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : رسم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية أن يدعى أبو الحسن موسى بن خلف وأبو علي محمد بن علي بن مقلة وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوزاني وأبو عبد الله محمد بن صالح وأبو عبد الله والدي وأبو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم التستري النصراني وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني وأبو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني في كلِّ يوم إلى طعامه فكانوا يحضرون مجله في وقته ، ويقعدون من جانبيه وبين يديه ، ويُقدَّم إلى كل واحد منهم طبقٌ فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء ، ثم يُجعل في الوسط طبقٌ كبيرٌ يشتمل على جميع الأصناف وكلُّ طبقٍ فيه سيكين يُقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكثري ، ومعه طست زجاج يرمى فيه التَّمَلُّ ، فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفروا^(١) كفايتهم ، شيلت الأطباقُ وقُدِّمت الطسوتُ والأباريق فغسلوا أيديهم ، وأحضرت المائدةُ مغطاةً بديبقٍ فوق مكبة خيازر^(٢) ومن تحتها سُفرة آدم^(٣) فاضلة عليها ، وحواليها مناديل القمر^(٤) من الثياب المصور^(٥) فإذا وُضعت رُفعت المكبةُ والأغشية ، وأخذ القوم في الأكل ، وأبو الحسن بن الفرات

(١) استوفروا : استوفوا :

(٢) الخيازر : جمع خيزرانة ، فالسكة مصنوعة من الخيزران .

(٣) الأدم : الجلد .

(٤) القمر : الدهن ويريد بذلك المناديل التي تستعمل ساعة الأكل « فوط المائدة » .

(٥) المصور : المحفف ولعلها يراد بها المفضولة لتكون كالسكوية .

يُحْدِثُهُمْ وَيَبْسِطُهُمْ وَيُوَانِسُهُمْ . فَلَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ ، وَالْأَلْوَانُ تُوَضَعُ وَتُرْفَعُ أَكْثَرَ
مِنْ سَاعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَنْهَضُونَ إِلَى مَجْلِسٍ فِي جَانِبِ الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَيَغْسِلُونَ
أَيْدِيَهُمْ ، وَالْفَرَّاشُونَ قِيَامٌ يَصْبُونَ الْمَاءَ عَلَيْهِمْ ، وَالْخُدَمُ وَقُوفٌ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْمُنَادِيلُ
الذَّبِيقِيَّةُ ، وَرَطَلِيَّاتٌ ^(١) مَاءُ الْوَرْدِ لِمَسْحِ أَيْدِيهِمْ وَصَبِّهِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ
مِنَ الْكِتَابِ حَاجَةٌ قَامَ إِلَيْهِ وَخَاطَبَهُ فِيهَا وَسَأَلَهُ إِيَّاهَا ، وَمَنْ أَرَادَ إِطْلَاعَهُ عَلَى سِرِّ
يَجِبُ الْإِنْفِرَادُ مَعَهُ فِيهِ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ يُخْرِجُ وَظَائِفَ ^(٢) الْكِتَابِ
وَعُلَمَائِهِمُ وَالْخُرَّانَ وَمَنْ دُونَهُمْ وَسَائِرَ مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْوِظَافَةِ ، عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ،
وَأَتْبَعَ ذَلِكَ بِتَفْرِقَةِ وَظَائِفِ التَّلَجِّ عَلَى أَصْحَابِ الدَّوَابِينِ وَالْكِتَابِ وَالْمَقْسِمِينَ فِي الدَّارِ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَنْجِي قَالَ : كَثُرَ الْإِرْجَافُ بِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَّاتِ فِي
آخِرِ وِزَارَتِهِ الثَّانِيَةِ ، وَكَانَ كُتَابَهُ إِذَا رَكِبَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ
اسْتَقَرُوا ، وَإِذَا عَادَ إِلَى دَارِهِ ظَهَرُوا وَحَضَرُوا . فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بِأَيَّامِ كَتَبَ
إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ حَمْلَ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ أَمْوَالِ الْوَاحِي . فَخَلَا بِأَبِي الْحَسَنِ
مُوسَى بْنُ خَلْفٍ ، وَكَانَ يَتَّقِي بِهِ عَلَى سِرِّهِ ، وَيَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِهِ ، وَعَرَفَهُ مَا طَلَبَهُ
الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ . لَا تَفْعَلْ وَمَتَى فَعَلْتَ أَطْعَمْتَهُ فِي نَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَطَالِبِكَ
فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا تَعْجِزُ عَنْهُ قُدْرَتُكَ . وَرَجَعَ أَبُو الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَشْرٍ عَبْدِ اللَّهِ
بِ بْنِ الْفَرَّخَانَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَشَارَ بِهِ مُوسَى بْنُ خَلْفٍ . وَأَعْلَمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَالَّذِي
مَا جَرَى ، وَاسْتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : الْأَعْمَالُ فِي يَدَيْكَ ، وَالْأَمْوَالُ مَحْمُولَةٌ
إِلَيْكَ ، وَمَا يَتَعَدَّرُ هَذَا الْقَدْرُ عَلَيْكَ ، إِمَّا تَقْدِمُهُ مِنْ مَالِكَ ، أَوْ أَخْذًا لَهُ مِنْ جِهَابِذَتِكَ

(١) الرطليات لعلها أوان سعتها رطل .

(٢) وظائفهم : مقرراتهم من الطعام وغيره .

ومعامليك ، ودفعُ الشيء ^(١) أولى من تعجيله ، ومتى جرى - وأعوذ بالله - أمرٌ أخذ أكثر مما وقع الالتماس له .

فلم يدعه موسى بن خلف ، وأقام على ما أورد من رأيه . وأجاب أبو الحسن ابن الفرات المقتدر بالله بالاعتذار والاحتجاج وتكثير ما عليه من المؤن والنفقات والأعطيات والإطلاقات . واحتدَّ الإرجاف بعقب هذه الحال احتداداً شديداً ، وكتب إليه المقتدر بالله يعلمه رأيه الجميل فيه وإحماده الكثير له ومقامه على النية الصادقة في بابه ، وحلف له بترية المتضد بالله على سلامة باطنه ، وأنه لا يعتمد تغييراً لأمره ، ولا استبدالاً بنظره . ووقف أبو الحسن على ذلك فسرَّ به ، وسكن إلى ما عرفه منه ، وأطلع كتَّابه عليه ، فاستبشرت الجماعة وزال عنها الشك والخافة . ووجم والدى وأمسك ، وتبين أبو الحسن منه ذلك ، فأدناه إليه ، وقال له : أراك ساكتاً وعن جملتنا في السكون خارجاً ، فما الذي وقع لك ؟ فقال له : أما أنا فقد زادتني هذه الرقعة استيحاشاً ، وملاَّتني خوفاً وإشفاقاً ، لأنه لم يتجدد ما يقتضيهما ويوجب ابتداءنا بما فيها . فقال له : أنت يا أبا عبد الله بعيد النظر سي الظن ، يحملك فرطُ الشفقة علىَّ إلى تصوُّر هذه الأسباب ، وأرجو أن يكذب الله تقديرك ، ويجري علىَّ جميل العادة . وكان هذا يوم الثلاثاء ، فلما كان يوم الخميس الثلاثين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة مضى على رشمه في أيام المواكب إلى المقتدر بالله ، ووصل إلى حضرته ، ووقف بين يديه ، وخطبه فيما احتاج فيه إلى خطابه ، وانصرف إلى داره ، وعرف كتَّابه خيره ، فظهروا وحضروا ، ونظروا في الأعمال ، وأعطى كلَّاً منهم ما يتعلق بديوانه ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم قام

إلى بيت منامه ونام ، واتبه وقت العصر ، وجدد الوضوء ، وصلى في الدار المعروفة بدار الصلاة ، وجلس على مُصَلَّاهِ يُسَبِّحُ ، وما عنده إلا ساكنٌ صاحب دَوَاتِهِ وغلامان من غلاماته . فبينما هو على ذلك إذ هجم أبو القاسم نصر القشورى الحاجب إلى موضعه ، ومعه عدَّة كثيرة من الرِّجَالِ وقال : أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يأمرُك بالحضور . فقال : بتيابِ الموكبِ أم بدرِاعة ؟ قال بدرِاعة . فقال له : حينئذ أوصيك يا أبا القاسم بالحرم خيراً . وأخذهُ وأنزله في الماء ^(١) إلى دار السلطان ، بعد أن وكل بجميع من في داره من الكتاب والأصحاب .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : كنت في دار حامد بن العباس ، وهو وزير بباب خراسان المعروفة بدار حجرة ، إذ أدخل الفراشون إلى حضرة حامد رجلاً مُكَوَّرًا في كساء أسود ، ثم سمعنا صوتَ صراخٍ وَوَقَعَ الصَّغَمُ ، وحامدٌ يقول للصافع : جَوِّدْ . والرجل المصفوع يقول : الله الله قد ذهبَتْ والله عيني . وهو يقول له : إلى لعنة الله يا ابن كذا ويا زوج كذا . ويُسرف في الشتم ويبالغ . ويقول له الرجل : لا تَسُنَّ أيها الوزير هذه السُّنَّةَ على أولاد الوزراء . ويقول له : وأنت من أولاد الوزراء ؟ ثم يزيد صغماً وشمًا ، فلما لم يبقَ فيه بقية أمرٍ بردّه إلى حيث كان فيه ، فأخذهُ الفراشون وحملوه ، وجاء أحدهم إلى الموضع الذي كنت فيه ، فأخبرنا أن الرجلَ المحسنُ بنُ أبي الحسن بن القرات ، وأنه مُقَيَّدٌ بقيدٍ ثقيل ، وعليه جَبَّةٌ صوفٍ قد نُحِمَتْ في النَّفْطِ مزرورة في عنقه ، وأنهم ردُّوه إلى الحجرة التي كان فيها وحسوه في الكنيف منها ودلُّوا رأسه في بئر .

وقال أبو القاسم : وقتُ إلى أبي عبد الله والدي لأحدثه بذلك ، وهو جالسٌ مع بشر بن عليّ النضرائي صاحب حامد وخليفته . فابتدأ وسألني عن الصياح الذي

(١) أي أنزله في سفينة .

سمعه ، فأعلمته بالصورة ، فأنزعج ، وأقبل على بشر بن عليّ يُعَجِّبُهُ . فقال له بشر : هذا رَجُلٌ مُحَيَّنٌ ، ^(١) وهؤلاء القوم يَلُون عليه منذ ثلاثين سنة ، ويقومون بأمره ويُحَسِنون عَوْنَهُ ، فلما مَلَكَ من أمرهم ما مَلَكَ عاملهم بهذه المعاملة ، وما هذا إلاَّ إِدْبَارٌ وسوء توفيق . ولم يزل حامدٌ يُرَدِّدُ الحَسَنَ في صنوف العذابِ وَيَحْمِلُهُ على كلِّ حال ، إلى أن كَلَّمَ المقتدرُ بالله في أمره ، وُبَدِلَ لأبي القاسم بن الحواريِّ مالٌ على إخراجِه عن يده ، فسعى في ذلك إلى أن تَمَّ نقلُهُ إلى دار السلطان ، وأقام بها أياماً ، ثم سُلِّمَ إلى أبي القاسم بن الحواريِّ وحصلَ في داره ، وخاطب المقتدرَ بالله من بعدُ في إطلاقه إلى منزله فأذن فيه .

وأقام يتعرف أخبار عليّ بن عيسى وحامدِ بن العباس وما يُقررانه ويُدبِّرانه ويُصلِح حواشِي المقتدر بالله ويستميلهم ، ويعمرُ ما بينه وبينهم . وانتشبت بينه وبين أبي نصرٍ بشر بن عبد الله النصرانيِّ الأنباريِّ كاتبِ مُفْلِح الخادمِ مَوَدَّةً ، وتردَّدت مراسلة ، ثم جمع بينهما أبو سهل نصر بنُ علي الطيبِ النصرانيِّ كاتبِ الحسن في دارِ بين القصرين على شاطئ دجلة . وقال له الحسن ، إنه يصحح للمقتدر بالله ثلاثة آلاف ألف دينار ، وألفاً وخمسمائة دينار في كلِّ يوم إذا أطلق أبا الحسن أباه واستوزره وسلم إليه حامد بن العباس وعليّ بن عيسى ومكَّنه منهما ومن مناظرة المادرائين واستيفاء ما عليهم . وكتب بذلك رُقْعَةً سَلَّمَهَا إلى بشر بن عبد الله كاتبِ مُفْلِح ، وتفرقا ، ومضى بشرٌ إلى مُفْلِح وعرفه ماجرى ، وأن الذي بَدَلَهُ الحَسَنُ جِلَّةً كثيرةً يَرُغِب فيها المقتدرُ بالله ، ومتى تَمَّ الأمر وصحَّ المال بواسطته تضاعفَ جاهُه وأحمده سلطانه ، ولم يَقدِّم من أبي الحسن والحسن معرفةً حَقَّةً وقضاء حوائجِه .

وأشار عليه بالكلام في ذلك ، وعَرَضَ الرقعة التي كتبها الحسن ، فقبل وفعل ، وعأوته القهرمانه زيدان ، واجتمعت معه على إيراد ما يُورده . فلما وقف المقتدر بالله على رقعة الحسن أفنذها إلى أبيه أبي الحسن وقال له : أنت قِيمٌ بهذا الضمان وملتزم له ؟ فقال : نعم . واستدعاه من موضعه حتى سمع قوله ، وعقد عليه الوفاء بما قاله . فلما كان يوم الخميس لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة حضر أبو الحسن عليُّ بنُ عيسى دار السلطان ، ومعه جماعة من القواد والغلان على رسم الموكب ، وجلس في المجلس الذي جرت العادة بجلوسه فيه ، إلى أن يُستأذن له . ثم خرج إليه من قبض عليه ، وأُنقذ إلى داره ودور إخوته وكتبابه وأصحابه ووُكِّلَ بها ، واشتُظِهِرَ على ما فيها . واستدعى المقتدرُ أبا الحسن بن الفرات من حيث كان مقياً فيه من داره ، وحضر الحسنُ ابنُه وكان قريباً من الدار ، وخلع عليهما وحملهما على حُمْلَانٍ ^(١) بمراكبٍ ذهبٍ ، وتقدم إلى الأمراء والقواد والغلان والخدم وسائر الطبقات بالركوب معهما إلى دارهما .

ومن فضائل أبي الحسن بن الفرات والمأثور من ذكائه أنه وَقَعَ تَسَاجُرٌ بين ولد المكتفي وعليُّ بن المقتدر بالله في أجمة هوانا من أعمال القصر ، وادَّعى كلٌّ من الفريقين أنها له ، وأوجبت الصورة أن وَقَعَ إلى عامل سوقِ المسك بالحظيرِ على ثَمَنِ ما يرد من صيود هذه الأجمة إلى أن تبيّن صورتهما . وكان المقتدرُ بالله يُوقِعُ في وقتٍ لعلِّي ابنه وفي آخرٍ لولدِ المكتفي بالله ، فلما زاد وقوف هذا الأمر وتأخر فضله وظهور الحقِّ فيه لمستحقِّه ، أحضر أبو الحسن بن الفرات خادماً لولدِ المكتفي بالله ، ووكيلاً لعلِّي بن المقتدر بالله يُعرف بالحرابي ، للمناظرة والحكومة ، وقال أبو الحسن للخدام : ممن ابتعم هذه الأجمة ؟ قال : من ولد بدر اللاني . فأمرها بالخروج والجلوس في الدار

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب وتكون في الهبة خاصة .

بقر به إلى أن يدعوهما ، وأحضر ابناً لبدر اللاني كان من أحد خلفاء الحجاب ، وسأله عما عنده من الحسابات التي لوكلاتهم بنواحي القصر . فذكر أن الأملاك والضياع لما خرجت عن أيديهم أفلوا المراعاة للحسابات فذهبت وهلكت ، ولم يبق منها باقٍ . فقال له : امض إلى دارك وسلِّ وفتِّش وأحضر ما تجده . فمضى وعاد بعد ساعة ومعه حسابٌ ذكر أنه وجده لبعض وكلائهم ، فأخذه منه وسأله إلى أبي منصور عبد الله بن جبير وكان بين يديه ، وقال له : تصفِّحه وانظر هذا الحق من الأجمة كيف أورد ، وإلى أي شيء نُسب . فقرأه أبو منصور وردّه إليه وقال : مال هذا الحق ذكرٌ فيه . فقال : هذا محال ، وأخذ الحساب وقرأه وتأمله تأملاً استوفاه ثم وضع يده وقد تصفَّح ثلثيه على موضع وقال : هاهنا يجب أن يكون ما نطلبه منسوباً إلى وجهه . ووقف ساعة ثم دعا بالخدام والوكيل وقال لهما : هذا الحدُّ منسوب إلى الإلجاء ^(١) لا إلى الملك . أفتعرفان في يد من كانت هذه الأجمة من قبل ؟ قالوا : لا . قال : كانت في يد فلان في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ثم انتقلت في سنة ثلاثٍ وخمسين إلى يد فلان ، ثم انتقلت في سنة أربع وستين إلى إبراهيم بن فورعره ، ثم انتقلت في سنة خمس وثمانين إلى فلان . ولم يزل يذكر حالها وقتاً بعد وقت إلى أن دخلتها يدُ بدرٍ اللاني . قال المحدث بهذا الخبر : فقلت لإنسان كان إلى جانبي : كيف يذكر الوزير سنة إحدى وأربعين وفيها مولده ؟ ورأى شفقتي تتحركان بالقول ، فقال لي : ما قلت ؟ ودافعته فيكرر سؤالي وقال لي : قل ما قلت . فصدقته عنه فقال : أحسنت - بارك الله عليك - فيما تأملت وتبعت . إني لما دخلت الديوان في حال الحدائثة كان أستاذي الذي أخدمه أسنَّ من فيه ، فكنت إذا مرَّ بي رَسَمَ كان من

(١) يقال لجأ فلان ماله تلجئة : جمعه لبعض الورثة دون الآخرين . وهو مأخوذ من الإلجاء كأنه أُلجأ إلى فعل ما يكره .

قبلُ سألهُ عنه وحفظت ما يقوله فيه ، أو جرى شيء في أبيه حفظته ، وكان هذا مما عرفنيه .

وحكم بالملك لولد المكتفي بالله ، وطالبه صاحِبهم بتسليم ما اعتيق^(١) من ثمن الصيد ، فوقع بذلك ، وكتب إلى المقتدر بالله بما كشفه وحكم به .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : توفي^(٢) أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة في يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من شعبان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن القرات ، وخلف أموالاً وأملاكاً كثيرة ، ولم يخلف ولداً . فتعرض أصحاب المواريث لتركته ، وبلغ أبا الحسن بن القرات ذلك فأنكره ، ومضى إلى المقتدر بالله وقال له : قد كان المعتضد بالله والمكتفي بالله رفعاً المواريث وأزالها وأنت أولى من أمضى فعلهما وأجرى سنتهما . فأمره بفعل ذلك والتقدم به ، وفعل وأزال التوكيل عن دار أبي عيسى أخي أبي صخرة والاعتراض عما خلفه ، وسلم جميعه إلى الورثة ، وأشهد عليهم بتسليمه . وأمر بأن يكتب إلى العمال في سائر النواحي برفع المواريث ، فكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه بما نسخته :

أما بعد^(٣) ، فإن أمير المؤمنين يؤثر في الأمور كلها ما قرّبه من الله جلّ جلاله ومن طاعته ما اجتلب له منه جزيل منوبته ، وحسنت به العائدة على كافة خليقته ورعيته ، لما جعل^(٤) الله عليه نيته من العطف عليها ، وإيصال المنافع إليها ،

(١) اعتيق : تأخر تسليمه . وكان قد حظر أن يدفع ثمن ما يرد من صيود هذه الأجمة

كما تقدم

(٢) انظر صلة عرب سنة ٣١١ هـ .

(٣) صلة عرب حوادث ٣١١ .

(٤) لعلها أيضاً : لما جعل . وجبه الله : خلقه وطره ، ويقال : جبه الله على الكرم : طهره عليه .

وإزالة الإعنتات عنها ، وإبطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها ، وإحياء سنن الخير وإيثاره لها ، جارياً مع الكتاب والسنة ، عاملاً بالأثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يُعوّض وبه يستعين .

وأنهى إلى أمير المؤمنين أبو الحسن عليّ بن محمد ما يلحق كثيراً من الناس من الإعنتات في مواريتهم ، وما يُتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، ويُحكّم فيه بخلاف ما جرت به السنة ، وأنه قد كان عبيدُ الله بن سليمان أنهى إلى المعتضد بالله - صلواتُ الله عليه - حال المتقلّدين لأعمال المواريث ، وما يجزى على الرعية من مطالبتهم إياهم بأحكام لم ينزل بها كتابُ الله عزّ وجل ولا جرت بها سنةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع أئمةُ الهدى - رحمة الله عليهم - عليها ، فكتب - صلواتُ الله عليه - إلى يوسف بن يعقوب وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضيين - كانا بمدينة السلام وما يتصل بها من النواحي في أيامه - يسألها عن الحال عندهما في مواريث أهل الملة والذمّة . فكتب عبد الحميد - رضى الله عنه - كتاباً في مواريث أهل الملة ، حكى فيه أن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود - رضوان الله عليهم ومن اتبعهم من الأئمة الهادين رحمةُ الله عليهم - رأوا أن يُردّ على أصحاب السهام من القرابة ما يُفضل عن السهام المُفترضة في كتاب الله تبارك وتعالى من المواريث إذا لم يكن للمتوفى عَصَبَةٌ يجوز باقي ميراثه ، وجعلوا - رضى الله عنهم - تركة من يتوفى ولا عَصَبَةٌ له لذوى رَحِمِهِ إن لم يكن له وارثٌ سواهم ، ممثلين في ذلك أمر الله سبحانه إذ يقول : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في توريثه من لا فَرَضَ له في كتاب الله تعالى من الخلال وابن

الأخت والجدّة . وكتب يوسف بن يعقوب إليه كتابا في موارِيث أهل الذمّة حَكَى فيه ما رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن المسلم لا يرثُ الكافر ، وأن الكافر لا يرث المسلم وأنه لا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ . ووصف يوسف في كتابه أن الشنّة جرت بأن أهل كل ملة يُورَثُونَ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ مِنْ ذِي رَحْمَةٍ .

وعرّف أبو الحسن أمير المؤمنين [أن] ما قرّر عليه حامدُ بنُ العباسِ الأمرَ - من تتشع الموارِيثِ وتقليدِ حَيَاتِهَا عَمَلًا يَجْرُونَ بِمَجْرَى عَمَالِ الْخِرَاجِ - شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي خِلَافَةٍ مِنْ الْخِلَافَاتِ إِلَى أَنْ مَضَى صَدْرٌ مِنْ خِلَافَةِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَإِنْ يَدَا دَخَلَتْ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى سَبِيلِ تَأَوُّلٍ بِمَا رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - دُونَ غَيْرِهِ ، فَأَزَالَهَا الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَعَادَ ذَلِكَ الرَّسْمَ الْجَائِزَ وَالْأَثَرَ الْقَبِيحَ السَّائِرَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بِظُلْمِهِ وَتَعَدِّيهِ وَتَهْوُّرِهِ وَتَسَطُّبِهِ وَتَأَوُّلٍ عَلَى الرَّعِيَةِ بِمَا لَمْ يُرْضِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ . فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُرَدَّ عَلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - رَدَّهُ مِنَ الْمَوَارِيثِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ تُرَدَّ تَرَكَهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ وَلَمْ يُخَافْ وَارِثًا عَلَى أَهْلِ مِلَّتِهِ ، وَأَنْ يُصْرَفَ جَمِيعُ عَمَالِ الْمَوَارِيثِ فِي سَائِرِ النَّوَاحِي وَيُبْطَلَ أَمْرُهُمْ ، وَيُرَدَّ النَّظَرُ فِي أَعْمَالِ الْمَوَارِيثِ إِلَى الْحُكَّامِ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ يَجْرِي عَلَيْهِ قَبْلَ أَيَّامِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى اللَّهِ . وَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مِنَ الْحَقِّ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا قَلَّدَهُ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ جَلْبَابِ كِرَامَتِهِ ، وَأَلْزَمَهُ مِنْ رِعَايَةِ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ الدَّانِيَةِ وَالْقَاصِيَةِ ، وَنَوَاحِي سُلْطَانَتِهِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ ، أَنْ يَعْمَ جَمِيعَهُمْ بِعَدْلِهِ وَإِنصَافِهِ ، وَيَتَنَاوَلَهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَيَسُنَّ لَهُمْ سُنَّةَ الْخَيْرِ فِي أَيَّامِهِ ، وَيُزِيلَ

عنهم البوائق والعوارض التي تُوجدُ بها السبيلُ إلى أن تُنقص أموالهم وَيُتَوَصَّلَ فيها إلى ظلمهم وإعتابهم ، وأن يُجرى الأمر في الموارث على ما كان جارياً عليه في أيام المعتضد بالله صلوات الله عليه ، وتركَ تبدليه والحذر من إزالته وتغييره ، وإذاعة ما أمر به وإظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام ليكون مشهوراً متعالمًا ، والخبرُ به إلى الأذاني والأقاصي واصلاً . فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره وأعمل عليه وبِحسبه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب أبو الحسن يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

ونسخة ما كتب به أبو خازم إلى بدر المعتضدى جواب كتابه إليه في أمر الموارث .

وصل كتابُ الأمير يذكر أنه احتيج إلى كتابي^(١) بالذي أراه واجبا من مال الموارث لبیت المال ، وما لا أراه واجبا منه ، وتلخيص ذلك وتبينه ، وأنا إذا كرر للأمير الذي حضرني من الجواب في هذه المسألة والحجة فيما سأل عنه ليقف على ذلك إن شاء الله .

الناس مختلفون في توريث الأقارب ، فرؤى عن زيد بن ثابت أنه جعل التركة إذا لم يكن للمتوفى من يرثه - من عصبه وذى سهم - لجماعة المسلمين وبيت مالهم ، وكذلك يقول في الفضل بعد الشهمان^(٢) المسماة إذا لم تكن عصبية ، ولم يرؤ ذلك عن أحد من الصحابة سوى زيد بن ثابت ، وقد خالفه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجعلوا ما يفضل من الشهمان رداً على أصحاب السهام

(١) كتابي : كتابي أى إلى أن أكتب .

(٢) السهام : جمع سهم والسهم التصيب المقروض .

من القرابة، وجعلوا المال الذي الرّحِم إذا لم يكن وارثٌ سواه . والسنة تُعاضد ما روى عنهم ، وتحالف ما روى عن زيد بن ثابت . وتأويل القرآن يوجب ما ذهبوا إليه ، وليس لأحد أن يقول ، في خلاف السنة والتنزيل ، بالرأى . قال الله تعالى : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

فصير القريب أولى من البعيد ، وإلى هذا ذهب عمرٌ وعليٌ وعبد الله رضي الله عنهم ومن تابعهم من الأئمة ، وعليه اعتمدوا ، وبه تمسكوا ، والله أعلم .

ولو كان في هذه المسألة ما لا يدلّ عليه شاهد من الكتاب والسنة لكان الواجبُ تقليدَ الأفضل والأكثر من السابقين الأولين ، وترك قبول من سواهم ممن لا يلحق بدرجتهم بسابقتهم . وإذا رُدَّ أمرُ الناس إلى التّخيير من أقاويل السلف فهل يُحِيل أو يُشكّل على أحد أن يزيداً لا يفتي عليه بعلم عمر وعليٍ وعبد الله ؟ وإذا فضلوا في السابقة والهجرة فمن أين وجب أن يؤخذ بما روى عن زيد بن ثابت وأطراح ما روى عنهم ؟ وقد استدّوا مع ذلك بالكتاب فيما ذهبوا إليه . وبالسنة فيما أفتوا به . والرواية ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتورث من لا قرّض له في الكتاب من القرابة ، فمن ذلك ما ذكرنا عن معاوية بن صالح ، عن راشد ابن سعد ، عن أبي عامر الهوزني عن المقدم بن معدى كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخلالُ وارثٌ من لا وارث له ، يرثُ ماله ويفعلُ عنه » . وكذلك بلغنا عن شريك بن عبد الله عن ليث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وعن ابن جرير عن عمرو بن مسلم عن طاوس عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك . وذكر عن عبادة بن أبي عباد ، عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان قال :

تَوَفَّى ثَابِتُ بْنُ الدِّدْحَاحِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَلَهُ فِيكُمْ نَسَبٌ؟ قَالَ: لَا. فَدَفَعَ تَرَكْتَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ. فَقَدْ أُوجِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا نَقَلْتَهُ عَنْهُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ تَوْرِيثًا مِنْ لَأَسْهَمَ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَعَ عَدَمِ أَصْحَابِ الشُّهُمَانِ الْمَبِينَةِ فِي الْكِتَابِ، وَأَعْطَى الْجِدَّةَ السُّدُسَ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا فَرَضَ لَهَا، وَفِي ذَلِكَ الْإِتْفَاقِ وَفِيمَا صَيَّرَ لَهَا مِنَ السُّدُسِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ [مِنْ] لَأَسْهَمَ لَهُ - مِنَ الْقَرَابَةِ - فِي مَعْنَاهَا، إِذَا بَطَلَتِ الشُّهُمَانُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ - وَالْمَرْوِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ جَعَلَ الْفَضْلَ عَنْ سَهْمِ الْفَرَائِضِ وَكُلِّ الْمَالِ - إِذَا سَقَطَتِ السُّهُمَانُ بَعْدَ أَهْلِهَا - لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلَهُمْ كَلَّهُمْ وَرِثَانًا، وَجَعَلَ مَا يَصِيرُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ - فِي خِلَافِ مَا لَفِيَ الْمَصْرُوفِ إِلَى الشَّحْنَةِ وَأَرْزَاقِ الْمُقَاتِلَةِ وَإِلَى الْمَصَالِحِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ - يَكُونُ، فِيمَا رَوَى عَنْهُ، لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَعَدَّدَهُمْ لِأَيُّحْيَى، فَغَيْرُ مُمْكِنٍ أَنْ يُقَسَّمِ ذَلِكَ فِيهِمْ وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مُشَارِقِينَ وَمُغَارِبِينَ. وَإِذَا امْتَنَعَ ذَلِكَ وَخَرَجَ إِلَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ فَسَدَ، وَثَبَّتَ مَا قَلَنَاهُ مِنْ قَوْلِ أَكْبَرِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُ الْمُتَأَوِّلِينَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فَقَالَ فِيهِ: كَانَ النَّاسُ يَتَوَارَثُونَ بِالْحَلِيفِ دُونَ الْقَرَابَةِ، فَلَمَّا أُوجِبَ اللَّهُ الْمَوَارِيثَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْأَقْرَابِ مَنَعَ الْحَلِيفَ بِمَا فَرَضَ مِنَ الشُّهُمَانِ، فَغَلَطُوا وَصَرَّفُوا حُكْمَ الْآيَةِ إِلَى الْخَلْصِصِ، فَذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ مَعَ عَدَمِ الدَّلِيلِ، لِأَنَّ تَخْرُجَهَا فِي السَّمْعِ تَخْرُجُ الْعُمُومِ. وَبَعْدُ، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُهَا مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَكَانَتِ السُّهُمَانُ الَّتِي نَسَخَتْ مَا يَرِثُهُ الْحَلِيفُ قَبْلَ نَزُولِ الْفَرَائِضِ، لَوْجِبَ فِي بَدءِ، وَمَا قَالُوا^(١): إِذَا كَانَ لِوَارِثٍ لِلنِّسْبَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّهُمَانِ أَنْ يَكُونَ الْحَلِيفَانِ فِي التَّوَارِثِ عَلَى أَوَّلِ فَرَضِهِمَا وَعَلَى الْمُقَدَّمِ مِنْ حَكْمِهِمَا، لِأَنَّ الَّذِي مَنَعَهُمَا - إِذَا ثَبَّتَ

(١) أي لوجب من أول الأمر ولما قالوا.

هذا التأويلُ - مَنْ لَهُ مَهْمٌ دُونَ مَنْ لَاسَهْمٌ لَهُ . فإذا ارتفع المانع رَجَعَ الْحُكْمُ إلى بدئه . ولا اختلاف بين الفريقين أن الحليف لا يرث الحليف اليوم ، وإن كان لا وارث سواه ، وهذا يدلُّ على فساد تأويلهم ، وعلى أن المراد في الآية التي أوجبت الحقَّ للأقرب غيرُ الذي ذهبوا إليه ، فإن الله سبحانه إنما أراد بمعناها اختصاصَ القريبِ بالإرث دون البعيد . وقد يلزمُ مَنْ ذَهَبَ إلى الروايةِ عن زيدٍ وترك الروايةَ عن عمرَ وعليٍّ وعبد الله - عليهم السلام - جانباً ، وأسقطَ التعاقلَ ^(١) بين الأجنبيِّ والقريبِ أنْ يَحْتَمَلَ ذا الرحمِ أَوْلَى ، لأنه ^(٢) يَفْضَلُ الأجنبيُّ بالقراءة . وترتيبُ الموارثِ في الأصلِ يَجْرِي على تَقَدُّمِ مَنْ فَضَّلَ غيرهَ في المناسبةِ كالأخِ للأبِ والأمِّ ، والأخِ للأبِ ، وابنِ العمِّ للأبِ والأمِّ وابنِ العمِّ للأبِ ، وأخصمها ^(٣) قرابةُ أولَاهُها بالميراثِ عند جمع الجميع . قال الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهَ مِثْلُ حِطِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ^(٤) وَوَلَدُ الْوَالِدِ مَنْ سَقَلَ مِنْهُمْ وَمَنْ ارْتَفَعَ يَعْطُهُمْ هَذَا الاسمُ ، إلا أن الأقربَ منهم في معنى الآيةِ أَحَقُّ من الأبعد . فإذا كان ذلك كذلك كان القريبُ أولى من الأجنبيِّ بالتركةِ للرحمِ التي يَقْرُبُ بها دونه .

وبعدُ ، فإن العلماءَ نَفَرٌ يسير لا يعرفون الصواب في هذه المسألة إلا فيما رَوَى عن الخلفيتين عمرَ وعليٍّ صلوات الله عليهما وما رَوَى عن ابن مسعود ، ثم لم يقتصرُوا في المبالغة والدليل في تورث ذى الرحمِ إلا على ما رَوَى عن عبد الله بن العباسِ جد

(١) التعاقل : الالتزام بالديات والاشتراك فيها .

(٢) في الأصل : لا يفضل .

(٣) في الأصل : واخصمها . وما أثبتناه يعني به وأقربهما قرابة بمعنى أن الأخ الشقيق وهو أقرب قرابة أولى بالميراث من الأخ لأبٍ ويحبه وأن ابن العمِّ الشقيق وهو أقرب أولى بالميراث من ابن العمِّ لأبٍ ويحبه .

(٤) سورة النساء الآية ١١ .

أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وترجمان القرآن ، وبحر العلم ، ومن كان إذا تكلم
سكت الناس ، ومن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللَّهُمَّ قَهِّبْهُ فِي الدِّينِ
وَعَلِمَهُ التَّأْوِيلَ » . ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة ، ومن كان أعلم بتأويل
القرآن فاتبأعه فيه أوجب . وقد روى عن ابن عباس مثل ذلك من قول عمر
وعلى وعبد الله والجماعة ، وما زالت الخلفاء من أجداد أمير المؤمنين - أعزه الله -
يستقضون الحكماء فيقضون برد الموارث على الأقارب ، ولا ينكرون ذلك على من
قضى به من قضاتهم ، ولا يرونه متجاوزاً للحق فيه ، وما عرفت الجماعة بغير هذا الاسم
إلا منذ نحو عشرين سنة . وأمير المؤمنين أولى من أتبع آثار السلف ، واقتدى
بخلفاء الله ، ومال إلى أفضل المذهبين . وإلى الله الرغبة في عصمة الأمير وتسديده .
والحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو الخصب كاتب أحمد بن العباس قال : حدثني حامد قال : دخلت
إلى عبيد الله بن سليمان وهو وزير المعتضد بالله - رحمه الله - فوجدته خاليا ، وعنده
أبو العباس بن القرات ، وعبيد الله يُعاتبه ، فلم يَحْتَشِمْنِي لِعَلِمِهِ بِنِي وَبَيْنِهِ ، فَسَمِعْتَهُ
يَقُولُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ ^(١) وَابْنِ بَسْطَامٍ . فَقَالَ لَهُ :
أَمَا فُلَانٌ - أَيُّهَا الْوَزِيرُ - فَمِيلُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ أَسْعَفَنِي فِي وَقْتِ نَكْبَتِي وَعِنْدَ مَصَادِرْتِي
بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَمَنْ عَاوَنَنِي بِمَالِهِ ، وَأَشْرَكَنِي فِي حَالِهِ ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ مِنِّي أَنْ
أُصْفِيَهُ الْوُدَّ وَأُخْلِصَ لَهُ الْعَقْدَ ^(٢) . وَأَمَا ابْنُ بَسْطَامٍ فَرَجُلٌ كَاتِبٌ ^(٣) لَهُ عَلَى الرَّئِيسَةِ ،
وَحَقُّ الرَّئِيسَةِ لَا يُنْسَى وَدَيْنُهَا لَا يُقْضَى .

(١) يبدو أنها زائدة في الكلام إذ لم يرد ذكر الفلانات الآخر .

(٢) لعلها أيضاً : العهد .

(٣) لعلها أيضاً : كانت . وهو الأسوب .

وحدَّث مُحدَّث قال : قلت لأبي العباس بن النرات يوماً على شُرْبٍ - وقد رأيتَه
يلعبُ بالخصوم وأرباب الطَّلَامات لعباً ، فتارة بالحجج الديوانية وتارة بالحجج
الفقيهية - : يا سيدي هل قطعك أحدٌ في مناظرة ؟ فقال أما بالحجة فلا . بل ^(١) كما برئني
رجل مرّة فخرت في جوابه ، وانقطعت في يده ، وذلك أن محمد بن زكريا المعروف
بوزير الإسكافي كان صنيعاً لي ، فتولّى الضياع بواسط ، وحضر من تكلم عليه
وبذل موافقته على ما فرقه ، فرسم لي عبيد الله بن سليمان مكاتبته بالحضور ،
فقلت له : هذا - أعز الله الوزير - وقت العارة ، وإذا أخلّ العاملُ بها
وقع التصيرُ فيها ، واحتج علينا بأننا قطعناه بالاستدعاء عنها . قال : فأخّره
إلى أن يفرغ منها . فأخّره شهوراً ، ثم عاود المتظلمُ منه القولَ فيما تكلم عليه به ،
وأمرني عبيد الله باستدعائه ، فقلت : هذا وقت التقدير ، وبه يُحصّر الارتفاع .
قال : فأخّره . فأخّره شهرين ، ثم عاود المتظلمُ ، وعاودني عبيد الله . فقلت :
قد شَبّهت ^(٢) الغلات وما تفسد إلا بالحزْر . فقال المتظلم : كيف تسمعُ نفسُ
أبي العباس يحاضر من عمّر ضياعه وأضاف إليها خواصَّ السلطان وأملاكه
ونقل إليها أكرّة الوزير ؟ ! فضياعه كالعرائس المجلّوات ، وضياعُ الوزير كضياع
الأرامل ^(٣) والأيتام .

قال أبو العباس : وعمل كلامه والله في عبيد الله . فابتدأتُ أحلف على كذبه
واستحالة قوله ، فمضى وقال : حسبك الآن . وكتب منشوراً بخطه بإشخاصه ،
وأشدد به مُستَحْتاً ، ومجّل وزير ^(٤) ، واعتقله وصادره .

(١) في الأصل : بلى .

(٢) شَبّهت : أشكلت ، ويعنى أن الغلات الآن مجموعة دون أن تحصى وإحضار هنا العامل قبل الإحصاء سيدعو إلى التخمين فيها . وهذا التخمين مفسد لها .

(٣) لعلها أيضاً : وضياع الوزير كالأرامل .

(٤) أي حمل محمد بن زكريا المعروف بوزير الإسكافي .

وحدث محدثٌ قال : رأيت أبا العباس بن الفرات يُناظر شيخاً مُرِيناً ببادوريا قد احتال في تخفيف مقاسمة بيَدْرِه وقال له : في آيةِ سنةٍ قُسمَ هذا البيدر على مادَّعَيْته في المعاملة ؟ قال : السنة التي ملكتَ فيها - أيدك الله - البيدرَ الفلانيّ والبيدرَ الفلانيّ . حتى عدَّ عشرةَ بيادرٍ في عدَّةٍ طَسَاسِيحٍ من خواصِّ السُلطانِ التي استضافها إلى ضياعه . فورد عليه من قوله ما أدهشه وأسكته ، وأمضى مقاسمةَ بيَدْرِه وصرَفَه .

وحدث أبو عبد الله بن الماسح الكاتب قال : حدثني أبو الحسن عليُّ بن عيسى ، وقد جرى ذكر الجهبذة ، وقال : ما أعجب ما جرى في أمرها بنواحي المغرب . وذلك أنها لما صَحَّت في أيام المعتضد بالله؛ وكتبتُ لعبيد الله بن سليمان على الديوان ، أمرني أن أعمل عملاً بارتفاع الموصل والزَّابَات ، فعملته وعرضته عليه ، فاعترضه أبو العباس بن الفرات على رَسْمِهِ في مثل ذلك وما تقتضيه خلافتُهُ لعبيد الله ، وقال لي : ما أرى لِمَالِ الجهبذةِ في هذا العملِ ذِكْراً . فقلت له : هذا ما لا أعرفه في أصلٍ ولا مُضافٍ ، فإن يكن من مال السُلطان فهو بمنزلة ما يُؤخذ من الذَّيْلِ ويرُقعُ به الجيب ، أو يكن من مال الرِّعيَّةِ فهو ظلم ، وطريقُ الجهادةِ إلى أخذ أموالِ المعاملين . وهذه نواحي افتتحت قريبا ، وسبيلها أن يُعامل أهلها بالإنصاف ، وتُخففَ عنهم المُوَن لِيَتَحَلَّوْا لهم سياسةُ السُلطان . فقال : هذا باب من أبواب الارتفاع ، ولا يجوز أن يترك ويضاع ^(١) ، فيلحقنا من السُلطان استبطاء وإنكار . وتقدِّرُ ما يجب في هذه النواحي من ذلك عشرةُ آلاف دينار ، فما هو إلا أن سمع الوزيرُ ذِكْرَ السُلطانِ وعشرةُ آلاف دينار تزيد في الارتفاع حتى قال : سبيلُ

(١) في الأصل : ولا يضاع .

هذه النواحي سبيلٌ غيرها من نواحي السواد . فأمسكتُ ، واستمرَّ بلاءُ الجبذةِ على الناس إلى حين انتهينا .

وحدث أبو الحسن بن ماني الكوفي الكاتب قال : حدثني علي بن حسين الجهظ كاتبُ أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوبة قال :

جرت المناظرة يوما بين أبي العباس بن ثوبة وأبي العباس بن الفرات في حساب باروسما الأعلى بحضرة عبيد الله بن سليمان . فأقام ابن ثوبة الشاهد على صحَّة ما رفعه ، والبرهان على عاملِ ابن الفرات في تأوُّله . وأخذ ابن الفرات يُبَاهِتُ^(١) في نُصرةِ قوله . فقال ابن ثوبة : كيف أتصفُ منك يا أبا العباس وأنا أناظرك بالحجة ، وأنت تُعارضني بفضلِ القدرة ، وترزعمُ أن هذا الوزيرُ أسيرٌ في يديك ؟ قال : فظفر عبيدُ الله إلى من حضر وقال : اشهدوا أنني أسيرٌ في يدي كلِّ كافٍ . قال : يقول^(٢) ابن ثوبة : قد علمنا .

قال : وتظلم أهل السارية من أهل بادوريا إلى المعتضد بالله وحكوا أن أهل سفي الفرات واطثوا الممَّالَ والمهندسين على ظلمهم وكتبان ما عندهم في أمر أبواب قنطرة دتما ، وواقفهم على تضييقها ليتوفرَّ الماء عليهم . فتقدَّم المعتضد بالله إلى بدر بالخروج مع القاسم بن عبيد الله ومن استنصحه القاسم من أصحاب الدواوين ومشايخ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة وطائفة من الشهود وابن حبيب الذراع ومن يختاره من الذراع للوقوف على ما وقعت الظلامة منه ، وكشف الصورة فيه . فخرجا وفي القوم عليُّ وجعفرُ ابنا الفرات ، ومحمد بن داود بن الجراح وعلي بن عيسى ، وإسماعيل ابن إسحاق وأبو الخازم القاضيان ، وإبراهيم بن عبد الله عامل بادوريا وجماعة من

(١) يباهت : يأتي بالهتان والزور .

(٢) لعلها : فقال ابن ثوبة ، أو : قال : ويقول ابن ثوبة قد علمنا .

تَمَّأَهَا وشيوخها ، ووصلوا إلى الموضع واستدَعَوْا الدَّهَاقِينَ^(١) بسقى الفرات ، واستقرَّ الأمر على أن ذُرِعَ البابُ الكبيرُ بِذِرَاعِ السَّوَادِ ، فكان سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَذُرِعَتِ الأربَعَةُ الأَبْوَابُ الصَّغَارُ ، فكان كل واحد منها ثمانية أذرع ، وكان مَقَامُ المَاءِ على الصَّبِّ الذي قُسمت عليه الأَبْوَابُ فوق الدِّكَّةِ^(٢) أربعة أذرع ونصفًا في أيام الطَّنْكَابِ^(٣) وقلة الماء . وسئل أهل بادوريا عما عندهم ، فأقاموا على أن عَرَضَ الباب الكبير خمسةً وثلاثون ذراعًا ، وقاربوا أهل سَقَى الفرات في الأَبْوَابِ الصَّغَارِ وقالوا : لولا أن سَعَةَ الباب ما ذكرنا لما أمكن انحدارُ زورقٍ في الباب ولا طَوْفٍ^(٤) من أطوافِ الزَّيْتِ والخشبِ ، وأنكر أهلُ الأعلى قولهم ، وطالبوهم بالشاهد عليه ، فلم يأتوا به ، واختلفت الأقوالُ مع الإجماع على أنه فوق العشرين الذراع . فقال أبو الحسن بن الفرات للقاسم بن عبيد الله : قد كثُرَ أيها الوزير الاختلافُ والتلاحي والأقاويل والدَّعاوى ، فليأمر بِكُتُبِ ما يقوله كلُّ فريقٍ لِيَتَحَصَّلَ وَيُعْلَمَ ، ولا يَقَعَّ عنه رجوعٌ من بعدُ . فأمر بذلك ، وأخذت الخطوطُ به . ثم قال ابن الفرات : فيسألهم الوزيرُ : هل كانت قراقيرُ^(٥) الرُّمَّانِ وأطوافُ الزيتِ والخشبِ تنحدر في الباب أم لا ؟ قالوا : بلى . قال : فليُنْفِذِ الوزيرُ ثِقَةً من ثِقَاتِهِ مع صاحبٍ للقاضي حتى يذرع عرض قراقيرِ الرُّمَّانِ التي تَرِدُ دجلة من هذا الباب . فذُرِعَتِ عَشْرَةُ قَرَاقِيرٍ ، فكانت سَعَتُهَا ما بين عشرين ذراعًا . وكُتِبَ بذلك إلى المعتضد بالله ، وأقام القوم بمكانهم إلى أن ورد أمره بأن يُجْمَلَ الباب الكبيرُ

(١) الدهاقين : الرؤساء ، وأيضاً التجار ، جمع دهمقان .

(٢) لعله يراد بها القاعدة .

(٣) الطنكاب : ضحولة الماء وقلة غوره ويعني به أيام عدم الفيضان .

(٤) الطوف : ما يعوم على وجه الماء وقد تشد أخشاب أو قرب فتصير كهيئة سطح ويركب عليه

فوق الماء أو تحمل عليه الأتقال .

(٥) القراقير : أنواع من السفن .

بالدراع السوداء اثنين وعشرين ذراعا ، والأبواب الصغارُ على رُسمِها .
وحدث محمد قال : كان أبو الحسن بن القرات يَسْتَظْهُرُ ^(١) في نفقات المصالح ،
ويستكثر من إعداد الآلات على الأماكن التي تُخَافُ الحوادثُ منها ، فلما ولى على
ابن عيسى العباس بن منصور على المصالح أظهر العِفَّةَ وَقَلَّ النِّفْقَةَ ، ونسب ابن القرات
فيما كان يفعله إلى التفريط والإضاعة . وَقُدِّرَ للنفقة على بَرَزْدٍ من بَرَزْدَاتِ نَهْرِ
الرُّفَيْلِ ثلاثون ديناراً ، فلم يُطْلَقْها ، وقال : نفقة هذا البرزند واجبة على صاحب
الضيعة لأنها قطعةٌ . فَأَحْدَثَ فعله انفجار البثق ^(٢) المعروف بأبي الأسود
في نهر الملك ، فخرج إليه إبراهيم بن عيسى وأنفق عليه سبعمائة ألف درهم ، وذهب
من ارتفاع السلطان بيهر سير والرومقان وإغار يقطين أضاعف ذلك ، وكثرت البثوق
والجباياتُ في نفقاتها والمضرة بحوادثها .

وحدث أبو بكر بن ثوابة قال : سمعت أبا الحسن بن القرات يقول : حدثني
أبو العباس أختي قال : قال لي عبيد الله بن سليمان : قد أُلْحَ على أمير المؤمنين
بأن أجعل بالجانب الغربي بإزاء داره ميّداً أنا يكون تكسيه ^(٣) مائتي جريب .
فقلت : أعوذ بالله أيها الوزير من ذلك . قال : فإني لا أجتري على مخالفته ومراجحته .
قال له أبو العباس : فإذا عاودك فأذكريني له لأعرفه ما في ذلك عليه . فعاود
المتعضد بالله عبيد الله بن سليمان وصحّر عليه من تأخيره ما أمره به . فقال :
يا أمير المؤمنين ، بالباب أحمد بن محمد بن القرات ، فإذا شرفه أمير المؤمنين بالوصول
إلى حضرته ذكر ما عنده في ذلك . فأذن له ، فحضر وسلم وخدم ، فقال له
المتعضد بالله : ما عندك ؟ فقال : طساسيج السوادِ يا أمير المؤمنين أربعة وعشرون

(٢) البثق : موضع الكسر من الشط .

(١) يستظهر : يحاط .

(٣) تكسيه : مساحته .

طسوجا، أجلها طسوج بادور يا وهو اثنا عشر رشتا، أجلها رشتاق الكرخ وهو اثنا عشرة قرية، وأجلها ما على دجلة، وكل جريب منه يساوي ألف دينار، ويُفعل ألف درهم، أفتري أمير المؤمنين إضاءة مائتي ألف دينار يشيع خيرها فيما لا فائدة فيه؟ قال: لا والله، فاطلبوا لنا موضعا آخر. قال: يكون ما بين الخلبة والرحبة. فتقدم بالعمل على ذلك.

قال أبو بكر: وسمعت أبا الحسن بن الفرات يقول: أصل العارة وزيادة الارتفاع حفظ البذور، ولن يتم ذلك إلا بالعدل. ويقول: الضمان يذهب بالارتفاع كما يذهب الساكن بالعقار.

وسمعته يقول: سبيل العامل أن يؤدب على الزيادة في المساحة كما يؤدب على الاقتطاع منها.

قال: ووقع يوماً بحضرتي إلى بعض العمال - وقد رفع إليه صاحب الخبر أنه صنع واحداً من التناء لتقاعده بأداء الخراج: في الحبس للتناء مادبة، فلا تعامل بعدها أحداً بهذه المعاملة فأمكنه من الاقتصاص منك.

قال: وسمعته يقول: أحسنتُ إلى بعض الأكرة والمزارعين في ناحية كحلة من طسوج الأنبار بنحو مائة درهم، فأخلف علينا ذلك عشرة آلاف دينار، وذلك أنه صار الرجل المسامحُ إلى بعض البلدان فذكر أنه أحسن إليهم في معاملته بمائة درهم، فرغب أهل البلد في الانتقال إلى قرى كحلة، فانتقلوا وعمروا، وارتفعت في تلك السنة بعشرة آلاف دينار، ووكلنا فيها محمود بن صالح.

قال أبو بكر: كتبت إلى أبي الحسن بن الفرات أسأله أن يرُدَّ إلي شيئاً أتولاه وأجل جاريه لأبي عليّ أبي. فوقع لي بخظه: وصلت رقتك - جعلني الله فداك -

والأعمال كثيرة^١، غير أنك تكره القضاء، والعمالة فلا تدخل فيها، والحسبة فلا تصلح لك، والمظالم فتجري تجرى الحكم والذي يصلح لك أن تعقد عليك الغلات في عدة طاسيج تختارها من السواد، فإن أردت جميع غلات السواد كان ذلك لك مبدولاً، فأعمل على ذلك فإنه أصلح لك وأعود عليك إن شاء الله.

وذكر أنه كان بمدينة السلام رجل من أهل الأهواز يتحلّى بالقضاء، وكانت له حال واسعة ونعمة ظاهرة، وعادته جارية بالحيلة على الناس وأخذ أموالهم بالتمويهات والتزويرات. فصار إليه رجل من أهل إسكاف بنى الجنيد وسأله أن يسعى له في تقليده ناحية أسماها. فتركه أياماً، ثم دفع إليه كتاباً بتقليدها، وأعلمه موافقة الوزير أبا الحسن على بن الفرات على تقديمه خمسين ألف درهم. فأخذ الرجل الكتاب، وأقرض^(١) من بعض التجار المال وسأله إليه ليحمله إلى الوزير، وواعده إلى البكور إليه في غد ذلك اليوم للقاء الوزير ووداعه، وفارقه. وغدا إليه على وعده فلم يره، وخاف أن ينتهي إلى الوزير خبره بالحضرة فينكره، فدخل إليه وتقدم فقبل يده واستأمره في الخروج. فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى حيث قلتني. قال: ما قلتك شيئاً. فأخرج الكتب وعرضها عليه، فلما قرأها الوزير عجب منها، وسأل عن تنجزها له. فأسمى القاضي وأعلمه أنه أخذ منه خمسين ألف درهم باسمه، فأمر بطلبه فطلب فقيل إنه هرب. فقال الوزير: الحيلة على تمت. ووقع في الكتب وأمضاها وكتب له بالعوض عن المال وأمره بالنفوذ.

وحدث أبو الحسن على بن جعفر الهمداني الكاتب قال:

لما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة حضره من عمال على بن عيسى العباس

(١) أقرض من بعض التجار: أخذ منهم قرصاً.

ابن موسى بن المثنى ، وابن أمينة ، وأحمدُ بنُ محمد بن سمعون وكان يُخلفُ أبا ياسرٍ على أعمالِ الأنبار ، وأمرَ بأن يُخرَجَ إليه تقديرُ الغلات من النواحي التي كانوا يتقلدونها ، وأُخرج .

ونظر في تقديرات ابن المثنى ، وكان يتولى كوثى ونهر درقيط ، فوجده يعجز نحو ستة آلاف كُرٍّ بالفالج ، وقال له : من أنت ؟ فقال . العباسُ بن موسى ابن المثنى من أهل هُمَينيا . فقال ابنُ الفرات : كان المثنى بندارا ^(١) ويخلف على الكذب أكثر مما يخلف ^(٢) على الصدق وقد حُلقت نصفُ لحيته على اقتطاع اقتطعه .

ونظر في تقدير أبي ياسر فوجده يعجزُ اثني عشر ألفَ كُرٍّ ، وقال لابن سمعون : من أين أنت ؟ قال : من أهل جَرَجَرَايا . فقال . لم أعرف بجرجرايا هذا الاسم ، ولكنك من قرية البرت ، وكان أبوك هُرُك ^(٣) فلان . ونظر في تقدير ابن أمينة فوجده يعجز ثمانية آلاف كُرٍّ . فقال : يا أبا الحسن على بن عيسى ، شغلت نفسك بأخلاق الملكة والنظر في علوفة البط ، والحطيطة من أرزاق الناس وما تجرى هذا الجرى من الصغائر المستهجنات ، لعمارة بيدرٍ واحدٍ أصلحُ للسلطان وأعودُ عليه من توفيرك ما تقرَّبَ به إليه .

ثم تقدّم بحاسبة الجماعة .

(١) البندار : التاجر

(٢) في الاصل وتخلف مما تخلف

(٣) هرك : أبه ساذج وهي كلمة فارسية .

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

أبو علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان^(١)

كان أبو علي أكبرَ ولدِ أبيه ، وتقلد بعد وفاته ديوانَ زمامِ الخراجِ والضَّياعِ السلطانية في وزارةِ الحسن بن مخلد^(٢) . فلما صُرِفَ الحسن وتقلدَ سليمان بن وهب^(٣) قلده نقاتِ أبنيةِ المعتمد على الله بالمعشوق في الجانبِ الغربي الذي من سر من رأى ، ثم صرفه المعتمد فلأزم بيته إلى أن تقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان فرد إليه البريدِ بِكُورَتِي ما سبذان ومِهْرِ جا نقدَف . وكان أبو القاسم عبدُ الله ابنُه صَحْبَ أبا القاسم عبيدَ الله بن سليمان عند حصوله بِالجَبَلِ مع بدرِ المعتضدى فضمه إلى أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، وأبو عبد الله يتقلد ديوانَ الإشراف ، فرَدَّ إليه الإنشاء فيه ، ووُلِّي أبو عبد الله محمد بن داود ديوانَ الجيش فنقله إليه ، وأقام أبو عليّ على البريدِ وعبدُ الله ابنُه في ديوانِ الجيش إلى أن تغيرت الأمورُ في فتنة عبد الله بن المعتز ، وتقلد أبو الحسن ابن الفرات ، فضافه أبو عليّ لشيء أنكره منه ، واستتر عنه ، وأقام على الاستتار والسعي على ابن الفرات ، إلى أن قبضَ على ابن الفرات وتقررت الوزارةُ لأبي عليّ ، وأُنْفذَ إليه من دار السلطان ، وظَهَرَ وحضر معه ابنه عبدُ الله وعبدُ الواحد وذلك في اليوم الرابع من ذى الحجة الذي وَقَعَ القبض فيه على ابنِ الفرات ، ووصل إلى حضرةِ المقتدر بالله فقدمه وأكرمته وقلده وزارته وتديبرَ أموره ، وانصرف وعاد من غَدٍ وخُلِعَ عليه وحُجِلَ على فرسٍ بمركبٍ ذهبٍ ، وركبَ معه الحجاب والغلمان والقواد ، وأقطعهُ المقتدر بالله ما في

(١) انظر تجارب الامم ١٢٧/٥ وصلة غريب ٢٠ والقصرى ٢٣٥ وابن الأثير حوادث ٢٩٩

(٢) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد .

(٣) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد أيضاً .

يد ابن الفرات من الضياع العباسية ، وأجرى له خمة آلاف دينار في كل شهر على رَسْمِ ابن ^(١) الفرات ، ولعبد الله ألف دينار ولعبد الواحد خمسمائة دينار ، ووهب له دار صاعد بن مخلد على دجلة ، وأعطى ورثته شيئاً عنها ، وأشهد عليهم بها وعمرها ونزلها . وقد أبا القاسم عبد الله ابنه العرض على المقتدر بالله وكتابة الأمراء ، وخلع على عبد الواحد أخيه وعول على أبي الحسن بن أبي البغل في مناظرة ابن الفرات ومطالبته فاستخرج منه صدرا كبيراً . ثم ورد أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة من الموصل ، فولاه ذلك ، فجد أبو الهيثم بأبي الحسن بن الفرات وكتابه وأسبابه وعسفهم ، وزاد في الاستقصاء عليهم ، وإيقاع المكروه بهم حتى حصل منه ومنهم الجلة التي ذكرناها في أخبار ابن الفرات . وتقدم أبو الهيثم عند الوزير أبي علي بهذا الفعل ، فقلده ديوان الدار الكبير ، وبسط يده حتى أمر ونهى ، وعزل وولى ، وغلب على أكثر الأعمال . وكانت فيه سطوبة وخسونة جانب ، فاستجاز الجزف ^(٢) واستعمل العسف ، وقسطن على أصحاب الدواوين والقضاة وأسباب السلطان مالا على وجه القرض الذي يسبب لهم عوضه على النواحي ، وصادر قوما من الكتاب منهم المادرائيون ، فلم تقع هذه الأسباب موقفاً فيما تدعو إليه الحاجة ، ولا أثرت إلا القباحة والشناعة . وحوّل من بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة ألف ألف وستائة ألف دينار في مدة نظر أبي علي الخاقاني على سبيل القرض ، ولم يؤد من عوض ذلك سوى أربعين ألف دينار . وكان في أبي علي إهمال للأموال وأطراح للأعمال وتلون في الأفعال ، فكانت الكتب ترد عليه وتصدر جواباتها عنه من غير أن يقف عليها أو يأمر بشيء فيها ، وإذا أخرجت إليه جوابها تركها أياماً فلم

(١) أي كما كان يأخذ ابن الفرات من القدر له وهو وزير .

(٢) الجزف : التخمين .

يطالعتها ، وربما وردت رسائلُ بحمول ، وكتبُ فيها سقا تيجُ بمال فتبقى أياماً لا تُنص ،
وإذا قُلتَ عاملٌ أتبعَ بمن يعزله قبل وصوله إلى عمله وأتبع الصارفُ بمن
يصرفه . فقيل إنه اجتمع في خان محلوان سبعة أنفس ، وقد قُلتَ كلُّ واحد منهم
ماء الكوفة في عشرين يوماً . وبالموصل خمسة قُلتوا قردي ويزيدي ، وأنهم
اجتمعوا وتشاركوها ما دُفِعوا إليه ، وخرج عن أيديهم من نفقاتهم وما بذلوه عن
تقليدهم على أن ينالوا من مالِ العمل ما قدّموه وأنفقوه ، واستظهروا لنفوسهم به
وخلّوا العمل على آخر من وَرَد الناحية . وكان إذا سئل حاجة دقَّ صدره بيده
وقال : نعم وكرامة ، حتى ألقب دقَّ صدره بذلك ، وبسط يده وأيدى أولاده وكتبابه
بالتوقيعات بالصّلات والإطلاقات ، والإقطاعات والتسويات وتخفيف الطسوق
والمعاملات ، وأخذ المرافق على إضاعة الحقوق وإسقاط الرسوم ، فسَخفت الوزارة
وأخلقت الهيبة ، وزادت الحال ، في إخلال الأعمال ، ووقوف الأموال ، وقصور
المواد ، وتضاعف الاستحقاقات ، واشتداد المطالبات ، وشعب الجند شعباً بعد شعب
وتسحبوا ^(١) على السلطان تسحباً بعد تسحب ، وأخرج إليهم من بيت مال الخليفة
الشيء بعد الشيء الذي بلغ تلك الجملة المذكورة . حتى إذا انحَلَّ النظامُ وبان
الانتشار ^(٢) وتصور المقتدر بالله الصورة فيما تطرق من الوهن على المملكة ، شاور
مؤنسا الخادم فيمن يُقلده الوزارة . وجاراه ذِكر ابن القرات ، ورَدّه فقال : لم يطل
يا أمير المؤمنين العهد بعزله ، وربّما ظنَّ الناسُ وأصحابُ الأطراف أن عزله كان طمعاً
في ماله . وأصحابُ الدواوين الذين دَبَّروا الأمور والأعمال منذ أيام المعتضد بالله هم
ابنا القرات ومحمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وعليُّ بن عيسى بن داود بن

(١) تسحبوا : أدلوا وأفرطوا عليه واجترأوا .

(٢) الانتشار هنا : التفرق .

الجراح ، فأما ابنا القرات فقد توفى منها أبو العباس وتقلد الآخر الوزارة وجرَّب
نَظْرُهُ وَأَثَرُهُ . وأما محمد بن عبدون ومحمد بن داود فقد مضيا عَقِبَ فتنه ابن المعتز ،
ولم يَبْقَ من الجماعة من هُوَ أَسَدٌ تَصَرُّفًا ، وَأَشَدُّ تَعَفُّفًا وَأَظْهَرُ كِفَايَةً ، وَأَكْثَرُ
أَمَانَةً ، من على بن عيسى . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمرَ باستخدامه واستخدامه ،
لم يَعدَمَ إِحَادَةَ الرَّأْيِ فِي بَابِهِ .

فأمره بإفناذ يَلْبِقُ لإحضاره ، وَوُقِفَ الخاقانيُّ على أمره ورُسِمَ له استدعاؤه
واستخلافه على الدواوين . فكتب إلى عَجَّ بن عَاجٍ بإفناذه ، ووجهَ مُؤَنَسَ يَلْبِقُ
حَاجِبَهُ لِيَلْقَاهُ ، وتَدَافِعَ الأَمْرُ إلى أن وصل يَلْبِقُ إلى مكة ، وشهد الموسم مع
أبي الحسن علي بن عيسى ، وقضيا حَجَّهَما وأقبلا . وعند أبي علي أنه يَقدِّمُ على
القاعدة التي تَقَرَّرَتْ معه في استخلافه على الدواوين ، ولم يكن ذلك كذلك ،
وإنما أريد لِيُقَامَ مَقَامُهُ ، حتى إذا انكشف له باطنُ السُرِّ في بابهِ ، توَصَّلَ إلى
إصلاحِ خِوَاصِّ المقتدر بالله وبطائته ، ونَقَضَ مَادُبْرَ في أمرِ علي بن عيسى وتَسْلِيمِهِ
إِلَيْهِ ، وَرَتَّبَ على ماظَنَّ أَنَّهُ أَخَذَ بِالوَثِيقَةِ فِيهِ . وورد أبو الحسن علي بن عيسى
ابن داود في سُحْرَةِ اليوم العاشر من الحرم سنة إحدى وثلاثمائة ، ووصل إلى حضرة
المقتدر بالله وقت صلاة الصبح . وبكر أبو علي الخاقانيُّ ومعه ابناه إلى الدار على
رسمه ، وهو واثق بأن أبا الحسن علي بن عيسى يُسَلِّمُ إِلَيْهِ ، وجلس في المجلس الذي
جرت عادته بالجلوس فيه إلى أن يُؤدِّنَ له في الوصول . وَقَدَّ أبو الحسن الوزارةَ
وأنصرف إلى داره ، وَوُكِّلَ ^(١) بآبي علي وابنيه وابنِ سعد حَاجِبِهِ وأبي الهيثم بن ثوبان
وجامعة من كُتَّابِهِ ، فكانت مُدَّةُ نَظَرِهِ سنةً واحدةً وشهراً وخمسة أيام .

وَحُكِيَ أَنَّ السَّبَبَ فِي تَقْلِيدِ الخاقانيِّ الوزارةَ أَنَّ دَسْتَبُوِيَه أُمَّ وَلَدِ المَعْتَضِ بالله

(١) انظر أيضاً المنتظم ١٢١/٦ .

قامت بأمره مع المقتدر بالله ، لأنه بذل لها مائة ألف دينار . وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما هو سابع فيه فهم أن يقبض عليه ، فاستتر وجدَّ ابنُ الفرات في طلبه ، فنبه على أمره ، وظنَّ أن نفوره منه أفضلُ فيه عنده ، وأشيرَ عليه بأن يؤمنه ويؤليه بعض الدواوين ليزول الخوضُ في بابه ويمتخط بكتابه ، فلم يفعل . فكان أبو علي ينمَس على ^(١) الخدم بالصلاة وإظهار التسنين ، فإذا وافاه خادمٌ بركة أو رسالة تركه زماناً طويلاً إلى أن تتمَّ صلاته ، وكان يُطيلها ثم يُتبعها بالتسيح ، فيصفونه بالديانة ، ويميلون إليه بهذه الوسيلة .

أخبار أبي علي المتنورة

حدَّث أبو الحسن عليُّ بن هشام قال : حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطاني ، وأبو الفضل بنان بن بنان وعلي بن عيسى الزندائي النصرانيان قالوا : حدثنا أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني قال : لما تبادت الأيام بما وعدني المقتدر بالله من القبض على أبي الحسن بن الفرات وتقليدي الوزارة استعظم الحال في نكبته وأشفق من حادث يحدثُ بذلك في دولته ، وعلمت أنه لا ينفع في ذلك إلا إعمال الحيلة . وكنت أتبع الأخبارَ في استتاري فجاءتني في بعض الأيام امرأة من مجازنا وقالت : رأيت الساعة عمارية ^(٢) على بغال ، وجنذاً وغلماً يمشون إلى باب الكناس يريدون الكوفة ، وربما كان ذلك لخارجي خرجَ وفتق حدث . فكتبتُ إلى أبي عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي أسأله عن هذا الأمر ، وكان ظاهراً مُتصرفاً ، فأجابني بأن ملاحاة ^(٣) جرت بين هشام بن عبد الله وعبد الله بن جبير

(١) نمس عليه الأمر تيمناً : لبسه عليه لباساً .

(٢) العمارية : شبه الهودج .

(٣) الملاحاة : المنازعة .

كَاتِبِي ابْنِ الْفَرَاتِ فِيمَا يَحْتَاحُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالنَّعْمِ لِلْأَضْحَى فِي عِيدِ النَّحْرِ ،
وَرَسُومِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَوَاشِي .

قال أبو الحسن : وكان الرسم جارياً بأن يفرق على القواد والفرسان والعلمان
الحجرية والرجالة والخدم والبوابين والفراشين وأصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه
الكتاب وأصاغهم وخزّان الدواوين في كل عيد . من شاة إلى عِدَّةِ بُعْران^(١) ، وتُنَحَّرُ
فِي الْمَصَلَّى سَبْعُونَ نَاقَةً وَيُلْتَزَمُ عَلَى ذَلِكَ مَالٌ جَلِيلٌ ، فَاسْقَطَهُ عَلَى بْنِ عَيْسَى فِي وَزَارَةِ
حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَاسْتِيلَانَهُ عَلَى الْأُمُورِ . قَالَ الْمَالِكِيُّ : فَأَشَارَ ابْنُ جُبَيْرٍ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ
مُعَايِظَةً لِابْنِ الدَّرْدِيِّ الَّذِي ضَمَّنَهُ إِقَامَةَ الْأَضْحَى ، وَإِظْهَاراً لِتَوَقُّرِ فِيهَا أَنْ يُقَلَّدَ
ذَلِكَ رَجُلًا أَسْمَاءً ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْكُتَّابِ مَتَخَلِّفًا مُتْرَقًا^(٢) فَقَلَّدَهُ ، وَأَمْرَهُ بِالْخُرُوجِ
إِلَى الْكُوفَةِ لِتَحْصِيلِ مَا يَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَضْحَى فِي فُسْحَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، قَالَ الْخَلْقَانِيُّ :
فَتَجَلَّفَ الرَّجُلُ وَخَرَجَ بِهَذَا الزَّيِّ وَالصَّنْفِ^(٣) وَتَرَكَ الْعِمَارِيَّةَ فَارِغَةً لِيَبْعُدَ عَنِ الْبَلَدِ
ثُمَّ يَرَى كَبَّهَا وَرَكِبَ الدَّوَابَّ فَتَأْتَتْ لِي الْحَيْلَةَ فِي الْحَالِ ، وَكَتَبْتُ رُقْعَةً إِلَى أُمِّ مُوسَى
الْقَهْرْمَانَةَ أَقُولُ فِيهَا قَدْ أَحْضَرَ ابْنُ الْفَرَاتِ رَجُلًا عُلُوِيًّا قَرِيبَ النَّسَبِ مِنْ صَاحِبِ
الْخَلالِ الَّذِي قَتَلَهُ الْمَكْتَفَى بِاللَّهِ ، وَعَزَمَ عَلَى إِجْلَاسِهِ فِي الْخِلَافَةِ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ ، وَأُجْنِدُ
وَالنَّاسُ مُتَشَاغِلُونَ بِصَلَاةِ الْعِيدِ ، وَإِنْ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ إِفْنَاذُهُ عَامِلًا مِنْ ثِقَاتِهِ
إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُ عِمَارِيَّةٌ خَرَجَتْ فَارِغَةً ظَاهِرًا ، لَمْ يَخْفَ خَبْرُهَا لِرُكُوبِ الْعُلُوِيِّ
فِيهَا مُتَخَفِيًّا لِيَحْصَلَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَغْدَادَ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَفْعَلُ . قَالَ :

(١) البوران : جمع بعير وهو الجمل .

(٢) في الأصل متترقا . والمترق من أترق الرجل سفه بعد حلم .

(٣) الصنف ما يلبس تحت الدرع .

وعظمت القصة وقلت . إن لم يُعَالَج ابنُ الفراتِ تَمَّتِ الحيلةُ الموضوعَة . ثم سألتها مطالعة الخليفة والسيدةِ بذلك ، وكتابه عن كلِّ أحدٍ بعدها ثلاثينمُ الحديث إلى ابنِ الفراتِ فيبطلُ ما رَبَّبْتُهُ . ففعلت أمُّ موسى ، وأنفذَ المقتدرُ بالله شقيقاً خادِمَ السيدة إلى القصرِ على وجهِ التَّصَيِّدِ (١) حتى عرفَ خبرَ العماريةِ الفارِغة ، ورأى زِيَّ العاملِ الذي هو أكَثَرُ مِنْ عَمَلِهِ . فلم يَشْكُ المقتدرُ بالله في صِحَّةِ ما ذكرته ، واستظهر (٢) بأنَّ شاقَّةَ مؤنساً وغريباً الخالَ بذلك ، وكانا عَدُوَّي ابنِ الفراتِ ومعى في التدبيرِ عليه ، فقالا : هو خيرٌ مُستفيضٌ . وقويَّاه في نفسه ، وقالاه : إن لم تعالجه امتنع من حضورِ الدارِ ، واعتصم بمن يُساعدُه من الجيشِ على كثرتهم .

قبض عليه في يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة من سنة تسع وأربعين ومائتين .

قال أبو الحسن بن هشام : فحدثني أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافي كاتبُ نصرٍ القشوريِّ الحاجبِ قال : كنت بحضرة صاحبي في يوم القبض على ابنِ الفراتِ ، فرأيتُه قد خاف خوفاً شديداً ، فقلت : ما الخبرُ أيها الأستاذ؟ قال : ويحك ، جاءني الساعةَ خادمٌ ممن أُعوِّلُ عليه في مراعاة أخبار الخليفة ، فعرفني أنه شاهده وقد جمع جماعةً من خواصِّ خدمه ، وأقامهم حوالبه بالسلاح ، وأسبلَ الشُّتُورَ والستائرَ في الدارِ التي هو وهم فيها ، وهذا لِأمرٍ كبيرٍ ما أعلمُ ما هو . فما مضت ساعةٌ حتى وافى أبو الحسن بنُ الفراتِ ، وخرج نصرُ الحاجبِ فتلَّقاه على رَسمه ، ودخل إلى دارِ الوزارةِ المرسومة به ، وأنفذ نصرُ يستأذن في وصوله . فخرجت رسالة الخليفة : بأنِّي

(١) التصيد هنا : اقتناص الأخبار .

(٢) استظهر : استعان وقوى أمره .

في دار خَلْوَةٍ ، فَقُلَّ له يدخل وحده مع بعض الخدم ، ولا يصحبه منكم أحدٌ ،
واحبس^(١) أنت القوادَ واضرِّفهم ، فليس هو يومَ وصول .

فدخل ابن الفرات مع الخدم ، وقبض عليه نذيرُ الحرْمِي وخدمُ السيدة في
طريقه ، وعَدَلُوا به إلى حيث حبسوه فيه ، وعرف نصرُ الحاجب الحال فأشفق
من القبض عليه أو صرَّفه ، ولم يزل مُرَوَّعاً إلى أن تَصَرَّم النهارُ . فعلمت أن
أولئك الخدم أقيموا لحوف المتمدن بالله أَلَا يَتِمُّ له القبضُ عليه ، وأن الجيش رُبَّماً
هجموا فنعوا منه .

قال أبو الحسن : وكان الرسم إذا دخل الوزير على الخليفة وخدمه أَلَا يُقْبَضَ
عليه في ذلك اليوم ، لا في داره ولا مُنصرفاً عن حضرته ، إيجاباً لحقِّ الوصول
وحُرْمته ، وإنما يُقبض عليه في بعض المرات عند^(٢) دخوله من قبل أن تقع عينه
عليه . وكان أيضاً من الرسم أن يكون للوزير دارٌ مُفردةٌ في دار الخلافة يجلس فيها
وينظر ، مُنذ أيام صاعدٍ وإلى أيام الخاقاني الأكبر ، ويجلس الخواصُّ والخواشي
بين يديه . فلما ولي الخاقانيُّ صارفاً لابن الفرات جالس في دار الحاجب متقرباً إليه
ومُدَّارياً له ، وفعل عليُّ بنُ عيسى بعده مثلَ فعله . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات
إلى الوزارة عاد إلى الدار الأولى المفردة ، وشقَّ ذلك على الحاشية ، وتقلد حامدٌ مجلس
في دار الحجبة ، ورجع ابنُ الفرات في الدفعة الثالثة فرجع إلى الدار القديمة ، ثم بطل
الجلوسُ فيها بعده .

وحدث أبو عيسى أخو أبي صخرة قال : كان أبو عليٍّ الخاقانيُّ يَتَمَنَّى بمودة أبي
الحسين بن أبي البغل . فلما استدعي وقرب من بغداد خرجتُ إليه وتلقيته ، وثقل

(١) في الأصل واجلس . وحبسهم : منهم من الدخول .

(٢) في الأصل : عن .

ذاك على أبي عليّ ، وأرجف الناسُ به ، وبأنه أقيم بُلغةً إلى أن يرد أبو الحسن .
وكان أبو الحسن أخو أبي الحسين قد تقلدَ مناظرةَ أبي الحسن بن القرات وأسبابه في
دار السلطان ، وإثارةً ودائعهم ، بعنايةِ أمِّ موسى وقيامها بأمره ، سَعَتِ أمُّ موسى
وابنَ الحوارى في تقليدِ أبي الحسين ابنِ أبي البغل . وقد كان ظهر من اختلالِ نظر
الخالقانيّ وسوءِ تدبيره ووقوفِ الأمرِ على يده ما دعا إلى صَرَفِه قبلَ تَطَوُّلِ المَدَّةِ .
وعرف الخالقانيّ ما يجرى الخوضُ فيه ، فتوصل إلى فَسَخِهِ بِحِيلَةٍ عملها ، وذاك أنه قال
لأبي القاسم ابنه : ادْعُ دَعْوَةَ أَجْمَعٍ فيها أصحابَ الدواوين ووجوهَ القواد وإخوانك
وكتابتنا ، فإن لذةَ الوزارةِ في ظُهورِ الرئاسةِ ، وإلا فما الفرقُ بين العملِ والعطلةِ ؟ فقال :
السمع والطاعة . وعيّن له في ذلك على يَوْمِ سَبْتٍ ^(١) لأنه لا موكب فيه ، ودعا الجماعة
فلما حصلوا عند أبي القاسم ابنه - وقد كتم رأيه فيما هو مُدْبِرُهُ عنه وعن كلِّ أحدٍ -
مضى وَقَتَ العَصْرِ من ذلك اليومِ إلى دارِ الخِلافةِ وقال لنصرِ الحاجبِ : استأذِنْ لِي
على أميرِ المؤمنين لأَجْرِيهِ مُهِمًّا لا يَحْتَمِلُ تَأَخَّرَ وقوفه عليه ، فذكر نصر ذلك
للمقتدر بالله ، فقلق وخاف من حدوثِ حادثٍ عظيمٍ ، فأوصله . فلما دخل إليه ودنا
منه قال : ها هنا مُهِمٌّ لا يجوز أن يَحْضُرَهُ أحدٌ ، فانصرف نصرُ الحاجبِ وسائرُ من
في المجلس حتى بقيا خاليتين ، ثم قال له الخالقانيّ : قد رفعتني يا أمير المؤمنين بعد ذلّةٍ
وأغنيتني بعد قلةٍ ، وما قَصَّرْتُ في خدمتك ، ولا قعدت عن مُمكنٍ في تَمْشِيَةِ أمورِ
دولتك ، وفيما بان من اجتهادي أخذت من أموال ابن القرات ما يبلغه ألفا ألفِ
دينار وكسرتُ سوى الأمتعةِ الجليلةِ . وما أدفعُ أنى لَسْتُ كُهو في ^(٢) الكفاية لطولِ
عطلتى ودُرْبَتِي ، واعتزالي وتَصَرُّفِي ، ولكنني مأمون على أيامك ، ومُعْتَمِدٌ لإمامتك

(١) أى على أن يكون يوم سبت .

(٢) أى أنى لا أنى لست مثله في الكفاية وذلك لطول عطلتى .

وهؤلاء الراضة كلُّهم أعداؤك ، ورأيهم مع الطالبين لامعك ولا مع آبائك . وقد
 وَفَّرَ اللهُ عليك من ارتفاعِ ضياعِ ابنِ الفرات ما قدره ألفُ دينارٍ في السنة ،
 وليس يبلغُ أثرُ تقصيري في تديري - على ما يُقال لك - هذا القَدْرَ ، فكيف
 وليس الأمرُ على ما يُدَّعى؟! وما استعنتُ إلا بالكفّاةِ الذين كانوا يعملون مع
 عبيدِ الله بنِ سليمان والقاسمِ ابنيهِ ، وابنِ الفراتِ بعدها ، والأمورِ منتظمةٍ بهم ، وقد
 أمنتُ بذلكِ عدوّاً يسعى على أصولِ الدولة . ولعمري إن ولدي وحاشيتي قد مدّوا
 أيديهم إلى قبولِ هدايا العَمالِ ومرافقهم لأنهم كانوا فقراء ، وَعَقِيبَ مِحْنَةٍ طويِلةٍ
 وَعُظْلَةٍ مُتَّصِلَةٍ ، لكننا ما أخذنا حَبَّةً واحدةً من الأصول ، وقد غَنِينَا الآنَ بما حصل
 لنا وَبِلْ أَحْوَالِنَا ، وسأحلفُ آناً على استئْثافِ الأمانة ، واستعمالِ النزاهة ، وأضبطُ
 أولادِي وأصحابِي عن أخذِ درهمٍ واحدٍ . وابنُ أبي البغلِ أعظمُ عداوةً لمولانا من ابنِ
 الفراتِ ، لأنه رجلٌ مُلْحِدٌ ، يُبْطِلُ الإسلامَ والنبوةَ ، ويلهو بالقرآن ، وَيَدَّعِي الخِطَأَ
 فيه ، وقد أخرجَ عُيُوبَهُ وصَنَّفَ فيه كتاباً ، فكيف يُوثقُ بِمَنْ هذه حاله على الخدمةِ
 وقد صَافَرَهُ جماعةٌ مِنْ عُمَّالِي على أمرِهِ ، وترَبَّصُوا بما قَبَلَهُمْ من الأموالِ تَوَقُّعاً
 لِأَيامِهِ . وقد بلغني اليومُ أنه قال لِثِقَاتِهِ : إن أميرَ المؤمنين قد أخذَ إليه على يدِ فَرَجِ
 النصرانيةِ صاحبةِ أُمِّ موسى خاتمةً ، وجعله على ثقةٍ من تقليده في يومِ الموكبِ الأذني
 فإن كان ذلكِ حقّاً فقد حضرتُ دارَ أميرِ المؤمنين بعد أن جمعتُ عندِ ابني جميعَ
 أولادِي وأقاربي وكُتَّابِي وأصحابِي ، ولم أُطْلِعْهم على أمرِي ، فإن أرادَ مولانا وهمُ
 بالقبضِ عليهم فنحن في يده ، فيأمرُ بِإِنفاذِ من يتسلَّمُ الجماعةَ بعد أن تُجرَسَ نفوسُنا
 بكوننا عنده . فقد يجوزُ أن نُسْتَحْدَمَ في كتابةِ السيدةِ والأمراءِ ولا نَخْرُجَ عن المجلةِ .
 وأن يُفْضِلَ^(١) مولانا بِإِتِّمَامِ صنيعته ، وتمكيني من هذا المُلْحِدِ ابنِ أبي البغلِ الذي

(١) أفضل عليه : أتاه من فضله وأحسن إليه .

أبعده الوزراء قبلي لِشَرِّه ، وطردوه من الحضرة لِقُبْحِ فعله ، وكانوا أعرفَ به مني
أثرتُ من جهته وجهته أخيه مالا كثيراً ، إذ كان أخوه قد اقتطع من مال
ابن الفرات الذي تولى إثارته صدراً كبيراً .

ويكى ورقيّ القندر بالله ، وأطمعه ، فرق له ورحمه ، وتوقف عن أمر
ابن أبي البغل ، وقال للخاقاني : ما أردت صرْفك ، ولو كنت أردته لزلتُ عنه
الآن مع سماعي ما سمعته منك ، وقد أطلقت يدك في ابن أبي البغل وأخيه ،
فأقبضُ عليهما وأبعدهما . فقال : يا أمير المؤمنين كانت أم موسى سعت لي
في هذا الأمر ، وقد تعيرت عليّ ، وعدلتُ عنى إلى السعي لابن أبي البغل والقيام
بأمره ، وأخاف أن يسدَّ قلبُ السيدة فتتنيك عن هذا الرأي فأهلك أنا .

فعاهده ألا يُطلع السيدة ولا غيرها على ما جرى بينهما إلى أن يتم القبضُ عليه .
فقال له الخاقاني : فيظهر أمير المؤمنين أنى حضرت لأجل كذا وكذا ، لحديث
علمه من أمور الأطراف .

وخرج الخاقاني فجلس في دار الحجة ، وكتب بخطه إلى أبي الحسن بن أبي البغل :
إن أمير المؤمنين قد طلب مني عملاً لما صحَّ من أموال ابن الفرات وأسيابه فخصرته
الساعة ، فإني مقيم في الدار أنتظرك .

فما بعد أن وافى ابن أبي البغل ، فقال له الخاقاني : قد جرى بيني وبين
أمير المؤمنين في أمر أخيك ما لو توليتَه لما زدتُ عليّ فيه ، وقررتُ معه تقليده
أصولَ دواوين السواد والمشرق والمغرب ، ليكون هو على الأصول ، وأبو بكر محمد
ابن عليّ المادرائي على الأزمة ، وأنشغلُ أنا بالخدمة ، وتزولُ هذه الأراجيفُ
الواقعة ، ونكون بدأ واحدة في إثارة الأموال وتسديد الأحوال .

فشكره ابن أبي البغل على ذلك ، ووطن أنه شيء قرره الخليفة وأمر به ليجمعه

طَرَفًا إِلَى مَا اعْتَقَدَهُ ، وَسِببًا لِيُكُونَ الْخَلْقَانِيَّ وَالْأَلَا يَسْتَوْحِشَ مِنَ الْأَقْوَالِ
الَّتِي تَقَالُ فِي الْإِرْجَافِ بِهِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَانِيَّ ادَّعَى مِنْ ذَلِكَ مَا ادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ تَجْمُلًا وَتَمَنُّنًا عَلَيْهِ
بِمَا لاصُّعٌ لَهُ فِيهِ . وَأَمْرُهُ الْخَلْقَانِيَّ بِمَكَاتِبَةِ أَخِيهِ بِأَنْ يَسْبِقَهُ إِلَى دَارِهِ لِيُوقِعَ لَهُ
بِمَا رَسَمَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَسَلَّمَ الدَّوَاوِينَ . وَكَتَبَ ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ إِلَى أَخِيهِ بِالصُّورَةِ
وَبِمَا حَسِبُهُ فِيهَا وَقَدَّرَهُ . فَبَادَرَ دَارَ الْخَلْقَانِيَّ وَتَأَخَّرَ الْخَلْقَانِيُّ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى وَقْتِ
صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ، ثُمَّ انصَرَفَ لَيْلًا ، فَسَاعَةً رَأَى ابْنَ أَبِي الْبَغْلِ حَاصِلًا وَقَدْ صَعِدَ
أَخُوهُ مَعَهُ قَبْضَ عَلَيْهِمَا ، وَأَنْزَلَهُمَا فِي زُورِقٍ مُطْبِقٍ ، وَوَكَّلَ بِهِمَا ثِقَاتَهُ وَحَدَرَهُمَا
إِلَى وَاسِطٍ لِيَنْفِيَهُمَا مِنْهَا إِلَى حَيْثُ يَتَقَرَّرُ رَأْيُهُ عَلَيْهِ . وَعَرَفَتِ السَّيِّدَةُ وَأُمُّ مُوسَى
مَا جَرَى ، فَقَامَتِ الْقِيَامَةَ عَلَيْهِمَا ، وَخَاطَبَتَا الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ فِيهِ فَقَالَ . أَنَا أَمَرْتُ بِهِ ،
وَلَا يَجُوزُ فَسَخُّهُ مَعَ وَقُوعِهِ ، فَكَانَتْ غَايَةُ مَا عِنْدَهُمَا أَنْ سَأَلَاهُ مِرَاسَلَةَ الْخَلْقَانِيَّ
بِأَلَّا يُصَادِرَهُمَا وَأَنْ يَقْلُدَهُمَا بَعْضَ الْأَعْمَالِ لِيُنْفِذَ إِلَيْهِمَا . وَوَجَّهَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَخِيهَا
وَابْنَ الْخَوَارِئِ إِلَيْهِ ، فَمَا بَرَّحَا حَتَّى قَلَدَ أَبَا الْحُسَيْنِ أَصْبَهَانَ وَأَبَا الْحَسَنِ الصَّلْحَ وَالْمُبَارَكَ
وَكَتَبَ بِإِطْلَاقِهِمَا وَإِنْفَاذِهِمَا إِلَى أَعْمَالِهِمَا .

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الزَّهْرِيُّ الْأَصْبَهَانِيَّ الْكَاتِبَ قَالَ : لَمَّا تَقَلَّدَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْكَرْخِيَّ أَصْبَهَانَ ، وَقَبِضَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ ، أَقَامَ فِي حَبْسِهِ
إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ الْأَهْوَاذَ وَحَمَلَهُ مَعَهُ ، وَمَاتَ الْقَاسِمُ وَتَقَلَّدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُهُ مَوْضِعَهُ .
وَكَتَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ مِنَ الْحَبْسِ إِلَى أُمِّ مُوسَى الْقَهْرْمَانَةَ بِالشَّرُوعِ لَهُ
فِي الْوِزَارَةِ ، وَبَدَّلَ الْبُدُولَ الْكَثِيرَةَ ، فَقَامَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَمْرِهِ وَقَرَّرَتْهُ مَعَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ
وَالسَّيِّدَةِ ، وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَبَأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَمَرَ بِمَكَاتِبَتِكَ بِالْإِصْعَادِ لِيَسْتَوَزِرَكَ .
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُمَا لَمْ يَنْتَظِرْ وَرُودَ كِتَابِ السُّلْطَانِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْحُجْرَةِ الَّتِي كَانَ
مَعْتَقِلًا فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَاتَّهَرَمَ وَشَتَمَهُمْ ، وَأَظْهَرَ الْكِتَابَ ،

ورأى بَعْلًا مُسْرَجًا لأبي عبد الله بن القاسم ، فركبه يريد الدار التي فيها رَجَالُهُ
وغلمانُهُ . وعرف أبو عبد الله خبرَهُ ، فخرج حافياً حتى لحقه وقد وضع رجله
في الرَّكَّابِ ، فقال له : عرَّفَ الله الوزير البركة ، وخار له فيه .

فقبل ذلك منه ، ثم قال أبو عبد الله : ماوردَ عليَّ الكتابُ بشيء من هذا -
أفأكتبُ إلى بغداد بما فعله الوزير من خروجه عن محبسه ، وركوبه من غير أمرٍ
وردَّ في بابه ، واحتجاجه بكتاب التهرمانه ؟ فقال له : اكتب ما شئت .

فوفى إلى داره واستأجر سُفُنًا ، وسار من يومه عن الأهواز يريد الحضرة -
وكتب أبو عبد الله إلى الوزير الخاقاني بالصورة ، فركب إلى المقتدر بالله ، ودخل إليه
وحلَّ سيفه ومنطقته بين يديه ، وقبَّل الأرض وبكى ، وأذكره بخدمته وحُرْمته ،
وحقوق أسلافه على أسلافه ، بعد أن عرفه حال ابن أبي البغل ، وما أظهره بالأهواز ،
وما فعله ، وبذل له أن يقوم بكثير مما بذله ابن أبي البغل ، واستحيا المقتدر بالله ،
ورقَّ لقوله وبكائه ، وعاظته عَجَلَةٌ أبي الحسين بن أبي البغل ، ومبادرته إلى الاصعاد
قبل ورود أمره عليه بذلك ، فأمره برَدِّه من الطريق وترَكَّ الفُسْحَةَ له في الورد -
وعرفت أم موسى ما جرى ، فقامت عليها القيامة منه ، وراجعت الخليفة ، وأذكرته
بما قرَّرتة معه ، فامتنع عليها من استيزاره ، وأجابها إلى تعويضه من ذلك ، وإخراجه ،
من النكبة ، وردَّه إلى أصبهان ، وكتب له بتقليد هذه الناحية ، ورسم له الرجوع
من حيث يلقاه الكتابُ فيه ، وألَّا يُتَمَّ إلى الحضرة . فاتفق أن وصل الكتابُ
إليه وقد حصل بجزَّ جَرَايَا ، فعاد مغموماً وتوجه إلى أصبهان .

قال أبو بكر الزهرى : ولما وردها ، نزل بظاهرها في بستان يسمى مايان ، وخرج
الناس لاستقباله ، ودخاتُ إليه ، وجاست عنده . فلما خلا قال أعطني ذلك التقيوم ،

وأوماً إلى تقويم في زاوية المجلس ، فحجته به . فكتب على ظهره بيتين لنفسه
وأشدينيهما ، فسمعتهما منه وهما :

ولى همة تعلقو التما كين رفعة وتسمو إلى الأمر الذى هو أشرف
وجدى عثور كلما رمت نهضة تقاعد بي يفتالني ليس ينصف

وله في هذا المعنى لما انتقض أمره في الوزارة :

أمل كان كضوء الشمس في بعد المكان
فإذا صار على قر ب يلمس وعيان
استردته يد الدهر فعدنا في الأماني

ولأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني الكاتب إلى أبي الحسين ابن

أبي البغل في هذا المعنى من قصيدة أولها يقول فيها :

نصا شيبه من جدّة اللهو مانصا وعوضه ثوب النهى فتعوضا
أقول وقد شئت البروق فلم أجد كبرق بدا من أصبهان فأومضا
سقى الرايح الغادى بلاداً رقتها ولم تك لولا أن نبت بي لثرفضا
وهل هي إلا موطن لي محبب إلى أعادته الخطوب مبغضا
ولما تولأها الأغر محمد حدا ذكره شوق إليه فأومضا
كأنى بذاك الضمع قد حله أبو ال حسين فجادته يده قر وضا (١)
فأليس فيه الأمن من كان خائفا وحكم في الإثراء من كان منفضا (٢)
وأصلح ملتائنا هناك بعزمه وقوم مومجا ودلل ريبنا (٣)

(١) جادته : أمطرت عليه . وروضها : صيرها كالروضة .

(٢) المنفض : الذى فنى زاده وهلكت أمواله .

(٣) اللثا : الذى اختلطت عليه الأمور والتبست ، والبطىء . والرئيس : الذى لم يحكم تدبيره .

والداية أول ما تراض .

وجازى يا احسان مُسِيثًا وَمُحْسِنًا
وكل امرئ يَفْقِضِ الذى حَيْثُ أَقْرَضَا
وفيها يذكر الوزارة :

ووالله ما أدرى أَرَأَيْكَ تَنْتَضِي
أم القَدَرَ المَاضِي إِذَا الخَطْبُ أَجْهَضَا (١)
ومُعْرِضَةً عن خَاطِبِيهَا تَبَرَّجَتْ
إليك على قَصْدٍ فَالْفَتَكَ مُعْرِضًا
رأت مُنْكَرَافِي الرَّأْيِ أَن رَأْبَ الثَّأْيِ
سواك امرؤٌ أَوْ أن مُبِرِّمٍ قَيَنْقُضَا (٢)
لجَاءَتِكَ تَخْطُو العِزُّ مِمَّنْ تَعْرِضُوا
لها ، وهى لا تَأْلُوكُ مِنْهَا تَعْرِضَا
تَجُوبُ إِلَيْكَ البَرَّةُ وَالبَحْرُ وَالوَرَى
يَحْتُونَهَا لَمَّا رَأَوْكَ لَهَا رِضَا (٣)
فحَاطَكَ عَنْهَا اللهُ عِلْمًا بِأَنهَا
مَدَى غَايَةٍ إِذَا اتَهَى فَقَدْ اقْتَضَى
وَرَدَّكَ صَوْنًا لِلْمَكَارِمِ وَالعُلَى
إلى مَنَهِجٍ لَا نَبْتَنِي عَنْهُ مَدْحُضَا (٤)
وَلَيْسَ بِمُغْبُوطٍ أَخُو الرِّبَةِ التى
إِذَا زَلَّ عَنْهَا قَيْسٌ شَبْرٌ فَقَدْ قَضَى (٥)
وَلَوْ كُنْتَ قَدْ حُمِلْتَ أَعْبَاءَ ثِقَلِهَا
لَحَمَلْتَ وَرِزًّا يَتْرُكُ الظَّهْرَ مَنقُضَا (٦)
أَعْيِدُكَ وَالرَّاجِحُونَ طَرًّا مِنَ التى
تَكُونُ بِهَا لِلنَّائِبَاتِ مُعْرِضَا
وَهُنَّتْ أَغْصَابَ الزَّمَانِ بِشَابَتْ
من العز والسُلْطَانِ لَنْ يَتَمَوَّضَا (٧)
فإِنَّكَ لَمْ تُحْسِنِ لِسُوءٍ وَلَمْ تُضْمِ
وَلَمْ تُلَفْ فِي تِلْكَ المَقَامَاتِ مُدْحُضَا (٨)
وَمَا كَانَ يُدْعَى ذَلِكَ المَجْلِسُ الذى
تَبَوَّأْتَهُ إِلَّا عَرِينًا وَمَرَبُضَا (٩)

(١) أحض هنا منهاها أزلق .

(٢) يقال فلان يرأب الثأى : أى يصلح الفساد . والثأى : هو الفتق وآثار الجرح . ويمر : يشد الفتل .

(٣) رضا : مرضى عنه .

(٤) المدحض هنا : البحث من قولهم دحض عنه بحث .

(٥) قيس : مقدار . وقضى : هلك .

(٦) منقض : منقل .

(٧) أغصاب : جمع غب وهو بمعنى بعدد والعاقبة ، أى هنت عقب كل زمن أو فى عاقبة كل وقت .

(٨) مدحضا : مزالا عن مكانك أو مبطلا كاللحجة الباطلة .

(٩) يريد بالمرضى هنا من ربوض الأسد لا أى حيوان .

وما كُنْتَ إِلَّا السِّيفَ يُرْهَبُ مُعْتَدًا
 محمدُ يَا حِلْفَ النَّدَا يَا بَنَ أَحْمَدِ
 وإن كان محصوراً وَيَقْطَعُ مُنْتَضَى^(١)
 نِدَاءَ أَمْرِيءِ أُضْحَى إِلَيْكَ مُقَوِّضَا
 وترضى بِيُعْدَى عَنْ ذَرَاكَ فَمَا أَرَى
 وراءك على عَيْشًا وَإِنْ كَانَ مُرْتَضَى^(٢)
 جَبْرَتَ بِهَا عَظْمَى وَكَانَ مُهَيِّضَا^(٣)
 تَحْقُ لَشَكْرِي أَنْ يَطُولَ وَيَعْرِضَا
 أَيْدِي نَمَى طُولًا وَعَرَضَا غَيْرَ أَسْهَا
 وله إليه في هذا المعنى من قصيدة :

أرادوا له ما لم يُرِدْهُ لِنَفْسِهِ
 وأفضلُ من نَيْلِ الوِزَارَةِ لِأَمْرِيءِ
 لِكَيْ يُدْرِكُوا عِزًّا وَفَضْلَ ثَرَاءِ
 وَلَا سِيَّامًا مِنْ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لَهَا
 بَقَاءَ يُرِيهِ مَصْرَعِ الْوُزَرَاءِ
 وَمَنْ قَدْ رَأَيْتَنَا بِالْخِلَافَةِ فَاقَّةً
 وَإِنْ عَاقَبَهُ عَنْهَا اعْتِلَالُ قَضَاءِ^(٤)
 وَمِنْ هُوَ مَعْلُومٌ بِأَنَّ وِفَاءَهُ
 إِلَى مِثْلِهِ مِنْ رَاشِدِي الْخِلْفَاءِ
 أُرِيدُ لَهُ طَوْلَ الْبِقَاءِ وَقَلْبَا
 بِهَا لَوْ يَلِيهَا فَوْقَ كُلِّ وِفَاءِ
 رَأَيْتُ وَزِيرًا نَالَ طَوْلَ بِقَاءِ

وذكر أبو الحسن ثابت بن سنان قال . لما ظهر من الاختلال في أيام الخلفائي ما ظهر ، كتب أبو محمد الحسن بن روح إلى المقتدر بالله رُقعة يضمن فيها الخلفائي وأسبابه بما يجمل منه خمسمائة ألف دينار ويقول :

أنا أقتصر على الوزارة ، وتكون الدواوين إلى علي بن عيسى ، فتمشى الأمور ، وتستقيم الأعمال .

وسلم الرقعة إلى أم موسى القهرمانة لتوصلها ، وتُحْرِزِ الأَمْرَ فِي مَضْمُونِهَا .

(٢) ذراك : فناؤك ورجابك .

(١) منتضى : مسلول .

(٣) مهيض : مكسور .

(٤) اعتلال القضاء : ضعف القدر وتمله .

فَسَلَّمَهَا أُمُّ مُوسَى إِلَى الْخَلْقَانِيِّ ، فَأَنْفَذَ إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ رُوحٍ وَكَبَسَهُ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَجَسَهُ ، وَصَرَفَهُ عَنِ دِيْوَانِ ضِيَاعِ الْخَلِصَةِ .

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : قُلْتُ لِلْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلْقَانِيِّ فِي كَلَامِ جَرِي : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَابِتَةٌ .

فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا تَصْحِيفٌ ، إِنَّمَا هُوَ : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَيْسَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ كَانَ لَيْنَ الْعَرِيكَةِ ، قَلِيلَ الْبَصِيرَةِ ، لَا يَدْفَعُ عَنْ شَيْءٍ يُخَاطَبُ فِيهِ ، وَلَا يَتَصَوَّرُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِيمَا يَكُونُ مِنْهُ فَانْبَسَطَتْ الْعَامَّةُ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنِ الْخَلِصَةِ ، وَلُقِّبَ بِدَقِّ صَدْرِهِ ، وَوَقَّعَ بِكُلِّ سَوْأَلٍ وَإِنْفَازٍ لِكُلِّ مُحَالٍ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَخَذَنِي سَبْكُ الْمَفْلُحِيِّ أَنَّ أَحَدَ الْقَوَادِمِ الْأَصَاغِرِ سَأَلَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَلْقَانِيَّ أَمْرًا فَقَالَ : اكْتُبْ رُقْعَةً حَتَّى أَوْقِعَ لَكَ فِيهَا . فَأَحْضَرَ بِيَاضًا وَقَالَ : يُوقِعُ الْوَزِيرُ فِي آخِرِهِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى الْمَسْئُولِ لِأَكْتُبَ الْعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ . فَوَقَّعَ لَهُ بِذَلِكَ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا : أَنَّ نَصْرَ بْنَ الْفَتْحِ كَاتِبَ مُؤَنَسِ الْخَلَادِمِ تَأَخَّرَ عَنِ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلْقَانِيِّ ، وَجَاءَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنِ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِعَلَّةٍ بَنَتْ لَهُ عَزِيزَةً عَلَيْهِ . فَاتَّفَقَ أَنْ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ صَكٌّ عَلَيْهِ لِبَعْضِ الْوُجُوهِ بِمَالٍ أُطِيقَ لَهُ ، فَوَقَّعَ إِلَيْهِ : أَطْلِقْ أَوْ كَرَمَكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَرِّفْنِي خَيْرَ الصَّبِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ سَبْكِ الْمَفْلُحِيِّ : أَنَّهُ سَأَلَهُ إِثْبَاتَ رَاجِلٍ مَعَهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ فِي الْمَشَاهِرَةِ . فَقَالَ : أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ ! وَكَرَّرَهَا ، وَمَا زَالَ يَحْسِبُهَا حَتَّى

صارت ثمانية وأربعين ديناراً في السنة . ثم وقع بإجراء ثمانية وأربعين في المشاهرة .

وحدث أبو الفرج السلمي الكاتب قال : حدثني أبو العباس ابن النفاط قال : حدثني أبو عبد الله بن أبي العلاء الكاتب قال : كنتُ بحضرة الخاقاني وقد عُرض عليه كتابٌ كُتب من الديوان إلى عامل النيل بحمل غلّة كانت حاصلة قبّله وأنكر عليه تأخيرها ، فوقع إليه في الكتاب : أحمل الغلّة ، وأزح العلّة ، ولا تجلسن متودّعا في الكلّة ^(١) . قال : ثم التفت إلي وقال : يا أبا عبد الله ، في النيل بقى يحتاج إلى كليلٍ ؟ فقلت : إي والله وأى بقى ومن أجله يلزم الناس الكليلَ نهاراً وليلاً . قال : فسرّ وقال : تحمدُ الله على حسن التوفيق . ونفعني ذلك عنده .

ووقع في كتابٍ إلى بعض العمال - وكان مُستزيداً له - : الزم - وفكك الله - المنهاج ، وأحمل ما أمكن من الدجاج ، إن شاء الله . قال : فحمل العاملُ دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال : هذا دجاج وفقرته برّكة السجع . وتقدّم بأن يُباع ويورد ثمنه في الحساب ، فأورد منسوباً إلى ثمن دجاج السجع .

قال : وسأله رجلٌ كتابَ شفاعةٍ إلى أم موسى القهرمانه ، فكتبه له ، وعنوانه : لأبي موسى . قال : وكان لها أخٌ يجلس فيلقاه الناسُ وأصحابُ الحوائج ليأخذ رفاعهم وقصصهم إليها . فلما دفع إليه ذلك المستشفعُ الكتابَ نظر إلى عنوانه وضحك وقال له : أحمله إلى صاحبه . قال : وأين منزله ؟ قال : في مقابر الخيزران . قال : أحمله إلى أهل

(١) الكلّة : السر الرقيق وهو أشبه بما يسمى « الناموسية » .

القبور؟ قال : فإذا كان ذلك إلى أهل القبور، تحمله إلى سكان الدُّور؟ وأخذ الكتاب منه وشاع خبره .

ومن أحاديث الخاقاني المشهورة أن أبا الحسن علي بن عيسى جلس معه يوماً في طياره ، وأراد الخاقاني أن يُحْيِيَهُ بتفاحة كانت في يده ، وهم أن يبصق في الماء ، فبصق في وجه علي بن عيسى ، ورمى بالتفاحة إلى الماء . وقال : إنا لله ، غلطنا . فقال : علي بن عيسى : إنا لله نُغَلِّطُنَا (١) .

ومن أحاديثه أيضاً أنه مر في طياره مُنصرفاً من دار السلطان عند صلاة المغرب ، فرأى ملاحين يُصَلُّون في مسجد علي دجلة بمسرة القصب ، فقدم وصعد وصلى معهم وكان ضامماً . فأنفذت إليه بدعة الكبيرة ماء مثلوجاً لِيُفِطِرَ عليه ، فرذّه وشرب ماء حاراً من دجلة .

وقيل : إنه كان يدخل إليه الرجل الذي قد عرفه طويلاً فيسلم عليه ويسأل عنه ، فيقول أو يقال له : هذا فلان ، أو إنه فلان . ثم يلقاه بعد يوم فتكون حاله معه مثل الحال الأولى (٢) .

وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال : سمعت أبي وأبا إسحاق وإبراهيم بن عيسى بن داود بن الجراح وأبا القاسم سليمان بن الحسن يحدثون ، قالوا (٣) : لما تقلد أبو الحسن علي بن عيسى الوزارة صارفاً للخاقاني عنها ، وجد (٤) في أيدي القواد والحاشية والرعية توقعات كثيرة بخطه وخط عبد الله وعبد الواحد ابنيه ، ومحمد وأحمد ابني سعيد حاجبه ، وبنان بن بنان ويحيى بن إبراهيم المالكي وعلي بن عيسى الزنداني ، كتابه ، في فلك وإثباتٍ وتقديرٍ وإيجابٍ ومظالمٍ وتسوياتٍ وإقطاعاتٍ

(١) أصبنا بالثلط وهو البراز .

(٢) في الأصل : الأولة .

(٣) في الأصل : قال .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٠

ومقاطعَاتٍ مِّمَّا مِثْلَهُ يَأْتِي عَلَى ارْتِفَاعِ الْمَلِكَةِ ^(١) . وَقَدْ كَانَ الْخَلْقَانِي أذِنَ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ فِي التَّوْقِيعِ عَنْهُ بِكُلِّ مَا رَأَوْهُ ، وَكَانُوا عَلَى فَاقَةٍ وَضَعَطَةٍ وَخُرُوجٍ مِنْ نَسْكَبَةٍ وَعُطْلَةٍ ، وَعَرَضُهِمُ الْارْتِفَاقُ وَأَخَذُوا مَا لَاحَ ، وَأَغْلَظَ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْحَرْجُ . وَتَأَمَّلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ ، فَاسْقَطَهَا ، وَكَانَ مِنْهَا مَا ثَبَتَ فِي الدَّوَابِّ وَمَا لَمْ يَثْبُتْ ، وَعَمِلَ عَلَى إِعْلَامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْمَلِكِ وَبَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْوَهْنِ وَالنَّقْصِ بِإِمضَائِهَا وَاسْتِئْذَانِهِ فِي رَدِّهَا وَإِبْطَالِهَا .

قال هشام : وكنت متحققا به إذ ذاك فقلت : لا تفعل فإن الخليفة على ما تعرفه من التدبُّرِ بآراء النساء ، والقَبُولِ مِنَ الْحَاشِيَةِ ، وَأَكْثَرِ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ لَهُمْ وَلِلْمُتَعَلِّقِينَ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْمُلْتَجِئِينَ إِلَيْهِمْ ، فَاعْدِلْ إِلَى أَنْ تَنْظُرَ مَا قَدْ أَنْشَى الْكِتَابُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الدَّارِ إِلَى أَصْحَابِ الدَّارِ فَتُمْضِيهِ ، وَمَا كَانَ بِنُخْلَافِ ذَلِكَ أَبْطَلْتَهُ ، فَإِنَّكَ تُمْضِي الْقَلِيلَ وَتُبْطِلُ الْكَثِيرَ ، وَتَأْمَنُ عِدَاوَةَ النَّاسِ ، وَمَتَى اسْتَأْذَنْتَ الْخَلِيفَةَ لَمْ تَأْمَنَ أَنْ يَأْمُرَكَ بِإِمضَاءِ الْكُلِّ فَتَقَعَ فِي الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ .

فلم يقبل ، ومضى فطالع المقدر بالله بالصورة ، واستأمره في إسقاط التوقيعات ، وقد كان الحواشي سَبَقُوا إِلَيْهِ بِالشُّكْرِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ فَمَا عَرَفَاكَ أَنَّهُ بِتَوْقِيعِهَا أَمْضِيئَتَهُ ، وَمَا كَانَ بِتَوْقِيعِ أَصْحَابِهَا رَدُّدَتَهُ فَأَمَرَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَصْحَابَ الدَّوَابِّ بِجَمْعِ الرِّقَاعِ ، فَجُمِعَتْ فِي أَيَّامٍ ، وَأَنْفَذَهَا إِلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ كَاتِبِ حَضْرَتِهِ وَابْنِ الْمَاسِحِ لِيَعْرِضَ لَهَا عَلَيْهِمَا ، وَيَسْأَلُهَا عَنْهَا . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ وَجَدَا الْخَلْقَانِي قَائِمًا يَصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى - وَكَانَ يُطِيلُهَا - وَابْنَهُ عِنْدَهُ جَالِسًا فَعَدَلَا إِلَيْهِ ، وَأَدْبَا الرِّسَالَةَ ، وَأَعْطَاهَا الرِّقَاعَ عَلَى حُكْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْاسْتِبْدَادِ بِالْأُمُورِ فِي خِلَافَتِهِ لِأَبِيهِ . فَأَخَذَ يَتَأَمَّلُهَا وَيُمَيِّزُهَا ، وَيُفَرِّدُ الْأَقْلَبَ

(١) يعني أن هذا كله يستغرق إرادات الملكة

ويطرح الأكثر، ولحظه أبوه، فحُفِّف الصلاة ثم صاح عليه وقال له: أفسدتَ أمرى في نظري، وتريد أن تفسده في حبسى! وأقبل على الرسولين وقال لهما: ما أحسبما الفعل . فإنكما أنفذتما إليَّ فعدتُما إلى وُلدي عني، وإنما كان خليفتي . فقاما إليه وعرفاه ماحضرا فيه . وأقرأه الرقاع . فجعل يتأمل التوقيعات خاصة، حتى إذا استوفى النظر فيها قال لهما: قولا للوزير - أيده الله - هذه التوقيعات صحيحة، وما وُقعَ بها إلا بإذنى، فإنه ما كان أحدٌ من كتابي يُقدم على أن يُوقَّع عني بما لأعلمه ولا أُرسمه، والذي فعلته هو ما رأيتُه صلاحاً لنفسى وخدمةً للخليفة - أطال الله بقاءه - في استمالة قلوب حاشيته ورعيته، واستخلاص نيتهم في موالاته وطاعته، والأمرُ الآن إليك فافعل ما تراه .

قال: فقاما وعادا إلى علي بن عيسى، وأعادا عليه قوله: قامت قيامته منه، واضطراً إلى إمضاء الأكثر، وإسقاط من استضعف صاحبه واستلاب جانبه، ولم تكن له جهةٌ تشفع في بابهِ . وعرف الحاشية ذلك، وشكروا الخاقانيَّ وتعصبوا له، وقاموا بأمره مع المعتذر بالله حتى قُررتْ مصادرتُه وأطلق بعد أربعة أشهر .

وقال الخاقاني (١) لابنه بعد انصراف ابن أيوب وابن الماسح: أردتُ يا بني أن تُبغضنا إلى الناس بغير فائدة، ويكون أبو الحسن عليُّ بن عيسى قد لَقَطَ الشوكَ بأيدينا! نحن قد صرنا، لم لا نتحجبُ إلى الخاصة والعامَّة بإمضاء ما زوروه علينا؟ فإن أمضاء كان الحمد لنا والتقلُّ عليه، وإن أبطله كان الحمد لنا والذمُّ عليه .

وقد كان الخاقاني متخلفاً عامياً إلا أنه كان خبيثاً داهياً، ولم يكن له إلا هذه الأفعال الثلاثة: في أمر ابن الفرات، وأمر ابن أبي البغل، وتلافي الحاشية بعد النكبة . وقد حُفِّظ من سقطاته وحكاياته ما كان أعداؤه يشعرون عليه به . وقد أوردنا ما سمعناه وتأدى إلينا منه .

على بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح (١).

وأبو الحسن من أهل دير قنّى ، ومولده يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين ، والطالع العقرب بد والرأس فيه ح د والقمر في القوس ط ل ح والمشتري راجع في الدلو ك ا ، يد ، والذنب في الثور ح د ، والشمس في الأسد يوح ، وزحل فيه بطلا ، وعطارد في السنبلة ا به ، والزهرة فيه كط والمرنج في الميزان دلح .

وكتب في الدواوين ، وتقد كثيرا منها رئاسة . وقد مضى من ذكره في أخبار أبي الحسن بن القرات ما لا حاجة بنا فيه إلى الإعادة . ولما أشار مؤنس باستدعائه من مكة ، وتقليده الوزارة ، وأنفذ يلبق لاستقدمه إلى الحضرة ، ورد في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة . ووصل إلى حضرة المقتدر بالله ، وخطبه بما أراد خطابه به ، وقلده وزارته وتدبير أمره . وخرج أبو الحسن ومؤنس معه - وأبو علي الخاقاني جالس في المجلس الذي كان يجلس فيه قبل الوصول إلى الخليفة - وقال للحجاب وخواص الغلمان : اتبعوا الوزير وامشوا بين يديه . فارتاع أبو علي وقال : من الوزير ؟ فقال له مؤنس : أبو الحسن على بن عيسى . فقال أبو علي : الله الله يا أبا الحسن في دمي ، فإنني ما أردت الدخول في هذا الأمر ، وإنما أُجبرت عليه . فأجابه جوابا سكتته فيه ، ونقل إلى الاعتقال في الموضع الذي أُعد له . ومضى أبو الحسن على بن عيسى إلى داره ، والناس في موكبه ، وبكر إلى الدار

(١) النظم ٦/٣٥١-٣٥٥ ومعجم الأدباء والنخري ٢٣٦ وصلة عرب ٢٢ .

من غدٍ وخلعت عليه الخلع السلطانية ، وركب إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب ،
جلس فيها ، وركبت إليه الأمراء والقواد في النواحي ، وكتب إليهم بإقرارهم
في مواضعهم من ولاياتهم وأعمالهم ، وحثهم على استخراج الأموال وحثها . وسُمِّ إليه
أبو علي الخاقاني وولده ، وأبو الهيثم بن ثوابة ، وطالبهم مطالبة رفيقه . وسئل
في أمر عبد الواحد بن أبي علي ، فأطلقه بعد مُديدة في ليلة الخميس لتسع خلون
من جمادى الآخرة ، ثم أطلق أبا القاسم أخاه ليلة الجمعة مُستهلَّ شوال ، وحمل
أبا الهيثم بن ثوابة إلى الكوفة ، وسأله إلى إسحاق بن عمران صاحب المعونة ،
فكان عنده إلى أن توفى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة . وأجرى
المقتدر بالله لأبي الحسن علي بن عيسى خمسة آلاف دينار في كل شهر ، وارتجع
الضباع العباسية التي كانت جُمعت لابن الفرات وأبي علي الخاقاني ، ورتب أبو الحسن
علي بن عيسى الأمور والدواوين على ما رأى فيه الصلاح والسداد ، وكان رجلاً
عاقلاً مُتديناً مُتصوِّناً ظليفاً ^(١) متعقفاً ، عارفاً بالأعمال حافظاً للأموال ، كثير الوفاق
والجدُّ بعيداً من التبذُّل والهزل ، على شحِّ غالب في طباعه ، وتجهُّم ظاهر في أخلاقه .
وما كان يُحِلُّ بصلاة الجماعة والجمعة في كل يوم جمعة ، ولا يدع المناوبة في ذلك بين
المساجد الجامعة ، حتى قيل : إنه كان يستعمل الوضوء في أيام الجمع التي يكون
فيها محبوساً ، ويستوفي طهوره ، ويلبس ثيابه ، ويقوم ليخرج من موضعه ، فيرده
الموكلون به ويمنعونه ، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول : اللهم اشهد .

وعمد في نظره إلى تخفيف المؤن ، وحذف الكلف ، ونقص الخرج ، والمضايقة
في الجازي والرزق . وردَّ كثيراً مما وقع به أبو علي الخاقاني من الإثبات والزيادات ،
فأوحش بذلك خواصَّ المقتدر بالله وعاداهم ، وكثرت به السعاية عليه والوقعة فيه

(١) ظلفاً : تكلف نفسه عن الأمور .

واستقل أكثر الناس موضعه ، وضاعت صدورهم بنظره ، ووقع الشروع في إفساد أمره ، وتغيير رأي المقتدر بالله فيه ، وردّ ابن الفرات . وعرف ^(١) أبو الحسن علي بن عيسى ما يجري في ذلك ، فبدأ بالاستعفاء والخطاب عليه ، ومواصلة القول فيه . وتحدث في دار المقتدر بالله بأن ابن الفرات شديد العلة ، واتفق أن مات هارون الشاري الذي كان محبوسا في دار السلطان ، وكان ^(٢) التديبر في أمر الشراة أن يكتم موت من يؤخذ من أمتهم ، لأنهم لا يرون إقامة غيره وهو حي ، فأظهر أنه ابن الفرات وكفّن وأخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات . فصلى عليه علي بن عيسى ، وانصرف موجعا إلى داره وقال لخواصه : اليوم ماتت الكتابة .

ومضت ^(٣) أيام ووقف علي بن عيسى على أنه حي وقد تمّ السعي له مع المقتدر بالله ، فعجب ابن عيسى وقال : ما ينبغي لأحد أن يحدث بكل ما يسمع ، ويصدق بجميع ما يُخبر .

فما طالب الجند عند أخذ الحسين بن حمدان بما طالبوا به من الزيادة ، واستعملوا ما استعملوه من الشغب وخرق الهيبة ، وبلغ لهم في ذلك ما بلغ من الإرادة وكثرت النفقات ، وتضاعفت الاستحقاقات ، ولحق الشوب ^(٤) غلّت سنة أربع وثلاثمائة ، تأمل علي بن عيسى الأمر وخاف أن يطالب بما لا يكون له وجه ، وأن يحدث من الفساد ما لا يقوم له به عذر . فوقف أملاكه ، وأعتق عبيده ، وشرع

(١) تجارب الأمم ٣٩/٥

(٢) تجارب الأمم ٤٠/٥

(٣) تجارب الأمم ٤٠/٥

(٤) الشوب هنا : الحيانة والنش .

في الاستعفاء ، وراسل في ذلك المقتدر بالله ، فدفعه عنه دفعاً وعدّه فيه بالمعونة على تمشية الأمور .

وكان فيما وقع إلينا من رقايعه في ذلك رقعة إلى السيدة نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاء السيدة وأدام عزّها وتأييدها ،
وكلّأتها^(١) وحراستها ، وأسع نعمه عليها ، وزاد في إحسانه إليها ، ومواهبه الجميلة ،
وآلائه الجزيلة ، وأقسامه الهنيئة - وفوائده السنيّة عندها ، وبقاها في سيدنا أمير
المؤمنين - أطال الله بقاءه وأدام له العزّ والتمكين ، والنصر والتأييد - غاية محبّتها
وأفضل أمنيتها ، ووصل أيام سرورها بعافيته ، واغباطها برويته ، ووقاها فيه وفي
نفسها وفي الأمراء - أستودعهم الله وأستوهبه إياهم - كلّ سوء محذور وخوف ،
بمنه ورأفته . وصلت الرقعة - أعز الله السيدة - وعرفت ما تضمنت . فأما الفتنة
التي كانت ملتحمة مع أعظم الأعداء مضرّة ، وأقربهم محلّة ، وأشدّهم على المطالبة
جرأة ، فقد تكفّفت الإنفاق عليها ، وقت بتديورها ، حتى بلغ الله أمير المؤمنين
والسيدة في جميعها المحبّة ، وانتظمت في صدور الأعداء شرقاً وغرباً الهيبة ، وما أنفقت
مع ذلك من بيت مال الخاصة بعد الذي رددته إليه نصف عشر ما أنفق محمد
ابن عبيد الله الخاقاني وابن الفرات قبّله ، وأنا عامل بعون الله على ردّ ذلك عن
آخره . ومتى لم ينفق المعتضد بالله في أسفاره على مائدة أعدائه من بيت مال الخاصة
أضاعف هذه النفقة؟! وقد أنفق المكتفي بالله - وكان من النظر في القليل اليسير
وعلى ما عرّف به - من بيت مال الخاصة جملة بعد جملة ، مع قلة النفقات في أيام
المعتضد بالله . وما أقول قولاً يدفّع ، لأنّ الدواوين تشهد به وحسابات بيوت
الأموال تدلّ عليه ، ومؤنس خازن بيت مال الخاصة منذ أيام المعتضد بالله وإلى هذه

(١) كلاًئتها : رعايتها وحفظها .

الغاية يَعْلَمُه ، وإن سُئِلَ عنه صدق . هذا مع رِفْقِي بالرعية ، وعمارتي النواحي المختلة ، وإزالتى عنها كل ظلم ومؤونة ، حتى صارت أيام أمير المؤمنين - أظال الله بقاءه - منذ خدمته أيام الخير ، وفيها الآثار الموصوفة ، وامتلات قلوبها هيبه بعد أن كانت تثب على الرؤساء ، وترمى بالحجارة على ما قيل لى عند اجتيازهم فى دجلة . وأما الاستحقاقات المتأخرة فليست أعرفها ، وبياب أمير المؤمنين الكثير من العلماء والحاشية والفرسان والرجالة ، وما أحسب صنفاً من هذه الأصناف يَقْدِرُ أن يقول : إنه قبض فى وقت من الأوقات قبضاً متصلاً ، وليس يقول أحدهم منهم إنه دُفِعَ عن استحقاق ولا تأخر له شىء من رزقه وزُهِلَ له . وكذلك الفرسان والعساكر الخارجة مع مؤنس وغيره مستوفية ، وأكثروا بالحضرة هذه سيلهم به . وقد حضروا منذ مدة بياب العامة ، وطالبوا ، فأدخلت طائفة منهم ونُوظِرَتْ ، فلم تكن لهم حجة فى الاستحقاقات ، وإنما التمسوا الزيادة والنظر والصلة ، وهذا خارج عن الواجب ، ولو منع بعضهم فلم يُعْطَ شيئاً لكان ذلك واجباً صالحاً . ومتى كان الجند يُوقُونَ حتى لا يكون لهم شىء متأخر ؟ ما كان هذا فى زمن من الأزمان وما تركت أن قلت لسيدينا أمير المؤمنين - أعزه الله - فى ذلك ما يجب أن أقوله ، وخاطبت أم موسى مرة بعد مرة فيه ، وأما ما قيل للسيدة - أعزها الله - فى استغفائى فلم أستغف نصاً ، ولو حُجِّتُ الرماد على رأسى لما تكرر هت ذلك ولا تآبَيْتُهُ ، وإنى لألزم نفسى الصبر على كل نائبة فى خدمة سيدينا أمير المؤمنين - أيده الله - وأرى ذلك ديانة ، ولكنى - أعز الله السيدة - أضجرت كما يضجر الناس إذا خوطب بما لا يجب ، وأنا أبلغ جهدى فى النصيحة وتأدية الأمانة ، فإن كان ذلك واقعاً موقه فهو الذى أقصد ، وإن كان يُظنُّ بى غير ما أنا عليه فهى المصيبة . وقد يحرم الإنسان ثمرة اجتهاده ، ويقع ما يفعله على خلاف مذهبه واعتماده ، وما يسئنى ولا يحلُّ لى أن أؤخر الصدق

في جميع الأحوال ، قاضياً بذاك حقَّ الله عزَّ وجل ، وحقَّ سيدنا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وحقَّ السيدة - أعزها الله - وأسأل الله أولاً وآخراً أن يُصلح لهما أمورهما ظاهراً وباطناً ، صغيرها وكبيرها ، ويكفيهما المهيم ويُسهل الصَّلاح بهما وعلى أيديهما يمنةً وقُدْرته وجوده وكرمه .

وقرب عيد الأضحى واحتيج إلى ماجرت العادة بإطلاقه للحرم والحاشية ، فجاءته^(١) أم موسى القهرمانة في آخر ذى القعدة سنة أربع وثلاثمائة مخاطبة على ذلك ، ومقررة للأمر فيه ، وكان محتججاً ، فلم يقدم سلامة حاجبه إلى الاستئذان لها ، واعتذر إليها عذراً لطيفاً ، وصرفها صرفاً جميلاً ، فغضبت وانصرفت . وأعلم على بن عيسى خبرها في حضورها وانصرافها فأنفذ إليها واستعذرها فلم تعذر، وصارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة وأغرتهما به ، وتكذبت عندهما عليه ، وأدى ذلك إلى القبض عليه في غداة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار السلطان ، واعتقاله عند زيدان ، فكانت مدة وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

وكان مما فعله في وزارته هذه أن أسقط المكس^(٢) بمكة ، والتكلمة بفارس وسوق بحر بالأهواز وحسن مهدي ، ونهر السدرة ، وكان يُعترض في هذه المواضع على ما يُجَهَرُ إلى البحر ويرد منه ، وتتوخذ الضرائب المُسرِّفة عنه ، وأزال جباية الجمهور بديار ربيعة . وأشار على المقتدر بالله بوقف^(٣) المستغلات بمدينة السلام - وغلتها نحو ثلاثمائة عشر ألف دينار - والضمايع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان

(١) تجارب الامم ٤٠/د .

(٢) المكس : ما يؤخذ من الباعة من نقود على ما يبيعونه « ضريبة » أو عند ما يدخلون بضائعهم إلى المدن « جرك » .

(٣) أي يجعلها موقوفة عليها .

الخاصة - وارتفاعها نيفٌ وثمانون ألف دينار - على الحرمين والثغور ، فقبل رأيه
وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه ، ونصبَ عليُّ بن عيسى لهذه الوقوفِ ديوانا
سماه ديوانَ البرِّ ، وردّه^(١) إلى أبي شجاع ابن أخت أبي أيوب

ولما كان بمكة وجد الماء ضيقاً على أهلها ، وأصحابُ السلطان يُسَخِّرونَ جمالَ
الناس وحميرهم لنقله من جدّة إليها ، فابتاع عددا كثيرا من الجمال والحمير ووقفها
على تحلّ الماء ، وأقام لها العُلُوفَةَ الراتبة ، ومنع من السخرة وحظّرها ، وحفر بئرا
عظيمة في الحنّاطين ، فخرجت عذبةً شَرُوباً^(٢) وسماها الجِرّاحيّة . وابتاع عينا
غزيرة بألف دينار ، وفتحها ووسّعها حتى كثر ماؤها ، واتسع الماء بمكة ، ووصل
الرِّفْقُ به إلى أهل الضَّغفِ والمكنة .

وكان فيما أقطعه عليُّ بن عيسى من إقطاع الوزارة أربعة أحجارٍ أُرْحاءٍ بالعباسية
تُعرف بالعباسية ، وتُعرف باليوسفية ، قيمتها عشرة آلاف دينار . فتظلم مجاوروها
من أخذها الماء وقصوره عنهم ، وإضرار ذلك بزروعهم ونقصه من ارتفاع ضياعهم ،
وتأذى أهل الشفّة بهذه الحال أيضاً ، فأمر بهدمها ونقضها وعملَ مسجدٍ في موضعها ،
وتوفّر الماء على أهل الضياع والشفّة .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : لما ابتاع أخى أبو الحسن عليُّ بن
عيسى من تركة نازوك ووالدة القاسم بن عبيد الله الثُّلثَ من حصتها في قصر القاسم
في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وأضاف إليه حصصا ابتاعها الزوجاتُ وبعضُ
الأولاد الأصاغر ، وعمل ذلك داره المعروفة بباب البستان ، وكانت مسناة^(٣) القصرِ

(١) أى جعل الإشراف فيه لأبي شجاع .

(٢) الماء الشروب الصالح للشرب .

(٣) المسناة هنا : المرعبة أو الجرى والقناة .

القديمه بعيدة من دجلة فأخرج أحمد بن بدر عم السيدة أم المقتدر بالله مسنة لداره
المجاورة له إلى الماء، وفعل عبيد الله بن القاسم مثل ذلك من الجانب الآخر، وبقيت
دار أخي مستورة بينهما، فخطبه أبو إسحاق إبراهيم أخونا في ذلك، وأعلمه ما في
إخراج المسنة - حتى توازنهما - من الزيادة في قيمة العقار، وكانت النزاع على دجلة
في المواضع الرذلة على ذلك العهد تباع بدينار عينا. فقال له: قدّر لها ولما يُبني عليها
ما يُحتاج إليه من النفقة. فقدّر لذلك مائة ألف درهم، وصوّر البناء، وأخضره
الصورة والتقدير. فأقام أبو إسحاق يحثه على إطلاق المال والابتداء بالعمل، والوزير
يَعِدُّهُ وَيَدْفَعُهُ، حتى إذا اجتمع في خزائنه ما جعله لذلك من ارتفاع ضيعته، تقدّم
إلى خازنه بإحضاره ودعا بعبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله، فأعطاه إياه، وأمره بصرفه
في ضِعْفِ آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي فقراء المسلمين ومساكينهم بعد أن
أثبتهم في ديوانه، ففعل، وأخرج جميع المال وفرقه عليهم. وحضر أبو إسحاق،
فذكره بالعمل والأمر بتقدمه قبل زيادة دجلة، فضحك إليه وقال لابن ماشاء الله:
حدّثه يا أبا القاسم بحديث العقار الذي ابتعنا، وتجاوزته في النفع هذا البناء الذي
لا يزيد الله من حواره إلا إثمًا وبعدا. فحدّثه، فخار أبو إسحاق، وما أمكنه
الجواب، وعلم أنه كان من وعدّه على غرور. وبقي ماء داره محبوسا، وسُمّي الفضاء
بين المسنتين الستيني.

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال جدّي ابتاع دار عبيد الله بن القاسم من
أبي الحسن بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخلافة بخمسة آلاف دينار، وكانت
مسنتها طاعنة في دجلة لا يُفارقها الماء في سائر أوقات السنة.

ذكر خلافة أبي الحسن علي بن عيسى لحامد بن العباس

وتفرّده بالأموار من بعد ذلك (١)

قد أوردنا في أخبار حامد عند وزارته ما جرى أمر أبي الحسن بن الفرات معه (٢) وبعده ، وما انتهى ذلك إليه من القبض عليه (٣) واعتقاله عند زيدان القهرمانة . وراسله المقتدر بالله بأن يصدّق عن أمواله ، فكتب رقعة يذكر فيها أنه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق من ورود القرامطة (٤) إلى البصرة ، ودخولهم إليها واستيلائهم عليها ونقلهم ما وجدوه فيها ثم انصرفهم بعد أيام عنها ، ما دعا إلى إخراج بُنَيِّ بن نفيس لقتالهم ودفعهم ، ووصل وقد عادوا إلى بلدهم . فكتب إلى ابن الفرات بذلك ، وبأنه أسرَ قوماً منهم ، وحكى عنهم أنهم قالوا : إن عليّ بن عيسى كاتبهم بالمسير إلى هناك ، وأنفذ إليهم في عدة أوقات هدايا من سلاح وآلات . فلما وافى (٥) هؤلاء الأسراء ، وعرضَ ابن الفرات على المقتدر بالله كتابَ بُنَيِّ بن نفيس فدَكَرهم وذكر ما حدثوا به عن عليّ ابن عيسى ، أمر بالجمع بينه وبين القوم ليواجهوه بما قالوا فيه ، فأُخْرِجَ وُجِعَ بينه وبينهم بحضرة ابن الفرات . فقال عليّ بن عيسى : من كانت صُورَتُهُ صورتي في سَخَطِ السلطان وانحرافِ الوزير عنه لُتِيَ بالحق والباطل . ثم عدل ابن الفرات إلى خطابه في أمر الأعمال فقال له : قد كان عليّ بن أحمد بن بسطام أخذ خطوط

(١) راجع تجارب الأمم ٥٨/٥ وما بعدها والفخرى ٢٢٧ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

(٢) معه : أي مع علي بن عيسى .

(٣) أي من القبض على علي بن عيسى راجع تجارب الأمم ١٠٤/٥ .

(٤) كان قائدهم أباطاهر سليمان بن الحسن الجنابي انظر تجارب الأمم ١٠٤/٥ .

(٥) تجارب الأمم ٥ .

المادراتيين في وزارتي الثانية بألف ألف وثلاثمائة ألف دينار صلحًا عن خراج ضياعهما بمصر والشام ، وما أخذاه من المرافق عند تقلدها الأعمال في أيامك الأولى .
وبقي عليهما من المصادرة التي واقفهما أبو علي الخاقاني عليها ، وأدبًا في أيامي نحو خمسمائة ألف دينار ، وكانا على أداء تبتة المال ، حتى صرفت ابن بسطام - ساعة وليت - عن الدواوين ، وقلدت هذين العاملين الخائنين المجاهرين بأخذ أموال السلطان واقطاعها^(١) ، وكتبت عن أمير المؤمنين بإسقاط مال الصلح عنهما ، وذكرت أنه أمر بذلك ، وقد سألته فأنكر دعواك عليه ما ادعيت . فقال علي بن عيسى : كنت في الوقت كاتبًا لحامد ، وخليفة له على الأعمال ، ومتصرًا فإلى علي أمره في كبير الأمور وصغيرها ، وهو ذكر لي عن أمير المؤمنين أنه أمر بإسقاط هذا المال ، ووقع بذلك توقيعًا كتبت في آخره بامثاله كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمر به صاحبه . فقال له ابن القرات : أنت كنت تعارض حامدًا في كل أحواله ، وتخاصمه في السير^(٢) مما يخرج عليه من مال ضمانه ، حتى تحدث الناس بكما ، ومحجوا لما يجري بينكما ، فلم تركت أن تستأذن السلطان في مثل هذا المال الجليل ؟ فقال : كنت في أول الأمر كاتبًا لحامد مدة سبعة أشهر حتى بان لأمر المؤمنين ما رأى معه التعويل على في تدبير الأمور ، وكان ما جرى من أمر المادراتيين في صدر أيام حامد . فقال له ابن القرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا^(٣) صدفته عن غلط حامد فيما غلط به وفراط فيه ؟ فقال : إنما تركت ذلك

(١) في الأصل : واقطاعهما والتصويب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ فقيه : المجاهرين باقتطاع مال السلطان .

(٢) في الأصل : السير والتصويب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ .

(٣) ألا معناها : هلاً .

لأننى أخذت خطَّ الحسين بن أحمد بحضرة أمير المؤمنين بألف ألف دينار
عن مصر والشام خالصاً للحمل^(١) ، بعد النفقات ومال الجند فى تلك الأعمال ،
وكان ذلك غاية ما قررتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا الحسن تعمل
[أعمال]^(٢) الدواوين منذ نشأت وقد ولت ديوان المغرب سنين كثيرة ،
وقد تقلدت الوزارة ، فهل رأيت من يدع مالاً واجبا يؤدّى معجلاً ويأخذ
المؤوض عنه ضماناً مؤجلاً لا يُدْرِى ما يجرى فيه ؟ وهبك على ما ذكرت
من أنك رأيت ذلك صواباً و [هو]^(٣) خطأ ، فهل استوفيت مال الضامن
من هذا الضامن بخمس^(٤) سنين دبرت فيها الملكة ؟ . فقال : قد كان حمل
من مال السنة الأولى صدرأ ثم حدث من تغلب العلوى^(٥) بإفريقية على
أكثر تلك النواحي مادعا إلى خروج مؤنس المظفر وانصراف المال فى نفقاته
وأعطيات الجند ، وانكسر الباقى لأجل هذه الحادثة . فقال ابن الفرات : انهزم هذا
العلوى منذ سنتين ، فهل أدى مالهما^(٦) كاملاً ؟ . فقال على بن عيسى فى جواب
ذلك قولاً استوفاه لنفسه ، وأخذ ابن الفرات خطه بالحجة عليه وله بأنه قد رضى
بحكم أمير المؤمنين . ثم قال له ابن الفرات فى آخر قوله : قد أمر أمير المؤمنين بأن
تطالب بالأموال التى اقتطعتها وجمعتها ، وينبغى أن تُعطىها عفواً وتصون نفسك عن

(١) يريد : للحمل إلى بيت المال . كما فى تجارب الأمم ٧/١٠٥ .

(٢) زيادة من تجارب الأمم .

(٣) زيادة يحتاج إليها السلام . وفى تجارب الأمم : وهبك أغصبت كما ذكرت ورأيت ذلك
صواباً فى التدبير قبل استوفيت

(٤) أى : فى خمس سنين . وفى تجارب الأمم : فى مدة خمس سنين .

(٥) يريد به : الهدى عبيد الله .

(٦) فى الأصل : مالها . وفى تجارب الأمم ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بمد هزيمة

العلوى فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟

المكروه . فقال : لست من ذوى الأموال ، ومالى قُدْرَةٌ على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . فقال له ابنُ الفرات : تقول هذا وقد وُجِدَ لك عند عيسى الناقدِ سبعةَ عشرَ ألفَ دينارٍ وأخذَ خطَّهُ بها ودبَّعةً كانت لك عنده ؟ فقال . هذا رجل قلَّدته مالَ ضياعِ البرِّ والجَهْدَةِ ، وعنده أموالٌ حاصِلةٌ ، فإمَّا أن يكونَ المالُ منها أو تكونَ قد أخذتَ مالهَ ونسبته إلىَّ وأكرهته على أن كتبَ خطَّهُ بذلك . فقال له ابنُ الفراتِ قد أسقطتَ من أرزاقِ أولادِ القِرابَةِ والحَرَمِ والحواشيِ والخدمِ والفرُسانِ الذين كنتُ أوفِّهمُ أرزاقهم في أيامي الأولى والثانية مدَّةَ خمسِ سنينِ دبَّرتُ فيها المملِكةَ ، وأخذتَ من ارتفاعِ ضياعِ الملكِ والإقطاعِ بعدما أُفِرِدَ منها للأمرءِ ما يكونُ مبلغُهُ - مع ما كنتُ أحمله إلى أميرِ المؤمنينِ في وزارتي الثانية - وهو في كلِّ شهرٍ خمسةَ وأربعونَ ألفَ دينارٍ للمدَّةِ المذكورة - الجملةُ الكبيرةُ ، فإمَّا أن تكونَ قد احتجنتَ ^(١) ذلكَ لنفسك أو أضعته ^(٢) لتفريطك . فقال له علىُّ بنُ عيسى : ما استغللتُهُ من الضياعِ ووفَّرتُهُ من أرزاقِ من يستغني عنه تَمَّتْ به معجزةٌ أدخلُ في الخرجِ حتى اعتدلتِ الحالُ ، ولم أمددُ يدي إلى بيتِ مالِ الخاصَّةِ . وأما خمسةَ وأربعونَ ألفَ دينارٍ التي كنتَ تحملها من المرافقِ فإنني لم أرَ ما رأيتَهُ أنتَ قطَّ من المرافقِ للعمَّالِ ، بل حَظَّرتُها عليهمِ علماً بأنَّها طريقٌ إلى ضياعِ الحقوقِ وخرابِ البلادِ وظلمِ الرعيةِ ، وأنتَ كنتَ تُوصي الحواشيَ بإخرابِ بيتِ المالِ ، وتُحوِّلُ مافي بيتِ مالِ الخاصَّةِ إلى بيتِ مالِ العامَّةِ ، ومن الدليلِ على ذلكِ أني كنتُ أتولى ضياعَ ديوانِ الخاصَّةِ ، فلما تقلَّدتَ الوزارةَ بعد العباسِ بنِ الحسنِ انصرفتُ عنه فتركتُ في بيتِ مالِ الخاصَّةِ سبعةَ عشرَ ألفَ ألفَ دينارٍ حاصِلةً ، فلما قلَّدني أميرُ المؤمنينِ

(١) احتجج السال . ضمه إلى نفسه واحتواه .

(٢) في الأصل : وضعته والتصويب من تجارب الأمم ١٠٨/٥ .

وزارته في سنة إحدى وثلاثمائة لم أجد من ذلك المال شيئاً كبيراً . فقال له ابن الفرات :
اكتب خطك بأنك خلقت في بيت مال الخاصة سبعة عشر ألف دينار .
فبدأ يكتب ثم وقف وقال : حتى أرجع إلى الحساب وأعرف المبلغ على تحقيق .
فقال له ابن الفرات . ما الأمر على ما وقع لك ، فإن المعتضد بالله توفي وفي بيت مال
الخاصة عشرة آلاف ألف دينار ، وتوفي المكتفي بالله وفي بيت مال الخاصة أربعة
عشر ألف ألف دينار . أطلق العباس بن الحسن منها في البيعة لأمير المؤمنين ثلاثة
آلاف ألف دينار . ووجدت أعمال فارس وكرمان خارجة عن يد السلطان
منذ أيام المعتضد لا يحمل منها المتغلبون عليها إلا النزر اليسير ، فصَدَّقْتُ أمير المؤمنين
عن صورتها وضمنت له فتحها ففتحها . وقد كانت لي أموال جمعتها في خدمة أمير
المؤمنين أنا وأخي وأسلافه ، وضياع وإفرة الارتفاع ، فلما رأى أمير
المؤمنين أخذها كان أحق بها ، فصَحَّ لي في بيوت الأموال في دفعتين أربعة آلاف
ألف دينار .

ثم أخذ ابن الفرات في مطالبته بالمال ، فأقام على أنه لا مال عنده ، وأعيد
إلى محبسه .

وكانت له بعد ذلك مناظرات ، منها ما حدث به أبو محمد عبد الله بن عليّ
المعروف بذكويه كاتب نصر القشوري الحاجب ، وأبو الطيب محمد بن أحمد
الكلوذاني كاتب بني الفرات قالوا : حضر أبو الحسن بن الفرات في وزارته الثالثة في
يوم الخميس لحس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في أيام
المقتدر بالله ، وجمع القواد والقضاة والكتّاب ، فأحضر أبو الحسن عليّ بن عيسى
من محبسه وجمع بينه وبين ابن فلحة^(١) رسوله - كان - إلى القرامطة في وزارته

(١) الكلمة غير واضحة النقط في الأصل .

الأولى حتى واجهه بأنه أنفذه إلى القرامطة مبتدئاً ، وكتابه يلتصق منه المساجي والطلق^(١) وغير ذلك ، فَحُصِّلَ جميعه إليهم ، وأخرج أبو الحسن بنُ الفرات نسخة كتاب أنشأه ابنُ ثوبان عن علي بن عيسى إلى القرامطة جواباً عن كتاب ورَدَ منهم إليه وفيه إصلاحات بخطه ، ولم يقل فيها : إنكم خارجون عن ملة الإسلام لمخالفتكم الإجماع وعصيانكم على الإمام . بل قال : ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد . وداخلون مع أهل العناد والفساد .

وقال ابن الفرات لعلي بن عيسى مُوَبَّحًا وَمُهَجَّنًا : تقول - ويحك - للقرامطة الذين قد أجمع الناس أنهم أهل ردة وضلالة قولاً تُلْحِقُهُمْ فِيهِ بِأَهْلِ الْمِلَّةِ وَهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَلَا يَصُومُونَ وَلَا يَدِينُونَ بِمَا يَدِينُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَتُنْفِذُ إِلَيْهِمُ الطَّلُقَ الَّذِي إِذَا طُلِيَ بِهِ الْبَدَنُ أَوْ غَيْرُهُ لَمْ تَعْمَلِ النَّارُ فِيهِ ؟ قال : إنما اعتمدت بذلك المصلحة ، وأن أستعيدهم إلى الطاعة بالرفق والاستمالة . فقال ابنُ الفرات لأبي عمر القاضي : ما عندك في هذا يا أبا عمر ؟ فتوقف عن جوابه ، وأقبل على بن عيسى وقال له : قد أقررت يا هذا بما لو أقرت إمامٌ به لسقطت طاعته وتمطلت إمامته . قال : فنظر علي بن عيسى إليه نظر مُنْكَرٍ لِقَوْلِهِ ، لعلمه بأن المقتدر بالله بحيث يسمع ما يحجرى ولا يرى . وطالب ابنُ الفرات أبا عمر بأن يكتب خطه بشيء من هذا المعنى ، فلم يفعل وقال : قد غلط علي بن عيسى غلطاً كبيراً فأما جواب هذا القول فما عندي . فأخذ خطه بما سمعه من إقراره في أن الكتاب كتابه ، وأن الإصلاح في النسخة بخطه .

ثم أقبل ابنُ الفرات على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي فقال : ما عندك يا أبا جعفر في ذلك ؟ فقال : إن أذن الوزير أن أقول ما عندي على بيان قلته . قال : افعل . قال : صح عندي أن هذا الرجل - وأوماً إلى علي بن عيسى -

(١) الطلق : ما تمهل الآن منه بدرة « التلك » وكذلك الجير النقي .

استخلص بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداءً وجواباً ثلاثة آلاف رجلٍ من المسلمين كانوا مُستعبدين معهم ومُسترقين بالاستحلال منهم ، حتى رجعوا إلى أوطانهم وأولادهم ونِعَمِهِم وأموالهم . فإذا كتب الإنسان مثل هذه الكتب على وجه الصّلاح والمغالطة للعدو لم يجب عليه حكم . قال : فما عندك فيما أقرّ به من أن القرامطة مُسلمون ؟ قال : إذا لم يثبت عنده كفرهم ، وكتابوه بذكر الله والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانسبوا إلى الإسلام ، وكانوا إنما يُنازعون في الإمامة ، لم يُطلق عليهم بالكفر . قال له : فما عندك بالطلاق الذي إذا طُلِيتُ به الأبدان لم تعمل النارُ فيها يحمل إلى أعداء الإمام - ورفع صوته بذلك على أبي جعفر كالمكبر لما جرى من قوله - فقال أبو جعفر لعليّ بن عيسى : أنفذت الطلق الذي هذه صورته إلى القرامطة ؟ قال : لا . فقال ابن الفرات : رسولك وثقتك ابن فلحة . . (١) يُقرُّ عليك بذلك . فدهش عليّ بن عيسى وأمسك . فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلول : احفظ اعترافه بأن ابن فلحة رسولُه وثقتُه ، وقد أقرّ عليه بما أنكره . فقال : أيها الوزير ، ليس هذا إقراراً وإنما هو دعوى . قال : فهو ثقته بإنفاذه إياه . قال : إنما وثقته في حمل كتاب ، ولا يُقبل قوله عليه في غيره . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا جعفر وكيله لا حاكم . قال : ما أنا وكيل لكنني أقول الحقّ كما قلته في أمر الوزير - أيده الله - لما أراد حامد في وزارته الحيلة عليه بما هو أعظم من هذا . فعَدل ابن الفرات إلى أن قال لعليّ بن عيسى : يا قَرْمَطِيّ فقال : أنا أيها الوزير قَرْمَطِيّ ؟ أنا قَرْمَطِيّ ؟ - وكرّرها تعريضاً به - . قال : نعم ، وكان عندي أنك عدوٌّ لأُمير المؤمنين وبنِي العباس خاصّةً - أعز الله سلطانتهم - وإذا أنت عدوٌّ للمسلمين كافّةً . فأمسك عليّ بن عيسى خوفاً

(١) قَطُّ الكلمة غير واضحة في الأصل .

على نفسه . وأخذ نصره^(١) الحاجب والحسن بن أبي الحسن بن الفرات يئده
وأقاماه بعد أن استأذنا الوزير في الخلوة به ، فأذِن ، فجلسا معه على انفراد .

قال أبو الطيّب في حديثه : ففتمت معهما ، وسمعت ما جرى بينهما وبينه وكان
أن قالوا له : إن رجعت إلى موضعك من محبسك ولم تقرّر أمرك في صلحك خفناً
عليك من استحلال السلطان دمك بعد ما سمعته عنك . ولم يزالا به إلى أن استجاب
إلى ثلاثمائة ألف دينار يُمجّل منها الثلث في ثلاثين يوماً ، ويؤدى الباقي على رسم
المصادرات ، وكتب خطه بذلك ، وعادا إلى ابن الفرات وعرفاه ماجرى فأمضاه .
واستدعى عليّ بن عيسى وجعل يواقفه على شرائط الخط ، وكان إذا امتنع الوزير
من شيء غمز أبو الحسن عليّ بن عيسى يده وقال : يتفضّل الوزير . فيستحي
ابن الفرات ويُطرق ثم يفعل - وإنما كان عليّ بن عيسى يفعل ذلك إذكاراً بعهد
كان بينهما في أيام العباس بن الحسن ومعاقدته في أن يتعاضدا ويحرس كل واحد
منهما صاحبه ، ولا يسعى على نعمته ولا نفسه - حتى إذا انتهى القول إلى حق بيت
المال في ضياع عليّ بن عيسى قال عليّ بن عيسى : وعما كثّر به العمال عليه من حق
بيت المال في ضياعه ، ووجوبه مُدّة ، وذَكَرُوه في تحيفه السلطان في ذلك ! فقال له
ابن الفرات : كلُّ شيء أحتمله وأفعله إلا أن تُعرّضني لما يُقدح في صناعتي ، ويُطرُق
عياً عليّ في خدمة سلطاني ، أرايتك إن كتب العمال بأنه يجب عليك من هذه
الجهة ثلاثمائة ألف دينار ألت أستأكون قد أخذتُ خطك بحق بيت المال
في ملكك لا مصادرة عن نصرتك؟ وقد ترددت في الوزارة والأعمال الجليلة
مذ عشر سنين ؛ ولكن خذ مبلغاً في استثنائك بما يُستثنى به لنفسك . فقال :
عشرون ألف دينار . فأجابته إلى ذلك ، وكتب عليّ أنه : متى أوجب العمال عليه

بالعدل والإنصاف والموافقة التي لا يعترضها تحيُّف من حقِّ بيت المال في سائر ضياعه ووقوفه منذ وقت ملكه لها وإلى هذا الوقت ما يكون مبلغه من ألف دينار إلى عشرين ألف دينار فقد دخل ذلك في مال المصادرة ، وإن زاد على هذا المبلغ كانت الزيادة خارجةً عن الجملة ، ولازمةً له بعدها .

ولما تقررت النسخةُ وابتدأ عليُّ بنُ عيسى مُحَرَّرَها بِحِطَّةٍ كَتَبَ فِي التَّعْجِيلِ :
بعد ثلاثين يوماً . فقال له ابنُ الفرات : ارْفُقْ بنا يا أبا الحسن ماصغرنا وكبرت ،
أفأدعك تسعةً وعشرين يوماً لا أطلبك ولا تؤدِّي شيئاً ؟ ولكن اكتب : أَصَحَّحْهُ
أَوْلاً أَوْلاً في مدة ثلاثين يوماً . فقال عليُّ بنُ عيسى : على شرطٍ من أن يكون ابتدائي
بالأداء إذا خرجتُ من دار أمير المؤمنين إلى موضع يأمنُ الوزير - أيده الله - فيه
على نفسي - يَوْمِي أَلَّا يُسَلَّمَ إِلَى الْمُحَسَّنِ أَوْ مِنْ جَرَى مَجْرَاهُ فِي إِشْفَاقِهِ وَخَوْفِهِ إِيَّاهُ -
فتقرر الأمرُ على ذلك وأنفذَ الخطَّ إلى المقتدر بالله فأمضاه ، وَرَدَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ
ابن عيسى إلى محبسه .

وقالت زیدان القهرمانه والسيدةُ للمقتدر بالله : إن سُلِّمَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى إِلَى
ابن الفرات سلمه إلى ابنه الحسن ، ولم يؤمنْ عليه منه ، وهو رجل دِينٌ وقد خدمتكَ
وخدم أباك ، وليس يُفزعُ اليوم إلا منه ، فلا تُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ . وقد رتاً بذلك أن تُبْطِلَ
المال الذي قرَّره عليُّ بن عيسى على نفسه . فقال - وقد كان وقرَّ في صدره ما سمعه
من حديثه مع القرامطة وتسمَّتْ به رأيهُ فيه - : إن أدَّى المال في داري لم أسلمه ،
وإن تقاعد وألَطَّ (١) مكنتُ الحسَنُ في داري وغير داري منه وسلمتهُ إليه .

وأخذ الحسَنُ في الإغراء بعليِّ بن عيسى ، فاستدعاه إليه في دار الخلافة أياماً

(١) أَلَطَّ : منع من الحق .

من غير حضور الوزير أبيه ، وطالبه وجدَّ به ، فأحال عليُّ بنُ عيسى على خطِّه
وما شرطَ فيه له وعليه . فقال له الحسن : هذا تقاعد ، وتريد ألا تُؤدِّيَ في دار أمير
المؤمنين ولا تُسَلِّمَ إلى ، وهذا أمر لا يتم . فإذا أدبت بحيث أنت ، وإلا أخذتك إلى .
فقال عليُّ بن عيسى : هذا تَقَضُّ لما تَقَرَّرَ . واستدعى أحمد بن محمد بن جاني ، وكان
يتولى ضيعته ، وإبراهيم بن أيوب النصراني ، وكان يكتب بحضرة ، فلما حضر
أمرها ببيع داره التي في سويقة أبي الورد المعروفة بدليل النُّصراني ، وعقارٍ له يجاورها
فلم يَرُجْ من ثمن ذلك إلا ألفا دينار وكثيراً . واستعفى إبراهيم من العود فأعفى
وواصل ابن جاني . وأراد الحسنُ أن يُوحِّثه ليقف أمرُ عليِّ بن عيسى فقال له :
أنت كنتَ كاتبه على ضياعه ، ورسوله إلى أصحاب ودائمه ، ولا بد من أن تصدق
عما تعرفه من أموره ، وأوقع به مكروهاً غليظاً أعمى عليه فيه ، وقيل : إنه تلف ،
ثم أفاق وتراجع ، وجزع الحسن من ذلك فأطلقه ، إلا أنه استتر ، ووقف أمرُ عليِّ
ابن عيسى . وواصل الحسن القول في بابهِ عند المقتدر بالله ، ونسبه إلى التقاعد في فعله ،
وحضر الوزيرُ والحسن في يوم الاثنين الثالث عشر من رجب بحضرة المقتدر بالله ،
فجدد الحسن القول في أمر عليِّ بن عيسى وسكت الوزير ، وأقبل المقتدر بالله عليه
وقال له : أنت رجلٌ خَيْرٌ^(١) ، وتريد أن تتفضل عليَّ بن عليِّ بن عيسى ليقول الناس :
رعى حقَّه وعرف له حُرمة ما كان بينه وبينه ، وراعى ذمام الصناعة فيه . ويضيع
مالي في الوسط ، وما أصبر على ذلك . وهذا رجل قَرَمَطِي ، ودمه وماله حلالان ، وإذا
وهبتُ له ماله فلا أقل من أن يُستوفَى مالي منه . ثم قال للحسن : اخرج أنت
واجلس في الدار ، واستدع بعليَّ بن عيسى ، وأرهبه ، فإن أقرَّ بودائعه وخرج مما
قرَّره على نفسه وإلا قيده ، فإن أذعن وإلا ألبسه مع القيد جَبَّة صوف ، فإن أقام

(١) الخير من معانيها الكثير الخير .

على أمره أوقع المكروه به في جسمه بمحضر من القواد جزاء له على ما فارق الطاعة .

فخرج الحسن وجلس معه نصر القشورى الحاجب ونازوك والقواد ، وأحضر عليُّ بن عيسى ، فبدأ الحسن بالرفق ، ثم نقله إلى الأغظ فلم يستجب إلى أداء شيء في دار الخلافة ، وقال : ما يمكنني الاحتيايُ وتصحيحُ المال إلا نحيث أن أكون في موضع آمن فيه على نفسي ، ويمكن أن يخيئني من أريده من كتّابي وأصحابي بحسب ما تقرر من شرائط خطي .

فتقدم الحسن إلى نازوك بإحضار قيْدٍ فيه عشرون رطلاً وجبّة صوف مدهونة بماء الأكارع ، فأحضرهما ، وجيَّ بحدّاد ، وأمر بتقييده . فلما بدأ بذلك نهض نصر القشورىُ منصرفاً . فقال له الحسن : ما يمثل هذا عاملتي يا أبا القاسم لما أنفذ هذا عامله ابن حماد حتى قيّدني بحضرتك ، وأمر عليّ المكروه بمشاهدتك . فقال له نصر : والله ياسيدي ماندرى كيف نصنع إذا غضب مولانا على وزرائه وكتابه وأمر فيهم بأمر ، إن حضرنا عادونا إذا عادوا إلى الخدمة وسعوا في قبيحنا ، وإن امتنعنا من الحضور عادانا من إليه الأمر ، فدثونا على ما نتخلص به منكم .

وتركه ومضى إلى حجرته المرسومة بالحجبة في دار الخلافة . وجعلَ القيْدُ في رجل عليّ بن عيسى وضر به الحدّادُ بالمطرقة ليسمره ، فأخطأ وأصاب كعبه ، فقال عليُّ بن عيسى : يا هذا، أيُّ عداوة بيني وبينك حتى فعلت ما فعلت ؟ فقال له : كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقي ديناراً ؟ فوثب نازوك ليضي . فقال له الحسن : أنت صاحبُ الشرطة وهذا أمر يلزمك القيام به ، فإذا تركته وانصرفت لم يكن لجلوسى معنى ، وإذا كنتم على هذه الحال من محبة عليّ بن عيسى ومراقبته ، وقد سمعتم من أمير المؤمنين لى فيه ما سمعتموه ، فألاً واجهتمونى بالامتناع من الحضور

أَوْلَا؟ فقال له نازوك^(١): ما أستحسن أن أحضر مكروه رجل قَبَلْتُ يده
عشر سنين ، وله عندي من الأيادي والفضل ، ومع ذلك فهو شيخ يتدين ويصوم
الدهر . فاغتاظ المحسن وقال للقواد الباقين : إن جلستم وإلا قت ، فليست صاحب
شرطة ، فقمعدوا . وأخذ ياقوت وصالح من بينهم يستعطفانه لعل بن عيسى ، وسألاه
ألا يلبسه الجبة الصوف ولا يُجرى عليه مكروها . فقال : لا أفعل إلا أن يكتب
خطه بأداء ثلاثين ألف دينار في عشرين يوما ، إذ لا أقل من ذلك ، فقال على
ابن عيسى : لا أكتب بما لا أفي به ولو قطعت يدي . فألبسوه الجبة حينئذ ،
وقال له : لم يبق إلا المكروه فإن استجيت وإلا امتثلتُ أمرَ أمير المؤمنين في
إيقاعه بك ، وكنت أنت الذي توقعه بنفسك . فقال : إذا كتبتُ بما لا أتمكّن منه
وقع المكروه بِحُجَّةٍ ، وإن وقع بي الآن كنت مظلوما . فدعا المحسن بعشرة غلمان
كان قد واقفهم على أن يُشدّوا المكروه به ، وأمرهم بصقعه ، فصغره كل واحد
صفعةً عظيمةً ، فصاح في ثلاث : أوه . وقال في الباقي : أستغفر الله من ذنب
مكّن مثلك من مثلي . وكان مفلح قد قام ودخل إلى حضرة المقتدر بالله قبل
ما جرى على بن عيسى وكان قريبا من الموضوع . فلما سمع المقتدر قوله واستغفاره باللفظ
الذي وصله به رق له ورحمه وقال : ما أشكُّ في أن على بن عيسى خير عند الله
من المحسن ، وقد وقع السرفُ فيما عومل به وبلغ منه . فأخرج وحل بين المحسن
ومكروهه . وردّه إلى محبسه .

وقامت القيامةُ على السيدةِ وزيدانَ بما جرى وقالتا : إنما صنّا ابن الفرات
ومنعنا أعداءه منه لِمَا كان يصون الوزراء ويعرف حقوقهم ، والآن فقد بسط
هذا الجنون ابنه لما يخالف العادة ويورث القباحة والشناعة .

وانصرف المحسن إلى أبيه وعرفه ما جرى ، وقد كان آخر طعامه انتظارا لحضوره . فلما وقف من الصورة على ما أخبره به قَلِقَ من ذلك قلقا شديداً وقال (١) : كان يجب يا بني ألا تفعل ما فعلته وتقبل ما أمرت به كُله ، وأنت حدثت لم تجرب الأمور ، ومغرور لم تتدرب ، وقد أفسدت أمرَ علي بن عيسى علينا . ووالله لا سلم بعد هذا إلينا .

ووجه من وقته إلى هشام بن عبد الله فاستحضره ، وأعلمه ما كان من المحسن وجنابته في أمرِ علي بن عيسى ، وقال له : ستعظم زيدانُ على الخليفة والسيدة ما جرى ، وتجعلُ ذلك طريقاً إلى نزع جُبته وفك قيده ، وألا يسلم إلينا ، فما الرأي عندك ؟ قال : أن تكتبَ (٢) الساعة إلى الخليفة رقعة بخطك لا بخط كاتب من كتابك ، وتذكر له ما انصرف به إليك أبو أحمد من خبرِ علي بن عيسى ، وأن ذلك أقلقك وأزعجك ، وشق عليك وبلغ منك ، حتى دعاك إلى ترك الأكل ، وتنسب المحسن إلى الحداثة وركوب الخطأ فيما فعله ، وتقرظ علي بن عيسى ، وتستعطف رأيه له ، وتذكره ما سلف من حقوقه وحُرُماته ، وتسأله الصفح عنه ، والتجاوز عما أنكره منه ، وترغب إليه في فك قيده ونزع الجبّة عنه . لتوهمه بذلك إنكارك للقصة ، ويشيع أن تنحية قيده وجبته بشفاعتك ، وتؤمن كلي علي بن عيسى بما صدر عنك . فأما متى لم تفعل هذا فإل غير مرادنا ، وخسرنا الحمد والنِّية ، وحصلنا على القباحة والشناعة .

فقال ابن الفرات : صدقت وأصبت الرأي . وكتب الرقعة وأنفذها مع صافي الخادم ، وكان يحمل رِقاعه إلى المقتدر بالله ، فأخذها مفلح منه ، وأوصلها ، وعاد الجواب

(٢) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

(١) انظر تجارب الأمم ١١٠/٥ .

من وقته بخط نعمة الكاتبة، يتضمن شكر المحسن على ما كان منه، وذم^(١) عليّ ابن عيسى، واستصغار ما جرى عليه، وأن المحسن لو لم يمثل ما أمر به فيه لأفسد حاله عنده، وأنه مع ذلك قد شفع أبا الحسن بن الفرات في عليّ بن عيسى، ووجهه له وأمر بزرع الجبة والقيد عنه.

ومضت عشرة أيام، وأنفذ عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات، وقيل له: قد حمل إليك لتطالبه بالمال المقرّر عليه. وكان الباطن أن زيدان قالت لابن الفرات: لولا ما استعمله المحسن ابنك بعليّ بن عيسى لسلم إليك إقامة لجاهك لثلا يظهر من منعك عنه ما تضعف به يدك. وأشارت عليه بنقله إلى دار شفيح اللؤلؤى من وقته، وأن يظهر اختيار عليّ بن عيسى لذلك وسؤاله إياه. ووعدها ابن الفرات بالعمل على رأيها. وأحضر عليّ بن عيسى دار ابن الفرات وهو في دار حرمه، فجلس في رواق بقرب من مجلس ابن الفرات، ومعه فائق وجه القصة وفلفل، وكانا يشهدان عند القضاة. ولما رأى ككتاب ابن الفرات عليّ بن عيسى قاموا إليه، وسلموا عليه، وأذن بصلاة العصر، فقام عليّ بن عيسى وصلى يقوم اجتمعوا خلفه، ودخل هشام إلى ابن الفرات وقال له: أهنيء الوزير أيده الله. فقال: بأى شيء؟ قال: تقلّد عليّ بن عيسى الصلاة في دارك، وتمس^(٢) على الخدم والعامّة بذلك. فقال ابن الفرات: ما أراد إلاّ التفاوض بأن يقيم حقاً في هذه الدار ويأمر وينهى.

ثم خرج ابن الفرات من دار حرمه إلى مجلسه، وقام إليه فائق وفلفل وأوصلا رقعة المتقدر بالله إليه بإفاده عليّ بن عيسى ليؤدّي ما قرّر عليه وكان فيها: إن عليّاً وإن كان قد أخطأ وأذنب فله خدمة وحرمة، وأريد أن تراعيه

(١) تجارب الأئمّه / ٥ / ١١١٠ .

(٢) تمس تنميساً : امس عليهم الأمر لبسا .

في مطعمه ومشربه ، وتفقده أجل تفقد وأحوطه ، فقد ضمن الإسراع إلى أداء المال .
فلما قرأ ابنُ الفرات الرقعة استدعى عليَّ بن عيسى ، وقرَّبه حتى صارت ركبته مع
مرَّفَعِ الدواة ، واجتمع الناس ينظرون ، ووافى الحسن ، فقام عليُّ بن عيسى ، وقد
كان الأمراء والقواد وسائر الطبقات يقومون للحسن في مجلس أبيه ، فلم يُنكر ابنُ
الفرات قيامَ عليِّ بن عيسى لابنه . وأعاد ابنُ الفرات قراءة الرقعة الواردة ، ودفعها
إلى الحسن حتى وقف عليها وردَّها بعد ذلك إلى أبيه . فأقبل ابنُ الفرات على
الخدامين وقال : ما أقبح ما وصَّيتُ به من تفقد أبي الحسن في مطعمه ومشربه ، فإن
كان ذلك لتقصير يُظنُّ بي فيما هذه سبيله فما أبعثنى عن مثله ، وإن كان لكناية عن
أمر آخر فأرجو ألا أكون في منزلة من يستجيزه أو يُطلقه . وقد سلَّم حامدٌ إلى مع
تناهيه في العداوة لي واستعمال القبيح معى فعاملته بالجميل الذي عُرف ، ومعلوم فرق
ما بينه وبين أبي الحسن عندي .

وقد كان ابنُ الفرات قطع لحامد لما سلَّم إليه ثياباً بعشرة آلاف درهم ، وأصلح
له فرساً وثيرة ، وأجلسه في دار كبيرة ، وأخدمه عدَّة غلمان وخدم ، وكان يُبخره
في كل يوم دفتات ، ويُقدِّم إليه أحسن وأوسع طعام ، فاستخرج بذلك منه ألف
ألفٍ وثلاثمائة ألف دينار لا يعلمُ بها أحدٌ غير حامد ، كان منها أربعمائة ألفٍ
وكسرت من آبارٍ بواسطة ومائة ألفٍ دينارٍ وكسرت من ودائع . وإنما جرى عليه
المكروه من الحسن بغير إيثار ابن الفرات ، ولأن المقتدر بالله أقام على أنه لا بدَّ من
تسليمه إلى الحسن ، فإنه ضمنه منه بعد ما أخذه أبوه منه بمخمسة ألف دينار . وخرج
من المكروه إلى حدِّ علم به أن الغرض نفسه لا ماله فأقام على التبليج^(١)
ولم يؤد على يد الحسن درهما واحدا . وجرى عليه بواسطة ما أدى إلى هلاكه ، وقيل :

(١) التبليج : الإعياء والعجز وإظهار أنه لاشيء عنده .

إنه طلب في الطريق ما يأكله فاتوه ببيض مسموم فأكله ^(١) ، ولم يزل يقوم ^(٢) حتى مات في دار البرزفوري .

وكان قول ابن الفرات ما قاله قبل تسليم حامدٍ إلى الحسن .

ونرجع إلى استتمام حديث علي بن عيسى . وقال له ابن الفرات : والله لقد استأذنتني حامد في الفصد عندي لوجع لحقه في ضرسه فحقت أن يجتمع عليه الفصد وعلو السن فيضعف ويتلف ، فلم آذن له ومنعته . مالنا ولهذا ^(٣) إذا كنا نخاف على النفوس ؟ فوالله لا أقام هذا الرجل في داري . وقّع يا أبا عبد الله - وأوماً إلى زنجي - إلى شفيع الكبير - يعني اللؤلؤي - بالحضور ، فوقع إليه . وقد كان شفيع عرف الخبر من دار السلطان فلما جاءه التوقيع أنفذ قيصراً خادمه فأجاب بالاعتذار وقال : قد أنفذت نقتي وهو يقوم مقامى ، فما يراد مني ؟ فرد إليه الوزير : بأن لا بد من حضورك . وحضر ، فسلم إليه علي بن عيسى ، ووصاه بحفظه لئلا يودى المال المقرّر عليه عنده .

وقبل ذلك أعطى ^(٤) علي بن عيسى ابن الفرات تذكرة له كان أولها : الكتاب إلى العمال بالإفراج عن وقوفى .

فلما قرأ ذلك دعا بساكن صاحب دواته وقال : هات الكتب التي كتبت أمس من ديوان المقبوضات وأمرتك بحفظها . فأحضرها ، وإذا هي بالإفراج لعلى ابن عيسى عن وقوفه وقال ^(٥) : قد فعلت ذلك قبل أن تسأله ، وعملت فيه ضدّ

(١) انظر المنتظم ١٨٤/٦ وتجارب الأمم ١٠٤/٥ وابن الأثير حوادث سنة ٣١١ .

(٢) أى فلم يزل يتوجع وهو من قولهم مثلاً قام به ظهره أى أوجمه ويراد بقوله يقوم . الإفراط الإسهال ، وفي ابن الأثير : فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط أفرط القيام به .

(٣) في الأصل : ولنا لهذا . (٤) في الأصل : وقبل ذلك ما أعطى .

(٥) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

ما عاملتني به ، لأن أمير المؤمنين - أيده الله - أمرك في نكبتى بالإفراج عن بعض وقوفى فرجعت ودافعت ، حتى إذا ما لم تجد مدفعاً استخرجت ما فيها ورددتها فارغة وأنا قد أطلقتها لك بفلاتها وأموالها ، وما استحللت إطلاق أيدي العمال في وقوف . فشكره على بن عيسى وقال : أيها الوزير فني الحديث إلا هذا . ودخل الحسن في القول في الزيادة من ^(١) توبيخ على بن عيسى في فعله ، فقال له قولاً لافظه فيه وفي عرضه : أنا والله أستحليك ^(٢) فغلظت هذه اللفظة على الحسن وغازته . فأجابه الحسن جواباً حشمة ^(٣) فسكته أبوه . ثم أقبل على بن عيسى فقال له : أبو أحمد ^(٤) كاتب أمير المؤمنين وصنيعته - ووصف موضعه منه ، وتفويضه إليه - فاعتذر على ابن عيسى من كلمته أشد اعتذار ، ورجع أبو الحسن إلى قراءة التذكرة .

وكان الباب الثاني منها : الإفراج عن دوري وعقارى ببغداد . فقال له ابن الفرات أما دورك وولدك فما عرض لهم . وأما عقارك فأنا أطلقه . ووقع بذلك . وكان الباب الثالث : كتب أمان لأولادى وأسبابى . فقال له ابن الفرات : أما أولادك فلا علقه ^(٥) عليهم ، لأنك ما صرقتهم في أيامك ولا قلدتهم شيئاً من أعمالك ، ولكنى أستظهر لك ولهم بالأمان ، وأما أسبابك فسم من تريد ممن لا تبعه عليه . فأسمى جماعة . وكتب الأمان لهم ولأولاده .

(١) في تجارب الأمم ١١١/٥ وكان الحسن حاضراً فأطلب في توبيخه وتقريعه على هذا الباب فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة وقال في عرض كلامه : أنا أستحليك .

(٢) أستحليك : أجدك حلوا .

(٣) حشمة : آذاه وأغضبه بتسميته ما يكره . وحشمة أيضاً : أخجله .

(٤) يعنى بذلك المحسن ابنه . ويعنى : أنقول هذا الكلام في الحسن وهو كاتب أمير المؤمنين وصنيعته ؟ ثم أخذ يصف موضع الحسن من الخليفة ومتركه . هذا وفي تجارب الأمم : تقامت على الحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً فأجابه الحسن بجواب فيه غلظة ... أبو أحمد ... وأخذ يصف محله ...

(٥) العلقه : التعلق ، ويقال : لم يبق عنده علقه أى شىء .

وكان الباب الرابع : إطلاق غلّة إن كانت بقيت في ضياعي . قال ابن الفرات : هذا لا يجوز لأنني لا أطلق الضياع ولا الغلّة إلا بعد أن تؤدّى مال التعجيل ، ولكني أكتب إلى العمال بأن يحصلوا موجودَ الارتفاع ليحسب ذلك من مال التعجيل ، فهو أعود .

وكان الباب الخامس : إطلاق ضياعي بديار ربيعة والموصل والشام . فقال ابن الفرات : أما ما كان بديار ربيعة والموصل فأنا أطلقه بعد أن تؤدّى ثلاثين ألف دينار ، وأما ما بالشام فهو مُخْتَلِطٌ ولا أعرف ارتفاعه ، ولكن عرّفني مبلغه لأقفه عنك ، فإنني أتق فيه بقولك . فقال : هو في هذه السنة ناقص العمارة ومقداره مائة ألف درهم ، فقال : أنا أقف هذا القدر عنك .

والباب السادس : إطلاق ضياعي بالسود إذا أدت ثلاثين ألف دينار . فامتنع أبو الحسن من ذلك ، ووقع في الأبواب الأولى بما ذكرناه .

وعرض فائق وفلفل عليه رقاعا في حوائج لهما ، فشغل بهما وبمن جرى مجراها من أرباب المطالب . وأقبل الحسن عليّ بن عيسى وقال له : ألسنت زعمت أن حامد بن العباس أسقط عن المادرائيين ألفي ألف ومائتي ألف دينار مضارة ، وكتب لهم مؤامرة بذلك إلى الخليفة ، وأخذ توقيع الخلافة فيها ؟ وأنت وإن كنت إذ ذاك من قبيله فقد جحد حامد هذا القول منك . فقال له عليّ بن عيسى : يجحد وهو الناظر الأمر ! فقال له : فألا عارضته ومنعته ؟ لأن الخليفة أقامك للاستظهار عليه . فقال : ما كنت في الوقت إلا من قبيله ، فلما ضمن اعتمد الخليفة عليّ في استيفاء ما استوفيته ، ومع هذا فصناعتك ترّفع عن أن تلزم مني في مثل ذلك دركاً لو كنت فعلته متممداً ، فإن المال يلزم من هو عليه .

وعلا صوتاهما بالقول ، فأقبل ابن الفرات عليهما وقال : في أى شيء أنما ؟ فعرفه الحسن الصورة . فقال ابن الفرات : للمادرائى وابن أخيه واردان ، وإذا وردا كان الخطاب معهما والمناظرة لهما ، وقد أسقطت المصادر عن أبى الحسن كل تبعه ، وكفناك ماعاملته به فأمسك عنه . فقال الحسن : هو شيخى ، وقد علم الله أنى ما آثرت ماجرى . فقال له على بن عيسى : كذلك الظن بك ياسيدى .

ثم رجع ابن الفرات إلى قراءة مابقى من التذكرة التى لعلى بن عيسى ، فإذا فيها : يؤذن للكتاب وأصحاب الدواوين الولاية والمعلمين والقواد وكتابهم فى الاجتماع معى ولا يمنع واحد منهم عنى . فقال ابن الفرات : أما أصحاب الدواوين الولاية فلا يحسرون على لقائك فرعاً منى إلا رجلاً واحداً هو جارالموضع الذى أنت فيه - يعنى ابن الصريفينى صاحب الجيش لأن دارد كانت مجاورة لدار شقيق اللؤلؤى التى فى مشرعة القصب على دجلة ، وانتقلت من بعد إلى أبى بكر محمد بن بدر الحمادى - وسيصير إليك سرّاً . وأما القواد فعليك فى مجيئهم إليك شناعة . فقال : إنما أريدهم لاتباع ضياعى ، ومنهم داود بن حمدان ، وهو يرغب فيما بديار ربيعة منها ، ولاشناعة فى مثل ذلك . فقال : بلى . وربما صار منه حديث ، وكُتِّبهم يحيثونك ، وفيهم كفاية . ووقع بهذا .

وتبع هذا الباب من التذكرة : كتاب يكون فى يدي بما تقررت عليه مصادرتى ، وأنه مزيل لكل تبعه وتأول عنى وعن كُتَّابى وأسبابى . فضحك ابن الفرات وقال : ما أطرف هذا بين أن تصيح وتتظلم وتقول : إنه لايجب على مثلك مصادرة ، ثم تحاطب لنفسك فى التبعة بأن تنتجز بها كتاباً . فقال : إى لعمرى ماهى واجبة على ، ولا ارتزقت فى مدّة خمس سنين إلا مثل مال التعجيل وهو مائة ألف ، ولكن إذا وقعت المصادر فى ولأسبابى فى هذا الكتاب حجة فى نفوسنا وأملا كنا .

فأقبل ابنُ الفراتِ على الحسنِ ابنه وقال له : أنت تتولى لأمير المؤمنين ديوان المصادرِين ، فاكتب له بما يريد . فقال أَوْقَعُ بأن يُكْتَبَ له ذلك . قال : لا ، بل تكتبه بخطك . قال : فكيف أدعوه له ؟ قال : بالدعاء التام . فكتب له الحسن بخطه عن نفسه كتابا بالمصادرة ، ودعا له في صدره ، ثلاثة أسطر ، وترجمه بالدعاء التام ، وكتب : من الحسن بن أبي الحسن . كما يكتب إلى الناس كلهم ، ودفع الكتاب إلى أبي غانم سعيد بن محمد المعروف بابن الشاشي خليفته على ديوان المصادرِين .

وبينا ابن الفرات يحدث علي بن عيسى خرج أبو علي الحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ، من دولة^(١) ، وسنه إذ ذاك بضع عشرة سنين . فقام إليه علي بن عيسى ، فأكبر ذلك أبو الحسن بن الفرات وقال : يا أبا الحسن - أعزك الله - هذا ولدك . فقال علي بن عيسى : قد خدمتُ السيدَ الماضيَ أبا العباس^(٢) - رحمه الله - وخدمت الوزيرَ أيده الله ، وأرجو أن أعيش حتى أخدم هذا السيدَ - أعزه الله - . فشكره ابن الفرات على قوله ، وأخذ قرطاساً ووقع فيه إلى هارون بن عمران بأن يحتسب عليه من مال ضيعته بألفي دينار يحملها إلى أبي الحسن علي بن عيسى - من غير دعاء -^(٣) معونة له على مصادرتة . فقال علي بن عيسى : ما أحب التثقيب على الوزير - أيده الله - ولكن لا أُرِدُّ تفضله مع الحاجة إليه . وأخذ الحسن النواة وكتب له بألف دينار . وتقدم ابن الفرات إلى هارون بن عمران بأن يكتب له قبضاً بهذه الثلاثة الآلاف الدينار من مال مصادرتة ، ونهض علي بن عيسى بعد أن قبِل يد

(١) دولة : هي أمة والخبر في تجارب الأمم ٥/ ١١٢ .

(٢) يعني بذلك أحمد بن محمد بن الفرات أخا أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات .

(٣) يعني أنه لم يكتب دعاء بجوار اسم علي بن عيسى كأن يقول : أعزه الله ، مثلاً .

أبي الحسن بن الفرات ، وضمة ابن الفرات إليه ، وأكبَّ عليُّ بن عيسى على رأس الحسن فتناول له تطاولاً كالتيام ، وقام معه كلُّ من كان محضرة ابن الفرات إلا وجوه أصحاب الدواوين ، ومشى بين يديه الحُجَّاب والحواشي ، ومضى إلى دار شفيح . ولم يَبْعُدْ أن قام ابن الفرات لصلاة المغرب ، فلما صلى دعا بهشام وابن جبير وابن فرجويه وقال : رأيتُم مثل رُجْلة^(١) علي بن عيسى وتطأمنه^(٢) للنكبة واستعانته عليها بالاستعطاق والتذلل ؛ وهذه طريقة لا أحسنها ، لأن كبدى فى المحن كأ كباد الإبل ، لا جَرَمَ أنها تزداد وتتضاعف .

ثم دعا بالعباس الفرغانى حاجبه وقال له : حَدِّثْهُمْ . فقال : نعم ، لما نزل عليُّ ابن عيسى إلى طيَّار شفيح اللؤلؤى أجلسه فى صدره وجلس بين يديه . فقال ابن الفرات : هذا غيرُ منكر لأنَّنا ما عاملناه بقبيح فيتصنَّع لنا شفيح بإذلاله ، وهو مع ذلك شيخ قد رأسَ عليهم ، وكان مُعْظَمًا فى أيام عبيد الله بن سليمان وله أُبوْنَةٌ وصِناعته .

وأقام عليُّ بن عيسى فى دار شفيح إلى أن أَدَّى ثلاثمائة ألف دينار المصادرة ، وأُطلِقَتْ ضياعُه . ثم أبعَدَ إلى مكة ، وأُطلق له ابن الفرات عشرة آلاف درهم^(٣) نفقة سلَّها إليه ، وأعطى فى أجر الجمالين ونفقاتِ الموكِّلين ثمانية آلاف درهم . فلما حصلَ بمكة أعيد قبض الضياع وأمر بإخراجه إلى صنعاء . وإمَّا تمَّ ذلك عليه بعد خروج مؤنس إلى الرقة كالبعيد .

وذُكِرَ أن علي^(٤) بن عيسى لم يقبل لأحد من الكتاب فى نكبته هذه معونة

(١) الرجلة : من معانيها الرجولية .

(٢) تطأمنه : انخفاضه وانحناؤه .

(٣) فى تجارب الأمم ١١٣/٥ سبعة آلاف درهم .

(٤) تجارب الأمم ١١٢/٥ .

مع بذلم ذلك له ، إلا ابن فرجويه فإنه حمل إليه ألف دينار . وحمل إليه الفضل
والحسن (١) ابنا ابن القرات ألف دينار . وكان أبو الهيجاء بن حمدان أنفذ إليه
عشرة آلاف دينار فردها وقال له : لو كنت متقلداً فارس لقبلتها ، وأعلم أنها تُجحف
بمالك ، وما أحبُّ نَمَلَك (٢) . خلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى ملكه ففَرَّقَتْ
على الطالبين والضعفاء . وحمل إليه هارون بن غريب جُملة قبيلها . وبذل له شقيق
ألفي دينار فامتنع منها وقال له : لا أجمع عليك مؤونتي ومعونتي .

ولأبي الميمون سالم بن عبد الله في علي بن عيسى لما أخرج إلى مكة :

سَيَّرْتُ الشَّمْسُ بِالنَّحْسِ فَأَطَلْتُ سَعْدًا عَلَى الْأَنْسِ
فَأَبْعَدَ اللَّهُ الَّذِي سَيَّرْتُ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ
مَضَى ذَمِيًّا خَاسِتًا خَاسِرًا مَصَاحِبًا بِالنَّعْسِ وَالنُّكْسِ
لَمَّا غَدَا أَهْلُوهُ فِي مَاتَمِ أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي عُرْسِ
فَلَا كَلَادَ اللَّهُ مِنْ ذَاهِبٍ وَلَا رِعَاةَ اللَّهِ مِنْ جِبْسِ (٣)
أَطْلَعُ فِي أَيَّامِهِ كُلِّهَا عَلَى الْبَرَايَا كَوَكَبِ النَّحْسِ
وَضَيِّقَ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِهَا كَأَنَّهَا الْعَالَمُ فِي حَبْسِ
يُضَيِّعُ الْأَمْوَالَ مِنْ مُجْبِهِ وَيَنْظُرُ السَّاقِطَ مِنْ فَلَاسِ (٤)
أَهْلَكَ اللَّهُ وَلَا رَدَّهَ فَهَلْكَهُ أَطْيَبُ لِلنَّفْسِ
مَا يُؤْمَنُ الشَّرُّ وَلَا يَنْقِضِي حَتَّى يُوَارِيَ النَّذْلُ فِي رَمْسِ

(١) في تجارب الأمم : الفضل والحسين فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار .

(٢) نملك : إحداد خلل بك .

(٣) لا كلاه : لاحفظه . والجبس : الجبان والثلثم .

(٤) الفلاس : قطعة من النقود نحاسية صغيرة القيسة .

وزارة أبي الحسن علي

ابن عيسى الثانية^(١)

لما قبض عليّ أبي الحسن عليّ بن عيسى بعد نظره مع حامد بن العباس جرى أمره مع أبي الحسن بن القرات وابنه الحسن عليّ ما ذكرناه . ثم أخرجاه إلى مكة ، ومنها إلى اليمن ، فكان هناك إلى أن قبض عليهما . ووزر أبو القاسم الخاقاني ، فسأل مؤنس الخاقاني أن يأذن لعليّ بن عيسى في الرجوع إلى مكة ، ففعل ، ثم سأل مؤنس المقتدر بالله من بعد تقيده الإشراف على مصر والشام ، فأمر الخاقاني بذلك ، وكتب إلى علي بن عيسى به ، وأجرى له ألفي دينار في كل شهر . وكان عامل مصر يومئذ أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن ابن عبد الوهاب . وتقلد أبو العباس الخصبّي الوزارة^(٢) فأقره على ذلك . وفسد أمر الخصبّي ، فأشار مؤنس على المقتدر بالله باستقدام علي بن عيسى وردّ الأمور إليه والتعويل فيها عليه . ونُدب سلامة الطولوني للنفوذ إلى دمشق في طريق البرية وإحضار علي بن عيسى منها ، ونفذ في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة ، واستقر^(٣) الأمر في مراعاة الأعمال إلى حين وصوله على أن استدعى المقتدر بالله عبيد الله بن محمد الكلوزاني في يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة ، وعرفه تقيده أبا الحسن علي بن عيسى الوزارة ، وأمره بالنيابة عنه إلى حين وروده ، فانصرف أبو القاسم إلى دار الوزارة بالخرم في طيار الخصبّي المقبوض عنه ، وجلس ونظر في الأعمال ،

(١) صلة عريب ٦٦ - ٦٧ وملتزم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ وابن الأثير

حوادث ٣١٤ .

(٢) نولي الخصبّي الوزارة بعد الخاقاني سنة ٣١٣ .

(٣) صلة عريب ٦٦ وملتزم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ .

وقرأ الكتب الواردة ، ووقع في الكتب الصادرة ، وكتب إلى عمال الخراج
والمعاون وعمرأض الجيوش وأصحاب الأخبار والبُرد والقضاة بما رُدَّ إلى علي بن عيسى
ورُسم له من خلافته ، وأمر ونهى وعزل ووَلَّى . وظهر في هذا اليوم أبو علي بن مقله
وأبو الفتح الفضل بن جعفر ، وجاء إلى أبي القاسم مسلماً عليه ، وحضر هشام بن
عبدالله ونظر فيما كان ينظر فيه للخصيبي . ولم يزل السكوداني يدبر الأمور حتى
مَشَى كثيراً واستخرج صدراً كبيراً .

وسار علي بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج ثم انحدر في الفرات إلى بغداد ،
وخرج ^(١) الناس لتلقيه في سلخ الحرم وأول صفر من سنة خمس عشرة وثلاثمائة ،
فمنهم من لقيه بالرحبة ثم بهيت ثم بالأنبار . وورد إلى الحضرة في يوم الثلاثاء خامس
صفر ، وبدأ بالمتندر بالله ، فوصل إليه بعد العشاء ^(٢) الآخرة ، ومعه مؤنس المظفر ،
فخطبه خطاباً جميلاً وانصرف إلى منزله ، فحمل إليه المتندر بالله من الثياب الفاخرة
والفرش الجليل والمال ما قيل : إن ثمنه وقدره نحو عشرين ألف دينار ، وأمره
بالاستعانة بذلك على إصلاح أمره وإقامة تجملته ، وخلع عليه خلع الوزارة في يوم
الخميس لسبع ليال خلون من صفر ، وسار معه مؤنس المظفر إلى أن بلغ إلى داره بسوق
الثلاثاء ، ثم حلف عليه علي بن عيسى فتأخر عنه ، وسار بين يديه هارون بن غريب
وشفيح ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد والغلمان إلى داره بباب البستان .
وقدم بقدم علي بن عيسى أخوه عبدالرحمن - وقد كان خرج إليه عند تقلد الخصيبي
الوزارة من غير أن يلقاه ، وسليمان بن الحسن . - وقد ذكرنا حاله فيما تقلد من أعمال
الشام في وزارة الخصيبي - وعبيد الله بن عبدالله بن الحارث ، وأبو زنبور الحسين بن أحمد
المدارئي . وبلغ هشام بن عبدالله أنه قد ذكر عند أبي الحسن علي بن عيسى

بما أفسد رأيه فيه ، وذُكر بما كان كاشفه فيه في أيام ابن الفرات الأخيرة ، وما عامل به إبراهيم وعبد الله أخويه من القبيح قولاً وفعلاً ، فاستوحش وأشفق واقتصر على أن وقفَ لعليّ بن عيسى في الطريق ، وترجّلَ له ، وعاد إلى منزله ولم يجسُر على حضور داره . وكان يتقلّد مع ديوان المصادرين كتابَةَ أحمد بن بدر العمّ ، فلما تأخر عن عليّ بن عيسى وقّع إليه : لم أرك - مدّ الله في عمرك - أحضرتني عملاً للمصادرات التي تتقلّد ديوانها ، ولا أفذتَ إلى كتاباً بالمطالبة بشيء من مالها ، ولا أخرجت إلى ما تعلم شدة الحاجة إليه من أحوال ضمانات الضمائم التي ضمنوها ، وبلغني أنك متشاغلٌ عن هذه الأعمال بغيرها ، فينبغي - أكرمك الله - أن تُخْرِجَ إلى سائر ما قبلك ، وتجري على عادتك في خدمتي وملازمة حضرتي إن شاء الله .

فأجاب بهشام : بأنه حضر الدار للخدمة فوجد الوزير قد قام من مجلسه ، وعزم على الرواح وملازمة الخدمة التي يتشرف بها وأنه إنما أخر إخراج ما على المصادرات لعلمه بمذهب الوزير في البحوث عن الظلم .

وعمل على المشافهة بما عنده ليُخْرِجَ من المصادرات ما هو واجبٌ مما لم يجز فيه تحريف ولا حيف . فوقع إليه : أخرج ما عندك كأننا ما كان ، وبين وجوهه وأسبابه لأتقدّم فيه بما يوفق الله إن شاء الله .

وحضر هشام مجلسه ، فقال له : ليس من مذهبي أن أذكر إساءة أحد ، ولما خلصني الله تعالى من صنعاء وعُدتُ إلى مكة عاهدته سبحانه على ترك مقابلة كل من سعى عليّ في ولايتي ونسبتي ، ووكلت جميعهم إلى الله . ولك خدمة قديمة تُوجب لك حقاً ، وعليك أضعافه ، فإذا لم ترع ما يلزمك لم أدع رعاية ما يلزمني . ثم قال له : أموال الصدقات بفارس وكرمان معقودة على أبي عيسى أحمد بن بدر العمّ ،

وقد حلَّ منها ثلاثمائة ألف درهم ، والضرورة قاندة إلى مطالبته بأداء ذلك في بيت مال العامة لِأَسَبِّ له عِوَضَه على المسميِّ من مال ضمانة الضياع^(١) والخراجِ بفارس ، وأريد أن تكتب لي خطك بعشرة آلاف دينار من ذلك . فكتب له بمائة ألف درهم ، ووقع لأهل الصدقات بالعوض منها على المسميِّ ، ثم ذكر له هشام أن عليَّ إسحاق بن إسماعيلَ من مال ضمانة النهروانات ، وعليَّ نصير بن عليَّ من مال ضمانة طريق خراسان ومواتِ جلولا ، وعليَّ محمد بن الحسن الكرخيِّ الملقب بالجرِّو من مال ضمانة نهر بوق والزاب الأسفل ، وعليَّ ابن عرفة خليفة محمد بن القاسم الكرخيِّ من مال الأعمال التي يتولاها صاحبه ، وعليَّ محمد وجعفر ابني جعفر الكرخيِّ من مال مصادرتيها ، وعليَّ محمد بن الحسن كاتب المسميِّ من مال ضمانة أعمال فارس وكرمان ، وعليَّ خليفته ابن رسم من مال أصبهان ، أموالاً كثيرة ، وأنهم لم يؤدوا منذ وقع اسمه على الوزارة إلا شيئاً يسيراً . وأنه قد أحضر خطوطهم بأعيانها ، وعملاً بأصول ما عليهم وما أدوه ، وبقى خطوط المصادرين بما تقررت عليه أمورهم ، وعملاً مُصَّلاً بما بقي منها على كل واحدٍ منهم . وقال : سبيل ذلك كله أن يُستوفى . فأمره عليُّ بن عيسى بتسليم الخطوط إلى صاحب دواته بثبت ، وتسلم هو العمليين بيده ، وقراها ، وتقدم إلى أبي القاسم الكلوزانيِّ بالاجتماع مع هشام على المطالبة بالمال والجِدِّ في ذلك حتى يصحَّ في ثلاثة أيام .

وأخرج عليُّ بن عيسى جميع الأعمال إلى أبي القاسم الكلوزاني ، ولزم أصحاب الدواوين مجلسه في دار عليِّ بن عيسى حتى ظنَّ أنه خليفته على الدواوين كلها . فلما أخرج الكلوزانيُّ كلَّ ما عنده إلى عليِّ بن عيسى وتشاغل بما أمره به من مطالبة الضمناء والمصادرين قال له عليُّ بن عيسى : إليك أجلُّ الدواوين ، وإن ارتسمت

(١) في الأصل : ضمانة والضياع .

بجلافتي اختل ما إليك منها ، وليس يقوم أحدٌ مقامك في ذلك ، فينبغي أن تتَوَقَّرَ على ذلك فَسَّرَ الكلودانيُّ بهذا القول لأنه خاف أن يَرُدَّ ديوانَ السَّوَادِ إلى عبد الرحمن أخيه على ما كان فعله في وزارة حامد ، ويحصل هو على خلافة لا يوقِّيه على بن عيسى حُكْمَهَا ، لأن من مذهبه أن يَنْظُرَ في الأعمال بنفسه ليلا ونهاراً . وَعَوَّلَ على عبد الرحمن أخيه وسليمان بن الحسن في عمل من الأعمال للضمان والعَمَالِ مما يُخْرِجُه إليهما أصحابُ الدواوين ، وفي مُكَاتَبَةِ عُمَّالِ الخراج والضياغ والمعاون في نواحي المغرب عنه ، والنظر في سائر أعمال المغرب كما ينظر صاحبُ الديوان ، فتحققاً به ولازماً لمجلىسه ، وتجدد إشفاق هُشَامِ واستيحاشه ، وذلك أنه بلغه حضور أولاد إبراهيم بن عيسى عند عمِّهم على بن عيسى فلما رآهم دمعت عينه وقال : ترك أبوهم العمل معي في وزارة حامد طلباً للسلامة فلم ينفعه ذلك وأفقره ابنُ الفرات ثم سلمه إلى من قتله . فقال له من كان بحضرته : الذي جرى عليه من هُشَامِ - مَكْرُوهًا وشتمًا له ولآلِ الجراح كُلِّهِمْ - أعظمُ من القتل .

وخفف هُشَامِ الحضور في دار على بن عيسى ، وكان يُنفذ إليه الأعمال من غير أن يلقاه . وزاد ما يتأذى إليه من ذكر أصحابِ على بن عيسى له ونَصْرِهِمْ (١) إياه عليه ، فاستتر وستر حرَّمه ، ولم يعرض له على بن عيسى ، ووقع إليه بعد أيام من استتاره توقيماً جميلاً فأجاب عنه بأنه قد كان واثقاً بتفضل الوزير عليه وصفحه عنه .

وعمل على ملازمة الخدمة إلى أن أكثر أعداؤه من الإغراء به والوقعة فيه ، فأقام في منزله واثقاً بنِيَّتِهِ وَمَعْوَلًا على عَفْوِهِ ورأفته . فوقع إليه : ما صرفتك أكرمك (٢)

(١) نضرتهم يراد بها هنا تسليطهم من قلوبهم ضرمي الوحش جعله إضارياً .

(٢) في الأصل ما صدقتك .

الله فإن أحببتَ الحضور والخدمة وإفان الله لك بالرشد . فلم يسكن وأقام على الاستتار .
ونظر على بن عيسى في الجارى والأرزاق ، فنزل^(١) أصحاب الدواوين من
الثلاثين إلى النصف ، وجعل لأبي القاسم السكوداني من خمسمائة دينار كان يقبضها في
كل شهر عن ديوان السواد خمسة آلاف درهم ، وقرّر لأبي الفتح الفضل بن جعفر
عن ديوان المشرق مائة دينار في كل شهر ، ولأبي على بن مقله عن ديوان الخاصة
والمستحدثة مائة دينار . وكان حامداً أجرى له ثلاثة آلاف درهم في كل شهر برسم
مشيخة الكتّاب ، وكان يقبضها إلى أن نكبه ابن الفرات . وأسقطَ أرزاق كل من
كان يقبض برسم الدواوين من الكتّاب وأولاد الكتّاب الذين يحضرون ولا يعملون ،
وغلمان وأسباب وأصحاب الدواوين ، واقتصر بالعلماء على جارى عشرة أشهر في السنة .
وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر . وحذف من كان جارياً بالفرسان والرّجاله
برسم النوبة من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح ، وأرزاق الأولاد الذين
في المهود ، وجميع أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمُغنين وأصحاب الغنايات
وأرباب الشفاعات .

ثم إن على^(٢) بن عيسى رأى من اختلال النواحي في وزارة أبي القاسم ابن الخاقاني
وأبي العباس الخصبى ونقصان الارتفاع ، وتضاعف النفقات ، وما زيده الرّجاله
عند وزود القرمطى وهو مائتان وأربعون ألف دينار في السنة ، ما استعظم الصورة فيه ،
وعلم أن الأمور لا تستقيم معه ، وتبين انحراف نصر الحاجب عنه ليل مؤنس المظفر
إليه وقيامه بأمره . فاستعفى المقتدر بالله من النظر استعفاءً دفعه عنه وقال له : أنت
عندى بمنزلة المعتصد بالله ، ولا بد من أن تصبر وتحتمل . فترك مُدبّدة ثم عاود وواصل

(١) في الأصل فتراك .

(٢) ابن الأثير حوادث : ٣١٦ . وتجاوب الأمم ١٨٤/٥ والمنتظم ٢١٦/٦ .

وشاور المقتدر بالله مؤنساً فيمن يُقلده ، وقال له : قد أُسِمِي لى الفضل بن جعفر فلم أُردّه ، وابن مقلّة فما عندك فيه . قال : هو حدث خامل ، والوزارة تحتاج إلى شيخ له ذكر وفيه فضل . فقال له : محمد بن خلف النيرمانى وقد بذل تحصيل ألف ألف دينار من مال النواحي فى مدة أربعة أشهر . قال : هذا رجل متهور ولا يُحسن أن يكتب اسمه . وأشار بمداراة على بن عيسى . وخاطب مؤنس على بن عيسى ، فقال : لو كنت مقيماً بالحضرة لعينت وعولت على معاوتتك ومعاضدتك ، فأما وأنت خارج إلى الرقة فلا تيم لي أمر . وبلغ أبا على بن مقلّة ذلك ، فجدّ فى السعى على على ابن عيسى . وشاور المقتدر بالله نصراً الحاجب فى الثلاثة الذين هم الفضل بن جعفر وابن مقلّة ومحمد بن خلف النيرمانى ، فقال : أما الفضل فما يدفع عن محله وصناعة ، ولكنك قتلت عمه بالأمس ، وبنو الفرات كلهم يدينون بالرّفض ، ويميلون إلى القرمطى ، وابن مقلّة فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف ، فلم يتقبّله المقتدر بالله ، لأن مؤنساً وهارون بن غريب نقرأه منه . وعرف ابن مقلّة طعن نصر الحاجب عليه ، فواصل مداراته واستصلاحه ، وواقف أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري على ملاقاته أبا محمد دلويه كاتب نصر واستمأنته على إصلاح صاحبه . وأشار مؤنس بأبي زنبور المادرائى ، فكرهه نصر وانقاد لأبي على بن مقلّة والمشورة به ، وقال : يُقلد فإن استقل بما نُدب إليه وإلا صُرف واستبدل به . فاضطرّ المقتدر إلى أن استوزره . وحصلت له وسيلة أخرى قوّت أمره ، وذلك أن^(١) المقتدر بالله كان شديد التطلع إلى معرفة أخبار أبا طاهر القرمطى ، ولم يكن يقف عليها إلا من جهة الحسن ابن إسماعيل الإسكافى عامل الأنبار وما يكتبه منها إلى على بن عيسى فى كل أيامه^(٢) ،

(١) تجارب الأمم : ١٨٥/٥ والمتنظم ٢١٦/٦ .

(٢) فى الأصل : فى كل أيام .

فأنفذ أبو عليّ بن مقلة طيوراً إلى الأنبار ، وعوّل على قوم من أهلها في مكاتبته بأخبار
القرمطيّ على الساعات . فكان يرد من ذلك ما يُنفذه لوقته إلى نصر الحاجب ،
ويعرّضه نصرٌ على المقتدر بالله ويجعله طريقاً إلى تفرّضه وإطرائه حتى قال له :
إذا كانت هذه مراعاته لأمورك يا أمير المؤمنين ولا تَعَلَّقْ له بخدمتك فكيف يكون
إذا اصطنعتَه واستكفيتَه ؟

فلما كان ^(١) وقت الظهر من يوم الثلاثاء ثالثَ عشرَ ربيع الأول من سنة ست
عشرة وثلاثمائة أنفذ المقتدر بالله هارون بن غريب إلى عليّ بن عيسى للقبض عليه ،
فصار إلى داره ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وهو متعطل إذ ذاك ، فلما قرب هارون
منها قدّم أبا جعفر أمامه إليه ، وعرفه ما أنفذ فيه حياءً من لقائه به ، وعرفه أبو جعفر
الحال ، فقال : أنا جالس أتوقّعه . ولبس عمامة وطيلساناً وخُفّاً ، وأخذ في كُتْمِه
مُصحفاً ومِقْرَاضاً . ووافي هارونُ فدخل إليه ، وسأله صيانةَ حُرْمَةِ وولده ، ففعل ،
ومنع من التعرّض لشيء من الدار . ولم يجد في مجلسه ولا داره أحداً من كُتّابه
وأصحابه ، وبصّر بأبي عليّ عبد الرحمن في بيتٍ من الدار مُطْلِعاً في شُبَّانِكِ ،
فهجم عليه وأخذه ، وحملها إلى دار السلطان ، وسلم عليّ بن عيسى إلى زيدان القهرمانه ،
واعتقل عبد الرحمن عند نصر الحاجب ، فكانت مدّة وزارة عليّ بن عيسى هذه سنة
وأربعة أشهر ويومين .

وَادَّعَى نصر ^(٢) الحاجب - بسوء رأيه في أبي الحسن عليّ بن عيسى - أنه وجد
رجلاً يُعرّف بالجوهريّ ، وأقرّ بأنه رسولٌ للقرمطيّ وسفيرٌ بينه وبين عليّ بن عيسى ،
وحكى عنه أن عليّ بن عيسى كان يُكاتب القرمطيّ على يده ، وجمع بينه وبين

(١) تجارب الأمم ٥/ ١٨٥ .

(٢) تجارب الأمم ٥/ ١٨٦ .

عليّ بن عيسى حتى واجهه بذلك . فقال عليّ بن عيسى : كذب عليّ وبهتني ، وما خلق الله لما قاله أصلاً ولا فرعاً ، وعاون أبو عليّ بن مقلة نصراً الحاجب إلى أن كاد المكروه يتمّ عليّ عليّ بن عيسى ، وهمّ المتقدر بالله بأن يضربه بالسوط على باب العامة بمحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين . فتوصّلت السيدة إلى كشف ما ادّعى عليه ، حتى وقفت على بطلانه ، وقررت ذلك في نفس المتقدر بالله ، فزال ما كان اعتقده فيه .

وتقلّبت بعليّ بن عيسى من بعدُ أمورٌ قد ذكرناها فيما أوردناه من أخباره المنشورة وأخبار الوزراء .

ورَدَّ إليه ^(١) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة - في خلافة المتقي لله وإمارة بجمك ^(٢) ، ونظّر أبي عبد الله الكوفي ^(٣) - النظّر في المظالم ، فجلس لذلك ونظّر في خصوصيات بين عوامٍ ، ورَدَّ ما يتعلّق بعاملٍ وصاحب ديوانٍ وجنديٍّ إلى أبي عبد الله الكوفي ، وبالْحُكْم إلى الحكام .

فلما انهزم ^(٤) أبو عبد الله البريدي من كورتكين ^(٥) وتكينك ، وخلت الوزارة من ناظرٍ فيها ومُرَسَّمٍ بها ، استدعى المتقي لله أبا الحسن عليّ بن عيسى وأبا عليّ عبد الرحمن أخاه وأمرهما بالنظر ، وكان أبو عليّ عبد الرحمن يُدبّر الأعمال وعليّ بن

(١) انظر تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ٣٢٠/٦ وقتل سنة ٣٢٩ وقد كان أمير الجيش وكان يلقب أمير الأمراء قبل ملك بني بويه وانظر ابن الأثير حوادث السنوات ٣٢٦-٣٢٩ .

(٣) كان كاتباً ليجك وكان إليه التدبير أكثر من الوزراء انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ وتجارب الأمم ١٧/٦-١٨ وانظر ابتداء حال البريدي

وضبط اسمه والاختلاف فيه في ابن الأثير حوادث ٣١٦ .

(٥) في تجارب الأمم كورتكيج ١٧/٦ أما في ابن الأثير فكلأصل .

عيسى يصل إلى حضرة المتقي لله ، وجرى الأمر على ذلك تسعة أيام ثم تقد أبو إسحاق القراريطي ^(١) الوزارة ، ولازما منزلها .

وتوفى أبو الحسن علي بن عيسى في يوم الجمعة لليلة خلت من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن تسع وثمانين سنة وستة أشهر ، لأن مولده كان في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين .

أخبار أبي الحسن المنشورة

حدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : كان محمد بن جعفر العبرتاني من عمال أبي الحسن بن القرات وخواصه ، وكان يعامل أخى أبا الحسن علي بن عيسى فيما ضمنه من طساسيج طريق خراسان الجارية في الخاصة ، فاستوفى عليه استيفاءً تشدد فيه ، واجتهد في إصلاح نيته وقبول مبرته بكل ما يجتهد مثله مع مثله ، وأخى يمتنع ويقول : يا هذا الرجل إنما بيننا أمرٌ هذا الضمان فإن وفيت به وخرجت منه فانت أجل الناس عندي وأقربهم مني ، وإن أقت على أمرك في المغاورة ^(٢) والمدافعة فانت أبعدهم من قلبي وأشقاهم بي .

فحضر عنده في بعض الأيام وكان يوم الثلاثاء ، وأخى خال من العمل ؛ وجرى ذكرُ البلدان وما خصَّ به كل واحدٍ منها من الطُرف والألوان ، فقيل : لمصر دهنُ البلسان ^(٣) وللبصرة النخل والبساتين ، ولكسكر زكاء الأرض وجودة الغلات

(١) هو محمد بن أحمد الإسكافي واظن وزارته في تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) المغاورة : الإغارة .

(٣) البلسا : شجر له زهر أبيض صعب بهيئة المناقيد يستخرج منه دهن عطر الرائحة .

وللكوفة القُسوب^(١) وللاهُواز القَنْد^(٢)، ولتُستر الديباجُ والفاكهةُ، ولجنْدِيسا بُور
الديستنبو^(٣) ولنهاوند الكَمْثرى والزعفران، ولقَطْرَبِل الشراب. وذَكَر محمد بن جعفر
«كلواذى» ووصف أترُجَهَا وتجاوُزَه فى القَدِّ والكبر مافى «السُّوس» منه، فقال
أخى على بَجَازِ القول: أحب أن أراه. وتقوَّض المجلس.

فلما كان وقت المغرب حضر باب أخى رسولَ لِمحمد بن جعفر. قال عبد الرحمن
فَدَثْنِي ماهر الخادم - وكان عاقلاً مُحَصِّلاً - قال: جاءنى البوابُ فقال: بالباب من
يَطْلُبُكَ. فخرجت فإذا صاحب العبر تائى قد حضر، ومعه قَمَاطِر ما رأيتُ أدقَّ ولا
أحسنَ منها، وفيها أترُجُجٌ قد أنفذه، ومعه رُقْمَةٌ إلى مولائى، ورقْمَةٌ إلىَّ يسألنى
إيصالَ القمَاطِرِ وَوَضَعَهَا بين يَدَيْ مولائى، وإذامعه خمسون ديناراً لى على التوصل
إلى القبول. فدَعَوْتُ بالنمَّانِ وأشالوها^(٤) إلى حضرته، وأوصلت رُقْمَتَه فقرأها
وقال: افتح. ففتحتنا بعض القمَاطِرِ، وأخرجنا منها أترُجُجاً مثل المَسَاوِرِ^(٥) اللطيفة لم يَرِ مثلها
حُسناً وَنُبَلاً وَكُبْرًا. فقال بعض الخدم: فيها شىء أثقل من شىء. فقال: تأملوها.
فتأملناها، وإذا فيها عشرُ أترُجُجَاتٍ مُقَوَّرَةٌ نَحِيظَةٌ، فسللنا الخيوطَ وإذافى كل أترُجَّة
ديباجٌ فيه ألفُ دينار. والجميع عشرة آلاف دينار، فتقدَّم بردُّها كما كانت، ودعا
بالرسول وأمر بتسليمها إليه بحضرته، فتسلمها وقال له: قل له: لم يَذْهَبْ على ما أوردته
بهذا الفعل، وأنت عارفٌ بمذهبي وستعرفُ خَبْرَكَ. قال ماهر: فبادرتُ مع الرسول
حتى خرج ورددت عليه الخمسين الدينار. فقال: أنت قد فعلت ما يجب عليك فلم تَرُدُّ

(١) القُسوب: نوع من التمر يابس يتفتت فى الفم.

(٢) القَنْد: عسل قصب الكَر إذا جد.

(٣) الديستنبو: عطر.

(٤) أشالوها: رفقوها.

(٥) المَسَاوِر: جمع مسورة ومسورة: متكا من جلد.

الدنانيروهي يسيرة في جنب استحقاقات . فقلت : ما أجسرُ على قبول شيء مع ماجرى . وبكر أخى إلى الديوان ، وابتدأ بالنظر في أمور الأعمال التي في ضمان محمد ابن جعفر ، وأخرج إليه ما ألزمه فيه عند المناظرة نحو خمسين ألف دينار .

وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر الكرخي بمصر قال : كنت أكتب لأبي علي الحسين بن أحمد الماذراني . ووافي أبو الحسن علي بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد ابن خاقان للإشراف على مصر والشام ، فدخل إلى مصر وتحت حماره وعليه طيلسان . وكان التولى للمعونة تسكين ، فتلقاه وترجل له ، وعظمت هيئته في النفوس جداً . وجلس ونظر . ثم ركب في بعض الأيام متفرجاً وعاد ، فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لانتظاره صاح : اللصوص . ففرعنا كلنا خوفاً من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استمر في مجلده قال : يا معاشر الناس اجترت الساعة على جسر قارون - وهو بزند من البرندات ، وتسمى البرندات بمصر جسوراً - فقدرت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت العمال يمتسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثرت التعجب منه والقول فيه ، وكان أبو علي حاضراً ، فلم يحبه عن كلامه ، فقال : الشأن أنني أقول ما أقوله فلا تجيبني عنه يا أبا علي ! فهض وانصرف . واغتاض أبو الحسن علي ابن عيسى من ذلك ، وأطبق دواته وقال : لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد . وقام ودخل ، وانصرف الناس ، ومضيت إلى أبي علي قلقاً بما شاهدته وسمعته ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى علي بن عيسى يستأذنه في حضوره عنده على خلوة . فأذن له ، ومضى وأطال ، فجلست أنتظره . فلما عاد سألته عما جرى

فقال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سوء أدب عليك ، ولا استهانةً بقولك ، وإنما كرهتُ أن أعترفَ بحضرة الناس فألزم نفسي مالا يلزمها ، أو أجيئك بما حضرتُ الآن لئلا يذكره فيكون ما عليك فيه أكثر مما على فيه ، فامتعتُ إكراماً لك وصيانةً . ثم قلت له : كم جاري ؟ . فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر . فقلت : يمكنني وأنا عامل مصر أن أكون بغير كُتَّاب ولا أعمال ولا كُراع ولا جمال ولا إعطاء ولا إفضال ؟ . قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن لي حُرَّما وأولاداً وأقارب وأهلاً أحتاج لهم إلى مؤونة ؟ . قال : بلى . قلت : فأخو من أن يرِدَ على زوارٍ بكتيبك وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروءة أن أبرِّهم وأصلِّهم ؟ . قال : بلى لعمري . قلت : فهذا الجبَّار الذي أجاوره وفائقُ خادمه له ثمانون مرقداً وهو متسلِّط على الأمر كله يمكنني أن أقيم على الطاعة وأمنعه إدخال اليد في الضياع إلا بمؤونة أتكلِّفها له وأولاده وخدمه وكتَّابه حتى يستقيم ما بيني وبينه ؟ . قال : هذا ما لا بدَّ منه . قلت : فالخليفةُ والسيدة والخالة والقهرمانه ومؤنسٌ ونصرٌ الحاجب وكتَّابهم وأسبابهم يجوز أن لا أهاديهم في كل سنة ؟ . قال : هذا رسم لا يمكن الإخلالُ به . قلت : فالوزراء إذا تقلد الواحد منهم هل يدخلُ داره شيء قبل ما تحمُّله خيلتي إليه ؟ وإذا نُكب فهل يؤدِّي من مال مُصادرته شيئاً قبل ما يستدعيه مني ؟ وهذا أنت - أيَّدك الله - وأنت أعفُ الوزراء ومن لا يعرف له نظير - ألم أحمل إليك في وقت كذا وكذا وفي وقت كذا وكذا ؟ وأجرٍ على عيالك في مدة كذا وكذا ؟! فقال : أنا والله شاكر لذلك . فقلتُ : ما ذكرت هذا اعتداداً عليك ، وإنما ذكرته لتعلم أنه يلزمني لغيرك مثله وأكثُر منه . وهذا حقُّ بيت المال في ضياعك بمصر والشام - وهو بضعة عشر ألف دينار في السنة - أدَّت منها درهما واحداً ؟ . فقال : ما أدري ، فقلتُ : هذا مال عظيم ولست أبرحُ أو أعلمُ أنه

قد حُصِّل لك ، أو كان أصحابك خانوك فيه حتى أرتجمعه منهم للسلطان ؟ فأعاد الشكر .
قلت : يا سيدي فمصادرتي في كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل ^(١) من الثلاثة
الآلاف الدينار الجاري تكون ؟ . فقال : دع هذا يا أبا علي فإن كبار الرجال
يُغْضِي لهم السلطان عن كثير الأموال .

وما سمعناه بعد ذلك أعاد في شيء من أمور أعمالنا قولاً .

وحدث أبو محمد الحسن الصلحي قال : حدثني بعض أصحابنا قال : قال لي
أبو القاسم الخاقاني في وزارته : أشرتُ على المقتدر بالله بتقليد أبي الحسن علي
ابن عيسى الإشراف على مصرَ والشام ، فرأيته مُتَكَرِّهاً لذلك ثم قال : افعل
ما ترى . فأقبلتُ أصفه بالموالاة والثقة لأعرف ما عنده في أمره على حقيقة ، فقال :
هو كما تصف ولكن أُحفظني ^(٢) عليه أن سُمِّتُهُ تَقَلَّدَ وزارتي في أيام حامد
ابن العباس فامتنع ، وثقل عليَّ امتناعه ، وشاورته فيمن يراه لهذا الأمر فقال :
أبو عمر محمد بن يوسف القاضي . فعلمت أنه غشني ولم ينصح لي . قلت : وما لمحمد
ابن يوسف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لعمري إنه عالم ثقة إلا أنني لو فعلت ذلك
لافتضحَت عند ملوك الإسلام والكفر ، لأنني كنت بين أمرين إما أن تتصوَّرَ
مملكتي بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر في نفوسهم ، أو أنني
عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأنسب إلى سوء الاختيار .

وحدث القاضي أبو علي المُحَسِّن بن عليِّ التَّنُوخي قال : حدثني أبو طاهر
الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري المعروف بالمقنعي أحد الشهداء قال : حدثني
أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى أنه كان يرتفع لأبيه من ضياعه في كل سنة
عند الاعتزال والعطلة بعد ما يتصرف في النفقة ثلاثون ألف دينار . ويرتفع من ضياع

(٢) أحفظني : أغضبني .

(١) في الأصل : م .

أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إذا قبضت عنه ألف ألف دينار ، وإذا وَّزَّر ورُدَّت عليه أضعفت .

قال القاضي : واتفق أن حضر هذا الحديث منه أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق الأنباري فقال : حدثني جماعة من أصحاب أبي الحسن علي بن عيسى أن جميع ما كان يرتفع له في السنة نَيْفٌ وثمانون ألف دينار يخرج منها في أبواب البرِّ وسُبل الخَيْرِ وتَقَدُّ الطالبين والعباسيين والأنصارِ وأولاد المهاجرين ومصالح الحرَمين نَيْفٌ وأربعون ألف دينار ، ويبقى الباقي لنفقاته . وأنه كان يسمع الكتاب يقولون في ضياع أبي الحسن بن الفرات: إنها ترتفع في وزارته بألف ألف دينار وعند القبض عليه ودُخول يدِ العال فيها بمائة ألف دينار وأقل وأكثر .

وحكى أبو (١) الحسن ثابت بن سنان قال : قال لي أبو الحسن علي بن عيسى يوما ، وهو متعلِّط في أيام الرضا بالله في عرض حديث كان يجاريني بعد إقرائي العمل الذي عمَّله في سنة ستٍ وثلاثمائة لارتفاع الدنيا ونفقاتها : قال لي ابنُ الفرات يوما وقد أُخْرِجْتُ إليه من دار السلطان بعد صرْفه إِيَّاي : أبطلت الرُّسوم وهدمت الأرتفاع . فقلت : أيَّ رسم أبطلت وارتفاع هدمت ، قال : المَكْسُ (٢) بمكة فقلت له : قد أزلت هذه وأشياء كثيرة ، منها ومنها - وعددت الأبواب التي رَفَقْتها وكان مالُ ذلك في السنةِ خمسمائة ألف دينار فلم أستكثرها مع ما حَطَّطْتها عن أمير المؤمنين من الأوزار بها ، وَعَسَلْتها من الأدران عن دولته فيها . ولكن أنظر مع ما حَطَّطْتُ وأبطلتُ إلى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك .

(١) تجارب الأمم ٢٩/٥ .

(٢) المكس : أموال تؤخذ من الباعة أو عن أشياء معينة عند بيعها أو إدخالها المدن الضريبة والجرك .

قلت : فبأى شيء أجاب . قال : خرج الخادم ففرّق بيننا قبل أن يجيب .
وحدث أبو عمر أحمد بن محمد بن الحسين البصري قال : لما توفى القاضي
أبو الحسين بن أبي عمر ركب أبو الحسن علي بن عيسى إلى أبي نصر وأبي محمد
ابنَيْهِ يُعزِّيهِمَا به . فلما نهض منصرفا قال : مصيبةٌ وجبَ أجرُها خيرٌ من نعمة
لا يؤدّي شكرُها .

وحدث^(١) أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق الأنباري قال : كان
أبو عيسى أخو أبي صخرة جاراً لنا ببغداد ، وكان عظيمَ الحال ، كثيرَ المال ، كاملَ
الجاه ، معدوداً في شيوخ الكتاب ، وقد تقلدَ كبارَ الأعمالِ ، وخلفَ إسماعيلَ
ابنَ بُلبُلِ على الوزارة فلما وُزرَ أبو عليّ محمد بن عبيد الله الخاقاني قلده ديوانَ
السّواد ، ثم صرفَ أبو عليّ ووُردَ أبو الحسن علي بن عيسى من مكة وزيرا . فلم
يره أهلاً لهذا الديوان لتقصان صناعته ، وكان يُفضُّ منه إذا حضر في مجلسه ، ولا
يُوقِّيه ما يقتضيه عمله ، وإذا أراد عملاً أو خراجاً أو حساباً استدعاه من كتابه
وواقفهم وخطبهم عليه بمشهدٍ منه فلا يترك له هذا الفعلُ جاهاً . ثم إن عرضَ عملٌ يعلم
أنّ كتابه أبي عيسى لانهض به وقوله لا يُعبّر عن غرضه فيه خاطبه عليه على رؤوس
الأشهاد ليَتَبَيَّنَ له نقصه وعجزه ، فطال ذلك على أبي عيسى وزادَ احتمالُه له فجلس
عنده يوماً إلى أن تقوض مجلسه ولم يبق فيه غيره وغيرُ إبراهيم بن عيسى أخى أبي
الحسن ، فقال له أبو الحسن ألك حاجةٌ ؟ قال : نعم ، إذا خلا مجلس الوزير ذكركمُها .
فأخبرتُ عن إبراهيم أنه قال : فلما سمعتُ قوله نهضتُ وانصرفتُ وعُدتُ من
غد إلى مجلس أخى فوجدتُ أبا عيسى مُتصدراً فيه بِأمرٍ ونهيٍ وتبسطٍ وعملٍ ،
وخطابُ الوزير معه دون الكتاب ، وقد انتقل من الثرى إلى الثرى ، فدعتني نفسى

إلى مسألة الوزير عن أمره حتى إذا خلا قال : تقول يا بُنَيَّ شيئاً ؟ . قلت : أسأل عن
فُضُول . قال : إن كان فضولاً فلا تَسَلْ عنه . قلت : لا بُدَّ . قال : فقل . قلت :
خلا بك أبو عيسى أمسٍ لِمَا لم أَعْرِفْهُ . ثم رأيتك اليوم مُقْبِلاً عليه ومُعَامِلاً له بضدِّ
ما كنتُ تُعَامِلُهُ به ، فما سبب ذلك ؟ قال : نعم ، إنه خاطبني خطاباً عَظُمَ في نفسي
به ، وعلمتُ صدقَهُ فيه فرجعتُ له . قال : وقد خلا بي ، أنا - أَيْدُ الله الوزير -
رجلٌ من شيوخ الكُتَّاب ، أَعْرِفُ قَدْرَ صناعتِي في الكتابة ، وإِنِّي في جملة
المتأخرين عن الغاية ، وما يخفى على سُوهِ رأيِ الوزير في واعتمادِهِ الفِضْلَ مِنِّي ، وطلبُ
فضيحتي بالرجوع إلى الكتاب في أمور ديوانِي وَقَصْدِي بِمُعْضِلَاتِ الأمور إبانته
لعجزِي وَقُصُورِي . ويجب أن يعلم - أَيْدُ الله - أن باطن حالي ومالي أَوْفَرُ من
ظاهرها على كثيره وَوُفُورِهِ ، وما أَتَصَرَّفُ طلباً لفائدة ، ولا حاجةً إلى مكسب ،
وإنما أريد قيام الجاه وَنُفُوذَ الأمر ، وقد عشت طول ماضِي من عمرِي مَسْتَوِراً في أمرِي
مُقَدِّماً عند السلطان على كثيرٍ من نُظَرَائِي ، وَخَلَفْتُ إِسْمَاعِيلَ بن بلبِلَ على الوزارة ،
وَقَلَّدْتُ كِبَارَ الأعمالِ واحداً بعد آخر ، وَسَلَّمْتُ على الوزراءِ وَسَلَّمُوا عَلَيَّ ، وقد تَمَكَّنَ
في النفوس من موضعي ومنزلي ما لا يخرج منها ، ولا يمكن أحداً إزالته عنها .
وأنا بين أمورٍ مِمَّا لَحِقَتْنِي الغضاضة به ، إما أن تَوَصَّلْتُ إلى إزالته بما يَثْقُلُ على
الوزير فيزداد سوء رأيه ؛ أو استعفيتُ وَلِزِمْتُ منزلي فلم أَكُنْ خَامِلاً ؛ وجعلت
نفسِي حينئذٍ بحيثُ أختاره من الكوْنِ في أولياءِ الوزير أو أعدائه ، أو عاد إلى
الأولى به ووفائي حقوق ما قَلَّدَنِيهِ . فقلتُ له : ليس ترى بعد ذلك يا أبا عيسى شيئاً
تُكْرَهُ ، وسأرجع في معاملتك إلى أفضل ما تُؤَثِّرُهُ . وَبَكَرَ إلى لِيَتَحَيَّنَ وعدِي
ويَحْتَبِرَ ما عندِي ، فكان ما رأيت .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي عن أبيه وأبي الحسين بن عياش قال : كان

أبو الحسن علي بن عيسى يجعل في كل باب من ورائه مسورةً ويُسبل عليها سِتراً طويلاً يُعطيها ، فإذا جلس في أخريات النهار مجلساً حافلاً أُلصق بها ظهره من وراء الستر لئلا يشاهد مُستنداً ، تمشكاً بالوقار .

وقيل : إنه ما رُئى قط متبدلاً في مجلسه ، ولا مُتخففاً في ملبسه ، ولا فارق الدراعة^(١) [إلا] والقميص من دونها ، والبُطنة من دونه و [لا] الخف في أكثر أوقاته إلا إذا أوى إلى فراشه أو قعد مع حرّمه .

وقد فعل أبو الحسن علي بن عيسى مع أبي علي بن مقله مُشبهاً بما فعله مع أبي عيسى أخى أبي صخرة ، وذلك أنه بلغه عملُ المقتدر بالله على صرفه بأبي علي وكان متقلداً له إذ ذاك على عدة دواوين - فاستدعاه وطلبه بأعمالٍ يعملها له ، فوعده بها . وحضر مجلسه بعد أيام فاعتمد الغض منه بأن قال له على ملا من الناس : كنت التمتُ منك أعمالاً فآخرتُها ، فإن كنت عاجزاً عنها وغير ناهضٍ بها فاضدق عن نفسك . فقال أبو علي : قد أحضرتها وهامى . ووضعها بين يديه وأخذ يقرأها ويواقفه على غلطٍ بعد غلطٍ فيها ، ويُقبلُ على مشايخ الكتاب فيمَجِّبهم من ضعف صناعته وقلة بصيرته ، وحتى قال له في بعض القول : هذه حياكة لا كتابة . وضرب على عملٍ ، بعد عملٍ ورسم في تضايفه ما يجب أن يُبنى عليه نظمه وترتيبه ، والكتّاب الحاضرون يُننون عليه بحسن الكفاية ، وَيَعْمِرُونَ عليّ أبي عليّ بضعف المعرفة . ثم رمى بها إليه وقال له : قم فاعملها على هذا المثال وحرّرها وجنتي بها ، فقام يحزّزُ رجله . فلما وليّ قال أبو الحسن : إن أمراً عجز عنه ابن الفرات ونحن فيه مرتبكون ، ويدعى هذا القيام به لأمرٌ عجيب ، فامضى على هذا المجلس أربعة أو خمسة أيام حتى قبض على أبي الحسن علي بن عيسى

(١) الدراعة : جبة مشقوفة القدم .

وسلم إلى أبي علي بن مقلدة . فأراد الفضل من علي بن عيسى بأمرٍ يُظهِرُهُ وشيء
يقدح فيه به ، فلم يستطع ذلك ، ولا قدر على أكثر من تلقّيه بالقبيح ، ومعاملته
بالمكروه الفظيع .

فحدث أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال : كنت بحضرة أبي علي
ابن مقلدة في وزارته ، وقد دخل إليه علي بن عيسى ، فجلس بين يديه . وكان أبو عبد الله
الموسوي العلوئي وأبو علي الحسن بن هارون حاضرين ، فقال أبو علي بن مقلدة
للحسن بن هارون : اكتب رُقعةً عن أبي عبد الله يشكو فيها إخلال ضيعته وقصور
مراده منها وفائدته . ومثله إيجاب مظامة وإطلاق معونة . فكتبها الحسن وعرضها
فوقع على ظهرها بإخراج الحال ، وأنفذ التوقيع إلى الكاتب . فأخرج ماصدق فيه
دعوى أبي عبد الله ، ووقع أبو علي تحت ذلك بأن يُطلق له عشرون كراً حنطة
وعشرون كراً شعيراً معونةً ، ويُنسب له بكذا منسوباً إلى المظامة . فاستحسن
الحاضرون فعله وما تكرم به علي رجلٍ علويٍّ ، وأخذ أبو الحسن علي بن عيسى
يشكره . فقال له مجيباً . فليم لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك ؟ فهض
أبو الحسن وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف .

وقيل : إن أبا عمر دخل إلى أبي الحسن علي بن عيسى يوماً وعليه قميصٌ دببتيٌّ
شَقِيرِيٌّ (١) مُرْتَبِعُ الثمن (٢) جدًّا ، فأراد أبو الحسن أن يُحجّله فقال له : بكم
اشتريتَ أيها القاضي شقة هذا القميص ؟ قال : بمائة دينار . فقال أبو الحسن : ولكنك
اشتريتَ لي شقة هذه الدَّرَاعَةِ والقميص الذي تحتمها بعشرين ديناراً . فقال له أبو عمر

(١) الشقيرى نسبة إلى شقير كان يتولى البريد وبعض الصياح انظر البقوبى ٦١٥/٢ .

(٢) في الأصل : الثوب .

مسرعاً : الوزير - أعزه الله - يُجَمَّلُ الثياب فلا يحتاج إلى المبالغة فيها ، ويخدمه الخواص الذين يعلمون أنه يدعُ الكثير عن قُدْرَةٍ ، ونحن نتجَمَّلُ بالثياب ونُعَالِي فيها ، ونلاقي العوامَّ الذين يساسون بما يروق عيونهم من جَلَالِهَا ، وتُعَامُ الهيبةُ بما يَكْبُرُ في صدورهم من غنামتها . فكأنما أَلَمَ أبا الحسن حَجراً فَمَا ، أعاد عليه قولاً ولارِدَّ جواباً .

وحدَّث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ابن قرية قال : حدثني مُكْرَم بن بكر بن عمر أبو يحيى بن مُكْرَم القاضي قال (١) : كنت أختص بأبي الحسن علي بن عيسى وربما شاورني في أموره . فدخلتُ له يوماً فرأيتُهُ ، مَهْموماً فقدَّرت أنه بلغه عن المقتدر بالله ما يشعل قلبه . فاقضى تقسُّمه فقلت : أرى الوزير - أيده الله - مفكراً ، فهل حدث شيء ؟ - وأومات إلى جهة الخليفة - . فقال : ليس ما أنا مغموم به من ذلك الجنس ، بل لِمَا هو أعظم في نفسي منه . فقلت : إن جاز أن يُعرِّفنيهِ الوزير فليفعل ، فلعلَّه يجدُ عندي فيه رأياً أو قولاً . قال : نعم . كتب إليَّ عاملنا بالثغر بأن أسارى المسلمين كانوا في بلد الروم على حالٍ رفاهةٍ وصيانةٍ إلى أن ولي ملك الروم آنفاً حدَّثنا منهُم ، فسفَّاهم وعاقبهم وأجاعهم وأعربهم ، وطالبهم بالتنصُّر ، وأنهم في بلاءٍ وجهْد ، وهذا أمرٌ لا حيلة فيه ، ولا مقدرةٌ على دفع ما أظلم هؤلاء المساكين ، ولو ساعدني الخليفة على إنفاق الأموال وتجهيز الجيوش إلى هؤلاء الكفار لعلتُ في ذلك غاية ما أوجهه الله علينا من بَدَل الوُسْع والإمكان . فقلت : عندي أيها الوزير رأيٌ في هذا الأمرٍ ربما نفع وكان أسهل مما تحسب وتقدِّر . قال : قل يا مبارك . قلت : بأنطاكية عظيمٌ للنصارى ، ندعى البطرُك

وَبَيْتِ الْقُدْسِ آخِرُ يَقَالُ لَهَا الْقَائِلِيَّةُ^(١) ، وَأَمْرُهَا يَنْفَعُ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ ، لِأَنَّ أُمُورَهُمْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِمَا ، وَالطَّاعَةُ لَا تَلْزَمُ جُمْهُورَ رَعِيَّتِهِمْ إِلَّا بِقَوْلِهِمَا ، وَرَبْمَا خَرَمَا الْوَاحِدَ مِنْهُمُ فَيُحْرَمُ عَنْدَهُمْ . وَالرَّجُلَانِ فِي ذِمَّتِنَا وَتَحْتِ سُلْطَانِنَا ، فَيَأْمُرُ الْوَزِيرُ بِمَكَاتِبَةِ عَامِلِي الْبَلَدَيْنِ بِإِحْضَارِهَا وَإِعْلَامِهَا مَا يَجْرِي عَلَى الْأَسَارِيِّ فِي بِلَدِ الرُّومِ وَأَنَّهُ مِمَّا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةٌ ، وَمَتَى لَمْ يُزَلْ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَتُسْتَأْنَفَ حُسْنُ الْمَعَامَلَةِ مَعَهُمْ طَوِيلًا بِمَجْرِبَةٍ مَا يُفْعَلُ هُنَاكَ ، وَسُئِلَ فِي مَعَامَلَةِ النَّصَارِيِّ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَنَنْظَرُ مَا يَكُونُ الْجَوَابُ .

فَاسْتَدْعَى فِي الْحَالِ كَاتِبًا وَأَمَلَى عَلَيْهِ كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَى وَكَيْدَةً^(٢) ، وَأَنْفَذَهَا وَقَالَ لِي : سَرَّيْتُ عَنِّي قَلِيلًا^(٣) ، وَخَفَّفْتُ عَنْ قَلْبِي شُغْلًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ - وَقَدْ أَنْسَيْتُ الْحَدِيثَ - جَاءَنِي فُرَاتِيُّ^(٤) مِنْ بَابِهِ يَسْتَدْعِينِي . فَرَكِبْتُ وَأَنَا مَتَشَوِّقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُرِيدُنِي لَهُ ، فَدَخَلْتُ وَهُوَ مُسْرُورٌ ، وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ ، فَخِينِ رَأَى قَالِي : أَحْسَنُ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ نَفْسِكَ وَدِينِكَ وَعَنِّي . فَقُلْتُ : مَا الْخَبْرُ ؟ قَالَ : كَانَ رَأْيُكَ فِي أَمْرِ الْأَسَارِيِّ بِبِلَدِ الرُّومِ أَصُوبَ رَأْيٍ وَأَصَحَّه ، وَهَذَا رَسُولُ الْعَامِلِ - وَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ بِحَضْرَتِهِ - قَدْ وَرَدَ لِيذِكْرَ مَا جَرَى فِي بَابِهِمْ . وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى : عَرَّفْنَا الصُّورَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنْفَذَنِي الْعَامِلُ مَعَ رَسُولِ الْبَطْرِكِ وَالْقَائِلِيَّةِ الَّذِي أَنْفَذَاهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَكَتَبْنَا عَلَى يَدِهِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : بِأَنَّكَ قَدْ فَعَلْتَمَا بِأَسَارِيِّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ مَا هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكَ وَمُخَالَفٌ لَوْصِيَّةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ فِي أُمَّتْلَاهُمْ ، وَأَمْرِهِ فِيْمِنْ جَرَى تَجْرَاهُمْ . فِيمَا زُلْنَا عَنْ هَذِهِ

(١) فِي هَامِشِ الطَّبُوعِ : فِي حَاشِيَةِ الْجَائِلِيَّةِ .

(٢) وَكَيْدَةً صِفَةٌ لِلْكِتَابِ عَلَى إِرَادَةِ مَعْنَى الرِّسَالَةِ .

(٣) قَدْ تَكُونُ مَعْرِفَةٌ عَنْ « تَقْلًا » .

(٤) الْفُرَاتِيُّ يُرِيدُ بِهِ الرَّسُولُ .

الطريقة وعدلنا عنها إلى ما تقتضيه السنة المأثورة وأحسننا إلى من في أيديكم ،
وتركتهم على أديانهم ، ولم نكرهم على خلاف آرائهم ، وإلا لعنا كما وتبرأنا
منكم وحرمانا كما .

فلما وصلنا إلى القسطنطينية أوصل رسولُ البطرك والقائلق إلى المليكين
وحجبتُ وخلوا به ووقفوا على ماورد معه ، وتركنا أيأما ثم أحضرائي إليهما ، فبست
عليهما وقال لي ترجمانها : الملكان يقولان : الذي أدنى إلى ملك العرب من فعلنا
بأسارى المسلمين كذب وشناعة ، وقد أدنا في دخولك دار البلاط لتشاهدتم وتسمع
شكرهم وتعلم استحالة ما ذكر لكم في أمرهم . وحلت إلى دار البلاط فرأيتهم كأنهم
خارجون من القبور ، وقائمون إلى النشور ، ووجوههم دالة على ما كانوا فيه من
الضرِّ والعذاب ، إلا أنهم في حال صيانة مستأنفة ، ورفاهة مستجدة ، وتأملت
ثيابهم فكانت جوداً كلها ، فبينت أنى أحرث ذلك التأخير حتى غير أمرهم
وجدد زيهم ، وقالوا لي : نحن شاكرون للمليكين - فعل الله لها (١) وضع - مع
إيمانهم إلى بأن حالهم كانت على ما تأدى إلينا ، وإنما خفف عنهم وأحسن إليهم
بعد حصولي هناك . وقالوا لي في عرض قولهم : كيف عرفت صورتنا ؟ ومن تذبذبه
على مراعاتنا حتى أفندك من أجلنا ؟ فقلت : ولي الوزارة الوزير أبو الحسن على
ابن عيسى وبلغه خبركم ، فأنفذ وفعل كذا وكذا . فضجوا بالدعاء له ، وسمعت امرأة
منهم تقول : قرأ ياعلى بن عيسى ، لانسى الله لك هذا الفعل . قال أبو يحيى بن مكرم :
فلما سمع الوزير ذلك بكى بكاء شديدا ، ثم سجد لله تعالى شاكرا وحامدا ، وبر
الرسول وصرفه . وقلت لعلى بن عيسى : أسمعك أيها الوزير تتبرم بالوزارة في
خواتك ، وترغب في الانصراف عنها تحرجا (٢) من آثامها ، فلو كنت معتزلا

(٢) في الأصل تحريا .

(١) في الأصل . بهما .

لها ومُتَخَلِّياً منبأهل كنت تقدر على مثل هذه الحال الجامعة لجمال الدنيا وثواب الآخرة
وطيب السمعة وحسن العاقبة؟

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني الفضلُ بن أحمد الحلياني قال : قال
لي أبو بكر الشافعي صاحبُ أبي الحسن علي بن عيسى : كان الحسنُ بنُ عليٍّ
ابن محمد بن الفرات قبضَ عليّ في نكبة أبي الحسن علي بن عيسى ، وصادرنى
وأوقع بنى مكروها ، وجعل التناؤل على اختلاطى بأبى الحسن وصُحبتى إياه . فلما
أخرَجنا من المحنة ، وعاد أبو الحسن إلى الوزارة ، طلبت الانتفاع بأمورٍ أُخاطبُ
فيها ، وأخلفُ بعضَ المصادرِ منها ، فتصدَّيت لأخذ الرِّقاع بالحوائج ، وعرضها
على أبي الحسن . فاتفق أن عرضتُ عليه في بعض الأيام شيئاً استكثرتُه وضجر عليّ
به ، فقلت : أيها الوزير إذا كان حظنا من أعدائك في أيام نكبتك الصَّنع ، ومنك
في أيام ولايتك المنع ، فمتى - ليت شعري - يكون النفع ؟ فضحك ووقع لي في جميع
الرِّقاع ، وما استنقل شيئاً رفعتُه إليه بعد ذلك .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو السرى عمر بن محمد القارىء
قال : حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى قال : قال لي أبى : عرض عليّ أبو بكر
محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشميُّ في بعض أيام وزارتي رقعة التمس فيها محالاً ،
وقبل يدي ، وتركتها من يدي مفكراً فيما أفعله مما أبلغ به غرضه ولا يلحقني
عيب فيه . وعرض لي رأي في الركوب ، فنهضت ، فلما رأى ذلك قبض علي يدي
وقال : أنا نفي من العباس إن تركت الوزير يركب إلا بعد أن يوقع في رقتي
أو يقبل يدي كما قبلت يده . فوقعت له قائماً بما أراد ، وعجبت من سوء أدبه
وشدة وقاحته .

قال القاضي أبو علي : وشاهدت أنا أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز هذا

في سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد تقلبت به الأيام وبأهل بيته ، وهو محضرة أبي محمد المهلبى ، وقد كان العيَّارون ثاروا بمدينة السلام وأوقعوا فنا عظيمة ، أصلها أن عَرَبَدَ رجلٌ عباسى على رجلِ عَلاوى فى خندق طاهر وهما على نبيذ ، فقتل العلوى ، ونفر أهله واستغاثوا لأجله ، ودخل العامة بين الفريقين ، وشرفت ^(١) القصة إلى ما احتيج معه إلى إقامة الديلم فى الأرباع وترتيبهم فى كثير من الأصقاع ، وحتى أعلق العباسيون باب المسجد الجامع بالمدينة ، ومنعوا من صلاة الجمعة ، وزادوا فى إشعال النائرة . ودبر أبو محمد الأمر بأن قبض على جماعة من وجوه العباسيين وكثير من المستورين والعيَّارين ، وأدخل فيهم عدة قضاة وشهود وصلحاء عباسيين ، وكان منهم أبو بكر بن عبد العزيز . ثم جلس لهم وأحضرهم وناظرهم ، وسأهم أن يسئواله العيَّارين وحلة السكاكين ليقصر على أخذهم ، ويفرج عن الباقين ، وأن يضمّن أهلُ الصلاح منهم أهلَ الريبة ، ويأخذوا على أيديهم أخذاً يحسم به موادَّ الفتنة . فأخذ القاضى أبو الحسن محمد بن صلح الهاشمى يقول قولاً سديدا لطيفا فى دفع ذلك واستعطاف أبى محمد المهلبى وترقيقه ، والرفق به وتسكينه ، واعترض أبو بكر بن عبدالعزيز الخطاب ، وقال قولاً فيه بعض الجفاء والغلظة . فقال له أبو محمد : « يا ماص كذا وكذا ، ما تدع جهلك وتبسطك ، ولا تُخرج هذه الخيوط من رأسك ، كأنى لا أعرفك قديماً وحديثاً وأعرف حُحك وُحُق أهلك وتدرُحك ^(٢) فى مجالس الوزراء وإيثارك أن تقول : قال الوزير وقت . ولعلك تُقدر أن المقتدر بالله على السرير ، وأننى أحد وزرائه ، ليس ذاك كذلك ، السلطان اليوم الأميرُ مُعزُّ الدولة ^(٣) الذى يرى سفك دمك قربةً إلى الله تعالى وينزلك منزلة

(٢) التدرع : الدخول فى الشيء .

(١) شرفت : ارتفعت .

(٣) هو معز الدولة بن أبى شجاع بويه بن فنا خسرو البويهى : انظر ابتداء دولة البويهيين

فى ابن الأثير حوادث ٣٢١

الكتب يا عمان برحاه فحر برحاه وبحس حاصرون فقال القاصي : فلقد رأيت
فلسوه كاتب على رأسه وقد ستمت سم قال : طَبَّقُوا عِنْدَ رِوْرٍ وَنَمُوذِ ابْنِ عَمَانَ ،
فَقَبِلْتُ الْجَمَاعَةَ بَدَهُ وَسَمَّيْتُهُ الصَّغِيحَ عِنْدَهُ ، وَرِيسَهُ لَطِيحَ لَهْ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - فِي أَمْرِهِ
مِرَاسَلَاتٍ بَرَدَدَتْ إِيَّيْ أَنْ بَرَكَهُ وَأَثَرَمَهُ بِنْتَهُ ، وَأَخَذَ خَطُوطَ الْعَبَاسِيِّينَ جَمِيعَ مَا كَانَ
سَامِهِمْ إِيَّاهُ وَامْتَنَعُوا مِنْهُ ، وَفَبِصَ مِنْ بَعْدِ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ الْعَبَاسِيِّينَ
وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالِدَعَارَةَ مِنْهُمْ وَمِنْ الْعَامَةِ ، وَجَعَلَهُمْ فِي رِوَارٍ مِنْ مُطَبِّقَةِ مُسَمَّرِهِ ، وَأَنْفَذَهُمْ
إِلَى بِيْرُودٍ وَتَصَّى ، وَحَسِبَهُ هُنَاكَ فِي ذُورِ تَحْرِي تَحْرِي الْقَلَاعِ وَمِضَامِيرَ ، فَكَانُوا
فِيهَا ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ . ثُمَّ أُطْلِقَتْ نَفْسُهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ سِتِّينَ ، وَوَالَتْ
الْفَتْرَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ

وحدث القاصي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عبيد بن
القاصي قال : كانت عادة أبي الحسن بن الفراتي في كلامه أن يقول للإسار :
بارك الله عليك ومن عادة أبي الحسن علي بن عيسى أن يقول : « واللك »
أو « واك » فكان الناس يقولون : لو لم يكن من الفرق بين الرجلين إلا حسن اللقاء
وضرف^(١) ما بين القولين .

وحكى أبو محمد الصلحي قال : ما صرف الراضي بالله أبا علي عبد الرحمن^(٢)
ابن عيسى عن وراثته وسكبه وسكب أبا الحسن علي بن عيسى وصادر أبا الحسن
علي ألف درهم^(٣) وعبد الرحمن علي ثلاثة آلاف دينار - وكان ذلك طريقا -
وحصل أبو الحسن معتقلا في دار الخلافة ، وخاف أبو الحسن أن يكون في نفس

(١) لعلها : وظرف

(٢) كانت وراثته للراضي في سنة ٣٢٤ وقص عليه في سنة ٣٢٤ أيضاً

(٣) في اس الأئمة حوادث سنة ٣٢٤ أنه صدر أبا الحسن علي بن عيسى على مائة ألف دينار

وصادر عبد الرحمن سبعين ألف دينار

الراضى بالله عليه ما يريد معه قتله ، فراسلنى يقول : هذا أبو محمد - وكان إذ ذاك كاتب أبي بكر بن زائق - يسألنى خطابَ الراضى بالله عن صاحبي في نقله إلى دار وزيره إلى أن يؤدى ما قرّر عليه أمره . قال : فجئت إلى الراضى بالله وقلت له : يا أمير المؤمنين ، على بن عيسى خادمك وخادم آبائك ، ومن قد عرفت محله من الصناعة ، وموقعه من جمال المملكة ، ومن حاله وأمره كذا وكذا . فقال : هو كذلك ، ولكن له عندى ذنوب . وأخذ يعدد ذنوب عبد الرحمن : فقلت له : يا مولانا ، وأى ذرّك يلزمه فيما قصر فيه أخوه ؟ قال : سبحان الله ، وهل دبر عبد الرحمن إلا برأيه وأمضى شيئاً أو وقفه إلا عن أمره أو أمرى إياه بألاً يحل ولا يعقد إلا بموافقتي ؟ وأقبلت أعذرله وأجعل بإزاء كل ذنب حجة . قال : دع ذا ، ما خاطبني قطُّ إلا قال « واك » فهل يُتلقى الخلفاء بمثل ذلك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا طبعٌ له قد ألف منه وحفظ عليه ، وعيب به في أيام خدمته للمقتدر بالله - رحمة الله عليه - وما استطاع أن يفارقه مع شبهة ^(١) عليه وتموذه إياه . فقال : اعمل على أنه خلق ، أما كان يمكنه أن يُغيّر مع ما وصفته من فضله وعقله ، أو يتحفظ معي خاصّة فيه مع قلة اجتماعي معه ومخاطبتي إياه ؟ وما يفعل ما يفعله إلا عن تهاون وقلة مبالاة . فقبلت الأرض مراراً بين يديه وقلت : الله الله أن يتصور مولانا ذلك فيه ، وإنما هو عن سوء توفيق ، والعمو من أمير المؤمنين مطلوب . ولم أزل إلى أن أمر بنقله إلى دار وزيره ، ونُقل وصحّح ما أخذ به خطّه ، وصرف إلى منزله .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثني جماعة من أهل الحضرة أن ^(٢) رجلاً

(١) في الأصل نشبه . وشبهه : تمويه .

(٢) الفرج بعد الشدة ١/١٥٤ والمنظّم ٦/٣٥٤ .

عطارا مشهورا بالستر والصيانة رَكِبَهُ دَيْنٌ، فقام عن دُكَّانِهِ ولزم منزله ، وأقبل على الصلاة والدعاء عِدَّةَ لَيَالٍ ، فبينما هو قد صلى ذات ليلة ودعا، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له : امض إلى علي بن عيسى الوزير ، فقد أمرته بأن يدفع إليك أربع مائة دينار تُصَلِّحُ حالك بها . قال العطار : وكان عليّ ست مائة دينار ديناً ، وأصبحت فقلت : قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من رأى في المنام فقد رأى في إن الشيطان لا يتمثل بي» فلمْ لا أمضِ إلى الوزير وأُعرف ما عنده ؟ قال : فضيت ، فلما وقفت على بابه مُنِعتُ الوصولَ وجلسْتُ إلى أن ضاق صدري ، وهمتُ بالانصراف ، فأنا على ذلك إذ خرج الشافعيُّ صاحبه وكان يعرفني معرفةً قريبةً (١) فقامت إليه وعرفته خبري فقال : يا هذا إن الوزير يطلبك منذ السحر ، وإلى الآن قد سأل عنك كلَّ واحد ، والرسل مبثوثة في اليأسِك ، فكن بمكانك . قال : ودخل ، فما كان بأسرع من أن دُعِيَ بِي ، فدخلت إلى الوزير أبي الحسن ، فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم ، قال : أحسن الله يا هذا جزاءك في قِصْدِكَ إِيَّاي ، فوالله ما تهنَّأتُ عيشاً منذ البارحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي في منامي : أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربع مائة دينار يُصَلِّحُ بها شأنه . فكنت اليوم منذ الغداة وإلى هذه الغاية أسأل عنك ، وما عرفنيك (٢) أحد . يا غلام هات ألف دينار . فجيء به عِيناً ، فقال : خذ منه أربع مائة دينار امثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسُّمَّانة الباقية هديةً مني إليك . فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد شيئاً على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أرجو البركة فيه . فبكي وقال : ما أحسن هذا اليقين ، خُذْ ما بدَا لك . فأخذت

(١) في الفرج بعد الشدة : ضعيفة .

(٢) في الفرج بعد الشدة : وما عرفك :

أربعائة دينار واصرفت، وقصصت فصق على صديق لي، وأرسته الدنايبر وكلفته أن
يخبز عرمانى دمرى، ويتوسط ما بينهم وبينى. فعلى، وبدلوا له تحيرى عما لهم ثلاث
سنين، فقالت: لا بل يأحدون منى الثلث وينظرونى بالباقي. فقرقت عليهم مائتى دينار
وفتحت دكانى وأدرته بالمائتين الباقية معى، فما حال الحول إلا وقد بلغ مالى ألف
دينار، فوفيت عرمانى ما بقى لهم، وما زالت حالى تنمو ومالى يريد والله الحمد.

وكان الخنابة يتقوا مسجداً، وجعوه طرماً إلى انشاعه والفتنة، فتظلم إلى أبى
الحسن على بن عيسى من أمره، فوقع على ظهر القصة: أحق بقاء بهم، وتعمية رسم،
بناء أسس على غير تقوى من الله. فليحقق نواعده إن شاء الله.

وكان أبو الحسن بن بيداد يتقلم كور الأهوار، فترص بأرض من ارتفاع
الناحية، فوقعت فيه النار واحترق، فكتب إلى على بن عيسى كتاباً أقام فيه
عده، وسجع فى كتابه سجعاً راد فيه، فوقع على بن عيسى على ظهر الكتاب:
أنت يا أبا الحسن تكتب فتجيد، والاسم الحميد خير من الكلام السديد، صيغت
علينا أزرأ حصلتها، وعولت بنا على كلام ألفتها، وحطاب سجمته، أو جب صرّفك
عما توليته، والسلام.

فقال أبو الحسن بن بيداد: ما صرفنى غير السجع. وكتب إليه.

وصل كتاب سيدنا الوزير - أطال الله بقاءه - مشتتلاً على وصفٍ وصرفٍ.
فأما الوصف فهو منه - أدام الله تأييده - مع تحله من الصناعة مهابة الفخر والسعادة.
وأما الصّرف عن الاعتذار، مما جرى به المقدار، فما جزاءه من اعتذار من حالٍ لا أدرك
عليه فيها أن يُصرف عن ولايةٍ لا جنابةٍ منه عليها، والاعتذار بلفظ الصواب، أولى
من الاحتجاج بسوء الخطاب

فوقَّعَ عليّ بن عيسى عن جوابه : قد أدّته البلاغةُ إلى الإرادة ، فليُكْتَبْ بإقراره على العمل ، وإسعافه بالأمل ، إن شاء الله .

وورد الحضرة قوم من أهل ديار ربيعة يتظلمون من حيفٍ لحقهم في معاملاتهم ، فكتب عليّ أيديهم إلى الحسن بن محمد بن عيونته العامل هناك كتاباً نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . في علمك - أكرمك الله - بما أمر الله به من العدل والإحسان ، ونهى عنه من الجور والعدوان ، وعاقب به الظالمين في سالف الأزمان ، غنّى لك عن التنبيه والتوقيف ، والوعظ والتخويف : وفيما رسمته لك مشافهةً ومكاتبةً في إنكار الظلم وإزالته ، وإظهار العدل وإفاضته ، كفايةً وبلاغاً . وقد ورد الحضرة - أكرمك الله - جماعةً من وجوه الثمّاء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني إحدى وأثنتين وثلاث عشرة وثلاثمائة ، من إكراههم على تفضن غلاتٍ بيادهم بالحزير والتقدير وإلزامهم حقّ الأعشار في ضياعهم على التربيع ، واستخراج الخراج منهم على أوفر عبّرة^(١) قبل إدراك غلاتهم وثمارهم ، وإكراه وجوههم ومجارهم على ابتياع الغلات السلطانية بأسعارٍ مُسرّفةٍ مُجحفة . فألقني ما أفاضوا فيه من الشكوى ، وآلمني ما انتهى إليّ وَصَفُهُ من عظيم البلوى ، ووجدته - مع قبيح ذِكْرِهِ وعظيم وِزْرِهِ - عائداً بخراب الضياع ، ونقصان الارتفاع . فينبغي - أكرمك الله - أن تُجَرِّبِي سائرَ رعيتك على المعاملات القديمة ، وتحملهم على الرسوم السليمة ، حتى يعودوا إلى أفضل حالٍ عهدوها ، وأجمل سيرة حمدها ، وتُزِيل السنن الجائرة وتُبْطِئها ، وتقطع أسبابها وتَحْسِمها ، وتكتب إليّ بما يكون منك في ذلك فإنتي على اهتمام به ، ومراعاة له ، إن شاء الله .

(١) العبارة من معانيها الأصل الذي ترد إليه النظائر ويراد هنا على أوفر ما يكون المحصول .

وكتب إلى عبد الله بن علي الجرجاني عامل الصلح والمبارك .

وصل كتابك - أكرمك الله - جواباً عن الكتب النافذة إليك فيما تظلم منك فيه جماعة من الرعية ، وواصلوه من الشكينة ، بما دلت عليه من بطلان أقوالهم ، وشدة أطاعهم ، وحكيت من وجوبه عليهم بالحجج الواضحة ، والشواهد اللائحة ، وفهمته . فأما ما وصفته من استعمالك الحق في قولك وفعلك ، وحلك وعقدك ، فانظر أي دعوى ادعيتها لنفسك ، وماذا تحتج به غداً عند ربك . واعلم أن أقبح الناس في الدنيا ذكراً ، وأعظمهم عند الله وزراً ، من وصف عدلاً وأنى جوراً ، وأحسن قولاً وأساء فعلاً . وأما ما ذكرت أن هؤلاء المتظلمين أوقعوا فيه المغابنة ، وابتاعوه من أراضي المزارعات مصابرة ، فارتجعت منهم لتبعية بالثمن الوافر ، والنقد الحاضر ، فقد عدلت في أمرهم عن طريق الحكم ، إلى أشنع جهات الظلم . ولو بانث دعواك وظهرت ، وقامت البينة عليها ووضحت ، لما جاز أن تمنعهم عما ملكوه ، ولا تحول بينهم وبين ما ابتاعوه ، إلا بعد أن يختاروا فسح البيع ويرضوه ، ويؤثروه ولا يابؤوه ، وترد عليهم من الثمن ما وزنوه ، وتدفع إليهم معه ما أنفقوه . فسلم إليهم - عافاك الله - ملكهم ، ووفهم حقهم ، واقنع فيما بينك وبينهم بنظر محمد بن محمد ابن حدون ووساطته ، ولا تعدل عن قبول رأيه ومشورته . وأما ما أنقذته من العمل لبقايا سنة ثمان وثلاثمائة وما قبلها وبيئت أن معظمه على الطائفة المتظلمة منك ، فقد وقفت عليه ، وأحوال هذه البقايا مختلف ، والحكم فيها واضح منكشف ، وسبيل ما كان منها على الجهادة والبلدية ، وسكأن المستغلات السلطانية ، أن تستخرجه في أسرع الأوقات ، وتستوفيه على تصرف الحالات . وما نقاه المحملون وأصحاب المناثر (١)

(١) لعله يعني بأصحاب المناثر هم الذين يجمعون ما تساقط وتناثر من المحاصيل بعد قتل الأجران أو ما حولها وما شابه ذلك .

عن نَقَائِضِ قُنَابٍ ^(١) الحاصل ، ووصفوا أن تصحيحه واجب على أرباب البيادر ،
فسيلك أن تجريه مجرى أسلاف البذور التي تستنظفها ، مع التوثق منها بعد شهر .
وما بقي من الأسماء المجهولة - ولا أشك أنه من خراج نخل وخضر في أفرحة ^(٢)
معروفة - فيجب أن تطالب مزارعي تلك الأفرحة حتى يَصَحِّحُوهُ ، أو يكشفوا حاله
ويوضحوه ، فاعمل في ذلك بما رسمته ، ولا تتجاوز ما حدّته ، إن شاء الله . وأما ما ذكرت
أن ابن المشرف الذارع أشار عليك بإيقاع المساحة عليه من حرّيم الأنهار ، المحفوف
بالنخل والأشجار ، لتطالب باتباعه ، من تجده قد فاز بارتفاعه ، فقد غشك هذا الذارع
في مشورته ، وذلك على سوء سريره . وجميع نواحي واسط - أصلحك الله - من
السواد المفتتح عَنوة ، وليس يملكه السلطان - أعزه الله - فيباع ، لأنه في يدي المسلمين
يقوم مقام الوقف على جميعهم ، وإنما تباع أهليه فيه تجرى الشكني لأجل
ما أدّوه ويؤدّونه من الخراج وهو الكراء ، ومن غرس في هذا الحرّيم نخلا
أو شجرا ، أو زرع غلّة أو خضرا ، فقد نفع سلطانه - أعزه الله - وانتفع ، وثمر ماله
بما صنع . فاحذر أن يحطّر هذا الباب بيالك ، أو يجري ذكره على لسانك ،
وارجع عما يعزّب عنك فهمه ويشكل عليك حكمه إلى الفقهاء ، لتسلم من
سمة المسبة ، وتأمّن سوء المغيبة ، إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن علي بن هشام قال ^(٣) : قرأني أبو عبد الله أحمد بن محمد
الخليفي كتابا بخط أبي الحسن علي بن عيسى ذكر أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة
وهو يتقلد طاسيسج طريق خراسان ، يحثه فيه على حمل المال وكانت نسخته :

(١) النفاض جمع نفاض وهي مائعات من الورق والتمر . والقناب : الورق المجتمعي الذي
فيه السبل .

(٢) الأفرحة جمع قراح وهي الأرض .

(٣) نشوار المحاضرة ١٠/٨ .

قد كنت - أكرمك الله - عندى بعيدا من التقصير ، غنياعن التنبيه والتبصير
راغبنا فيما خَصَّك بالجمال ، وقدَّمك على نظرائك من العمال ، واتصلت بك ثقتي ،
وانصرفت نحوك عينايتي ، ورددتُ الجميل من العمل إليك ، واعتمدت في المهيم
عليك . ثم وَضَحَ عندى من أترك ، وصحَّ عندى من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ،
وَرَدِفَهُ ما استدعى استبطاءك ولائمتك ، وأنت تعرف صورة الحال ، وتطلعي - مع
شدة الضرورة - إلى ورود المال . وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجدِّ في
الجبابة ، حتى تردَّ جُؤلُك ، ويتوصل ما نتوقَّعُ ورودَه من جهتك . ونشَدْتُك (١)
بالله لَمَّا (٢) تَجَنَّبْتَ مذاهبَ الإغفال والإهمال ، وقرنتَ الجواب على كتابي
هذا بِمَالٍ يَميِّزُهُ من سائر جهاته وتحصله ، وتبادر به وتحمِّله ، فإن العين إليه ممدودة ،
والساعات لوروده معدودة ، والمعذر في تأخُّره ضيق ، وأنا عليك من سوء العاقبة
مشفق ، والسلام .

وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال (٣) : سمعت أبا عبد الله الباقراني يقول :
لما غلب السَّجْزِيَّةُ (٤) على فارس ، جَلَّ قومٌ من أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة ،
فَقَضَّ (٥) خراجهم على الباقين ، وكَمَّلَ بذلك قانون فارس القديم ، ولم تزل هذه
التسكلة تُستوفى على زيادة تارة ، ونقصان أخرى . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات
فارس في وزارته الأولى سنة ثمان وتسعين ومائتين على يدِ وَصِيْفٍ (٦) كأمه ، ومحمد

(١) نشده الله ونشده بالله : سأله وأقسم عليه به .

(٢) لما معناها إلا : قال ابن بري : وقد حكى سيديوه اشذتك الله لما فعلت بمعنى إلا فعلت .

(٣) نشوار المحاضرة ٦٨/٨ .

(٤) السجزية نسبة إلى سجز وهو اسم لسجستان . ويريد المؤلف بذلك بني الصفار وانظر ابتداء
أمرهم في ابن الأثير حوادث سنة ٢٥٣ .

(٥) يقال قض الشيء على القوم : فرقه وقسمه .

(٦) انظر الطبري حوادث ٢٩٨ وابن الأثير حوادث ٢٩٧ .

ابن جعفر العبري تاي^(١) فأجرى الأمر على رسمه، وفعل مثل ذلك محمد بن عبيد الله الخفاني وعلي بن عيسى في صدر وزارته الأولى. فلما مضى منها مُدَيْدَةً، وَرَدَّ عبدُ الرحمن بن جعفر الشيرازي إلى الحضرة، فتكلم على محمد بن أحمد بن أبي البغل، وقدح فيه، وكان يتقلد فارس إذ ذاك، وخطب العمل، وبذل توفيراً بحجة من المال، فعقد على بن عيسى الضمان عليه، وصرف ابن أبي البغل وقده أصحابان ثم آخر عبدُ الرحمن بن جعفر المال واحتج بتظلم أهل فارس من التكملة المذكورة، وامتناعهم من أدائها، فكتب على بن عيسى إلى أبي المنذر النعمان بن عبد الله - وهو يتقلد كور الأهواز - بالاستخلاف على عمله، والنفوذ إلى فارس، ومطالبة عبد الرحمن بما حلَّ عليه من المال، والنظر في أمر التكملة التي وقعت الظلامة منها، وشرح أمرها وحلَّ ضمان عبد الرحمن، وعقد البلد على أحمد بن محمد بن رستم، وكتب إلى ابن رستم بأن يصير من أصحابان إلى فارس، ليعقد له^(٢) عليه.

فلما وصل النعمان إلى هناك وجد قطعة من التكملة على عبد الرحمن. وقد رام أن يكسرها، ففسفه^(٣) وباع شيئاً من أملاكه حتى استوفى ما عليه، واستخرج قال التكملة من الناس، وكتب إلى علي بن عيسى بأن العمال يستضعفون قوماً من أرباب الخراج فيلزمونهم من التكملة أكثر مما يلزمهم ويرهبون آخرين فيحملونهم أقل مما يخضعهم. وقال هو وابن رستم: وإن من طرائف ما يجري بفارس مطالبة الناس بهذه التكملة وهي ظلم لا شك فيه ولا شبهة، ومما سنه الخوارج جوراً

(١) في الأصل عبر تاي. ولكن النسبة إلى عبرتا: عبرتاوي أو عبرتي، وفي ابن الأثير حوادث

٢٩٧ الفريابي.

(٢) يقال عقد له الرئاسة في قومه: جعلها له. وعقد له على الجيش رأسه عليه.

(٣) عسفه: ظلمه.

ومجازفة^(١). وإن هناك مما قد أُغضِي عنه لأربابه، والمطالبةُ به أولى وأحقّ، وهو خَرَجُ الشَّجَرِ، لأن فارسَ افْتَتِحَتْ عَنوَةٌ، وهى فى أيدي المزارعين على سبيل الإجارة، ولا حُجَّةَ لهم فى دفعهم إلا دعواهم أن المهدي أسقطه عنهم.

وعرف أهلُ بلادِ فارس ما يجرى من الخوضِ فى هذا الأمر، فورد قومٌ من أجلاذهم إلى حضرةِ على بن عيسى، ودخلوا عليه فى يومِ جلوسهِ للمظالم وقالوا: نُنَمِّعُ غَلَاتِنَا وَنُعْتَمِقُ فى الكناديج^(٢) حتى تهلكَ وتصيرَ هكذا - وطرحوا من أكلهم حِنطَةً محترقة - ونطالبُ بتكلمة ما أوجبهُ الله علينا فتدعوننا الضرورة إلى بيعِ نفوسنا وشعورِ نساءنا وأدائها حتى تُطلقَ الغلّة وهى على هذه الصورة - ثم رموا من أكلهم تيناً يابساً وخوخاً مُقَدَّداً وَلَوْزاً وَفُسْتَقاً وَبَسْدَقاً وَغُبَيْرَاءَ وَبَقَا وَعُنَاباً - وقالوا: وهذا كله بلاخراج لقوم آخرين، والبلدُ فُتِحَ عَنوَةٌ فإِذَا تساوينا فى العدل أو الجور.

فأنهى على بن عيسى ذلك إلى المقتدر بالله، وجمع القضاةَ والفقهاءَ ومشايخَ الكُتَّابِ والعالمِ وَجِلَّةَ القَوَادِ فى دار الوزارة بالخرم - وقد جعلها ديواناً - وتناظر الفريقان من أرباب الشجر - وقد ورد منهم قوم - وأرباب التكلمة - فقال أربابُ الشجر: هذه أملاكٌ قد أنفقنا عليها أموالنا حتى نلبتت الغروسُ فيها، وحصل لنا بعضُ الاستغلال منها، ومتى أُلزِمَتِ الخراجَ بطلت قيمتها، وقد كان المهديُّ أزال المطالبةَ ورسمَ الخراج عنها. وقال المطالبون بالتكلمة ما شكَّوْا به حالم فيها، واستمرارَ الظلم عليهم بها.

ورُجِعَ إلى الفقهاء فى ذلك فأفتموا بوجوب الخراج وبطلان التكلمة. وقال

(١) يراد بالمجازفة: بدون قانون ولا تبصر ولا تقدير صحيح.

(٢) الكناديج: أوعية من الطين لحزن اللؤلؤ = صوامع.

الكتاب: إن كان المهدي شرطاً لصلحة رآها في الحال ثم زالت سقط الشرط ورجع الحكم إلى الأصل. وقال لم علي بن عيسى: أليس احتجاجكم بأن المهدي إمام رأى رآياً فيه صلاح ففعله؟ قالوا: بلى. قال: فإن أمير المؤمنين الإمام قد رأى أن من الأحوط للمسلمين إزام الشجر الخراج وإزالة التكلفة. فقام الزجاج وو كيع القاضي فدعوا له وأثنيًا عليه. وقال وكيع: لقد فعل الوزير في هذه القصة كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مطالبته أهل الردة بالزكاة.

وأنهى علي بن عيسى والقضاة ما جرى المقتدر بالله في يوم الموكب، واستأذنه في كتب الكتاب بإسقاط التكلفة عاجلاً إلى أن يتقرر أمر الشجر. فأمره بكتب ذلك في الحال بحضرتة، وأحضرت له دواة - وكان رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة أن تحضر لم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى، ويكتب بيده اليمنى - وبدأ علي بن عيسى يكتب بغير نسخة، فلما رآه المقتدر بالله وقد شق ذلك عليه أمره بإحضار دواته وأن يقف بعض الخدم معه فيمسكها إلى أن يفرغ من كتابته. وكان أول وزير أكرم بهذا، ثم صار رسماً للوزراء بعده فكانت نسخة ما كتبه علي بن عيسى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله، سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد فإن أفضل الأعمال قدراً، وأجملها ذكراً، وأكملها أجراً، وأذخرها ذخراً، ما كان للشيء جامعا، وللهدي تابعا، وللورى نافعا، وللبلوى دافعا، وقد جعل

الله أمير المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مؤثراً ما يُرضيه ، مثابراً على ما يُزلف^(١) عنده ويُحظيه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وبه يستعين . وقد عُرِفَتْ حالُ السَّجْزِيَّةِ وَالْحَرَمِيَّةِ الَّذِينَ تَغَلَّبُوا عَلَى كَوْرِ فَارِسَ وَكَرْمَانَ ، وَاسْتَعْمَلُوا الْجُورَ وَالْعُدْوَانَ ، وَأَظْهَرُوا الْعِتْوَ وَالطُّغْيَانَ ، وَاتَّهَكُوا الْحَرَامَ ، وَارْتَكَبُوا الْعِظَامَ ، حَتَّى أَنْفَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جِيوشَهُ إِلَيْهِمْ ، وَتَوَرَّدَ بِهَا عَلَيْهِمْ ، فَازْلَهُمْ وَأَبَادَهُمْ ، وَشَدَّتْهُمْ وَأَبَارَهُمْ^(٢) بَعْدَ حُرُوبٍ تَوَاصَلَتْ ، وَوَقَائِعٍ تَتَابَعَتْ ، أَهْلًا اللَّهُ بِهِمْ فِيهَا سَطَوْتَهُ ، وَعَجَلَ لَهُمْ نِقْمَتَهُ ، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَعِظَةً لِلْمُسْتَعِينِ . « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ »^(٣) وَلَمَّا حَقَّ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ ، وَفَرَّقَ عَدَدَ أَوْلِيَاءِهِمُ النَّجَّارَ ، وَجَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفَعَ مَا اخْتَرَعُوهُ ، وَأَشْعَ مَا ابْتَدَعُوهُ ، فِي مُدَّتِهِمْ الَّتِي طَالَ أَمْدُهَا ، وَعَظَمَ ضَرَرُهَا ، تَكَلَّمَ اجْتَبَوْهَا بِكُورِ فَارِسَ فِي سِنِي غَوَايَتِهِمْ لَمَّا طَالِبُوا أَهْلَهَا بِالْخِرَاجِ عَلَى أَوْفَرِ عِيَرَتِهِمْ^(٤) مِنْ غَيْرِ اقْتِصَارٍ فِيهِ عَلَى الْمَوْجُودِينَ ، حَتَّى فَضُّوا^(٥) عَلَيْهِمْ خِرَاجَ مَا خَرِبَ مِنْ ضِيَاعِ الْمَقُودِينَ ، فَأَنْكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَفْتَرَ مِنْ هَذَا الرَّسْمِ الْعَظِيمِ ، وَأَكْبَرَ مَا اسْتَعَرَّ بِهِ الظُّلْمُ الْعَظِيمُ ، وَرَأَى صِيَانَةَ دَوْلَتِهِ عَنِ قَبِيحِ مَقَرَّتِهِ ، وَحِرَاسَةَ رِعِيَّتِهِ مِنْ عَظِيمِ مَضَرَّتِهِ ، مَعَ كَثْرَتِهِ وَوُفُورِ جَهْلَتِهِ . فَارْفَعَ عَنِ الرَّعِيَّةِ هَذِهِ التَّكَلَّمَ رَفْعًا مَشْهُورًا ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ سَنِّهَا مَدْحُورًا . وَنَادَى فِي الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ بِإِزَالَتِهَا وَإِبْطَالِ جِبَاتِهَا . لِيُذَيِّعَ ذَلِكَ فِي الْجُمْهُورِ ، وَيَتِمَكَّنَ السُّكُونَ إِلَيْهِ فِي الصُّدُورِ ، وَيَحْمَدَ اللَّهُ الْكَافَّةَ عَلَى مَا أَتَاكَ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَعَطُّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِعَايَتِهِ ، وَجَمِيلِ حَيَاتِهِ

(٢) أبارهم : أهلهم .

(١) أزلته : قربه .

(٣) الآية ١٠٢ من سورة هود .

(٤) المبرة من معانيها : الأصل الذي ترد إليه النظائر .

(٥) فضوا : قسموا وفرقوا .

وعنأيته ، وأَجِبَ بما يكون منك في ذلك ، فإن أمير المؤمنين يَتَوَكَّفُه^(١) ويراعيه ويتشوقه إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله . وكتب عليُّ بن عيسى يوم الخميس النصف من رجب سنة ثلاث وثلاثمائة .

وقد كان عليُّ بنُ عيسى نظر في سنة اثنتين وثلاثمائة الخراجية لأهل هذه التكملة بألف ألفِ درهم^(٢) قبل أن يستقرَّ على أرباب الشجر الخراج . ثم تقرَّو على أن يُقَارَبَ أهله فيه ويُزَمَّوا طُسُوقًا مخففة عنه ، وفعل النعمان في ذلك فعلًا وُفِّقَ به ، وكان ما ارتفع منه قريباً من مال التكملة . وكتب عليُّ بنُ عيسى في أمر الشَّجَرِ بما نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفرِ الإمامِ المقدر بالله أمير المؤمنين إلى أحمد بن محمد بن رستم ، سلامٌ عليك ، فإن أمير المؤمنين يَحْمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن الله بعظيم آلائه ، وقديم نعمائه ، وجميل بلائه ، وجزيل عطائه ، جعل أموال الفئ للدين قواماً ، وللحق نظاماً ، وللعزَّ تماماً ، فأوجب للأمة جبايتها وحرَّم عليهم إضاعتها ، إذ كان ما يُحْتَجَّبِي منها عائداً بصلاح العباد ، وحراسة البلاد ، وحماية البرية ، وحياطة الخويزة والرعية ، ولذلك يُعْمَلُ أمير المؤمنين فكره ورويته ، ويستفزع وسُعمه وطاقته في حراستها وحياطتها ، وقبض كلِّ يدٍ عن تحيُّفها وتنقُّصها ، والله وليُّ معوته بمنه ورحمته . ولما فتح الله كور فارس على المسلمين ، وأزال عنها أيدي المتغلبين ، وجد أمير المؤمنين أهلها قد احتالوا في إسقاط خراج

(١) يتوكف الخبر : ينتظر ظهوره . ويتوكف الأمر : يتبعه .

(٢) في نشوار المحاضرة ٧٤/٨ بمشرة آلاف درهم .

الشجر بأشهره ، مع كثرته وجلالة قدره ، فأمر بإشخاص وجوههم^(١) إلى حضرته ،
وأتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته ، إلى أن اعترفوا به مدعنين ، والزموه
طائعين ، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فيه من حقوقه على ماتقرر من وضاعة^(٢) وطسوقه
فظالب بخراج الشجر ، في سائر الكور ، على استقبال سنة ثلاث وثلاثمائة . فاستخرج
واستوف جميعه واستنظفه^(٣) واكتب بما يرتفع^(٤) من مساحته ويتحصل من
مبلغ جبايته ، متحرراً للحق ، متوخياً للرفق إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .
وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليل خلون من شعبان سنة
ثلاث وثلاثمائة .

وحدث أبو الحسن أحمد بن محمد بن سمعون الجرجاني قال : كنت أخلف أبا ياسر
الجرجاني على التهروانات ، فمسخنا على^(٥) الناس ما يجرى على الطسق من غلاتهم
فإذا أحد التناء^(٦) . قد أصدد إلى دار الوزير أبي الحسن علي بن عيسى - ونحن
لا نعلم - فنظّم من أننا زدنا عليه في مساحة قراح^(٧) له . فلم نشعر إلا وقد جاءنا
ابن البذلّ العامل ، وهو من وجوه العمال ، ومعه فوج من مساح بأدوريا ، فرسان
ورجال ، فلم نشك أنه صارف لنا . فقال لي صاحبي : أحب أن تتلقاه وتعرف
الخبر . فتلقيته فوجدته منقداً لا اعتبار مساحة القراح الذي للرجل ، وعدت إلى صاحبي

(١) وجوه القوم : سادتهم .

(٢) الرضايع : جمع وضعة ومن معانيها : ما يأخذه السلطان من الحراج والمشور .

(٣) استنظف الحراج : استوفاه وأخذه كله .

(٤) رافع مطاوع رافع التي هي من قولهم رفع القوم الزرع : حملوه بعد الحصاد إلى البيدر فارفع
هو أي حمل بعد حصاده .

(٥) مسح الأرض : قاسها وقسمها .

(٦) التناء : جمع تائي وهو المقيم بالمسكان .

(٧) القراح : الأرض لآماء فيها ولا شجر .

بذلك ، فقال لي : ماتدري كيف جرى أمرُ مساحته ؟ قلت : لا . قال : فاخرج حتى تواقفَ وتجتهد . قال : فخرجت ومعى مُساحُ البلد الذين مَسَحْنَا بهم ، وواقفنا واستقصينا ، ومازِلْتُ أَلُطِفُ حتى استقرَّت مساحَةُ القَرَّاحِ على أَحَدٍ وعشرين جريباً وقفيزاً^(١) وكُنَّا مسحناه اثنين وعشرين جريباً . واحتججتُ بأن المساحة وقعتُ أَوْلَا والغلَّةُ قائمةٌ فيه ، ومُسَحَ الآنَ بعد حصادها ، وليس بمنكرٍ أن يكون بين المساحة على الحالتين هذا القدرُ . وانصرف القومُ وطالعوا على بن عيسى بالصورة ، فوردت علينا كُتبه بالصواعقِ في الإنكار والتَّوَعُّدِ وقال : والله لئن عادتُ ظُلامَةٌ أَوْ تُحَيِّفَ أَحَدٌ من الرعية في معاملة أو مساحَة لأقابِلَنَّ على ذلك أشدَّ مقابلة . فتحرَّرْنَا وتحمفَّظْنَا وحرسْنَا الناسَ ونفوسَنَا ، وزاد الارتفاعُ في السنة الآتية ثلاثة في كلِّ عشرةٍ لأنَّ العدلَ شاع ، والحيفَ زال ، فتوفَّرتِ العِمارة .

وحدَّث أبو محمد ثابتُ بنُ أحمد بن المشرق كاتبُ بادوريا قال : كان أهل بادوريا معروفين بالجلد ، وكانت لهم مظالمٌ وقُوفٍ . ومظالمُ رُسومٍ ، ومظالمُ تُدعى مظالمَ القِرطاس . فقتلده عليهم ابنُ أبي السلاسل^(٢) العامِلُ وفي قلبه أحقاد ، فأراد الاستقصاء عليهم والتَّسْفِيَّ منهم . وأخرج ما عليهم من البقايا ، وأضاف إليها ماردَه من هذه المظالم ، وجبهم وطالبهم فامتنعوا عليه ، وصبروا على الحبس ، فقيدهم واحتملوا القيد ، ولم يجسُرْ على أن يُوقِعَ بهم مكروهاً خوفاً من عليِّ بن عيسى . فأملى في بعض الأيام على كاتبه بحضرتهم رقعةً إلى علي بن عيسى يُغريه فيها بهم كلَّ إغراء ويقول : هؤلاء قومٌ يُدِلُّون بالجلد ، وعليهم أموالٌ قد أَلَطُوا^(٣) بها وصبروا

(١) القفيز : ١٤٤ ذراعاً وهو ربع جريب .

(٢) في تجارب الأمم ١٥٧/٥ ابن السلاسل وبهامشه نقلا عن تاريخ ميفارقين ، إن والى ميفارقين من قبل الفتندر هو ابن أبي السلاسل .

(٣) أَلَطُوا بها : منوها .

على الحبس والقيد ، ومتى لم تطلق اليدَ في تقويمهم واستخراج المال منهم كسرؤوه ، وتأسى بهم أهل السّواد فبطل الارتفاعُ ، والوزير - أيده الله - أعلى عيناً فيما يراه من الإذن في معاملتهم بما يضطرهم إلى الخروج من الحق . قال : فجزع القومُ وخافوا أن يعود الجوابُ بإطلاق يده فيهم فيبلغَ منهم مبلغاً يهلكون به ، وهُمّوا بالانقياد له إلى ما يريد . ثم صبروا ، فورد الجوابُ على ظَهْر الرُّقعة بخطِّ عليّ ابنِ عيسى : الخراجُ - عافاك الله - دينٌ لا يجب فيه غيرُ الملائمةِ فلا تتعدَّ ذلك إلى غيره .

ففرّج الله عنهم ، وأمضيت رُسومهم ، ولم يؤدُّوا إلا البقايا الصحيحة ، وزاد ارتفاعُ بادوريا في السنة الثانية اثنين في كل عشرة .

وحدّث أبو محمد^(١) عبدُ الله بن أحمد بن داسة قال : حدثني أبو سهل بن زياد القطّانُ قال : كان أبو الحسن عليُّ بنُ عيسى يدخل إلى حجرة زوجته والدة أبي القاسم ابنه في كلِّ أسبوع . فلما نشأ أبو القاسم وترجّل جاء إلى حجرة أمّه في يوم نوبتها من أبيه فأقبلها عليها ، وأخذ المفتاح وانصرف ، ووافى عليُّ بنُ عيسى على رَسمه ، فلما رأى البابَ مُقفلاً سأل عن ذلك فقيل : فعله أبو القاسم ابنُك . فاستحيا وعرفَ غرضه ، فلم يدخل من بعدُ إلى أمّه إلا لعيادة أو حالٍ ظاهرة .

وحدّث أبو القاسم عيسى بنُ عليّ بن عيسى قال : حدثني أبي قال : لما حبسني المقتدر بالله كنتُ مُكرماً في محبسي ، فدخلت إلى القهر مائة بعدثمانية عشرَ شهراً من القبض عليّ وقالت : يريد الخليفةُ أن يجيئك فتأهبْ لذلك . فامضت ساعة حتى دخل إلى مؤنِس القشوريِّ وابنِ الحواريِّ وقال لي : أراد أميرُ المؤمنين أن يجيئك

(١) ذكر ميخائيل عواد أنها وردت في نشوار المحاضرة ٥٢/٢ .

فاستجيا منك . قال : فقامت وقبّلت الأرض ودعوتُ له ثم قالوا : ويقول لك لولا علمنا بزهدك في الوزارة لما عدّناّ بها عنك ، ولكننا نشاورك فيمن نُقلده ، إذ كُرّ هنا الناظر في الأمور ، فقلت : الوزارة محتاجة إلى رجل كاتب كافٍ مُتمشٍ للأُمور عارفٍ بسياسة الجند ، وقد قلّ الناسُ الذين هذه حالهم ، وما أعرف من أذكّره اقتضاباً من غير رويّةٍ ، ولكن أنظرُوني حتى أراجع فكري وأقول ما عندى . فقالوا : قلْ على كلّ حال . فقلت لهما : بالخصرة رجُلان وعلى البُعد رجُلان . فأما الحاضران فأبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد أخو أبي صخرة وأبو عبدالله حمد بن محمد القنّائى . وأما الغائبان وهما أوقفٌ وأصلح فأبو على الحسين بن أحمد المعروف بأبى زنبور وأبو بكر محمد بن على المادرائيّان ، فإنهما قد دبرّا أمور بنى طُولون في المال والرجال ، ولهما في الكتابة قَدَمٌ ، وبالتدبير دُرْبَةٌ ، فاستدعوا أحدهما . قالوا : ها بمصر ، والمسافة بعيدة ، ونريد ما هو أقرب . فقلت : إمّا أبو عيسى أو حمد ، قالوا : فما تقول في حامد بن العباس . قلت : هو عامل يصلح لإمارة وحفظ ارتفاعٍ ، وما الوزارة من عمله ولا سياسة الملك والرجال وتديرُ الأمور مما يعرفه . قالوا : خاعلم أن أمير المؤمنين قد قلّده وخلع عليه ، ونظر مُدّ ثلاثة أيام . قلت : فما معنى المشاورة بعد الإمضاء ؟ فقالوا : لأنه قد تلوّح لنا عجزُ حامد وكِدنا نفتح به ، ولم يُؤثّر الخليفة صرّفه في إثر تقليده فيقبحُ ذلك في السياسة ، ونريد أن نشدّه بمن يقوم بهذا الأمر ويسدّده ليبقى عليه اسمُ الوزارة ، وقد رأى أن يندُبك لذلك فتكون كاتبه وخليفته ظاهراً وأنت الوزيرُ باطناً والتدبير إليك ، والمعاملة بين أمير المؤمنين وبينك . قال : فاسترحتُ إلى الإجابة لتتاول حبسى وخرجت ونظرتُ وكان ما كان .

وحدث أبو على التتوخي قال : حدّثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق

قال : حدثني أبو يعقوب أخى قال : حدثني أبو بكر بن مقاتل ومجن بمصر قال :
ابتعت من السلطان قديماً ، وأنا تاجرٌ ، غلّة على إكراهٍ وبقي على من ثمنها
عشرون ألف دينار ، وأحضرتني أبو الحسن على بن عيسى وطالبني بذلك ، فلم يكن
لى وجهه ، وعدات إلى جحده وترك الاعتراف به . وقال لى اعمل حساباً بأصل
ما ابتعته وما أدّيته ليبين الباقى بعده . ودافعت فاعتقانى فى الديوان ، وأمرنى بعمل
الحساب فيه . فأخذت أعللُ وأطاولُ إشفاقاً من أن تتحقق البقية فأحصل تحت
المطالبة بغير عذر ولا حجة ، ثم أرهقتى ودعانى إلى حضرته ، فدخلت ومعى كيسٌ
حسابى لأريه ما ارتفع منه ، وأسأله إنظارى بإتمامه واستكمالهِ . وفتحت الكيس
بين يديه ، وكنت أستطيب خبز البيت ولا آكل غيره ، ويحملُ إلى من منزلى فى
كل يومين أو ثلاثة ما أريد منه ، وبمجن الاتفاق تركت فى الكيس منه رغيقتين
استظهاراً لئلا يتأخر عنى ما يحملُ إلى ، وبينما ألقب الحساب وقعت عين الوزير
أبى الحسن على الرغيقتين ، فلما رآهما قال لى : اضممُ إليك حسابك ، مراراً . فضمته
وشدّته وقال لى : قم إلى بيتك . فانصرفت ولم يطالبنى بعد ذلك بشيء ، ولا تنبه
من نظر بعد على أمرى ، فانكسر المال والله ، وكان سببه الرغيقتين لأن على بن
عيسى لما رآهما وقد كنت أشكو الخسارة والفقر حملنى على أن حملى للرغيقتين مع
الحساب لضعف حالٍ وشدة فاقة .

وحدث أبو القاسم عيسى بن على قال : حدثنى أبى قال : لما استهلّ ذو الحجة
من سنة أربعٍ وثلاثمائة ، وقد قاربتُ استيفاء السنة الرابعة من وزارتى الأولى
للمقتدر بالله ، باغنى ما قد عمل عليه من صرفى ، فدخلت إليه وخلوت به وقلت :
يا أمير المؤمنين قد أظلل العيد - عرفك الله بركته - ووجب أن تنظر فى أمر خواصك
وجندك ، فمن كان له رزقٌ متأخرٌ ، واستحقاقٌ حاضرٌ ، أطلقناه له ليصرفه

في نفقة عيده . فقال : نعم . قلت : نراسل السادة - وأشرتُ إلى السيدةِ والحالةِ
والأمراءِ والحرم - ونستعلم منهم الصورة فيما يتعاق بهم . ففعل وقالوا : قد راجت
أمواننا وما بقى لنا ما نطالب به أو نقتضيه . قال : فقلت : إن خدام الدار وحواشيها
وأصحاب الجرّيات والمرزقة والعلمان الحُجْرِيَّةَ والرَّجَالَةَ المصافيَّةَ ، وأصحاب مؤنس
وأصحاب الحُجَّابِ وأصحاب الشرطة جارون هذا المجرى في الاستيفاء ، وقد أزحت
علَّهم فيما استحقوه منذ نظرتُ ومُكرَّرَ إلى هذه الغاية ، ولم يبق علينا شيء لأحد
إلا ما كان لبعض رجال القوادِ التفاريق ، وقد تقدمت بإخراج الحال فيه فكان
مائة وثلاثين ألف دينار ، وحملت إلى مجلس العطاء اليومَ منه مائة ألف دينار
وقدَّرت أن الثلاثين ألفاً ستوفَّر من جارى من مات أو غاب أو أسقط ، وفضولِ
الأوزان والرُّسوم التي كان يُرتفق بها قبل هذا الوقت . وإنما أردت في إعلام
أمير المؤمنين من ذلك ما أعلمته ليتحقق استقامة أمره وأمر أهل دَوْلته . قال :
فأظهر السرور بما أخبرته به وشكرني على ما فعلته فيه وقلت : يا أمير المؤمنين
إن ابن الفرات نظر لك قبلي أربع سنين فأنفق ارتفاع الدنيا ومال المصادرات ،
وكذا وكذا ألف دينار من بيت مال الخِصَّة - لم يُسمَّ أبو القاسم عيسى [بن] على ما ذكر
مبلَّغه^(١) - ثم نظر لك بعده محمد بن عبيد الله الخاقاني ، فأخرج من بيت مال الخِصَّة
ألف دينار زائدة على ما أخرج ابن الفرات بعد الذي أنفق من الارتفاع
والمصادرة ، وقد وقَّيتُ الناس أموالهم كما رأيتَ وما مسَّستُ من بيت مال الخِصَّة
درها واحداً ، وإن تركتني حتى أدبر أمورك في هذه السنة المقبلة ولم تُغيِّر لي أمراً قتُ
بجميع الخُرُج ، وحملت إلى بيت مال الخِصَّة ألف دينار أوفَّرها . فقال :
معاذ الله أن أعتدَّ لك صرِّفاً أو اعتاضَ عنك أحداً ، وأنت . . وأنت . . وجعل
يقرِّظني ويصنفي ويحمدني ويشكرني . فانصرفت من بين يديه وعندى أنني

(١) في الأصل : لم يقم أبو القاسم عيسى على ما ذكر مبلَّغه .

قد كَفَيْتُ الصَّرْفَ فَمَا مَضَى عَلَى هَذَا الْمَجْلِسِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ حَتَّى قَبِضَ عَلَيَّ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَكَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، وَنَكَبَنِي .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال: سمعت الوزير أبا الحسن أخي يقول:
قُلَّ مَا ظَفَرَ أَحَدٌ بِنَعْيٍ [فَلَمْ يَبْطُرَ] ^(١) ، وَقُلَّ مِنْ حِرْصٍ عَلَى النَّسَاءِ فَلَمْ يَفْتَضِحْ ،
وَقُلَّ مِنْ أَكْثَرِ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَتَخَمْ ؛ وَقُلَّ مِنْ ابْتِلَى بَوِزْرَاءِ السُّوءِ فَلَمْ يَقَعْ فِي الْمَهَالِكِ .
وهذه الكلمة عمدة القول ^(٢) :

وحدث عبد الرحمن قال : كان أبو بكر بن مقاتل يتولى كيل ما يرد من الشعير
لِلْقَضِيمِ وَاسْتِيفَاءَهُ ، فَيَقِي عَلَيْهِ مِنْ أَسَافِلِ الزَّوَارِيْقِ مِنَ الرَّطْبِ وَالْعَفْنِ مَا يُبَاعُ
بِثَمَنِ نَجَسٍ ، وَيُورَدُ الْحُسْبَانَاتِ عَلَى الْأَوْقَاتِ . فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ النَّاطِرُ فِي أُمُورِ
الْجَوَارِحِ وَالطُّيُورِ يَلْتَمِسُ إِطْلَاقَ عُلُوفَةِ الْبَطِّ فِي الْبِرِّكَ وَالزُّبَيْدِيَّةِ - وَقَدَّرُ ذَلِكَ
ثَلَاثُونَ قَفِيرًا شَعِيرًا فِي كُلِّ شَهْرٍ - فَأَحْضَرَ أَخِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى ابْنَ مُقَاتِلِ
وَنَاطَرَهُ عَلَى أَمْرِ الشَّعِيرِ الرَّطْبِ وَالْمَبْلُولِ وَمَا يَحْصُلُ مِنْ ثَمْنِهِ ، وَمَوْقَعَهُ مِنْ ثَمَنِ الشَّيْلَمِ ،
والتفاوت بينهما ، إلى أن عرف التوفير بين إطلاق الشعير الجيد والشعير الرطب ،
ثم تقدم بإقامة العُلُوفَةِ مِنَ الرَّطْبِ . فخرج ابن مقاتل متعجبًا من دِقَّةِ نَظَرِ أَبِي الْحَسَنِ
فِيمَا نَظَرَفِيهِ حَتَّى وَفَّرَ مَا وَفَّرَهُ مِنْهُ بَعْدَ طَوْلِ الْحَاوِرَةِ وَذَهَابِ شَطْرِ مِنَ الزَّمَانِ فِي الْمَنَاطِرَةِ ،
وَعَرَّجَ ابْنَ مُقَاتِلِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَانِي كَاتِبِ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ خَاصَّةً
فَقَالَ لَهُ : كَمْ يَرْتَزِقُ الْوَزِيرُ فِي الشَّهْرِ ؟ قَالَ : سَبْعَةَ آلَافِ دِينَارٍ . فَقَالَ : قِسْطُ
الْيَوْمِ فِيهَا مَائَتَانِ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا ، وَقِسْطُ السَّاعَةِ نَحْوُ عَشْرِينَ دِينَارًا ، وَقَدْ نَظَرَ
الْوَزِيرُ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَاعَةٍ تَوْفِيرًا لَا يَبْلُغُ مَا اسْتَحَقَّهُ مِنَ الرِّزْقِ . وَأَخْرَجَ الْقَوْلَ

(١) زيادة من كلية ودمنة ص ٤٢ ، ٨٠ طبعة ١٩٠٥ .

(٢) في هامش إحدى النسخ : هذه بينها في كتاب كلية ودمنة على النسق وصوره اللفظ

نُخْرِجُ التَّنَادُرَ ، وسمع صَاحِبُ الخَبْرِ ذلك ، فكتب به إلى الوزير ، ودعاه من وَقْتِهِ ، فلما وقف بين يديه قال له : أَعِدْ قولك في معنى الرِّزْقِ . فاضطرب وتَحَيَّرَ ، فقال له : أَعِدْ ويلٌ لك . فقال : إنما كان قولي على وجه التَعْجَبِ من نظر الوزير الدقيق في الأمر القليل : فقال : لا تتعجب من ذلك فإن لكل أمرٍ حَظًّا من النظر والتفَقُّدِ ، ولو لم تنفق الصغير لأضعنا الكبير ، وهذه أمانة لا بُدَّ من أدائها في قليل الأمور وكثيرها . وكما أنا نَظَرْنَا في هذا الدقيق ساعة فكذلك تنظر في الجليل ساعة نظراً يؤدي إلى استخلاصِ البَليِّ العَظِيمِ ، وتحصيل المال الجسيم وإعادة الشاذِّ إلى الطاعة ، ونأني من التَّوْفِيرِ بما يُضَعَّفُ على أرزاقنا للسنين الكثيرة . وإذا علم معاملونا أننا نراعى أمورهم هذه المراعاة لزموا الأمانة وخافوا الخيانة . اُخْرِجْ ودَعِ الفُضُولِ . فخرج وعمامته في يَدِهِ .

وحدث عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثني أحد الخدم الخاصَّة قال : حضر أبو الحسن عليُّ بن عيسى دارَ السلطان في يوم شديد البرِّدِ ، وليس بيوم موكب ، وعرف المقتدر بالله خبره ، فجلس له في بعض الصُّحُونِ على كرسيٍّ ورأسه مكشوفٌ . فخطبه في معنى ما حضر له ، فلما فرغ قال له : يا أمير المؤمنين تَبَرُّزْ في مثل هذه الغداة الباردة ، وتجلس في هذا الصحن الواسع ، ورأسك بغير غِطَاءٍ ، والناس في مثلها يجلسون في المواضع الكَنِينَةِ ، ويستعملون من الدثار ما يستعملونه ، وأحسبك تُسرف في أخذ الأشربة الحارَّةِ ، والأطعمة الكثيرة المسكِ . فقال المقتدر بالله : لا والله ما أفعل ولا آكلُ طعاماً فيه مسك ولا يُطرح لي في شيء إلا يسيرٌ يكون في الخشكناج ، وربما أكلتُ في الأيام واحدة منه . فقال له الوزير : فإنِّي أطلق يا أمير المؤمنين في كلِّ شهرٍ في جملة نفقاتِ المطبخِ لثمن المسكِ نحوَ ثلاثمائة دينار . وانقضى كلامهما ، ونهض المقتدر بالله وخرج الوزير . فلما صار في الصَّحْنِ وقف

المقدر بالله وأمر برده ، فعاد وقال له : أظنك تنصرف الساعة وتفتتح نظرك بإحضار التوتلى لأمر المطبخ وتواقفه على ما جرى بيننا في معنى المسك وتسقطه . قال : كذلك هو يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : أحب أن لا تفعل ذلك ، فقل هذه الدنانير تنصرف في أقوات ونفقات قوم ، ولا أريد قطعها عنهم . قال : السمع والطاعة .

وحدث عبد الرحمن قال : كان أحمد بن محمد بن المعلّى الكاتب يتولى للوزير أبي الحسن علي بن عيسى زمام النفقات ، فقال له في بعض الأيام : يا أبا الحسن قد نقص الليل ثلاث ساعات هي رُبْعُهُ فَأَنْقُصِ الْفَرَاشِينَ مِنَ الزَّيْتِ وَالشَّعْمِ رُبْعَ الْإِقَامَةِ . فقال له : هذا - أعز الله الوزير - استقصاء ماعرفوه ، واستيفاء ماعهدوه . فقال : أليس إذا احتاجوا إلى زيادة طلبوها وزيدها؟ قال : بلى . قال : وكذلك إذا وقع نقصان فليؤفروه .

وحدث عبد الرحمن قال تأخر الوزير أبو الحسن في دار السلطان تأخراً طال - وقد كان الخبر ورد بتورّد المَعْرَبِيِّ ^(١) مصر ، وبلوغه الجيزة ، وهي في جانبها الغربي ، وأخذته القيوم والإسكندرية ، ووقع الانزعاج من ذلك وضافت به الصدور وأعمل الفكر والنظر في تدبيره - ثم وافي وقد تجاوزت صلاة الظهر في يوم صائف . فقلنا له : ما سبب هذا التأخر ؟ فقد اعتورتنا الظنون فيه . فقال : نعم ، كنا والله في أعجوبة لم يسمع مثلها . قلنا : ما هي ؟ قال : كنت مع مؤنس ومانس وعريب الخلال ونصر الحاجب وشفيع وغيرهم من الخاصة ، نتجاري ماورد من أمر مصر ، ونجمل الرأي فيما يدبر به مع ما يعبر من رأي الخليفة في السفر ، إذ خرجت أم موسى

(١) يقصد به داعية الفاطميين .

التيه مائة جلست على مسورة^(١)، واستدعت من خادميها مندبل حوائجها، فابتدأت تعرض رقعة لبعض الخشم في زيادة دينار في نزل^(٢)، ولبعض الخدم في زيادة بسيرة في رزقه، وأنا والجماعة تميز غيظاً من قطعها إيانا عن مثل هذا الأمر العظيم الحديث بمثل هذه الصغار المضرة بالمال. ثم رميت بالرقعة، وعطفت على القوم ومشاورتهم، فقالت: هكذا يفعل بجوائح السادة؟ فقلت: يا هذه، نحن في حراسة الأرواح وحفظ أصول الملك، وقد شغلنا عنه بما لا فائدة فيه. فقالت: وما هذا الشغل كله؟ قلت: مصر قد أشرفت على الذهاب والخروج عن يد السلطان وغلب المغربي منها على مواضع الارتفاع، وإن تم - ونعوذ بالله من ذلك - ما نخاف فقد مضى المغرب كله، ثم لا قرار على البساط بعده. فقالت: بظن أم مصر، ومتى كانت في يد السلطان حتى يقيم عليها إذا أخذت؟ فورَدَ عليّ من قولها ما أدهشني. فقلنا له: فما كان الجواب عن هذا الجمل؟ قال: قلت لها: بمثل هذا أدبر أمر الدنيا. ونهضت مغضباً، وتفرق القوم، وقد شاهدوا وسمعوا عجباً.

وحدث عبد الرحمن قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي قال: لما مضت مدة من وزارة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى وانتقل الحواشي وخدم الدار عما ألقوه مع أبي الحسن بن الفرات وأبي علي الخاقاني من بنطهم وبلوغ أغراضهم وزياداتهم في أنزالهم وأرزاقهم إلى ما رأوه في أيام أبي الحسن من الضبط وتجمد الكف [و] اليد، ووضع الأمور مواضعها وحفظ الأموال عما يتخرمها^(٣) ويتحيفها^(٤)، ثقل على الجماعة أمره وانتفق أن دخل في بعض الأيام إلى دار السلطان فحذف في بعض المرات برقعة وقعت في صدره، ولم يدر من رماه بها،

(٢) النزل من معانيه العطاء .

(٤) يتحيفها : ينتقصها ويأخذ من جوانبها .

(١) السورة تنكأ من جلد .

(٣) يتخرمها : يهلكها .

فأخذها ، ودخل إلى القنطرة بالله ، وخرج فجلس في دار الوزارة وقرأها ، فإذا فيها
آيات قد هجىَ فيها واستبعدَ موته ومُدَّتْه ، ، فقآبها وكتب على ظهرها :
لى مُدَّة لا يَدَّ أبلُعها معلومة فإذا انقضت مِتْ
لو ساورتنى ^(١) الأسد ضاريةً لعلبتُها مالم يجي الوقتُ

ثم قال لبعض خدمه : ارم بهذه الرقعة في الممر الذي رُمينا بها فيه ، ففعل .
وحدث أبو الحسن علي بن يحيى بن سليمان البصريُّ الكاتبُ قال : كان
أبو الحسن علي بن عيسى أيامَ تديره الأمور في وزارة حامد بن العباس قد عمل
عملاً بالفضل في ضياع أبي الحسين بن أبي البغل ، وسلمه إلى حامد لينظره عليه
بما شاء من الأمر ، فنظره حامد واعتقله ووكل به ، وعرفت أم موسى القهرمانه
خبره ، فطالعت القنطرة بالله ، وخرج أمره بالإفراج عنه . فلما علم علي بن عيسى
بما جرى كتب إلى ابن أبي البغل رُقعةً يذكُر فيها اهتمامه لما لحقه ، وسروره بما
ظهر من حُسن رأى السلطان فيه ، فأجابه في تضايعها :

الصَّغْوُ ^(٢) يَصْفِرُ آمِنًا وَمِنْ أَجَلِهِ حُسِ الْهَزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرَمُّ
لو كنتُ أجبل ماعامتُ لسررتي جهلي كما قد ساءني ما أعلمُ
لم أستفد أدبى لدولة ظالمى لَكِنَّه يَجْنِي عَلَى وَبَظْمِ
ذَنبِي إِلَيْهِ عَلَى رَاكَ كَةِ فَمَهْمِ أَنِي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ

وحدث أبو الحسن علي بن عيسى قال : كان عبیدُ الله بن سليمان والقاسمُ
ابنه بعده يُنكران على عمّالهما الاستتارَ عنهما ويقولان : إنما يقع الاستتار مع الإشفاق

(١) ساوره : وائمه أو وثب عليه .
(٢) الصغو : صفار الصافير ، واحده صغوة . والصمو : طائر أصفر من الصغور وجعه
صعاء وأصماء .

من الظلم ، فأما مع الإنصاف في المعاملة واعتماد الحق في المحاسبة فهو طمع في السلطان وإرادة لكسر ماله . فاتفق أن صرّف القاسمُ عاملاً من عُمال الأهواز فاستتر ، فعنّظ عليه ذلك ، وقال لي وللجماعة : أذكروا ^(١) العيون عليه حتى تُثبروه ، وجدوا في طلبه حتى تُحضره . وقال علي بن عيسى : فبكرت يوماً بكوراً أفضى فيه حقاً وأعودُ إلى دار القاسم ^(٢) بن عبيد الله . فإذا العاملُ قد خرج من موضع يريد موضعاً ، فرآه غلامني فأسكوه وجاءوني به . فقلت له : تستتر عن الوزير وعنا والإنصاف مبذول لك ؟ فقال : إذا كان الأمرُ على هذا ظهرتُ وجيتك . فتذممتُ ^(٣) من أن أحمله في الحال بالإكراه إلى دار القاسم فتلحقتني في هذا الفعل قباحة . فقلت له : لا تتأخرُ فإنني من وراء معاونتك وتمشية أمرِك . وأمرتُ بتركه وتخليّة سبيله ، ومضيت إلى مقصدي وعدت إلى دار ^(٤) القاسم ودخلت إلى مجلسه ، فلم أجد عنده من البشاشة والإكرام ما كنتُ أعهده . ثم سلمتُ إلى فضلًا من رُقعة صاحبِ خبرٍ وقد ذكر فيه حالي مع الرجل ، وقال لي : كان عندي أنك عونٌ لي وللسلطان على استيفاء حقوقه وإصلاح أموره ، ولم أعلم أنك على خلاف ذلك . فأشفت من أن أجيبه جواباً رُبما رددَ عليّ عنه ما يقدح في الجاه ويُستمعُ على ملاءٍ من الناس . فقلت : إذا خلا الوزير عرفته ما عندي في ذلك . وأمسك ، وبقيت حيران لا أعلم بأى عذر أعترد ، وعدلت إلى أن سألتُ الله كفايتي وتخليصي ، ولنت إذا رأيت المجلس قد خفّ أحسست بتقطع أعضائي . فأنا في ذلك إذ تقدّم إلى صاحب دواتي وأعطاني رُقعةً من وكيلى في دارى ، وقد وقّع عليها اسمه ،

(١) أذكروا العيون عليه : أرسلوا عليه الجواسيس .

(٢) في الأصل أبي القاسم بن عبيد الله .

(٣) تدمم : استنكف واستعجا .

(٤) في الأصل : أبي القاسم .

وبعد: مُهِمَّ . فظننت أن القاسم بزقه وغيظه قد أخذ إلى دارى قوما ووكلَ بهم .
فأسرعت إلى فضها وعقلى زائلٌ ، ورؤعى زائدٌ ، فإذا فيها : صار إلى بابنا نسوةٌ
وطلبن من يكلمهنَّ ، وخرجت إليهن ، فدخلن الدهليزَ وكشفت إحداهنَّ
عن وجهها فإذا هو فلانُ العاملُ فنحى إزاره وخننه ، وفعل غلامٌ كان معه مثل فعله ،
وجلسا فى الدار ، وانصرف من كان معهما من النساء ، وأمرنى بأن أطلعك بخبره
وأقول لك عنه : قد سلمتُ نفسى إليك جزاءً لفعلك اليوم ، وثقةً بوعدك وأخذك
بيدى ومعاونتى على أمرى ، فافعل ما تراه .

فحين قرأتها عادت نفسى واشتدَّ سرورى ، وتقوَّض المجلس ، وقال لى القاسم :
هات ما عندك فى جواب قولى لك . قلت : نعم ، ما الأمر على ما وقع لك فى بابى ،
بل عندى من المعاونةِ والمعاضدةِ والخدمةِ والطاعةِ وبذلِ القُدرةِ والاستطاعةِ والطَّراحِ
الدِّيانةِ والأمانةِ فى كلِّ ما يُخفَّفُ عنك ، ويقربُ منك ، أكثر مما يجب لمثلك
على مثلى ، ولكنك أيها الوزير تستقصِرُ الفعل ، وتريد زيادة على ما فى الوُضع ،
وإن كان هذا العامل يُنصف فى مواقفته ومحاسبه أحضرته الساعة . فأسفرَ وجهه
وقال : أنكرتُ أن يكون منك إلا ما تقتضيه الثقةُ بك ، والآن فقد ردَدتُ
أمره إليك ورضيتُ بحكمك فيه ، فرُح به عشيماً إلى حضرتى وأعمل من ديوانك
عملاً لما يجب عليه . وقال لكتَّاب الدواوين جميعاً أن يعملوا مثل ذلك .

وانصرفت إلى دارى ، وقلت للرجل كلَّ ما سكتت به نفسه ، وأزلت معه
إشفاقه ، وجملته على ثقة من تكفلى بأمره ، وأمرته بأن يروح معى . فلبس
أحسنَ لباسٍ وتطيَّب أكثرَ طيبٍ وجاء معى ، فقلت له : قد أسرَفَت فى لباسك
وطيبك . فقال لى : حالى على جملتها ، وما ألزمتُ ما شعثها ، ولأن يرى الوزير منى
مروءةً يستدل بها على كثرةِ كفى وموئى أولى من غير ذلك .

ودخلنا إلى القاسم بن عبيد الله معاً فأراد الرجل أن يُقبَّل يده فتمعه وضمه إليه حتى قبَّل كَتفه ، وأحضر كَتَابَ الدواوين فقال لهم : نَاطِرُوه . فكان يُنَاطِرُ على عملٍ بعد عملٍ ويَبْطُلُ باباً ويَصِحُّ باباً ، وكلما صَحَّ شيءٌ أُخِذَ به خَطُّه وأرَّجِه أحد الكَتَّاب إلى أن وجبت صلاة المغرب وصلينا ، ثم أقبل على الكاتب وقال له : كم جملة ما أرَّجته مما كتب به خطُّه ؟ قال : ستةٌ وثلاثون ألف دينار وَنَيْفٌ . قال : وأي شيء بقي من الأعمال ؟ قيل له : عملُ الديوان الفلاني والديوان الفلاني . فقال لي : يا أبا الحسن أنت الحكمُ في أمره ، فقل ما عندك فقبَّله . ولا أقلُّ من إتمام المبلغ خمسين ألف دينار . فقلت : أيها الوزير ، إذا رجعت إلى حكى فأثار الرجل جملةً وطريقته مستقيمة ، ومن حكى فيه أن لا يُلزم شيئاً . فاغتاظ غيظاً بان في وجهه وإن لم يَبْدُ في قوله وقال : ماذا قلت ؟ قلت : يُرَدُّ إلى عمله ، فإنه رفع من الارتفاع ما لم يَرَفَعُه غيره . فأطرق ثم رفع رأسه وقال : يُرَدُّ عليه خطه ويُسَكَّبُ بإعادته إلى عمله . فقال الكاتب : كيف أدعوله ؟ قال : لا تدعُ . وقال للرجل : والله لئن عاودت ما أنكره منك لأعاملنك بما عامل الله به فرعون فإنه جعله نَكَالَ الآخِرَةِ والأولى . وكَتِبتُ الكَتِّبُ ، وأراد تَوَدِّيعه ، فبسط رجله إليه حتى قبَّلها . وقيل للقاسم : قد فعلتَ أيُّها الوزير في أمره ما لم تفعله البرامكةُ مع مثله . قال : وجدتُ كلَّ ما عاملتُه به واقِعاً مَوْقِعَه مع تسليمه نفسه وأمره إلى .

وحدث أبو عبد الله أحمد بن علي بن المختار الأنماطيُّ - وكان قد خدم أبا الحسن علي بن عيسى واختصَّ به - قال ^(١) : كنتُ بين يدي الوزير أنا وأخوه وأولاده

(١) القصة في تجارب الأمم ١٤/٦ وفي مجمع الأدباء ترجمة علي بن عيسى .

وخواصه ، وجرى حديثُ البريدي^(١) في إصعاده إلى الحضرة وما هو عليه من الإقدام على أخذِ الأموال واستباحةِ الأحوال وأن الناس على إشفاق منه ، وعمل على الهرب من بين يديه ، وأشارت الجماعة عليه بأن يخرج هو وحرمه وأولاده وأصحابه عن بغداد ، فما أصغى إلى ذلك . ثم أكثروا عليه إكثاراً ثنوه عن رأيه ، فأطلق لي مائتي دينارٍ لأستأجر له بها زواريق يُصعدُ فيها هو وعياله إلى ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان . وانصرفت من عنده بعد المغرب ، وباكرني رسوله يستدعيني ، فبادرت إليه ، وسألني عما عملته فقلت : ضاق الوقت البارحة عما أردته وباكرني رسولك فحضرتُ معه . فقال لي : فكّرت فيما أشرتُم به فوجدته خارجاً عن الرأي ، ومفسداً للدين ، لأن الأمر مُقدّر ، والإنسان مُدبّر ، ولا يجب لمخلوق أن يهرب من مخلوق . هاتِ الدنانير . فأعطيته إياها ، فأمر بأن يتصدق بها ، وأقام . فلما قرب البريدي^(٢) انحدر إليه متلقياً فأكرمه ، وعزف موضعه ، ووفاه حقّه ، ومنعه من أن يخرج عن طياره ، وانتقل هو إليه ، وخاطبه بما وفاه الجميل والبرّ فيه .

وكان أهلُ الكوفة تظلموا إلى أبي الحسن على بن عيسى في أيام القاهر بالله وقد خرج إلى واسط مُدبراً لها ولأعمال سقى الفرات في أمرِ ثمارهم ، وحكوا أن أحمد بن محمد بن بشار واكلَ بها وسامهم حملها إلى البنادرة ، وأجرى أمانها في خراجهم ليُبقي عليهم تجزاً يطالبهم به ، وجزت بينه وبينهم مناظراتٌ ومخاطباتٌ آلت إلى أن كتب إلى ابن بشار بأن يُقاسمهم على الثمرة كما يقاسمهم على الغلّة .

(١) في الأصل ابن البريدي والتصويب من تجارب الأمم .

(٢) في الأصل ابن البريدي .

وحدث أبو عمرو الشرايبي قال : لما صُرف أبو الحسن عليُّ بنُ عيسى بأبي عليٍّ محمد بنِ عليٍّ بنِ مُقَلَّة دخلت إليه في (١) تحبسه فحادثته وسكنتُ منه ، وسألته عما يُريده من الأشربةِ والأسوقةِ والطعامِ لِأَتَقَدَّمَ بِحِمْلِهِ ، فوجدته طيبَ النَّفْسِ حَسَنَ اليقينِ وقال لي : الآنَ تمَّ لي ديني وتفرَّغتُ لصلاتي وأداءِ مفترضاتي ، وقد كنتُ أحبُّ العزَلَ وترَكُ هذا الأمرِ ، ولكنني احتسبتُ قيامي به قيامَ المجاهدِ في سبيلِ الله . فمن تقلدَ الوزارة ؟ قلت : ابنُ مُقَلَّة . قال : حَدَّثَ يُحِبُّ الرَّئاسَةَ وَيُرَاعِي يَوْمَهُ دُونَ غَدِهِ ، يَا أَبَا عمرو ، أليس تديرُ الخلافةَ إلى قومٍ مَبْلَغُ عُقُولِهِمْ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ابْنَ مُقَلَّةَ يَنْهَضُ بِمَا أَعْمِرُ أَنَا عَنْهُ ، وَيَسْتَقِلُّ بِمَا أَتَقَادِي مِنْهُ؟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ذهبتُ واللهِ الدنيا وضاعتُ الأمور . فقلت : ما قَدَرُوا ذَلِكَ وَلَا تَوَهَّمُوهُ ، ولكنهم أرادوا من يأخذُ أموالَ الناسِ ويعطيهم إياها وَيُطْلِقَهُمْ فِيمَا مَنَعْتَهُمْ مِنْهُ . فقال : اللهُ المستعان .

وحدث عبدُ الرحمن بنُ عيسى قال : حدثني هارن الكاتب بن إبراهيم الكاتب قال : لما أحسنَ القاسم بنُ عبيد الله بحضورَ مَنِيَّتِهِ جعلَ يُوصِي أبا الحسنِ عليَّ بنَ عيسى بِوَلَدِهِ ، وأبو الحسنِ يذكُرُه بِالتَّوْبَةِ وَالِإِقْلَاعِ ، فما فارقه حتى تاب توبةَ جَرَدِهَا وَصَحَّحَ فِيهَا العزيمةَ . ثم دعا بالعباسِ بنِ الحسنِ في غداةِ يومِ الثَّلَاثاءِ لِمَحْسٍ خَلُونَ مِنْ ذِي القعدةِ سنةَ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ قَضَى نَحْبَهُ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ فَأَمَلِي عَلَيْهِ رُقْعَةٌ إِلَى المَكْتَنِيِّ بِاللَّهِ ، كانَ ماحفظناه من أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا :

كُتِبَتْ هَذِهِ الرُقْعَةُ - أَطَالَ اللهُ بقاءَ سَيِّدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - بِأَمْلَائِي وَأَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَةِ . وقد حضرَ من الأمرِ ماضِي عليه

(١) في الأصل : إليه إلى عبه .

الأولون ، ويصير إليه الآخرون ، والحمد لله الذي لما قضى على الموت جعله في ذؤولة أمير المؤمنين - أيده الله - وجعلني ماضياً على أحكام طاعته ودارجاً على أفضل مدارج عليه أحد من أهل ولايته - وتمم الكلام وشكر الإنعام ثم قال - : ولم أطب نفساً مع ما آلت إليه الحال بأن أمسك من النصح لمولانا حياً كنت أم ميتاً ولا بد أن يقوم لخدمته من يصلح لها ، ويجرى تجراي في حراستها والذب عنها والنهوض بأعبائها . وهذا خادم أمير المؤمنين وكاتبه علي بن عيسى بن داود ابن الجراح أحد الكتاب المتقدمين ومن قد خدم أبائهم الخلفاء الماضين وكانوا مرصنين^(١) محمودين ، وقد عرف مولانا مذهبه في أمانته ومناصحته ، وتأدّت إليه أخباره في سداده وكفايته . وخادمه العباس بن الحسن كاتب حضرتي ، وكان ملازماً لي وقد تقيّل^(٢) أخلاقه في الخدمة ، وعرف مذهبه في المدافعة عن الدولة وسلك مذهبه في المبالغة والطاعة . وعلى أيهما اعتمد ، ولأيهما آثر وقدم ، رجوت ألا يعدم عنده شيئاً مما كان عليه خادمه في المناصحة .

وتمّ القول وختمه بالوصاة بولده ووالدته وأسبابه والإحسان إليهم ومكافأته بما يستحقه فيهم .

قال عبد الرحمن : لحدثني أبو الحسن أخى قال : لما فرغ القاسم من إملاء هذه الرقعة دفعها إلي وقال : سألتك بحق ما بيننا إلا بادرت وأوصلتها من يدك ، واجتهدت في التعجّل بما يجرى ، فإنني أخاف إن تأخرت أن لا تلحقني ، وأكبر أملى فيما بقي من مدّتي أن أعرف ما يستقر عليه الحال من بعدى . قال أخى : فاستعفيت فلم يُعفني ، ولم يكن فيه فضل لمعاودتي ، وعجبت من شدة نفسه ، وزيادة

(١) المرصنين : المحكّين .

(٢) تقيّل : أشبه .

حرصه على أمور الدنيا مع حضورِ أجله . فضيت ومعى العباس إلى دار السلطان وجلسنا على انتظارِ إذنه ، ثم أذنَ لنا فدخلنا . فلما حصلنا في وَسَطِ دهليزِ الصحن السبعينيِّ استدار العباس فصار في وجهي وقال لي : والله لئن ألتيت هذا الأمر إلى^١ ونزلت عنه لي لأكون فيهِ من قبلك ومتصرفاً على أمرِك . فعجبت من قوله وقلت : ستعلم ما يجري ، وأرجو توفيق الله تبارك وتعالى . ووصلنا إلى الخليفة وأوصلتُ الرُقعة . فلما قرأها سأل عن خبره ، فعرفته أنه في آخر رَمَقِهِ وما نقدر أننا نلحقه فدمعت عيناه ثم التفت إليّ وجعل يُخاطبني مخاطبة من قدرَ الأمر إلىّ واعتمد فيه عليّ . وقال لي في عرضِ قوله : أنت يا عليّ في نفسي مذكنت بالرفقة ، وأنا أعرف أخبارك وأشاهد آثارك ، وقد آل الأمر الآن إليك ووقع اختياري عليك ، فتجردُ في القيام به وإزالة الخلل عنه ، وتفعل وتصنع . قلت : أنا يا أمير المؤمنين رجل ضيقُ العطن وفيّ استقصاءٌ وشدة لا يصلحان لِمَتَوَلَّى هذا الأمر وشغلي بما أخذم فيه طويلٌ عريض ، وإن نُقلتُ إلى ما هو أكثر منه بعلتُ^(١) ووَقفتُ . فراجعني القول وراجعتُه في الاستعفاء وقلت : وهذا العباسُ أعرفُ بما كان القاسم عليه من طُرُقِ الخدمة ، وإن عَوَّلَ عليه كُنَّا أعوانه وأعضاده . قال : فتضمن لي القيام بالشدِّ منه حتى يستقيم ما يُنَاطُ به ؟ قلت : أفعل وأبذل عمّن يلبني من الكتاب مثل ذلك . فدعا بالله واة وكتب الجواب بالتوجع والدعاء وقال : فإن - أعودُ بالله - بليتُ فيك بما لا أقدر على دفعه فلن أعدل عن اختيارك ورد الأمر إلى من أشرت به . فأما الولد والحرم فأولادى وحرمي ، والله يصونهم ببقائك ويدفع لنا عن حَوِّ بائك^(٢) .

(١) بعل : تحير فلم يدر ما يصنع .

(٢) عن حوِّ بائك : عن نفسك .

وُخْتِمَتِ الرِّقْعَةُ وَتَقَدَّمَ بِتَسْلِيمِهَا إِلَى ، فَأَخَذَتْهَا وَقَبَّلْنَا الْأَرْضَ وَعُدْنَا . فَبَيْنَ
بَلَغْنَا دَرَجَةَ بَابِ الْخِصَّةِ مِنْ دَارِ الْقَاسِمِ سَمِعْنَا الْوَاعِيَةَ ^(١) فَنَزَلَ مِنْ أَعْلَانَا أَنَّهُ قَضَى
فِي الْوَقْتِ عِنْدَ وَصُولِنَا إِلَى الْبَابِ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَكَانَ حَدِيثُ أَبِي الْحَسَنِ أَخِي
لَنَا بِذَلِكَ وَإِسْحَاقُ بْنُ حُنَيْنٍ الْمُتَطَبِّبُ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ : أَحَدْتُكَ يَا سَيِّدِي حَدِيثَهُ
فِي هَذِهِ الْحَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَعَانِي ، وَقَدْ حَضَرَ الْيَأْسَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَرَدُّدُ النَّفْسِ .
فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ جَسَّ النَّبْضِ وَأَنْظُرْ هَلْ بَقِيَ مِنَ الدَّمَاءِ ^(٢) مَا يَفِي بِاتِّظَارِ
جَوَابِ الْخَلِيفَةِ ؟ فَحَسَسْتُهُ وَكَانَ قَدْ سَقَطَ ، فَقُلْتُ : الْحَالُ صَالِحَةٌ . فَقَالَ :
أَعْيِدْكَ بِاللَّهِ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُنِي أَلْحَقُ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : انظُرُوا الطَّيَّارَ هَلْ أَقْبَلَ ؟
وَتَنَفَسَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَقَضَى ، وَمَا زَالَ أَخِي يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِهِ - قَالَ أَخِي : فَلَمَّا عَرَفْنَا
وَفَاتَهُ عُدْنَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَوَجَدْنَا الْخَلِيفَةَ قَدْ خَلَا ، وَعَرَفْنَا خَفِيفًا السَّمْرَقَنْدِيَّ
الْحَاجِبَ الصُّورَةَ حَتَّى أَنْهَاهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا بِالْبُكُورِ فِي غَدٍ ، وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى دَارِ الْقَاسِمِ
وَأَقْنَا إِلَى أَنْ جُهِّزَ وَوُورِيَ وَعَزَّيْنَا وَالِدَتَهُ وَوَلَدَهُ .

وَشَاعَ أَمْرُ الْعَبَّاسِ ، وَتَقَرَّرَتِ الْوِزَارَةُ لَهُ وَاعْتِمَادُ الْمَكْتَفَى بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَ
الْكَتَّابَ مِنْ غَدٍ دَارَ السُّلْطَانِ ، وَهُمْ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى وَمُحَمَّدُ
ابْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجِرَاحِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوَنٍ وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ سِنًا ؛
لَأَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَابْنُ الْفَرَاتِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَتِينَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى فِي سَنَةِ
خَمْسِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ وَالْعَبَّاسُ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ . وَوَصَلَ الْعَبَّاسُ وَعَلِيُّ
ابْنَ عَيْسَى إِلَى الْخَلِيفَةِ دُونَ غَيْرِهِمَا ، فَأَمَضَى أَمْرَ الْعَبَّاسِ ، وَوَصَّى عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى
بِالضَّبْطِ وَالْإِحْتِيَاظِ ، وَأَدْخَلَ النَّاسَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فَعَزَّوْا الْخَلِيفَةَ ، وَسَمِعُوا

(٢) الذمء : بقية الروح .

(١) الواعية : الصراح .

قوله في رَدِّه وزارته إلى العباس ، وإقراره أصحاب الدواوين على دواوينهم . وانصرفت الجماعة مع الوزير إلى منزله ، وكان له غرفة في حريم البستان الزاهر المجاور لدار القاسم على دجلة سكنها عند خدمته القاسم في التوقيع بين يديه . ومحب الناس من تقلد العباس عجباً طال ، ولم تنزل به الحال إلى أن ملك الأمور ، وأسرف في التجبر والاستكبار ، فأرداه ذلك وأورده شرّاً مؤرداً ونسأل الله حُسن العاقبة .

وحدث عبد الرحمن قال : حدثني الوزير أبو الحسن أخى قال (١) : كنت بمكة ، فاتفق يومٌ شديدُ الحرِّ - وحرُّ تِهَامَةَ إذا اشتدَّ ضُربُ به المثلُ - قال : فصلَّيتُ الظهر جماعةً في المسجد الحرام ، وطفقتُ وسعيتُ وركعت عند المقام ، ثم انصرفت وقد مسنى من الحرِّ ما زاد على فيه الأمر ، فتمنيتُ في الوقت شربةً سويقٍ بثلج ، وأولعتُ نفسى بالفكر فيها ، فزجرتها وقلت : نلجُ في تِهَامَةَ ! وحمدت الله تعالى على نعمة العاقبة ، فسا لبنتُ والله أن ظهرَ في السماء قرعٌ (٢) من غيم ، ثم اجتمع وانتظم وجاء ببرق ورعد متصلي ، ثم بمطرٍ وبلي (٣) ، ثم بيردٍ في غاية الكبر . فجمع الغلمانُ منه ما ملئوا به حبّاً (٤) من حبابِ الماء . وكان هذا بعد صلاة العصر ، فما كان فطوري إلا على سويقٍ وسكرٍ وثلجٍ وماء مانع ، وبقينا على ذلك ثلاثة أيام والله الحمد .

تم الكتاب
بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

(١) القصة في المنتظم ٣٥١/٦ ونسب القول لأبى سهل بن زياد القطان صاحب على بن عيسى

(٢) القرع : قطع من الحباب رفاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة .

(٣) الوبل : المطر الشديد الضخم التطر (٤) الحب : الجرّة الضخمة .

نصوص ليست في النسخة

علي بن عيسى

ولعلها أيضاً من أخبار أبي جعفر الصيمري

« نقله هـ . ف آمد روز عن تكملة تاريخ الطبرى للممذاني

الموجودة بباريس تحت رقم ١٤٦٩ وأثبتته في دراسته لكتاب الوزراء »

حكى هلال بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة^(١) وأبو جعفر الصيمري معه إلى بغداد ، أراد أبو الحسن علي بن عيسى الركوب إليه وقضاء حقه . واتفق أنه نزل من^(٢) داره ليجلس في سميرية - وأبو جعفر محتاج^(٣) في طياره - وأنا وأخي أبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؛ قلنا : الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لأبي الحسن طازاد^(٤) : قدّم بنا إليه فاسأله أن ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه ، وسلمنا عليه ، فقال له أبو الحسن طازاد : إلى أين توجه سيدنا ؟ فقال : أشار فتياننا ببقاء الأمير الوارد وقضاء حقه ، فعملت على ذلك . فقال له : فينتقل سيدنا إلى الطيار فإنه أولى . فامتنع ، ولم يزل يراجعهم ، وكان معه ابنه أبو نصر^(٥) فحاطبه حتى فعل ، وسهّل عليه ذلك ونزل .

وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه ، وقد وصّانا ألا نعرفه إياه . وكان أبو نصر عرفه وأراد أن يشير أباه فلم ندعه طاعة لأبي جعفر .

(١) معز الدولة هو أبو الحسين أحمد بن بويه أبي شجاع بن فنا خسرو استولى على بغداد سنة ٣٣٤ وتوفي سنة ٣٥٦ .

(٢) في النسخة : نزل إلى .

(٣) كذا هي في النسخة ولعلها معرفة عن : مرتاح

(٤) في النسخة لأبي الحسن بن طازاد (٥) أبو نصر اسمه إبراهيم ، وزر الطبيع ، مات سنة ٣٥٠

وسرنا مُصْعِدِينَ ، ووصلنا إلى معسكر معز الدولة بباب الشامية ، وقدم الطيار إلى المشرعة ، فقال أبو جعفر لأبي الحسن : تجلس ياسيدنا بمكانك حتى أصعد إلى الأمير وأعرفه خبرك وأودنه بحضورك . فقال له : لك - أطل الله بقاءك - عند الأمير أثره وبه أنسة ؟ قال : نعم . وصعد ، فلما صعد قال أبو نصر لأبيه : هذا الأستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لأوتى الرجل حقّه ؟ قال : معنى أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك ، كذا يفعل الناس ؟ فقال : والله ياسيدنا ما فعلت ما فعلته إلا لأن الأستاذ أمرني به ، ولم تمكّنني المخالفة له . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ووجم وجمّاً شديداً ثم قال . من هذان ، أعزهما الله ؟ وأشار إلىّ وإلى أخى . فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ^(١) ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظلمة .

ولما صعد الصيمري إلى معز الدولة وجدّه على شراب ، فلم يقل له شيئاً . وعاد إلى على بن عيسى ، فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنى على أصحابنا فى كتابى موضع الأستاذ ، حتى كان فى تقصيرى فى قضاء حقّه ما لم أحتمله ، وأنا أعتذر إليه - أدام الله عزه - من ذلك . فقال : فعل الله بك ياسيدنا وصنع ، وأى تقصير جرى ؛ والتفت إلى طازاد فقال : ألم أوصك بترك إعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولدّه أعلمه ، وقد حصلت بين العتب - أيها الأستاذ - منك ومنه .

وقال له أبو جعفر . الأمير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها ، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها ؟ وإذا تكلف سيدنا العود فى غداة غد ^(٢)

(١) لعنه يريد به جعفر بن محمد بن الفرات أبا عبد الله الذى قلده عبيد الله بن سليمان أعمال بهرسيه والرومقان ... انظر ص ٢٦٥ من هذا الكتاب .

(٢) فى النسخة : عن

لَقِيَهُ وَوَفَاهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَجِبُ أَنْ يُوْفِيَهُ إِيَّاهُ . وَالطَّيَّارِ بِيَا كَرِيبَاهُ .

وَانصَرَفَ أَبُو الْحَسَنِ ، وَعَادَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ فَقَالَ لَهُ : وَافِيَّ عَلَى
ابْنِ عَيْسَى الْقَائِكَ^(١) وَخَدَمْتِكَ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ عَنْكَ بِأَنَّكَ عَلَى نَبِيذٍ ، وَلَمْ يَجْزْ أَنْ
يَرَاكَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ عَلَى بْنِ عَيْسَى ؛ فَقَالَ : وَزَيْرُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ . فَقَالَ : ذَلِكَ الْعَظِيمُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا وَجِبَ أَنْ تَرُدَّهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَقُومُ إِلَى مَجْلِسِ آخِرِ وَأَلْقَاهُ فِيهِ^(٢) .
فَقَالَ : مَا كَانَ يَحْسُنُ أَنْ يَشْمَ مِنْكَ رَائِحَةَ شَرَابٍ . وَفِي غَدٍ بِيَا كَرِكَ . فَقَالَ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ :
وَكَيفَ أَعَامَلَهُ ؟ وَمَا الَّذِي أَقُولُ لَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الصَّيْمِرِيُّ : تَنْزَعُجُ لَهُ بَعْضُ الْإِنْتِزَاجِ
وَتَرْفَعُ مَجْلِسَهُ وَتَعْطِيهِ مَخْدَةَ مِنْ مَخَادِكَ وَتَقُولُ لَهُ : مَا زِلْتُ مُشْتَقًا إِلَى لِقَائِكَ ،
وَمُتَشَوِّفًا^(٣) لِلْإِجْتِمَاعِ مَعَكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ بَمَا
يَكُونُ الصَّوَابُ فِيهِ عِنْدَكَ .

وَجَاءَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ عَيْسَى مِنْ غَدٍ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ ، فَوَفَّاهُ مِنْ
الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَكْثَرَ مَا وَاقَفَهُ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَأَعْطَاهُ مَخْدَةَ مِنْ دَسْتِهِ^(٤)
فَقَبِلَهَا أَبُو الْحَسَنِ ، وَقَالَ لَهُ مَا يُقَالُ لِمِثْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ : كُنَّا نَسْمَعُ بِكَ فَيَعْظُمُ
عِنْدَنَا أَمْرُكَ ، وَبِكَثْرٍ فِي نَفْسِنَا ذِكْرُكَ . وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْكَ الْآنَ مَا كُنْتُ مُؤَثِّرًا وَإِلَيْهِ
مُتَطَلِعًا . وَالدُّنْيَا خِرَابٌ . وَالْأُمُورُ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ الْإِنْتِشَارِ^(٥) ، فَأَشِيرْ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
فِي إِصْلَاحِ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : هَذِهِ النَّيَّةُ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْخَيْرِ ،
وَمُسَهِّلَةٌ إِلَى الشُّجْعَانِ ، وَطَرِيقُ الْعِمَارَةِ ، وَدُرُورُ الْمَادَّةِ ، وَاسْتِقَامَةُ أَمْرِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَّةِ
وَالْعَدْلِ . وَالَّذِي أَهْلَكَ الدُّنْيَا ، وَأَذْهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَأَخْرَجَ الْمَلَائِكَةَ عَنِ يَدِ السُّلْطَانِ

(٢) فِي النُّسخَةِ : وَاللِّقَاءِ فِيهِ

(١) فِي النُّسخَةِ : لِإِقَاءِ بَكَ

(٣) فِي النُّسخَةِ : وَمُتَشَوِّفًا .

(٤) الدِّسْتُ : صَدْرُ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ .

(٥) الْإِنْتِشَارُ : التَّفَرُّقُ .

خلافه . وإنما يتأتى الصلاح ، وبطرد الإغراض ^(١) ؛ بالولاية الموقَّعين والأعوان
المناصحين ^(٢) وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان ، وذكر الإسناد ^(٣) عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيَّض له وزيراً صدق ، إن
غفل أذكره ، وإن رفل ^(٤) أيقظه . » وقد وفقَّ الله للأمير من هذا الأستاذ - وأشار
لأبي جعفر - من تمت فيه أسباب الكفاية ، وبانت فيه شواهد الخالصة ، ويوشك
أن يجري الخير على يده ، ويتأتى المرادُ بحُسن تدييره . فتراجع أبو جعفر وتوقف
عن تفسير هذا القول لمعز الدولة . وفطن معز الدولة أن توقفه لأمرٍ كرهه ذِكره . فقال
لأبي سهل العارِض : انظر ما يقول . ففسره له تفسيراً لم يفهم عنه ، ولا استوفى القول
فيه . وتلجلج في ذكر رجال الحديث . حتى استفهم معز الدولة أسماءهم وقال :
هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا ، هؤلاء رجال
نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر إلى الترجمة بينهما ، وقال أبو الحسن : ومن
أولى ما نظرفيه الأمير وقدمه سدُّ هذه البُثوق . هي أصل الفساد وخراب السواد .
فقال : وقد نذرتُ لله عند حضوري في هذه الحضرة . ألا أقدم شيئاً على ذلك
ولو أنفقت ^(٥) فيه جميع ما أملك .

قال : إذن يُحسِن الله عَوْنَكَ ، ويذلل لك كلَّ ^(٦) صعب . ويُسهِّل كلَّ مراد
بين يديك ^(٧) .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : اذكر حوائجك لأتقدم فيها

(١) في النسخة المنصحين .

(٢) رفل : خرق .

(٣) في النسخة : على صعب .

(٤) الإغراض : الامتلاء .

(٥) في النسخة : الأستاذ

(٦) في النسخة : نفقت

(٧) في مروج الذهب في آخر حديثه عن خلافة المسكني : واستوثق الأمر لأحد بن بويه الديلمي

وشرع في عمارة البلد وسد البُثوق .

بما أفضى به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هي إلى الله تعالى في أن يطيل بقاءك ويُديم
علاك . ومتى عرضت من بعدُ حاجة إليك كان المعول فيها عليك . قال : لا بُدَّ من
أن تذكر شيئاً . قال : حراسة منازلها فإنها تشتمل على عددٍ كثير من بنين وبناتٍ
ومجانز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقلُّ ما أفعله .

ونَهض أبو الحسن . وشيعة أبو جعفر ، ومشى الغلمان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمته ناصر الدولة ^(١) يوم . ففضى
أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمريُّ
إليها وقد فرغ من تجهيزه ووُضِع في تابوته ، فصلَّى عليه . وقال لموسى : اخرج
من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال : لا أخرج . فقال : لا أمكنك منها .
فقال : لا أقبل منك . قال إذا لم تقبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذاً تولدت منه
فتنة ، واجتمع إلى موسى أصحابه وإلى أبي جعفر آخرون . وعرف معز الدولة ذلك .
فبادر لإطفاء النائرة ^(٢) وقال للصيمري : ليس هذا وقت ذلك . قال : بلى أيها الأمير ،
فذا ^(٣) وقته . ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك ، وبعد تلافيه ^(٤) ، وازداد
الأمر من بعدُ وهناً ، والطمع استحكاماً .

فأخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فأخرجه معه . وقال له : يكون نزولك
في الدار التي أنزلها ، ولا تفتتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور
ذِكْرُه في الدنيا وعباله عن منازلهم وأوطانهم .

(١) هو الحسن بن أبي الهيثم عبد الله بن حمدان التغلبي مات سنة ٣٥٨ .

(٢) النائرة . العداوة والشجاء والفتنة ، مشتقة من النار .

(٣) في النسخة كذا وقته (٤) في النسخة : تلافيه .

و بقيتُ دُورُ أبي الحسنِ عَلِيٍّ ولده ، ودورُ أخيه أبي عليٍّ عبد الرحمن عليه (١)
في حياته بفعل أبي جعفرٍ مافعله .

علي بن عيسى

من أخباره المنشورة

« أوردته الأستاذ ميخائيل عواد في كتابه أقسام ضائعة

نقلا عن كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٠ طبعة قسطنطيني المحصي مصر »

ذكر هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] أن رجلاً كان يقال له أبو العجب
لم ير مثله في ما كان يعمل من الشعبة دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله ، فرأى خادماً
من خواصه يبكي على بلبلٍ مات له . فقال له : ما عليك أيها الأستاذ إذا أحييته ؟
فقال : ما تريد . فأخذ البلبل الميت فأدخله كُمةً ، وأدخل رأسه ، وأخرج بعد ساعة
بلبلاً حيّاً . فاجت الدار ، وهجج الحاضرون ، فاستدعاه عليُّ بنُ عيسى [الوزير]
وقال : والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك . فقال : إني شاهدت
الخدام يبكي على بلبله ، فطمعت بما أخذه منه ، ففضيت في الحال إلى السوق ، وابتعت
بلبلاً وخبأته في كُمتي ؛ وعدت إلى الخدام فقلتُ ما قلت ، وأخذت البلبل الميت ،
وأدخلت رأسه في كُمتي وأكلته ، وأخرجت الحيّ ، فلم يشك أنه بلبله ، وهذا
رأس الميت .

(١) في النسخة : دور أخيه أبي علي بن عبد الرحمن « وجعلها » آمدرور : دور « ابن » أخيه
أبي علي بن عبد الرحمن . هنا وأخوه علي بن عيسى هو أبو علي عبد الرحمن .

علي بن عيسى

« وقد يكون من أخبار ابن مقلة ، وهكذا أورده الأستاذ ميخائيل

عواد نقلا عن معجم الأدباء (٥/٢٢٤) »

« وحدث أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي في كتابه
كتاب الوزراء قال :

حكى^(١) لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال : كان أبو الحسن علي بن سليمان
الأخفش مواصلا المقام عند أبي علي بن مقلة ويراعيه أبو علي ويبره ، فشكا إليه
في بعض الأيام الإضاقة ، وسأله أن يكلم أبا الحسن علي بن عيسى - وهو يومئذ وزير
- في أمره . وسأله إجراء رزق عليه في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخطبه أبو علي في
ذلك ، وعرفه اختلال حاله وتعذر القوت عليه في أكثر أيامه . وسأل أن يجزى
عليه رزقا في جملة الفقهاء . فاتهره علي بن عيسى اتهارا شديدا ، وأجابه جوابا غليظا ،
وكان ذلك في مجلس حافل ، وجمع كامل ، فشق علي أبي علي ما عامله به ، وقام
من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه ، وصار إلى منزله لا مائما لنفسه على سؤال علي بن
عيسى ماسأله ، وحلف أنه يُجرد في السعي عليه .

ووقف الأخفش على الصورة واغتم ، واتفقت به الحال إلى أن أكل الشلجم
النبي ، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجأة . وكان موته في شعبان سنة ٣١٥ .

« وانظر القصة في ابن خلكان ترجمة الأخفش علي بن سليمان ففيها النص

(١) هكذا هو في معجم الأدباء ترجمة علي بن سليمان الأخفش . والصواب حذف كلمة « لي »
إذ أن ثابت بن سنان مات قبل أن يكمل الصابي ستة أعوام . ونقل الصابي عنه في كتابه لم يذكر
فيه ما يدل على أنه شافهه .

تقریباً نقلنا عن أبي الحسن ثابت بن سنان . وانظر أيضاً بغية الوعاة ترجمة
الأخفش على »

تكملة

« في طبعة هـ . ف آمدروز بالصفحة ٢٢٣ حذف شعراً ذكر أنه بيتان من باب
المجون . والواقع أنه أربعة أبيات، وهذه هي الأبيات، وتوضع في نسختنا بالصفحة ٢٤٤
بعد السطر ١٦ : وقد أكلتها من نسخة الأزهر الخطية »
وله أيضاً في الغلابي :

أبا أمية قل لي ما بال أيرك نائم
ولم خصصت بأير رحو ضعيف الدعائم
فقال ربي ابتلاني فيه بإحدى العظام
فصرت أحمل أيرا كضعف ريش النعائم

في صفحة ٢٧٩ السطر ١٦ تكون الجملة كما يأتي :
فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً وإلى ستة عشر ذراعاً .



ترجمة موجزة لما كتبه أمدروز

إن تاريخ الخلفاء العباسيين الذى دونه الطبرى حتى السنين الأولى للقرن الرابع الهجرى قد وآلى تدوينه مؤرخون بعده ، ولكن مؤلفاتهم ضاعت تقريباً .

ومؤرخ السنين ٣٦٠ - ٤٦١ هو أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابى ، الذى ألف أيضاً كتاباً عن أهم وزراء العهدين العباسى والبويهى ، ما بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الخامس .

ومخطوط كتاب الوزراء الموجود فى مكتبة الجوتا Gotha رقم ١٧٥٦ جيد جداً . ويرجع نسخه على الأرجح إلى القرن الرابع عشر الميلادى وقد عثر عليه و . ج . سيتسن U. J. Seetzen سنة ١٨٠٩م والصفحة الأولى منه مفقودة ، وليس على المخطوط اسم ولا عليه ما يرمز إلى مؤلفه . ولكن ا . فون كريم A. Von. kremer استطاع فى عام ١٨٨٢ فى مقاله القيم عن دخل الخلافة العباسية فى عام ٣٠٦ هجرية أن يثبت أنه كتاب هلال الصابى .

وتحتوى مجموعة سيفير الموجودة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس على مخطوط آخر تحت رقم ٥٩٨١ وقد اطلعت عليه ، ولكن هذا المخطوط هو نسخة من مخطوط الجوتا ، نسخ عنه قبل أن ينقل من القاهرة على الأرجح فى القرن السابع عشر ، وعلى بعض أوراق منه كتبت جملة « وقف المرحوم محمد بك بجامعه » .

لكن مخطوط بباريس به خرم ونقص عن مخطوط الجوتا ، إلا أن الصفحة الأولى

منه موجودة وعليها اسم الكتاب، كما أن آخر الكتاب موجود، وبذلك أمكن استكمال الكلام الناقص في مخطوط الجوتا .

والمؤلف بجانب ما يورده عن طريق الرواية، كان من كتاب الدولة في عهده، فاستفاد من الوثائق الرسمية التي وجدها بالدواوين، وقد اعتمد أيضاً إلى حد ما على مؤلفات لكتاب سابقين، مثال ذلك قصة ابني الفرات وإطلاق سراحهما من السجن وتوليها المناصب « انظر ص ١٢، ١٣ » فهذه القصة منقولة عن كتاب أبي الفضل ابن عبد الحميد، الذي ذكر فون كرىم في مقاله أنه هو أبو الفضل محمد بن أحمد ابن عبد الحميد الكاتب، مؤلف كتاب أخبار خلفاء بني العباس « انظر الفهرست ١٠٩ طبع ليرنج » .

كما أن هلالا الصابي ينقل عن عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أمراً يختص بيد المعتضدى « انظر ص ١٩٩ » وعبيد الله هو ابن مؤلف كتاب بغداد، وقد أكل كتاب أبيه . فأبوه ألف كتابه إلى آخر أيام المهتدى، وزاد عبيد الله فيه أخبار المعتضد، وأخبار المعتضد، وأخبار المكتفى، وأخبار المقتدر، ولم يمه « انظر الفهرست ١٤٧ » وينقل هلال أيضاً شعراً من نظم أحمد بن الفرات المتوفى سنة ٢٩١ هـ « ص ٢٤٤ » وذلك عن السباسى محمد بن داود بن الجراح الذى كان أيضاً مؤلفاً « انظر الفهرست ١٢٨ » . وينقل هلال عن الصولى مرتين « ص ٢٤١، ص ٢٨١ » ويروى أيضاً عن ثابت بن سنان وله كتاب فى التاريخ يبدأ من ٢٩٥ إلى ٣٦٠ هـ .

ويروى كثيراً عن القاضى أبى على الحسن بن على التتوخى الذى توجد له الآن بعض المؤلفات . وكثير من الأخبار التى رواها هلال الصابى توجد تقريباً بنصها فى كتاب نشوار الحاضرة وبعضها يوجد فى الفرج بعد الشدة، وهما للتتوخى . وواضح أننا

تملك جزءاً فقط من كتاب الوزراء ، وتدل فقرات من الكتاب على أن المؤلف كتب عن وزراء آخرين مثل حامد بن العباس وعبد الله بن محمد الخاقاني والخصيبي وابن مقلة .

ونهاية المخطوط لاتدل بالتأكيد على أن أخبار علي بن عيسى المنشورة قد استوفيت فيه .

والأجزاء الضائعة من كتاب الوزراء والمختصة بوزراء الدولة البويهية لا بد أنها كانت ذات أهمية تاريخية كبيرة .

والوزراء المذكورون في ص ٥ هم المهلبى وابن العميد وابن عباد وفخر الملك . وقد بدأ جد المؤلف أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى حياته السياسية كاتباً للمهلبى ، وكان مديناً له بترقيه ، كما كان يرسل الصاحب بن عباد ، وكان المؤلف نفسه كاتباً لفخر الملك ، لذلك نأسف لفقدان هذه الأجزاء من الكتاب من أجل الوزيرين الكبيرين ابن العميد والصاحب بن عباد وترجو أن يعثر على ذلك ، يوماً ما .

وتراجع هؤلاء موجودة في معجم الأدباء لياقوت الحموى . وسيرة ابن عباد موجودة في مخطوط بأ كسفورد . وسيرة ابن العميد موجودة في مخطوط بمكتبة كوبربيلي زادة بالقسطنطينية . وقد حصل الدكتور مرجليوث على نسخة من المخطوط الأول الخاص بابن عباد من جامعة أ كسفورد ، وفي نيته أن يطبعه في وقت قريب ، وقد أبلغنى أن في هذين الكتابين نصوصاً منقولة عن هلال الصابى .

وهناك نصوص مقتبسة من كتاب الوزراء للصابى الموجود أماناً الآن ، ذكرها ابن خلكان ، وياقوت ، والصفدى في الوافى بالوفيات .

على أن هناك كثيراً من النوادر المذكورة موجود في الكتب المشتملة على
الفترة التي أوردها هلال الصابئ، من ذلك تكلمة الطبري لعريب، وتجارب الأمم
لابن مسكويه وهو من معاصري هلال، وتكلمة الطبري أيضاً لمحمد بن عبد الملك
الهمداني، وهذا بخلاف مؤلفات لكتاب جاءوا بعده .

« انتقل آندروز بعد ذلك إلى تحليل شخصية الوزراء وشخصية المقتدر، وعن
تدهور الحكم، ثم شكر من أعانوه بالمراجع » .



الفهارس

الآيات والأحاديث

- « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » سورة الأنفال ٤٢ وردت في صفحة ٧ .
- « كَرِّعِ أَوْخَرَ شَطَاهُ فَازْرَرَهُ فَاسْتَنْقَلَطُ وَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَفِيضَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » سورة الفتح ٢٩ وردت في صفحة ٢١٤ .
- « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيَخَيَّ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » سورة فاطر ٢٨ وردت في صفحة ٧ .
- « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » سورة التوبة ٣٣ وردت في ص ٦٥ .
- « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » الأنعام ١٦٤ والإسراء ١٥ وفاطر ١٨ والزمر ٧ وردت في صفحة ٦٧ .
- « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » سورة الأنفال ٧٥ وردت في ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
- « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » سورة هود ١٠٢ وردت في صفحة ٣٧٠ .
- « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ وردت في صفحة ٣ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ
فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » سورة الحجرات ٦ وردت في صفحة ١١٥ .

« يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِنْهُ حَظٌّ الْأُنثَىٰ لِلنَّثَىٰ » سورة النساء ١١
وردت في صفحة ٢٧٤ .

الْحَادِيث

« إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيض له وزيراً صدقٍ إن غفل أذكره وإن رفل أيقظه »
ورد في ص ٣٩٥ .

« أسرع الذنوب عقوبةً كفران النعمة » ورد في ص ١٨٩ .

« إن الله قال للعقل ، وقد خلقه ، أقبل . فأقبل ، وأدبر فأدبر ، فلما فعل ذلك قال :
وعزتي وجلالي وعظمتي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطي »
ورد في ص ٧ .

« إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه : هذا ابنك ؟ فقال : نعم . فقال :
إنه لا يخني عليك ولا تخني عليه » ورد في ص ٦٧ .

« الإيمان عقدٌ بالقلب ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان » ورد في ص ١٩٠ .

« توفي ثابت بن الدحداح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعاصم بن عدي :
أله فيكم نسب ؟ قال : لا . فدفع تركته إلى ابن أخته » ورد في ص ٢٧٣ .

« الخال وارث من لا وارث له ، يرث ماله ويقبل عنه » ورد في ص ٢٧٢ .

« اللهم قهقهه في الدين وعلمه التأويل » ورد في ص ٢٧٥ .

« المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم وإنه لا يتوارث أهل الملتين »

ورد في ص ٢٧٠ .

« من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » ورد في ص ٣٦١ .

« يؤتى بالبعد فيقف بين يدي الله تعالى ، فيأمر به إلى النار . فيقول : يارب ،

لم أمرت بي إلى النار ؟ فيقول : لأنك لم تشكر نعمتي . فيقول : يارب ، أنعمت

بكذا فشكرتُ بكذا ، فلا يزال يُحصى النعم ويعدد الشكر . فيقول الله عز وجل :

صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أنعمت عليك على يده » ورد في ص ١٩٠ .



القوافي

(الهمزة)

الصفحة	قائله	قافيته	صدره
٦٠	—	أم وراؤه	وأصبح لا يدري
٢٩٩	عبد الرحمن بن أحمد	وفضل ثراء	أرادوا له
(الباء)			
٧٤	مالك بن أسماء	عليه بحاجب	وإذا طلبت
٢١٥	علي بن الفرات	كل صعب	إذا بدعة
٢١٧	أبو الفضل بن الحجام	وريب	ياسيدي ومؤملي
٢٣٤	جعفر بن قدامة	تشب	لما غدوت
(التاء)			
١٦٢	علي بن هشام	دمعُ المكرماتِ	فراغ غاض
١٦٣	خالد الكاتب	خُنْتُ	عيني أكنت
٢١١	محمد بن إبراهيم	بالبكراتِ	أنعموا
٢٣٣	جعفر بن قدامة	والصَّلَاتِ	لما خلوت
٣٨٢	—	متُّ	لى مدة
(الثاء)			
٩	—	وحادثِ	هنيئًا
٣٤٥	أحمد بن إسحاق	أبما إثاثِ	قل لهذا

الصفحة	قائه	قافيته	صدره
		(الذال)	
٧٥	—	سدُّوا	اقلوا عليهم
٨٦	ابن بسام	شاهدُ	ياربِّ
٨٧	البحترى	نقدًا	كرم أنجز
١٢٣	—	دائمًا أبدأ	لو كان
٢٤٣	—	من يسودُ	عزمت على
٢٤٤	أحمد بن الفرات	الرشدِ	لا تلحنى
		(الراء)	
٦	أعرابي	الصِّبرَا	لا تحب المجد
٧٧	ابن بسام	بغير تجارِ	قالوا تغير
١٨٩	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	قصيرُ	أياديك
٢٠٣	ابن بسام	بالبحيرة	ترك
٢٢١	بعض العرب	لهجيرِ	أ أنت الذى
٢٢٢	بعض العرب	سفع ثبيرِ	وما أنس
٢٢٦	محمد بن غالب	الأموِرِ	أيظلمنى
		(السين)	
٣٣٤	سالم بن عبد الله	الإنسِ	سيرت
		(الضاد)	
٢٩٧	عبد الرحمن بن أحمد	فتعوضا	نضا شبيه
		(العين)	
٨٦	على بن الفرات	فودعا	خليلى

الصفحة	قائله	قافيته	صدره
		(الفين)	
٢٤١	—	وبفا	خليفة
		(الفاء)	
٢١٠	ابن المعتز	لا تفي	قايت
٢١٠	ابن المعتز	المسرف	ياذا الذي
٢٩٧	ابن أبي البغل	هو أشرف	ولى همه
		(اللام)	
٨٦	ابن بسام	أعدّ لى	لى أحمدان
٨٧	ابن المعتز	فاتركه لى	يادهر
٢٣٣	جعفر بن قدامة	الفعال	يا ابن الفرات
		(الميم)	
٢١١	عبيد الله بن عبد الله	الصيام	ياولى الإمام
٢٤٤	أحمد بن الفرات	ظلمى	وعلمتى
٣٨٢	ابن أبي البغل	يترّم	الضعو
٣٩٩	أحمد بن الفرات	ناثم	أيا أمية
		(النون)	
١٤٠	—	والحدثان	على كل حال
١٩٠	عبيد الله بن عبد الله	وإعلاى	شكرى لك
٢٥٢	يحيى بن على المنجم	مولانا	قالوا لنا

الصفحة	قائمه	قائمه	صدره
٢٩٧	ابن أبي البغل	بعد المكان (الماء)	أمل
١٦٠	علي بن القرات	من وجه (الواو)	معذبي
٢١٣	أبو العتاهية	صاحبه خلوة	إخلاى



فهرس أعلام الأشخاص

أحمد بن إبراهيم بن أفلح العكبرى ٦٨٤

أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضى

١١٣ - ١١٦ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ،

٣١٨ ، ٣١٩

أحمد بن إسرائيل الكاتب أبو جعفر

٢١٢

أحمد بن إسماعيل أبو الطيب ٢٠٢ ،

٣٠٤ ، ٣١٧

أحمد بن أيوب ١٦٤

أبو أحمد = الحسن بن على بن محمد

ابن الفرات

أبو أحمد الوزير = العباس بن الحسن

أحمد بن بدر العم أبو عيسى ٥٧ ،

١٧٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٧

أحمد بن بسطام أبو العباس = أحمد

ابن محمد بن بسطام

أحمد بن حماد الموصلى = ابن حماد

الموصلى ٤٧ ، ٩٤ ، ١٨٠ ، ٣٢٣

أحمد بن سعيد ٣٠٢

أحمد بن صالح بن شيرزاد أبو بكر

٨٩ ، ٩٠

(١)

إبراهيم بن أحمد بن إدريس ٢٤٦

إبراهيم بن أحمد اللادرائى ٢٤٦

إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى ٥٣

إبراهيم بن أيوب الكاتب = ابن

أيوب ١٥٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢

إبراهيم بن حاجب النعمان بن عبد الله ٤٨

إبراهيم بن سليمان ٢٨

إبراهيم بن عبد الله عامل بادور يا ٢٧٨

إبراهيم بن عيسى ٢٨٠

إبراهيم بن عيسى بن الجراح أبو إسحاق

٥٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ،

٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠

إبراهيم بن فورعة ٢٦٧

إبراهيم الكاتب ٣٨٧

إبراهيم بن هلال الصابى أبو إسحاق

١٧٠ ، ٣١٢

إبراهيم بن يوحنا ٢٤٨

إيليس ١٢٨

ابن الأجرى ٨٣

أحمد بن محمد بن بشار ٣٨٦
أحمد بن محمد بن بعد شر = ابن
بعد شر
أحمد بن محمد بن ثوابة أبو العباس =
أبو العباس بن ثوابة ٢٧٨
أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ٢٤٧
أحمد بن محمد بن جاني ٣٢٢
أحمد بن محمد بن حبش ١١٨
أحمد بن محمد بن الحسن البصري
أبو عمر ٣٥٠
أحمد بن محمد الحلبي أبو عبد الله ٣٦٥
أحمد بن محمد بن خالد = أخو أبي
صخرة أبو عيسى ٢٦٨ ، ٢٩١ ،
٣٧٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٠
أحمد بن محمد بن رسم = ابن رسم ٢٣١ ،
٣٧١ ، ٣٦٧ ، ٣٣٨
أحمد بن محمد بن سمعون = ابن سمعون
٣٧٢ ، ٢٨٣
أحمد بن محمد بن سهل أبو الحسن
١٨٨ ، ١٨٧
أحمد بن محمد الطائي ١٤ ، ١٥
أحمد بن محمد بن عبد الحميد = ابن
عبد الحميد ١١٢ ، ١١١
أحمد بن محمد بن علي = قرق ٢٤٦ ، ٢٤٧

أحمد بن العباس النوفلي = أبو العباس
النوفلي ١٦١
أحمد بن العباس بن الحسن أبو الحسن
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥
أحمد بن العباس بن عيسى بن شيخ
١٦٥
أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر ٧٨
أحمد بن عبد الله بن رشيد = ابن
رشيد ١٢٢
أحمد بن عبد الله « عبيد الله » بن
عمار ٢٢٣
أحمد بن عبيد الله بن سليمان =
أبو العباس الخصب ٩٨ ، ٣٣٥ ،
٣٤٠ ، ٣٣٦
أحمد بن علي أخو صلوك ٥٥ ، ٥٦
أحمد بن علي بن المختار الأنماطي ٣٨٥
أحمد بن القاسم الأزرق أبو بكر ٢٤٧
أحمد بن كشمرد ٥٧
أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامي
٢٤٥
أحمد بن محمد بن أبي الأصبح ٥٠ ،
١٥٢ ، ٨٧
أحمد بن محمد بن بسطام أبو العباس ١٢ ،
٤٩ ، ٥١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٧٥

أحمد بن يزيد = ابن يزيد ١٨٣ ،
١٢٢ ، ٢٢٠

أحمد بن يوسف بن الأرق أبو الحسن
١٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٧٥

إسحاق بن إبراهيم القاضي ٢٦

إسحاق بن إبراهيم المصعبى ٢٤٢

إسحاق بن أحمد أبو ياسر ٢٤٦

إسحاق بن إسماعيل ٣٣٨

إسحاق بن حنين الطيبى ٢٥٠ ، ٣٩٠

إسحاق بن شاهين ١٩٤

إسحاق بن عمران ٣٠٦

أبو إسحاق القراريطى = محمد بن

أحمد الإسكافى ٣٤٤

أبو إسحاق المدير ٦٠

إسرائيل النصرانى ١٠٩

أسماء بنت عيسى بن الجراح ١٦٦

إسماعيل بن إسحاق القاضي أبو الحسن

٢٤٢ ، ٢٧٨

إسماعيل بن بلبل أبو الصقر ١٣ ، ٤٤٤ ،

٨٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

إسماعيل بن عباد = الصاحب بن عباد

أبو القاسم ٥

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل =

أبو القاسم بن زنجبى

أحمد بن محمد الكاتب أبو عبد الله ٣٠٠

أحمد بن محمد بن المعلى أبو الحسين ٣٨٠

أحمد بن محمد بن موسى بن القرات =

أبو العباس بن القرات ١٢ -

١٤ ، ٢٨ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٦ -

١٥٧ ، ١٥٢ - ١٤٧ ، ١٣٥ ، ١٨٨

١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٣ ،

١٩٩ - ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٥ -

٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢

أحمد بن محمد بن ميمون أبو الحسين

١٦٣ ، ١٦٤

أحمد بن محمد الهرجلى ١٨٤

أحمد بن مروان أبو العباس ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٢٩

أبو أحمد بن المنتاب ١٩٤

أحمد بن موسى الرازى ١٤٨

أبو أحمد ابن أخى ميمون بن إبراهيم

٢٠٣

أحمد بن نصر البازيار ٤٦ ، ٤٧

أحمد بن هلال ١٧٣

أحمد بن يحيى بن حاتم ٢٤٦ ، ٣٧٨

أبو أحمد بن يزداد ١٢ ، ١٣

بدر المعتضدى أبو النجم ١٧، ١٨،
١٩، ٢٥، ٢٧، ١٠٩، ١٩٩،
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧،
٢٠٩، ٢١٨، ٢٧١، ٢٧٨،

٢٨٤

بدهه الكبرى ٢١٥، ٣٠٢

ابن البزال العامل ٣٨٢

البرامكة ٢٤٩، ٣٨٥

البريدى أبو عبد الله ٣٤٣، ٣٨٦

البروفرى = محمد بن على

ابن بسام = على بن محمد بن بسطام

٧٧، ٨٦، ١٢٣، ٢٠٣

ابن بسطام = أحمد بن محمد بن بسام

أبو العباس

ابن بسطام = أبو جعفر بن بسطام

٧٣، ٧٤

ابن بسطام = على بن أحمد بن بسطام

أبو القاسم ٩٩، ٢٦٠، ٣١٣

ابن بسطام = محمد بن أحمد

أبو الحسن

ابن بسطام = محمد بن أحمد أبو الفضل

بشر الشرايى ١٧٣

بشر بن عبد الله النصرانى كاتب مفتح

٢٦٥

ابن أبى الأصغ = أحمد بن محمد بن أبى

الأصغ

ابن أبى الأصغ = محمد بن أحمد ١٢،

١٣

اصطقن بن يعقوب = يعقوب

بن اصطقن ١٥٨

الأصمى ٢٢٢

اقليدس ٢٢٢

ابن الأكموش ٢٣٧

أبو أمية = الغلابى ٣٩٩

ابن أمينة ٢٨٣

أنوش بن الحرهان ١٥٦

أنوشروان ٢٣٩، ٢٤٠

أبو أيوب ٣١١

الباقر « محمد بن على » ١٩٠

الباقطانى أبو عبد الله الحسن بن على

٢٨٨، ٣٦٦

بجكم ٣٤٣

البحترى ٨٧

بدر = بدر المعتضدى

ابن أبى بدر ٢٤٤

بدر الحرى أبو الخير ١٢٠، ١٧٣

بدر الخادم ١٩٥

بدر اللانى ٢٩، ١٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧

أبو بكر الصديق ١٢٥ ، ٣٦٩ ،

أبو بكر بن عبد العزيز = محمد بن

الحسن بن عبد العزيز

أبو بكر بن فتح الوراق ٢٣٨

أبو بكر بن قرابة ٤٦ ، ٧٧ ، ٨١ ،

أبو بكر بن مقاتل ٣٧٦ ، ٣٧٨ ،

بنان بن بنان أبو الفضل ٢٨٨ ، ٣٠٢ ،

بني بن نيفس ٣١ ، ٣٢ ، ٣١٣ ،

(ت)

تكين الخاصة ١٥٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ،

تكينك ٣٤٣

(ث)

ثابت بن أحمد بن المشرف أبو محمد ٣٧٣

ثابت بن الدحداح ٢٧٣

ثابت بن سنان أبو الحسن ٢٨٨ ، ٢٩٩ ،

١١٠ ، ٢٩٩ ، ٣٤٩ ، ٣٩٢ ،

ثمل القهرمانة ٤٨ ، ١٧٢ ،

ابن ثوابة = أحمد بن محمد بن ثوابة

ابن ثوابة = العباس بن محمد بن ثوابة

ابن ثوابة ٣١٨

بشر بن علي أبو نصر ٣٩ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

أبو بشر بن فرجويه = عبد الله بن

فرجويه ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٧ ، ٣٩ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ،

بشرى غلام زنجي ١٩٨

ابن بطحا ١٧٦

بظرام الدنيا الكاتب ٧٣

ابن بعد شر = أحمد بن محمد ٦١ ،

٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ،

٨٠ ، ١٣٩ ،

بغا الشراي ١٧٣ ، ٢٤١ ،

ابن أبي البغل أبو الحسن = علي بن

أحمد ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ،

٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

ابن أبي البغل = محمد بن أحمد أبو الحسين

٥١ ، ١٢٤ ، ١٨٤ ، ٢٩١ - ٢٩٩ ،

٣٠٤ ، ٣٦٧ ، ٣٨٢ ،

بو بكر بن ثوابة ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

أبو بكر بن رائق ٣٦٠

أبو بكر الزهري الأصهباني ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،

أبو بكر الشافعي = الشافعي ٣٥٧ ،

٣٦١

أبو جعفر = الطائي ٤٤ ، ١١٩ ،

١٢٥ ، ١٢٤

جعفر بن القرات ٣٩٣

أبو جعفر والد ابن القرات ٣٣

أبو جعفر بن القاسم بن عبيد الله ٢٤٩

جعفر بن قدامة ٢٣٣

جعفر بن محمد العامل بفارس ٥١

جعفر بن محمد بن حفص ١٣ ، ١٢

جعفر بن محمد بن القرات أبو عبد الله

٢٧٨ ، ٢٥٨ ، ٢٢٥

أبو جعفر = محمد بن القاسم الكرخي

جعفر = المقتدر الخليفة

جعفر بن ورقاء ١٧٤

الجنابي = أبو طاهر سليمان القرمطي

٣٤١ ، ٧٩ ، ٥٧

ابن جناح ١٩٤

الجهظ = علي بن الحسين ٨٨ ، ٨٩ ،

٢٧٨

الجهشياري = محمد بن عبدوس ، ٤

٣٤١

ابن جهم « علي بن الجهم » ٢٣٤

الجوهري رسول القرمطي ٣٤٢

(٢٧ - الوزرا)

(ج)

ابن جبير = عبد الله بن جبير أبو منصور

٧٦ ، ٧٤ ، ٦٠ ، ٤٦ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤

٢٤٥ ، ١٩٣ ، ١٨٧ ، ١٥٨ ، ١٣٤

٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦١ ، ٢٥٠

٣٣٣

ابن جبير = عيسى بن جبير أبو نوح

١٩٣ ، ٣٩ وانظر « أبو نوح »

الجرو = محمد بن الحسن الكرخي

ابن جريج ٢٧٢

ابن الجصاص = أبو عبد الله بن

الجصاص ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٥

أبو جعفر = أحمد بن إسحاق

ابن البهلول

أبو جعفر بن بسطام ٧٤ ، ٧٣

جعفر بن جعفر الكرخي ٣٣٨

جعفر الحرامي الخازن ٢١٧

جعفر بن حفص ١٦٠

أبو جعفر بن شيرزاد ٣٤٢

أبو جعفر الصيمري ٣٩٧ - ٣٩٢

أبو الحسن بن أبي البغل = علي
ابن أحمد

أبو الحسن بن جعفر بن حفص
الكاتب ٢٣٨

الحسن بن حمدون أبو علي = ابن
حمدون ٢٣٩ ، ٢٤٠

الحسن بن روح أبو محمد = ابن روح
٢٩٩ ، ٣٠٠

أبو الحسن الروزياري = محمد بن
عبد الرحمن

أبو الحسن بن سنان = ثابت بن سنان
الحسن بن شبيب العتي ٦٩

أبو الحسن بن أبي الشوارب القاضي
١٧١

أبو الحسن بن ظفر الكرخي ٣٤٦
أبو الحسن بن عبد الحميد ٣٣

الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب
١٧٦

الحسن بن علي = الباقطائي أبو عبد الله
٢٨٨

الحسن (بن علي بن أبي طالب) ٧٠
الحسن بن علي العدوي أبو سعيد ٢٢٣

الحسن بن علي بن محمد بن الفرات
٣٩ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ١٧٤ ، ٢٣٢

(ح)

حامد بن العباس ٣٧-٤٤، ٤٨-٥٢

٦٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٣ - ١٠٣ ، ٩٥

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ - ١١٧

١٣٩ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٤ - ١٩٦

٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠

٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٣١٤

٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥

٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢

ابن حبشي ٤٧

حبشي بن إسحاق السجان ١٥٧

الجبشي المستخرج ٤٧

ابن حبيب الذراع ٢٧٨

أم حبيب ٢٥

ابن الحجاج = محمد بن جعفر بن الحجاج

الحجاج بن يوسف ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢

حجر ٢٢٤

الحربي وكيل ابن المعتدر ٢٢٦

الحسن بن إبراهيم الخرائطي ٢٤٧

أبو الحسن = أحمد بن العباس بن الحسن

الحسن بن أحمد المادرائي أبو أحمد ٢٤٨

أبو الحسن الأزرق التنوخي ٢٣٧

الحسن بن إسماعيل الإسكافي ٣٤١

١٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٤١ <

٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦

أبو الحسين = أحمد بن محمد بن ميمون

الحسين بن إسماعيل الحاملي أبو عبد الله

١٧٦

أبو الحسين بن أبي البغل = ابن أبي

البغل = محمد بن أحمد

الحسين بن حمدان ٨١ ، ١٠٠ ، ٢٥٦ ،

٣٠٧

الحسين الخادم = الخلدی ١٦٢

الحسين بن سعد القطر بلي ٢٤٧

الحسين بن عبد الأعلى ١٢٤

الحسين بن عبد الله الجوهري =

ابن الجصاص ٢٤٥

(الحسين بن علي) = السبط

الحسين بن علي بن محمد بن القرات

٣٢ ، ٢٩

الحسين بن علي بن كردی =

ابن كردی ٢٥٩

الحسين بن علي بن نصير ٢٤٧

أبو الحسين بن أبي عمر القاضي ٣٥٠

أبو الحسين بن عياش ٣٥١

الحسن بن أبي عمرو الشرايبي ٣١٢

الحسن بن أبي عيسى الناقد ٢٤٥ ،

٢٤٦

أبو الحسن بن قرابة ٨٢

أبو الحسن بن ماني الكوفي ٢٧٨

أبو الحسن = محمد بن جعفر بن ثوابة

الحسن بن محمد الصلحي أبو محمد ١٣٠ ،

١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ،

الحسن بن محمد بن عينونة ٣٦٣

الحسن بن محمد القصري = ابن زياد

٢٥٤ ، ٢٥٥

الحسن بن محمد الكرخي أبو أحمد

٩٣ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٣٣٥

الحسن بن محمد المهلبی ٥

الحسن بن مخلد ٨٢ ، ٢٨٤

الحسن المزين ١٩٥

الحسن الملقوف المستخرج ١١٩

أبو الحسن بن نيداد ٣٦٢

الحسن بن هارون أبو علي ٣٥٣

الحسين بن أحمد اللادرائي = أبوزنور

١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٩ ، ٥٢ ، ٥١ ،

١٠٥ - ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٩ ،

خالد الكاتب ١٦٢
خديجة بنت الفضل بن جعفر ٢٣٦
أبو خراسان صاحب بيت المال ١٣٣
أبو الخصب كاتب أحمد بن العباس
٢٧٥
الخصبي أبو العباس = أحمد بن
عميد الله بن سليمان
أبو الخطاب ولعه العباس بن أحمد بن
محمد ١١٢
أبو الخطاب بن أبي العباس = العباس
بن أحمد بن محمد بن الفرات
خطارمش ٢٥٦
خفيف السمرقندي الحاجب ١٥٤
١٦٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
٣٩٠
ابن الخياط = أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر
(د)
دانيال بن عيسى ١٥٨
داود بن حمدان ٣٣١
ابن الدردي ٢٨٩
دريرة ٢٠٢ ، ٢٠٣
دستبويه أم ولد المعتضد ١١٩ ، ٢٨٧
دق صدره لقب محمد بن عبيد الله
الديقي قهرمان ٦١

أبو الحسين بن فراس ٢٤٩
الحلاج ٢٣١
ابن حماد كاتب موسى بن خلف ١١٤
ابن حماد الموصلي = أحمد بن حماد
حمد بن إسحاق المادرائي أبو جعفر ٨٣
حمد بن محمد القناني ٩٢ ، ٣٧٥
ابن حمدون = محمد بن حمدون
حمدون
حزابة ٦٣ ، ٦٤
ابن الحوارى = أبو القاسم بن
الحوارى = علي بن محمد الحوارى
٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٠ ،
١٣٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ،
٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٧٤
(خ)
أبو خازم القاضي ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٧١ ،
٢٧٨
خاطف ١١٩
خاقان بن أحمد بن يحيى ٦٢
الخاقاني الأكبر ٢٩١
الخاقاني = عبد الله بن محمد أبو القاسم =
ابن الخاقاني
الخاقاني = محمد بن عبيد الله

ابن رشيد = محمد بن عبدالله بن رشيد

رشيق القارى ١٩

الرضا أبو الحسن ١٨٩، ١٩٠

رهبان جارية ٦٩

(ز)

زيدة ٢٤٢

الزجاج ٣٦٩

زكرويه ٨١، ٨٠

زكريا بن يحيى بن شاذان = ابن

شاذان ٧٦

زكريا بن يوحنا ١٧٧

زنجى أبو عبدالله = محمد بن إسماعيل

زنجى ٣٠، ٧٢، ٧٣، ٩٨،

١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٩١، ١٩٢،

١٩٣، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٦،

٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣،

٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٤،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣ -

٢٥٥، ٢٦٠ - ٢٦٤، ٢٦٨،

٣٢٨

أبو زنبور المادرائى = الحسين بن أحمد

ابن الزنداق الحاجب ٤٣

ابن زياد = الحسن بن محمد القصرى

ابن أبى دلف ١٩

دلويه أبو محمد ٣٤١

أبناء دميانة ١٠١، ٢٥٦

دنانير جارية زوجة المحسن ٦٩

دولة أم ولد ابن القرات ٣٩، ١٧٤،

٣٣٢

(ذ)

ذكا الأعور ٢٣٠

ذكويه = عبدالله بن على أبو محمد

٣١٧

(ر)

راشد ١٧

راشد بن سعد ٢٧٢

الراضى بالله الخليفة ٢٤٥، ٣٤٩،

٣٦٠، ٣٥٩

ابن راهويه الفقيه ١٩١

رائق خادم السيدة ٥١، ١٥٦، ١٧٣

ابن رستم = أحمد بن محمد بن رستم

ابن رستم كان بسر من رأى ١٦٣

ابن رستم كاتب كان مع بقا ١٦٣

الرشيد الخليفة ١٦٠، ٢٤٩

ابن رشيد = أحمد بن عبيد الله

ابن رشيد

سعيد بن سنجلا = سعيد بن عمرو
أبو الحسن ١٤١، ١٥٨

سعيد بن الفرخان = ابن الفرخان
١٨٠، ٢٢٦ - ٢٦١، ٢٢٩

سعيد بن محمد أبو غانم كاتب الحسن
٤٥، ٦٠، ٣٢٢

ابن أبي السلاس ٣٧٣

سلامة الحاجب ٣١٠

سلامة الطولوني ٣٣٥

سليمان بن الحسن بن مخلد أبو القاسم
٣٣، ٣٤، ٤٧، ٤٨، ٧٥، ٨٩، ٩٠

١٠٣، ١١٧، ٢٢٩، ٢٤٨، ٣٠٢

٣٣٦، ٣٣٩

سليمان بن أبي شيخ ٢٢٤

سليمان بن عبد الحميد كاتب السيدة =

ابن عبد الحميد ١١٧

سليمان بن عبد الملك ٢٤٨

سليمان بن وهب ٢٨، ٣٦، ١٩٩،

٢١٤، ٢٣٠، ٢٨٤

ابن سمعان صاحب بدر المتصدى

١٩٩ - ٢٠١

ابن سمعون = أحمد بن محمد

ابن سمعون

أبو سهل بن زياد القطان ٣٧٤

زيد بن إبراهيم عامل كومان ٥١،
٢٣١

زيد بن ثابت ٢٧٠، ٢٧٤

زيدان القهرمانة ٣٧، ٣٩، ٩٧،

١٠٤، ١٢٠، ١٧٢، ٢٦٦،

٣١٠، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٤ -

٣٢٦، ٣٤٢

(س)

ابن أبي الساج = يوسف بن داود

٥٤، ٥٥، ٥٦، ١١٤، ١١٥،

١٧٣

ساكن صاحب الدواة ١٢٣، ٢٦٤،

٣٢٨

سالم بن عبد الله أبو ميمون ٣٣٤

السيط الحسين بن علي ١٩٠

سبك المفلحي ٣٠٠

سبكتكين أبو منصور ١٩٩

سبكري ١٢٠

السجاد «علي بن الحسين» ١٩٠

سرخاب الخادم ١٠١، ٢٥٦،

سرور غلام خديجة بنت الفضل ٢٣٦

ابن سعد حاجب الخاقاني ٢٨٧

سعيد بن إبراهيم التستري ٣٩، ٦٠،

٢٦١

ابن أبي شبيب ١٣٧
أبو شجاع ٣١١
شريك بن عبد الله ٢٧٢
الشعبي ١٨٦
شفيع ٣٨٠
شفيع خادم السيدة ٥٧ ، ٢٩٠
شفيع الكبير = شفيع اللؤلؤي
شفيع اللؤلؤي أبو الغصن ٤٦ ، ٦١ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٠ ،
١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٧٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦
شفيع المقتدرى ٣٩ ، ٥٤ ، ١٧٣
(ص)
صاحب الخال «الحسين بن زكرويه»
٢٨٩ ، ١٥٢
الصادق (جعفر بن محمد) ١٩٠
صاعد بن مخلد ٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩١
صافي مولى المقتدر ١٠١ ، ١٥٦ ،
٢٥٧ ، ٣٢٥
صالح «قائد» ٣٢٤

أبو سهل العارض ٣٩٥
أبو سهل النوبختي ٤٠
سوسن الجصاصي ١٠١
سوسن الحاجب ٢٩ - ٣٢ ، ١٠٢ ،
١٥٥ - ١٥٧
سومنة الطيب ٣٥
السيدة أم المقتدر «شعب» ٣٦ -
٣٨ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٧ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٧٢ ،
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ ،
٣٠٨ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ،
٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ،
٣٧٧
سيما «غلام» ١٥٩
(ش)
ابن شاذان = زكريا بن يحيى
ابن شاذان
ابن الشاشي = سعيد بن محمد
الشافعي = أبو بكر الشافعي
ابن شاندة ١٩٤
الشاه بن ميكال ٤٩

أبو الطيب الكلوذاني = الكلوذاني
= محمد بن أحمد الكلوذاني

(ع)

عاصم بن عدى ٢٧٣

أبو عامر الهوزني ٢٧٢

عائشة أم المؤمنين ٢٧٢

عبادة بن أبي عباد ٢٧٢

العباس بن أحمد بن محمد بن القرات

أبو الخطاب ٢٤٩

أبو العباس بن ثوبة = أحمد بن محمد

ابن ثوبة

العباس بن الحسن أبو أحمد ٤ ، ١٠ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،

١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ - ٢٥٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢٠ ، ٣٨٧ - ٣٩١

ابن عباس = عبد الله بن العباس

العباس بن عبد المطلب ٣٥٧

أبو العباس بن القرات = أحمد بن

محمد بن القرات

أخو أبي صخرة = أحمد بن محمد

ابن خالد

ابن الصريفي صاحب الجيش ٣٣١

صلوك أخو أحمد بن علي ٥٦

أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل

الصقر بن محمد أبو الحسين ٣٣ ، ٧٦ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

أبو الصلت الهروي ١٨٩ ، ١٩٠ ،

صلح ١٤٠

صمصام الدولة ١٦٩ ، ١٧٠ ،

الصولي أبو علي ١٦١

الصولي محمد بن يحيى أبو بكر ٤ ،

٢٤١ ، ٣٨١

ابن الصيرفي = عثمان بن سعيد ٦٧ ،

٢٣٠ ، ٢٣١

(ط)

طازاد بن عيسى ٣٩٢ ، ٣٩٣

أبو طالب بن البهلول ١٧٦

أبو طاهر بن أبي سعيد = الجنابي

أبو طاهر محمد بن عبد الصمد ٥٤

طاووس ٢٧٢

الطائي = أبو جعفر

طلحة بن عبد الله أبو جعفر ٢٣٨

عبد الرحمن بن محمد بن يزيد ٨٧
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله =
أبو قيراط ١٥٨ ، ١٥٩
عبد الله بن أحمد بن داسة أبو محمد ٣٧٤
عبد الله بن أحمد بن عياش ١٢٩ ، ٣٥٩
أبو عبد الله البريدي = البريدي
عبد الله بن جبير = ابن جبير
أبو عبد الله بن الجصاص = ابن الجصاص
عبد الله بن حمدان أبو الهيجاء ٥٧ ،
١٧٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٣٤
عبد الله بن الزبير ٢٤٨
أبو عبد الله زنجي = زنجي
عبد الله بن زيد بن إبراهيم ٢٤٧
عبد الله بن العباس ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥
أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافي ٢٩٠
أبو عبد الله بن أبي العلاء ٣٠١
عبد الله بن علي الجرجاني ٣٦٤
عبد الله بن علي أبو محمد = ذكويه
عبد الله بن فرجويه = أبو بشر
ابن فرجويه
عبد الله بن الفرخان = أبو بشر ١٨٠ ،
٢٦١ ، ٢٦٢
أبو عبد الله بن القاسم بن محمد السكوني
٢٩٥ ، ٢٩٦

العباس الفرغاني ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٤١٥ ،
٢٢١ ، ٣٣٣
العباس بن محمد بن ثوبة أبو الهيثم =
ابن ثوبة ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧
أبو العباس بن المقتدر ٥٨
العباس بن منصور ٢٨٠
العباس بن موسى بن المثنى = ابن المثنى
٢٨٢ ، ٢٨٣
أبو العباس بن النفاط ٣٠١
أبو العباس النوفلي = أحمد بن العباس
النوفلي
ابن عبد الأعلى = الحسين بن عبد الأعلى
ابن عبد الحميد = أحمد بن محمد بن عبد الحميد
ابن عبد الحميد كاتب السيدة = سليمان
عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي ٢٦٩
عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني
أبو سعيد ٢٩٧
عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي ٣٦٧
عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ٥٠ ،
١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ - ١٥٩ ، ١٧٩ ،
٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ -
٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨ - ٣٨١ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٧

عبدالواحد بن محمد بن عبيدالله الخاقاني

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

عبدالواحد بن الناصر ٢٥

ابن عبدوس حاجب علي بن عيسى

١١٦

ابن عيدون = محمد بن عيدون

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله =

ابن ماشاء الله ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧

٢٤٦ ، ٣١٢

عبد الوهاب الخاقاني ١٤٠

العبرتائي = محمد بن جعفر

عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ١٩٩

عبيد الله بن أحمد اليقوي ٢٤٧

عبيد الله بن الحسن النرسي = النرسي

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٢

عبيد الله بن سليمان أبو القاسم ١٢ -

١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٧

٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦

١١٩ ، ١٤٨ - ١٥٠ ، ١٦٢

١٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٠

٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨

٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٣ ، ٣٨٢

أبو عبد الله الكوفي ٣٤٣

أبو عبد الله بن الماسح = ابن الماسح

٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤

عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني

أبو القاسم ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ٢٧٩

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

عبد الله بن محمد المروزي أبو الفتح ٧٢

عبد الله بن مسعود ٢٦٩ ، ٢٧٠

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

عبد الله بن المعتز = ابن المعتز ٢٨

٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ٩٠

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠ -

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥

١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٥٥

٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧

أبو عبد الله بن أبي موسى ١٧٦

أبو عبد الله الموسوي العلوي ٣٥٣

عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٨ ، ١٩٥

عبد الملك بن مروان ٢٤٨

عبدالواحد بن عبيد الله بن عيسى

٢٤٦

علي بن أحمد بن بسطام = ابن
بسطام

علي بن أحمد بن علي بن الحسين ١٣٧
علي بن أحمد بن يحيى = ابن أبي
البغل

علي بن إسحاق ١٩٤
أبو علي أبو أبي بكر بن ثوبة ٢٨١
أبو علي التنوخي = المحسن بن علي
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٦٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥١ ،
٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
٣٧٥

علي بن جعفر أبو الحسن ٢٨٢
علي بن الحسن الباذينى ٤٨ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦

علي بن الحسن بن هبنتى القناتى ٧٧
علي بن الحسين = الجهظ
أبو علي الخاقانى = محمد بن عبيدالله
- بن خاقان

علي بن خلف أخو محمد بن خلف ٤٦
علي بن سليمان الأخفش ٣٩٨
أبو علي الصولى = الصولى
علي بن أبي طالب ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٩٠ ،
٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٥

عبيد الله بن عبد الله بن الحارث ٣٣٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٤١ ،
عبيد الله بن عيسى بن داود بن الجراح
٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٣٧

عبيد الله بن القاسم ٣١٢
عبيد الله بن محمد أبو أحمد ١٧٩
عبيد الله بن محمد الكلوزانى أبو القاسم
٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٠

عبيد الله بن يحيى ٨٣ ، ٨٩
أبو العتاهبة ٢١٣
عثمان بن الحسن بن عبد العزيز ٢٣٣
عثمان بن سعيد = ابن الصيرفى
عج بن عجاج ٢٨٧
أبو العجب « مشعب » ٣٩٧
عجيب خادم نازوك ٧١
عرفان زوجة ابن الحجاج ١٣٨
ابن عرفة ٣٣٨
العرمرم = محمد بن عيسى بن داود
عضد الدولة ١٦٩
أبو العلاء بن سنجلا ٥١

أبو علي بن القاسم بن عبيد الله، ٢٤٩
علي الليثي ١٠١، ٢٥٦
علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي
٢٤٧، ٥٠، ٤٦

علي بن محمد بن أحمد بن السمان ٢٤٧
علي بن محمد الحواري = ابن الحواري
علي بن محمد بن داود ١٦٦

علي بن محمد بن موسى بن الفرات
أبو الحسن ٥، ١٠، ١١، ٢٩٤
٣٠٤ - ٣٠٨، ٣١٣ - ٣٢١
٣٢٤ - ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩
٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٩، ٣٥٢
٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٠

أبو علي بن محفوظ ٣٩٢

علي بن القندر ٢٦٦

أبو علي بن مقلة = ابن مقلة = محمد
ابن علي ٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥
٤٧، ٧٧، ٨١، ٨٦، ١١١
١٢٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٥
١٣٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٧
٢٤٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٣٦
٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣
٣٥٢، ٣٨٧، ٣٩٨

علي بن عبد الرحمن = ابن هاني
الكوفي ٢٣٣

علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان
١٧٠، ١٧١، ٢٣٤

أبو علي بن أبي عبد الله بن الجصاص
١٢٨، ١٢٥

علي بن عيسى بن داود بن الجراح
٥، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٥-٣٨

٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨-

٥٢، ٦٤، ٦٥، ٧٢، ٧٣،

٧٨-٩٢، ٩٤، ٩٨، ٩٩،

١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٠،

١١٣-١١٧، ١٣٦، ١٣٨،

١٤٠، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١-

١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٦،

١٦٨، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٢٩،

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥،

٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٢،

٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،

٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٧٨،

٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦،

٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٩،

٣٠٢-٣٠٤، ٣٠٥-٣٩٩

علي بن عيسى الزنداني ٢٨٨، ٣٠٢

عمرو بن مسعدة ١٦٢
عمرو بن مسلم ٢٧٢
ابن عمرو به ٢٨
عيسى بن جبير أبو نوح = ابن جبير
أبو عيسى من الجلساء والملهين ٢٤
عيسى بن شيخ ١٦٥
أبو عيسى أخو أبي صخرة = أحمد
ابن محمد بن خالد
عيسى بن علي بن عيسى ٣٥٧، ٣٤٨،
٣٣٧، ٣٧٦، ٣٧٤
عيسى الناقد ٣١٦
ابن عينونة = أبو محمد بن عينونة
١٧٩، ١٨٧
(غ)
أبو غانم كاتب الحسن = سعيد بن محمد
غريب الجيلي ١٥٦، ١٧٣
غريب الخال أبو القاسم ٣٦، ٣٤، ٢٨،
٣٨٠، ٢٩٠
غريب الكبير ١٧٣
الغلابي أبو أمية ٣٩٩
(ف)
فانك المعتضدي ٢٥٦، ١٠٠
فارس الدابة ٢٥٠

علي بن محمد بن نصر بن بسام =
ابن بسام
أبو علي بن هبتي القناني ١٧٨، ١٧٩،
١٨٠
علي بن هشام بن الحسين ٦٠، ٨٧،
٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٩،
١١١ - ١١٣، ١١٧، ١١٨،
١٢٠ - ١٢٢، ١٢٤، ٢٨٨،
٣٠٢، ٣٦٥، ٣٦٦
علي بن يحيى بن سليمان ٣٨٢
ابن أبي عمر كاتب الحسن ٤٧
أبو عمر بن الأطروش ٧٨
عمر بن الحسن الأشثاني ١٧٦
ابن عمر خازن الديوان ١٨٥
عمر بن الخطاب ٧٨، ١٢٥، ٢٠٩،
٢٦٩ - ٢٧٥
عمر بن شبة ٣٩٥
عمر بن عبد العزيز ٢٤٩
أبو عمر القاضي = محمد بن يوسف
٢٣٤، ٢٣٦، ٣٥٣
عمر بن محمد أبو السري ٣٥٧
أبو عمرو بن الجليل ١٣٩
أبو عمرو الشراي ٣٨٧
أبو عمرو بن الفرخان = سعيد بن الفرخان

أبو الفضل بن الحجام النحوي ٢١٦
الفضل بن الحسن الواسطي ٢٣٥، ٢٣٤
أبو الفضل بن حد ٧٧
أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب ١٣
الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر ٣٥٣
الفضل بن علي بن محمد بن الفرات
٢٩، ٦٠، ٣٣٤
أبو الفضل بن الوارث ١٦١
ابن فلحة ٣١٧، ٣١٩
فلفل ٥٧، ٣٢٦، ٣٣٠
(ق)

القادر بالله ١٧٠
أبو القاسم الخاقاني = عبد الله بن محمد
أبو القاسم الخال = غريب الخال
القاسم بن دينار ٢٣١
القاسم بن زرق أبو العلاء ٢٤
أبو القاسم بن زنجي = إسماعيل بن
محمد ٦٠، ٧٥، ٩٥، ١٦٦،
١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤،
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧،
٢٢١ - ٢٢٦، ٢٢٩ - ٣٣٢،
٢٥٩ - ٢٦٤

فاطمة القهرمانة ١٥٨
فائق وجه القصعة ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٧
فخر الملك أبو غالب = محمد بن علي
بن خلف ١٧١، ٥
ابن الفرات = أحمد بن محمد بن موسى
ابن الفرات = علي بن محمد بن موسى
أبو الفرج بن حفص ١٤٠
فرج النصرانية صاحبة أم موسى ٢٩٣
أبو الفرج السلمي الكاتب ٣٠١
ابن فرجويه = أبو بشر = عبد الله
ابن الفرخان = سعيد بن الفرخان
أبو عمرو
فرخان شاه بن إسحاق أبو منصور ٧٧،
١٧٩
فرعون ٣٨٥
فرغان الخادم أبو خراسان ١٥٨
فريد ١٧٣
فريدة جارية المعتضد ٢٠١، ٢٠٢
الفضل بن أحمد الحياني ٣٥٧
الفضل بن أحمد بن محمد بن الفرات =
أبو محمد بن أبي العباس ٢٤٩
الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات
٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٦، ٢٢٩، ٦٣

(ك)

كلون « غلام » ٢٢٨

الكرخي = الحسن بن محمد أبو أحمد

الكرخي = القاسم بن محمد

ابن كردى = الحسين بن على بن كردى

كسرى أنوشروان ١١٩، ١٢١، ٢١١

أم كلثوم قهرمانة ابن القرات ٩٧

الكلوذاني = أبو القاسم = عبيد الله

ابن محمد

الكلوذاني = محمد بن أحمد

الكلوذاني

كورتكين ٣٤٣

(ل)

ابن لشكرون ١٩٩

ليث ٢٧٢

(م)

ابن الماسح = أبو عبد الله بن الماسح

ابن ما شاء الله = عبد الوهاب بن أحمد

ابن ما شاء الله

مالك بن الوليد ١٠٩

المالكي ٢٨٩

المالكي « يحيى بن مقيم » ١٤٠

المأمون الخليفة ٢٤٩

القاسم بن عبيد الله ٤، ٢٥، ١٢٤،

١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩،

١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٤،

٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٨،

٢٧٩، ٢٩٣، ٣١١، ٣٨٢ -

٣٨٥، ٣٨٧ - ٣٩١

أبو القاسم = عبيد الله بن سليمان

أبو القاسم الكلوذاني = عبيد الله

ابن محمد الكلوذاني

أبو القاسم بن محمد ١٩١

القاسم بن محمد الكرخي ٩٣، ٢٩٥،

أبو القاسم = هشام والد على بن هشام

القاهر بالله ١٥٩، ٣٨٦،

القائم بأمر الله ١٦٩

ابن قرابة = أبو الحسن بن قرابة

ابن قرابة = أبو بكر بن قرابة

قورق = أحمد بن محمد بن على

قريب بن قريب أبو القاسم ٧٧، ٧٨،

قسيم الجوهري ٣٨

ابن القناني = أبو على بن هبتي

أبو قبراط = عبد الرحمن بن هشام بن

عبد الله

قيصر خادم شفيق ١٤١، ٣٢٨

الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري =

المتقى ٣٤٨

أبو محم ٢٢٢

محمد بن إبراهيم البرقي ٢٢٣

محمد بن إبراهيم بن الخصب ٢١١

محمد بن أحمد بن أبي الأصغ = ابن

أبي الأصغ

محمد بن أحمد بن بدر العم ١٧٣

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الحسن

٢٤٧

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الفضل ٢٤٥

محمد بن أحمد بن أبي البغل أو الحسين =

ابن أبي البغل

محمد بن أحمد بن حماد ٢٤٦

محمد بن أحمد بن الصباح أبو عمرو ٢٤٦

محمد بن أحمد الكلوزاني ٣٤ ، ٦٠ ،

٣٢٠ ، ٣١٧ ، ٢٦١ ، ٧٢ ، ٦٣

محمد بن أحمد بن ماسراد ٢٤٧

محمد بن أحمد بن القرات أبو جعفر =

أبو جعفر بن أبي العباس ٢٤٩

محمد بن إسحاق ٢٧٢

محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعب ٢٤٢

محمد بن بدر الحامي أبو بكر ٣٣١

محمد بن جعفر ٢٥٨

مانس ٣٨٠

ماهر خادم علي ٣٤٥

ابن المبارك القمي = المظفر بن المبارك

المتقى لله ٣٤٤ ، ٣٤٣

المتوكل على الله ٢٥ ، ١١٠ ، ٢٤٩

المتنى جد العباس بن موسى بن المتنى

ابن المتنى = العباس بن موسى

ابن المتنى

أبو المتنى ١٠١ ، ٢٥٦

ابن مجاشع ١٦٠

الحسن بن علي بن محمد بن القرات

أبو أحمد ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٥ ، ٤٧ - ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥

٥٧ - ٥٩ ، ٦٣ - ٦٧ ، ٦٩

٧١ ، ٨٠ ، ٨٤ - ٨٦ ، ١٢٠

١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٨ -

١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٣٦

٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ - ٢٦٦

٣٢٠ - ٣٣٥ ، ٣٥٧

الحسن بن علي التنوخي = أبو علي

التنوخي

٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٤ ، ٢٧٨، ٢٥٧

٣٩٠

محمد الرقاص ٢٥٦، ١٠١

محمد بن زكريا = وزير الإسكافي

٢٧٦

محمد بن سعيد ٣٠٢

محمد بن سعيد الأزرق ١٦٥، ١٠١

٢٥٦، ١٦٦

محمد بن سعيد الديناري أبو عيسى ١٣

محمد بن سعيد حاجب الخاقاني ٦٢

أبو محمد بن سهلان ١٧١

محمد بن صالح أبو عبد الله ٢٦١

محمد بن صالح الهاشمي ٣٥٨

أبو محمد الصلحي = الحسن بن محمد

الصلحي ٣٦٠، ٣٥٩

محمد بن عبد الرحمن الروذباري ٢٣٨

محمد بن عبد الرحمن بن قريظة ٣٥٤

محمد بن عبد السلام بن سهل ٢٤٦

محمد بن عبد الصمد أبو طاهر ٥٤ ،

٥٥

محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسن

١٣٩

محمد بن عبد الله بن الحارث ٢٤٦

(٢٨ - الوزراء)

محمد بن جعفر بن ثوابة ٢٦٨ ، ٢٧١

محمد بن جعفر بن الحجاج ١٣٧ ،

١٣٩ ، ١٣٨

محمد بن جعفر العبرتاني = العبرتاني

٣٦٧، ٣٦٦، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤

محمد بن جعفر القرمطي ٢٣٠

محمد بن جعفر الكرخي ٣٣٨

محمد بن حاتم المزنوي أبو حاتم ٢٤١

محمد بن الحسن = أبو طاهر ٢٤٥

محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي

٣٥٧

محمد بن الحسن بن عبد الوهاب ٥١ ،

٣٣٥

محمد بن الحسن كاتب المسمى ٣٣٨

محمد بن الحسن الكرخي = الجرو

٣٣٨

محمد بن الحسين بن العميد ٥

أبو محمد بن أبي الحسين ٣٥٠

محمد بن خلف التيرماني ٣٤١

محمد بن داود بن الجراح ٢٩ - ٣١ ،

١٠٠، ١٠٩، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨ -

١٥٠، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٨٥، ١٦٦

١٩١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٦ ،

محمد بن علي بن مقله = أبو علي
ابن مقله = ابن مقله

محمد بن عيسى ٤٦

محمد بن عيسى بن داود بن الجراح =

العرمرم ٢٥٨، ٢٥٧

أبو محمد بن عينونة = ابن عينونة ١٧٨

محمد بن غالب الأصفهاني ٢١٤، ٢١٣

٢٢٦، ٢٢٥

محمد بن القاسم الكرخي أبو جعفر

٣٣٨، ١٩١، ٧٥، ٧٤

أبو محمد المادرائي ١٨١

محمد بن محمد بن حمدون = ابن حمدون

٣٦٤، ٢٤٧، ١٤٩

أبو محمد المهلب ٣٥٨

محمد بن نصر ٦٤، ٤٧

محمد بن يحيى أبو بكر = الصولي

محمد بن يحيى بن حبان ٢٧٢

محمد بن يوسف أبو عمر القاصي ٣٢

١٧٥، ١١٥، ١١٤، ١٠١، ٣٣

٣٤٨، ٢٥٦

محمود بن صالح ٢٨١، ٣٤

ابن محمود كاتب بن أبي الساج ١١٦

الختار « بن أبي عبيد » ٢٤٨

الخلدي = الحسين الخادم

محمد بن عبد الله بن رشيد = ابن رشيد

١٩١، ١٩٠، ١٨٩

محمد بن عبد الله الشافعي ٢٤٥

محمد بن عبد الله الفارقي ١٧٣

محمد بن عبدوس = الجهشياري

محمد بن عبدون ١٠١، ٣٢، ٣١، ٢٩

١٥٣-١٥٧، ١٨٥، ١٩١، ١٩٩

٢٠٠، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٦

٢٨٦، ٢٨٧، ٣٩٠

محمد بن عبد الوهاب ٢٠٧

محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي

٢٣٣

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٠، ٦٥، ١٠٨

١٢٤، ١٥٧، ١٦٤، ٢٨٤، ترجمة

٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٥٠

٣٦٧، ٣٧٧، ٣٨١

محمد بن علي = البرزفري ٤٠، ٤١

٤٢، ٤٩، ١٩٤، ١٩٥، ٣٢٨

محمد بن علي بن خلف = فخر الملك

محمد بن علي المادرائي ٤٨، ٥٢، ٩٩

١٠٧، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٩٤

٣٧٥

المعتمد على الله ٨٢، ٢٧٠، ٢٨٤
معز الدولة ٣٥٨، ٣٩٢، ٣٩٦
أبو معشر الفلكي ١٨٠، ١٨١
مفلح الأسود ٤١، ٤٣، ٥٥، ٥٩، ٦٠ ،
٦٧، ٧٥، ١٧٣، ١٩٧، ٢٣٥، ٢٣٧
٢٦٥
مقبل الخادم ١٥٩
المقتدر بالله « جعفر » ٢٨-٤٣، ٤٧ ،
٥٠-٦٤، ٦٨، ٧٢، ٧٥-٨١ ،
٩٣-٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١١ ،
١١٨، ١١٩، ١٢٨، ١٣١-١٣٤ ،
١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٥٤-١٥٨ ،
١٦٨، ١٧٢، ١٩٧، ٢١٥، ٢٢٥ ،
٢٣١، ٢٣٥، ٢٦٢-٢٦٨، ٢٨٤-
٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣-٣١٣، ٣١٧ ،
٣١٨، ٣٢١-٣٢٧، ٣٣٥، ٣٣٦ ،
٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤ ،
٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤ ،
٣٧٦، ٣٧٩-٣٨٢، ٣٥٤، ٣٩٧ ،
المقتنى = الحسن بن محمد بن الحسن
الجوهري
المقدام بن معدى كرب ٢٧٢
المقدمي ٢٢٤

مرشد الخادم ١٠٩
مروان بن محمد الخليفة ٢٤٩
المرى ٢٣٩
مريب خادم المحسن ١٧٩
المستعين ٢٥
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
المسعى ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٣٣٨
أبو مسلم الخراساني ٢٤٩
ابن المشرف الذارع المهندس ٢٣٩
٣٦٥
المصري « محمد بن يعقوب » ١٤٠
المطيع لله ٣٥٩
المظفر بن المبارك القمي = ابن المبارك
١٨٨
معاوية بن أبي سفيان ٢٤٨
معاوية بن صالح ٢٧٢
ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
المعتضد « أحمد » ١٢-١٨، ٢١-٢٥ ،
٥٦، ٨٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٩ ،
١٣٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٨ ،
١٧٢، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤ ،
٢٠٦-٢١٠، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥١ ،
٢٦٣، ٢٦٨-٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٠ ،
٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٤٠

مؤنس الخادم المظفر ٢١، ٢٧، ٢٨،

٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٩، ٥٤، ٥٧-

٦٢، ٦٥، ٧٢، ١٣٢، ١٥٨، ١٦٦،

١٧٢، ١٧٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠،

٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٣٣-

٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٧٤،

٣٧٧، ٣٨٠

مؤنس الخازن ٣٠، ١٥٦

مؤنس بن عبد الكريم ٨٠

مؤنس الورقاني ١٦٠

ميمون بن إبراهيم أبو القاسم ٢٠٣،

٢٠٤، ٢٥٠

ميمون الخازن صاحب بيت المال ٧٦،

٩١، ٣٠٨

(ن)

نازوك ٤٢، ٥٧، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٧١،

١٥٦، ١٧٣، ١٨٢، ٣١١، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٣٦

الناصر ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٥٦،

١٠٩

ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان ٣٨٦،

٣٩٦

ناقد خادم الحسن بن مخلد ٨٩، ٩٠،

نجاح بن سلة ١١٠

ابن مقلة = أبو علي بن مقلة = محمد

ابن علي بن مقلة

المكتفي بالله ٢٩، ٥٦، ٨٠، ١٣٠،

١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤،

١٥٨، ١٦٢، ١٧٢، ٢١٠، ٢٤٩-

٢٥٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٣٠٨،

٣١٧، ٣٨٧

مكرم بن بكر ٣٥٤

المنتصر الخليفة ٢٤٩

المنصور الخليفة ٢٤٩

أبو منصور ١٣٧، ١٣٨،

المهتدي بالله ٢٥، ٢٤٤،

المهدي الخليفة ٣٦٨، ٣٦٩،

موسى بن جعفر الكاظم ١٩٠

موسى بن خلف ٣٤، ٣٩، ١١٢، ١١٤،

١١٥، ١٣٨

موسى بن عيسى كاتب مؤنس ٢٩، ٣٠،

أبو موسى زوج أم موسى ٣٠١

موسى بن قتادة أبو عمران ٣٩٦

أم موسى القهرمانة ١١٨، ١١٩، ١٧٥،

٢٨٩-٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١،

٣٠٩، ٣١٠، ٣٨٢، ٣٨٠،

الموفق ٤٤، ٨٢، ٢٤٩

مؤنس ٩٨

نصر بن الفتح كاتب مؤنس ٣٠٠

نصر القشورى = نصر الحاجب

نصير بن على ٣٣٨، ٢٤٧

النعمان ١٣٩

النعمان بن عبد الله أبو المنذر ٤٨، ٤٩،

٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠

نعمة الكتابة ٣٢٦

النهيكى ٨٧

النوبختى ٤١

أبو نوح بن جبير = ابن جبير عيسى

٨٢، ٣٤

النوشجاني ٢٣، ٩٥، ٩٦

(٥)

هارون بن إبراهيم الكاتب ١٤٤، ٣٨٧

هارون بن أحمد بن هارون ٢٤٧

هارون الشارى ٣٥، ٣٠٧

هارون بن عمران ٣٨، ٩٠، ٩١، ٩٣،

١٤٠، ١٤١، ١٧٧، ٣٣٢

هارون بن غريب الخال ٦٢، ٦٣،

٦٥، ٦٨، ٧٠، ١٧٣، ٣٣٤،

٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٢

ابن هانى الكوفى = على بن عبد الرحمن

ابن هبنتى القناتى = إسحاق بن على ١٤٠

أبو هريرة ٢٧٢

نجح ٨٢، ٨٣

نجح بن رستم ٢٣٠

نجح الطولونى ١٧٣

نحير العمري ٥٧، ٢٠٠

نذير الحرمى ١١٦، ٢٩١

النرسى = عبيد الله بن الحسن

النرسى كاتب الطائى ١١٩

نزار بن محمد ١١٦، ١١٧، ٢٣٢

نزهة الملقمة ٢٣٣

نسيم الخادم أبو الهواء ١٤١، ١٤٣،

٣٣٦

نصر بن أحمد صاحب خراسان ١٧٢

نصر الحاجب = نصر القشورى ٣٦،

٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٤-٦١،

٦٤-٦٧، ٧٢، ١٠٣، ١٠٦،

١١٠، ١١٦، ١٧٣، ٢٣١، ٢٦٤،

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٧، ٣٢٠،

٣٢٣، ٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٧، ٣٨٠

أبو نصر بن أبى الحسين ٣٥٠

نصر بن على ١٨٧

نصر بن على الطيب أبو سهل ٢٦٥

أبو نصر بن على بن عيسى «إبراهيم» =

٣٩٢، ٣٩٣

(ى)

أبو ياسر ٢٨٣ وانظر إسحاق بن أحمد

أبو ياسر الجرجاني ٣٧٢

ياقوت ٥٨ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٣٢٤ ،

٣٣٦

يحيى بن إبراهيم المالكي أبو عيسى

٢٨٨ ، ٣٠٢

يحيى الدقيق = يحيى بن عبدالله الدقيق

يحيى بن عبدالله بن إسحاق ٢٤٧

يحيى بن عبدالله الدقيق أبو زكريا ٦٠ ،

١٩٦

يحيى بن علي النجم ٢٤١ ، ٢٥٢

يحيى بن محمد بن فهد ٧٣

أبو يحيى بن مكرم = مكرم بن بكر

أبو يعقوب = أبو يعقوب بن هبتي

يعقوب بن اصطفن = اصطفن بن

يعقوب ١٥٨

يعقوب بن عتبة ٢٧٢

أبو يعقوب بن هبتي القناني ١٧٨ ،

١٧٩

أبو يعقوب بن يوسف بن الأرزق

٣٧٦

ابن هشام = علي بن هشام ٦٠

هشام بن عبدالله ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ،

١٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٢٥ ،

٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ - ٣٣٩

هلال بن بدر ٥٨ ، ٦٠

أبو الهواء = نسيم الخادم

أبو الهيثم بن ثوابه = العباس بن محمد

بن ثوابه ٣٠٦

أبو الهيجاء بن حمدان = عبدالله بن

حمدان

(و)

الواثق ٢٥

واسع بن حبان ٢٧٢

وراد من الجلساء ٢٤

وزير الإسكافي = محمد بن زكريا

وصيف « في شعر » ٢٤١

وصيف البكتمري ١٧٣

وصيف بن صوارتكين ١٠١ ، ٢٥٦ ،

وصيف كامه ٣٦٦

وكيع القاضي ٣٦٩

يوسف بن ديوداذ = ابن أبي الساج

٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٢٩ ، ٩٩

يوسف بن فنحاس ١٧٧ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٩٠ ،

١٩٨

يوسف بن يعقوب ٢٦٩ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٦ ،

٢٧٠

يليق ٣٠٥ ، ٢٨٧ ، ٧٠ ، ٦٠ ، ٣٤

يمن الكبير ٢٥٦ ، ١٠١

يوسف بن داود = ابن أبي الساج =

يوسف بن ديوداذ

يوسف بن أبي الساج = ابن أبي

الساج



فهرس الأماكن والبلدان

الأبواب ١٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٤١

٣٤٢

أنطاكية ١٧٣، ٣٥٤

الأهواز ٢٩، ٣١، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٩٢

١٥٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٨

١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٨٢، ٢٩٥

٢٩٦، ٣١٥، ٣٤٥، ٣٦٢، ٣٦٧

٣٨٣

أبندج ١٧٤

الإيفاران ١٧٣

إيفار يقطين ٤٩، ٢٢٥، ٢٨٠

(ب)

باب الأبواب ٢٣٩

باب البستان ٣١١، ٣٣٦

باب خراسان ٢٦٤

باب السهميين ١٥٩

باب الثمسية ٦٠، ٨١، ٣٩٣

باب العامة ٣١، ٣٠٩، ٣٤٣

(١)

آمد ٤٨، ١٦٥

الأبلة ٤٧

أبهر ١٧٣

الأبجان ٢٥٧

أجة هوانا ٢٦٦

أجناد الشام ٩٥، ١٠٦، ١٧٣، ٢٠٨

الأحدى ٢٥٠

أذربيجان ١٩، ١٧٣، ١٩٨

الأربعيني ١٧

أرحاء عبد الملك ٢٣٩

أردبيل ١٤٤، ١١٥، ١١٦

أرمينية ٥٤، ١٧٣، ١٩٨

أسكاف بنى الجنيد ٢٨٢

الإسكندرية ٢٠٨، ٣٨٠

أبو الأسود « بنق » ٢٨٠

أصفهان = أصفهان ١١٤، ١٢٤

١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٩٥

٢٩٦، ٣٣٨، ٣٦٧

أفريقية ٣١٥

٣٥٠،٣٣٦،٣٢٩،٣١٠،٢٩٦

٣٩٢،٣٨٦،٣٥٨

بلد ٤٧

البندنجين ١٨٧

البنيان ١٧٤

بهرسير ٢٨٠،٢٢٦،٢٢٥،٤٩

بيت الدم ٢٣٢

بيت الدمشقي ٢٣٠

بيت المقدس ٣٥٥

بيروز ٣٥٩

(ت)

تستر ٣٤٥

تهامة ٣٩١

التيز ١٧٤

(ث)

ثبير ٢٢٢

الثريا ٢٠٦،٢٠٤

الثغر ٣٥٤

الثغور ١٧٥،١٤٧

الثغور الجزرية ١٧٣

الثغور الشامية ١٧٣

(ج)

جازر ٧٦

باب الكناس ٢٨٨،٥٨

باب المحرم ٢٨

بابل ١٨٩

بابلي صريفين ١١

بادوريا ٢٨١،٢٧٩،٢٧٨،٢٧٧،٨٧

٣٧٤،٣٧٣،٣٧٢

باروسما الأسفل ١٤

باروسما الأعلى ٢٧٨،١٤

براز ٨٦

براز الروز ١٨٧

البرت ٢٨٣

بركة السباع ١٧

بزبدى ٢٨٦،١٧٢

بزرجابور ٢٠٢

البتان الزاهر ٣٩١

البيصرة ٥٠٠،٤٧،٣٧،٣٢،٣١،١٦

١٧٥،١٧٣،١٥٢،١١٤،٨٢

٣٤٤،٣١٣،٢٠٨،١٨٦،١٨٥

بصني ٣٥٩

بغداد = مدينة السلام ٢٥،٢٠،١٨

٥٧٣،٥٧،٥٥،٥١،٤٢،٣٩،٣٧

١٥٩،١٤٨،١١٧،١١٤،٩٥

٢٥٢،٢٠١،١٧١،١٦٢،١٦٠

٢٩١،٢٨٩،٢٨٢،٢٧١،٢٦٩

(خ)

خانيجار ١٨
خراسان ١٨٠١٥، ١٨٧، ١٧٢، ١٢٠، ١٨٧، ١٧٢، ١٢٠،
٣٤٤، ٣٣٢، ٣٣٨، ٢٥٨، ٢٠٨، ١٩٠،
٣٦٥
الخزرن ٢٣٩
خطرنفة ١٨٩
خندق طاهر ٣٥٨
خير ٢٤٨، ٧٨

(د)

دار ابجرد ٨٣
دار ابراهيم بن سليمان ٢٨
دار الأزج ١٧
دار بدر اللاني ٢٩
دار البستان ١٩٩
دار البطيخ ١٧٦
دار البلاط ٣٥٧
دار الحجفة ٢٩٤
دار الحجرفة ٢٦٤
الدار الحسنية ١٧
دار سليمان بن وهب ١٩٩، ٣٦، ٢٨،
٣٠٦، ٢٣٠، ٢١٤

الجامدة ٤٠

الجليل ١٤٨، ٨٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٧،
٢٨٤، ٢٠٨
جدة ٣١١
الجراحية ٣١١
جرجرايا ٢٩٦، ٢٨٣
جسر قارون ٣٤٦
جسر منبج ٣٣٦
جمدة ولعلها جندة ١٣٩
جولوا ٣٣٨
جنبلاد ١٢٢

جندة لعلها تصويب جمدة ١٣٩
جند يسابور ٣٤٥
جوخي ١٧٤، ١٥
الجيزة ٣٨٠

(ح)

الحاجر ١٦٠
الحرمان ٣١١، ١٩٨
حصن مهدي ٣١٠
حلب ٥١
الحلبة ٢٥٨
حلوان ٢٨٦
الحناطين ٣١١

الديبان « ولعلها الزابات » : الزاب

الأسفل والأعلى ١٥

(ر)

الراذنان ١٥١،١٥

ربض حميد ٢٣٢

الرحبة ٣٣٦،١٧٤

الرصافة « قصر الرصافة » ٢٥

الرقعة ٣٣٣،١٤١،٦٨،٦١،٥٤،٥٣

٣٨٩،٣٤١

روذستان ١٢٣،١٢٢

الرومقان ٢٨٠،٢٢٥،٤٩

الري ٩٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

٢٢٩،١٧٧

(ز)

الزاب الأسفل ٣٣٨

الزاب الأعلى ١٤٩

الزابات ٢٧٧

زازان ١٨

الزبيدية ٣٧٨

الزمووم ١٧٤

زنجان ١٧٣

(س)

الساج « مشرعة الساج » ١٥٧

دار صاعد بن مخد ٢٨٥

دار الصلاة ٢٦٤

دار ابن طاهر ١٣٢،٩٦

دار عبید الله بن القاسم ٣١٢

دار فتح القلانسی ١٣٧

دار القطن ١٧٦

دجلة ١٥، ٢٨، ٦١، ٧١، ٦١، ١٣٩، ٨٠،

٣٠٢، ٢٨٥، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٦٥

٣٩١، ٣٣١، ٣١٢

درب أبي سورة ٢٣٢

دستميان ١١٨

دقوقا ١٨

دليل النصراني ٣٢٢

دمشق ٣٣٦، ٣٣٥، ٥١

الدمشقي « بيت » ٢٣٠

دما « قنطرة دما » ٢٧٨

ديار ربيعة ٨١، ١٧٣، ١٧٥، ٢٠٨،

٣٦٣، ٣٣١، ٣٣٠، ٣١٠

ديار مضر ٥٣، ١٧٣، ٢٠٨،

دير قني ٣٠٥

(ذ)

ذوطلوح ٢٤٣ في شعر

السيان ٢٥٨
السيب الأسفل ١٢٢
السيب الأعلى ١٨٤ ، ١٨٣
(ش)
شارع عمرو بن مسعدة ١٦٢
شارع الماديان ٢٣٦
الثام ٥١ ، ٥٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
٢٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ،
٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣٣٥
الشمبي ١٨٦
الشمسية ٢٢
(ص)
الصافية ١٥٢
الصحن التسعيني ٥٩
الصحن الحسيني «وكتب خطأ الحيني»
١٧
الصحن السبعيني ٣٨٩
صفين ٢٢٤ ، ٢٤٨
الصلح ٤٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٤
صنعا ٣٣٣ ، ٣٣٧
الصين ٢٠٨

السارية ٢٧٨
الستيني ٣١٢
سجستان ٢٠٨
سرمن رأى ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
٢١٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٤
سكة الحوض ٢٣٢ ، ٢٣٣
السند ٢٠٨
السواد ١٣ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،
١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣١٠ ،
٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥
السوس ٣٤٥
سوق بحر بالأهواز ٣١٠
سوق الثلاثاء ٣٣٦
سوق الرقيق ١٧٦
سوق السلاح ١٢٤
سوق الطعام ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
سوق العطش ٢٨ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٦٩ ،
٢١٩
سوق القمح ١٧٦
سوق المسك ٢٦٦
سويقة أبي الورد ٣٢٢

الفيوم ٣٨٠

(ق)

القاطول ٢٥٢

قردى ٢٨٦، ١٧٣

قرقوب ١٧٤

قزوين ١٧٣، ١١٤

قسطنطينية ٣٥٦، ٣٥٥

القصر ٢٦٧، ٢٦٦، ١٤

قصر أم حبيب ٢٥

قصر الرصافة ٢٥

قصر الطين ٢٢

قصر ابن هبيرة ٢٥٤

قطر بل ٣٤٥، ٨١

القنندهار ٢٠٨

قنسرين ١٧٣، ١٠٦

قنطرة دما ٢٧٨

(ك)

كحلجة ٢٨١

الكرخ ٢٨١، ١٦١، ٨٥، ٦٤

٣٦١

كرمان ٢٠٨، ١٩٧، ١٧٣، ٥١

٣٧٠، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣١٧

كسكر ٣٤٤، ٢٥٧، ٣٧، ١٥

(ط)

طبرستان ١١٤

طريق خراسان ١٥، ١٨، ١٨٧،

٣٤٤، ٣٣٨، ٢٥٨

طوس ١٦٠

الطيب ١٧٤

(ع)

عبادان ٣٥٩، ٨٤

العباسية ٣١١

العروضى ٢٣٢

عمان ١٩٨، ١٧٣

العواصم ١٧٣

(ف)

فارس ٩٥، ٨٢، ٥٣، ٥١، ٤٩

١٤٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦

١٧٧، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٣٩

٣١٠، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٣٧

٣٣٨، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨

٣٧٠، ٣٧١

الفرات ١٥، ٧١، ١٩١، ٢٧٨

٢٧٩، ٣٣٦، ٣٨٦

فروج بيت الذهب ٢٠٨

الفريديات ٢٠٢

٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧

٣٨١ ، ٣٨٠

المشوق ٢٨٤

مقابر الخيزران ٣٠١

مكران ١٧٤

مكة ١٦ ، ٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٩١

المنارة ٤٧

مهرجا نقذف ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

الموصل ٤٨ ، ٩٤ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ،

٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٣٠

(ن)

نصيبين ١٧٩

نهاوند ٣٤٥

نهر بوق ١٥ ، ٣٢٨

نهر بين ١٥ ، ٢٥٨

نهر جوهر ١٠٥

نهر در قيط ١٦٦ ، ٢٨٣

نهر الرفيل ٢٨٠

كلوازي ١٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥

كوفي ٨٢ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ، ٢٨٣

الكوفة ١٤ ، ١٠٨ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ،

١٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ،

٣٨٦ ، ٣٤٥

(م)

ما بان « بستان » ٢٩٦

ما سيدان ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

ماه البصرة ٨٢ ، ١٧٣

ماه الكوفة ١٧٣ ، ٢٨٦

المبارك ٤٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٤

المحرم ٦٣ ، ١٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨

المدائن ٤٢ ، ١١٣

مدينة السلام = بغداد

المدينة العتيقة ٧٦

المسرقان ١٨٨

مشرقة الساج ٥٧

مشرقة القصب ٣٠١ ، ٣٣١

مصر ١٦ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٣١٤ ،

٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،

هيت ١٧٤ ، ٣٣٦

(و)

واسط ١٥ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٩ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ،

٣٢٧ ، ٣٦٥ ، ٣٨٦

الولدى ١٨٦

(ى)

يقطين « إيفار يقطين » ٤٩

اليمين ١٧٤ ، ٣٣٥

اليوسقية ٣١١

نهر السدرة ٣١٠

نهر الملك ٢٨٠

نهر الموفقى ٢٥

النهر وان الأعلى ١١

النهروانات ٣٣٨ ، ٣٧٢

النيل ٣٠١

(هـ)

المبير ٥٧

هرمز جرد ١٢٢ ، ١٢٣

هذان ١٧٣

هينج ٢٨٣

الهند ٢٠٨

هوانا « أجة هوانا » ٢٦٦



المناصب والأعمال والحرف التي كانت تجرى عليها المرتبات

« ذكر لكل منها رقم على سبيل المثال »

البوابون ٢٧	أزمة الدواوين ٢٩٥
البوقيون ١٩	الأسا كفة ٢٢
بيت مال الخاصة ١٤١	الإسقاطيون ٢٢
بيت مال العامة ٢٠٨	أصحاب الأخبار ١٩
التفاريق ٢٢	أصحاب الأرباع ٢٠
الجشارون ٢٦	أصحاب أسواق الرقيق ١٧٦
الجلساء ٢٤	أصحاب الأعلام ١٩
الحدادون ٢٢	أصحاب الحراب ٢٤
الحرس ١٩	أصحاب الشباك ٢٤
الحالون ٢٣	أصحاب الطوق ٢٠
خازن الديوان ١٨٤	أصحاب العيار ١٧٦
خازن الشمع ٢٣	أصحاب المصاف يباب العامة ١٥
خازن القرش ٢٣	أصحاب المرور ٢٤
الخجازون ٢٧	أصحاب المظالم ١٧٦
الخلم الأستاذون ١٧	أصحاب الموارد ١٧٦
الخراطون ٢٢	أصحاب التوبة ١٥
الخطباء ٢٥	أصول الدواوين ٢٩٥
خلفاء الحجاب ٢٦٧	الأئمة ٢٦
الخياطون ٢٢	البازناريون ٢٢

ديوان المشرق ٤٤	ديوان الأزمّة ٨٩
ديوان المغرب ٥١	ديوان الإشراف ٢٨٤
ديوان النفقات ١٤٠	ديوان الإعطاء ٢٦
الذّراع ١٧٧	ديوان الإنشاء ٢٨٤
الرقّاءون ٢٢	ديوان البرّ ٣١٦
زمام الخراج ٢٨٤	ديوان البريد ١٧٧
زمام الضياع السلطانية ٢٨٤	ديوان بيت المال ٨٩
زمام النفقات ٣٨٠	ديوان التوقيع ٨٩
السّباعون ٢٤	ديوان الجيش ٦٧
السجانون ٢٠	ديوان الخاتم ١٩٨
السقاءون ٢١	ديوان الخاصة ٣٣
الشرطة ٢٠	ديوان الخاصة والمستحدثة ٣٤٠
صاحب الدواة ٣٦٤	ديوان الخراج ٨٧
الصاعّة ٢٢	ديوان الخرائط = ديوان البريد ١٧٧،
الصقّارون ٢٤	١٧٨
الصيادون ٢٤	ديوان الدار ١٤٨
الطبالون ١٩	ديوان الدار الكبير ٢٨٥
عامل الجوالى ١٧٦	ديوان السواد ٣٧
عامل دار البطيخ والقطن ١٧٦	ديوان الضياع ٤٨
عامل سوق الغنم ١٧٦	ديوان ضياع الخاصة ٣٠٠
عامل المستغلات بالحضرة ١٧٦	ديوان الفص والخاتم ١٩٨
العرض على الخليفة ٢٨٥	ديوان المرافق ٣٧

مجلس التفرقة ٢٦
مجلس الجماعة ١٨٤
مجلس السودان ١٨٤
مجلس العامة ٣٣
مجلس المقابلة ١١٧
المجلسيون ٢٣
المختصة ١٧٦
المخترعون ١٩
المدير ٢٢٠
المستحثون ١٧٧
المشارف ١٤
المشهورون ٢٢
المضحكون ١٩
المطالبون ١٧٦
المطبخيون ٢٣
المطرزون ٢٢
المكبرون ٢٦
الملاحون ٢٤
الملهون ٢٤
المنفقون في الإعطاء ١٧٧
المهندسون ١٧٧
المؤذنون ٢٦
التجادون ٢٢
التجادون ٢٢
الوراقون ٢٢

الطارون ٢٢
عمال الخراج ٦٧
عمال المعاون ٦٧
العلمان الخاصة ١٦
الفحّالون ٢٤
القراشون ٢٣
القرّاءون ٢٢
القرّاقيون ٢٩
الفرسان ١٧
الفتجّاميون «ولعلمهم أصحاب البنج» ١٩
أو لعلمهم نسبة إلى بنكام ومعناها
ما يقدر به الساعة النجومية ويراد
بهم الذين يحسبون الساعات
القيادون ٢٤
القرأء ١٩
القصارون ٢٢
كاتب سر الوزير ١٣٥
الكتاب ٢٦
الكحالون ٢٧
الكلّابون ٢٤
المثانون ٢٧
الماصرون ٢٠
المتطبيون ٢٤
مجلس الأصل ١٨٤

تعريفات لبعض ما يرد من اصطلاحات وتعبيرات
« مشروحة من مفاتيح العلوم وصباح الأعشى والمغرب وشفاء الغليل
وكثير من الألفاظ شرحت بالهوامش »

(أرج) : التأريج : النظام يعمل للعقد لعدة أبواب يُحتاج إلى علم جملها .
أوهو إثبات تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوقاً ليسهل عقده بالحساب ،
أوهو تفصيل من الأوراج بأن ينقل ما على إنسان ويثبت فيه ما يؤديه دفعة بعد أخرى
إلى أن يستوفى ما عليه .

(الؤامرة) : عمل تُجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع « الأرزاق »
ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك .

(بابه) : استعملت الكلمة مراداً بها معنى كلمة « شأنه » أو « أمره »
انظر مثلاً ص ١٣ : سأل الخليفة في بابهِ وص ٢٣٥ يسأله في بابهِ .

- (الجريب) : « مساحة » : ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً يكون تكسيروها
« أي مساحتها المربعة » ٣٦٠٠ مكسرة أي مربعة ، وهناك جريب مكيال ويختلف
عياره في البلدان .

(الجريدة) : دفتر أرزاق الجيش في الديوان .

(الجهيد) : الذي يتولى قبض الأموال و صرفها ، سمي بعد ذلك الصيرفي .

(خشكنانج) : دقيق الحنطة إذا عججن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز
أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز « قطايف » أو « بقلاوة » وأهل الشام
يسمونه المكفن .

- (الدَّسْت) : صدر البيت واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .
- (دُهقان) : من معانيه رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم .
- (الرُّسْتاق) : يعنون به كل موضع فيه مزدرع وقرى ولا يقال ذلك المدن .
- (مرافق) : تعبير يراد به ما يشبه المصاريف السرية .
- (تريشت حاله) : أصلها من راش يرش : جمع المال والأثاث واغتنى .
- (تسيب) : أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين السبب له العامل على استخراجة فيجمل ويزدأ للعامل وإخراجاً إلى المرتزق .
- (أسبابه) : أسباب الرجل هم المتصلون به .
- (سفاتيح) : جمع سفتجة أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه هناك فيستفيد من الطريق . وعرف أيضاً بأنه كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قراضاً يأمن به من خطر الطريق .
- (سُكْرَجَات) : جمع سُكْرَجَه قصاع صغار يؤكل فيها وقيل لها أيضاً أسكرجة .
- (تسويغات) : أن يسوغ الرجل شيئاً من خراجه في السنة أى يعفى من بعض خراجه .
- (شك الورق) : استعمل في ما يشبه الملقات .
- (الطبرزين) : وجمعه طبرزينات : فارسي تفسيره فأس السرج لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به .
- (الطسوج) : الناحية كالقرية ونحوها .
- (الطَّسُق) : الوظيفة توضع على أصناف الزرع لكل جريب « ضريبة » .
- (الطمع) : العطاء جمعه أطماع ، والأطماع سميت الرزقات واحتمتها رزقة لأنها المرة الواحدة من الرزق .

(العبرة) : ثبت الصدقات لكورة كورة ، وعبرة سائر الارتفاعات أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل ريعا والسنة التي هي أكثر ريعا ويجمعان ويؤخذ نصفهما فتلك العبرة « متوسط » بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض الواقعة .

(معناه) : خاطب الخليفة في معناه : أريد بهذا الاستعمال أنه خاطبه في شأنه .

(إغلاق الخراج) : الفراغ من جبايته .

(افتتاح الخراج) : البدء في تحصيله .

(القرانق) : الحامل للخرائط « رسول »

(الفاالج) : هو خمسا الكرّ المدل . والكر المدل ٦٠ قفيزا

(فنجاميون) : لعل الكلمة مأخوذة من بنكام ومعناها ما يقدر به الساعة

النجومية ويراد بالفنجاميين الذين يحسبون الساعات . أولعها نسبة إلى البنج ويراد بهم أصحاب البنج .

(الفيج) : رسول السلطان على رجليه وجمعه فيوج .

(إقطاعات . قطعة قطائع) : الإقطاع أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له

رقيتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدها قطعة .

(القفيز) : « في المساحة » عُشر جريب = ٣٦٠ ذراعا مكسرة أى مرعبة

وهناك قفيز في المكيال والميزان = ٢٥ رطلا بنداديا .

(الكرّ) : منه كرّ هاروني ، وكر أهوازي وكر هاشمي . وهذه الثلاثة ثلث

الكرّ المدل والكر المدل = ٦٠ قفيزا .

(انكسار المال) : عدم الطمع في استخراجه لغيبه أهله أو موتهم أو نحو ذلك .

وكسر الخراج ونحوه : جعله لا يطمع في استخراجه .

(التكسير) : هو « التربيح » يقال الذراع المكسرة وهي أن يكون مقدار

طولها ذراعا وعرضها ذراعا « ويقال هذه الأرض تكسيرها كذا » أى مساحتها المرعبة .

(الإلجاء والتلجئة) : أن يحمل الإنسان ماله لبعض ورثته دون بعض كأنه يتصدق به عليه وهو وارثه .

(ماء الهواء) أريد به الماء الطبيعي الذي لم يثلج .

(ماء البصرة) : ماء معناه بلومه ماء البصرة يراد به نهاوند أو نهاوند وهمذان وقم .

(ماء الكوفة) : هو الدينور .

(إيفار) : الإيفار هو الحماية وذلك أن تحمي الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل .

ويوضع عليها شيء يؤدي في السنة لبيت المال في الحضرة أو في بعض النواحي .

(المستوفى) : الذي يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله .



أقسام ضائفة من كتاب تحفة الأمراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

لقد بذل الأستاذ ميخائيل عواد جهداً مشكوراً في البحث عن النصوص المنقولة من مؤلف الصابي في الوزراء واستطاع أن يجمع عدة أخبار خاصة ببعض الوزراء .

١ - عن أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى عشرة أخبار .

تسعة منها عن معجم الأدباء ج ١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٢ ج ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

والعاشر من خطط القرينى ج ٢ ، ٤٤ وصبح الأعشى ج ١٣ ، ٥٩

٢ - عن أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد خمسة أخبار .

اثنان من معجم الأدباء ج ٥ ص ٩ ، ج ٦ ص ٧٣ واثنان من وفيات الأعيان
ج ٢ ص ٨٦ وواحد من بدائع البدائنه ص ٥٣

٣ - عن أبي الفتح بن العميد « على بن محمد بن الحسين » خبران

وهما من معجم الأدباء ج ٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

٤ - عن إسماعيل بن عباد سبعة أخبار :

سنة من معجم الأدباء ج ١ ، ٦٩ ، ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨
وكذلك ٣٣٨

وواحد من بدائع البدائنه ١٩٩

٥ - عن فخر الملك أبي غالب محمد بن علي بن خلف :

- خبر من معجم الأدباء ج ١ ص ٢٣٥
وخبر آخر في الاستدراك نقلًا عن النجوم الزاهرة ج ٤، ٢٥٧
وخبر ثالث في الاستدراك أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد من
كتاب معجم الألقاب ٢٦٥
- ٦ - عن أبي القاسم المطهر بن عبد الله خبران :
من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٢٩، ٣٣٢
- ٧ - عن ابن مقلة أبي علي محمد بن علي خبر واحد :
من معجم الأدباء ج ٥، ٢٢٤
- ٨ - عن أبي الريان حامد بن محمد الوزير خبر واحد
من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٣٥
- ٩ - عن أبي طاهر محمد بن بقیة خبر واحد :
من معجم الأدباء ج ١، ٣٤٣
- ١٠ - عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة
من معجم الأدباء ج ٢، ٤٠٢
- ١١ - عن علي بن عيسى خبر واحد :
من الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٠ طبعة قسطاكي .
- ١٢ - عن الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن إسماعيل الإسكافي خبر واحد أطلعه
عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد .
من معجم الألقاب لابن الفوطي ص ١٣٤ نسخة الدكتور مصطفى جواد .
- ١٣ - عن أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي خبر واحد :
نقله الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ ابن النجار .
- ١٤ - عن عميد الأمة أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين الفارسي خبر واحد :
أطلعه عليه الدكتور مصطفى جواد من معجم الألقاب لابن الفوطي .

نصوب

صنعة	سطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٠	الحسنى	الحسينى
٣٣	٨	عمه	أخيه
٣٣	١١	وأطعمه	وأطعمه
٣٨	١٦	الجملة	الجملة
٤٠	١٣	المبارك	المبارك
٥٣	٥	من مقامك ، عندى	من مقامك عندى ،
٥٨	٦	وأمرها	وأمرها
٧٣	١	وللزنجى صاحب دواة فيقرأ	وللزنجى صاحب دواة يقرأ
			« ويلقى الهامش » ١
٨٩	٦	المتضد	المعتمد
٩٢	١	خطها	خطها
٩٢	٢	سأرسيك	سأريك
٩٣	٨	مقامها	مقامها
٩٥	١١	وتتجرت	وتجرت
٩٦	٣	النوشجاني : فيه	النوشجاني فيه :
١٠٠	٤	ابن بسطام	ابن محمد بن بسطام
١١٣	٩	عل نفسك	على نفسك
١٤٠	٧	قاستراد	قاستراد
١٥٢	١٥	ابن الأصبح	ابن أبي الأصبح
١٥٩	١١	أبو الحسن	أبو الحسين

المطأ	الصفحة	السطر	الصواب
ونصف	١٦١	٩	ونصف
ابن العباس	٢٠١	٧	أبي العباس
أحتج	٢٠٢	١٣	احتج
أرددى	٢٠٢	١٦	أرددى
كاتبك	٢٠٤	٤	كاتبك
وافرةُ الأموال	٢٠٩	١٥	وافرةُ والأموال
عن عبد الله	٢١٣	٧	عن أبي عبد الله
ترقيمه	٢٢٤	٨	توقيمه
فأنصرف	٢٢٤	٢٠	فأنصرف
الوزير	٢٢٥	١٤	بالوزير
وتركه وإخراج	٢٣٠	١٣	وتركه إخراج
ذَكَرَ	٢٤٣	١٦	ذُكِرَ
فيما أخذ	٢٤٥	٣	فيما أخذت
ومواقفه	٢٤٩	٢١	ومواقفته
وأن المعتضد	٢٥١	١١	وإن المعتضد
بن زنجي	٢٥٥	٥	زنجي
من أعمالها	٢٥٩	١٠	من أعمالهم
التفل	٢٦١	١٣	التفل
الواحي	٢٦٢	١٢	النواحي
السواد	٢٧٩	٢	السوداء
وحدث محمد	٢٨٠	٢	وحدث محدث
ماء الكوفة	٢٨٦	٤	ماء الكوفة

الخطأ	الخطأ	صفحة	سطر
أبو الحسن	أبو الحسين. ويصوب أيضا في ٢٨٩ من ٣،	٢٨٨	٩
	٢٩٠ من ١٢، ٢٩١ من ٨		
، من النكبة	من النكبة ،	٢٩٦	١٥
وإبراهيم	إبراهيم	٣٠٢	١٤
سكنه	سكنه	٣٠٥	١٧
التبليح	التبليح	٣٢٧	١٩
السود	السود	٣٣٠	١٠
الأنس	الأنس	٣٣٤	٨
كأنما	كأنها	٣٣٤	١٤
عبد الله	عبد الله	٣٣٧	٢
استحقاقتك	استحقاقات	٣٤٦	١
ما أجزرُ	ما أجزرُ	٣٤٦	١
عمل بعد عمل ،	عمل ، بعد عمل	٣٥٢	١٥
فعلتما	فعلتما	٣٥٥	١٧
فراسلني يقول: هذا أبو محمد وكان	فراسلني - يقول هذا أبو محمد وكان	٣٦٠	١
أبو الحسن	أبو الحسين.	٣٦٥	١٦

أهم المراجع

- ابن الأثير : مطبعة بولاق
تجارب الأمم : طبع مصر ١٩١٤
شفاء الغليل : المطبعة الوهيبية ١٢٨٢
صبح الأعشى : دار الكتب
صلة عريب : ليدن سنة ١٨٩٧
الطبرى : بولاق
عيون الأنبياء : المطبعة الوهيبية ١٨٨٢
الفرج بعد الشدة : طبع مصر ١٣٥٧
الفهرست : ليزج ١٨٧٢
كشف الظنون : أسماء الكتب فيه مرتبة وأشرت إلى الموضوع
معجم الأدباء : مطبعة هندية
معجم البلدان : أسماء البلدان مرتبة وأشرت إلى الموضوع
المعرب : دار الكتب
مفاتيح العلوم : بريل ١٨٩٥
المنتظم : حيدرآباد
نزهة الألبا : طبعة حجر ١٢٩٤
نشوار المحاضرة : « جامع التواريخ ج ٨ طبع دمشق ١٩٣٠
وفيات الأعيان : له عدة طبعات وأشرت إلى صاحب الترجمة.

بعض الطرائف في الكتاب

- الاختلاف في كيفية العقل ٧
ضمان أحد الطائي وأقساطه ١٥
الأرزاق وطوائف المرتزقين ١٥
اختبار الجنود في الفروسية وعلامات درجاتهم ١٧
تحقيق الشخصية والأرقام السرية ١٨
عطلة يوم الجمعة والثلاثاء ٢٧
القبض على ابن الفرات ٦٠
القبض على المحسن ٦٣
مناظرة ابن الفرات ١٠٣، ٦٥
قتل ابن الفرات وابنه ٧١
لم سمي السواد سواداً ٧٨
المزين مع كسرى ١٢١
الحجرام مع الحجاج ١٢١
الحسين بن الجصاص ١٢٥
المشورة في بيعة المقتدر ١٤٣، ١٣٠
السبب في دفع ابن المعتز عن الخلافة ١٤٤، ١٣٠
تلون المقتدر ١٣٤
من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ١٣٧
الألقاب واستنكار المؤلف عليها ١٦٦ .
أول من بالغ في الألقاب ١٧٠

- مطبعا ابن القرات وما كان يجري فيها ٢١٥
سعيد بن الفرخان والمزين الكريم ٢٢٦
دفتر منسوب للحلاج اسمه آداب الوزارة ٢٣١
غدر ابن ماشاء الله وجزاؤه ٢٣٤
قاعدة فلسكية تنجيمية ٢٤٨
ما كتب به ابن القرات عند توليه ٢٥٥
مائدة ونظامها وما عليها ٢٦١
المواريث والفتوى فيها ٢٦٨
ما كان يفرق في الأعياد ٢٨٩
الرسم في القبض على الوزراء ٢٩١
إفراد دار للوزير وأول من غير ذلك ٢٩١
حكايات الخاقاني ٣٠١
خواص البلدان ٣٤٤
الكتاب هم الذين يتولون الوزارات ٣٤٨
أسرى المسلمين وكيف خفف عنهم ٣٥٤
أبو محمد المهلبى وما فعله في فتنة العيارين ٣٥٨
سجع صرف عاملا ٣٦٢
رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة ٣٦٩
خبز البيت ينقذ من مطالبة ٣٧٦
مرتب الوزير في الشهر ٣٧٨
تقبيل رجل الوزير ٣٨٥
تاريخ ولادة بعض الوزراء ٣٩٠
على بن عيسى ومعز الدولة ٣٩٢
المشعذ ٣٩٧ - ٩٣٨

فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
وزارة علي بن عيسى الثانية	٣٣٥	المقدمة	
أخبار على المنشورة	٣٤٤	مقدمة المؤلف	٣
نصوص مضافة	٣٩٢	ترجمة لعلي بن محمد بن الفرات	١٨
تكملة	٣٩٩	وزارة ابن الفرات الأولى	٢٨
موجز ما كتبه أمدرود	٤٠١	وزارة ابن الفرات الثانية	٣٥
الفهارس	٤٠٥	وزارة ابن الفرات الثالثة	٣٩
الآيات والأحاديث	٤٠٥	أسماء من قبض عليهم المحسن	٤٤
القوافي	٤٠٨	أخبار ابن الفرات منشورة	٧٢
الأعلام	٤١٢	المخاطبات عن ابن الفرات	١٧٢
البلدان والأماكن	٤٤٠	أحاديث عن أبي العباس أحمد	١٩٩
المناصب والأعمال والحرف	٤٤٨	ابن الفرات	
تعريفات لبعض ما يرد من	٤٥١	مصادر المحسن ومقدارها	٢٤٥
اصطلاحات		ترجمة لمحمد بن عبيدالله	٢٨٤
أقسام ضائعة من كتاب تحفة	٤٥٥	الخاقاني	
الأمراء		أخبار الخاقاني المنشورة	٢٨٨
تصويب	٤٥٧	ترجمة لعلي بن عيسى بن الجراح	٣٠٥
المراجع	٤٦٠	خلافة علي بن عيسى لحامد بن	٣١٣
فهرس بعض الطوائف في الكتاب	٤٦١	العباس	